

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية
Faculté des sciences humaines et des sciences islamiques

قسم التاريخ وعلم الآثار

الدور السياسي والإسهام الفكري لصنهاجة بالأندلس

من القرن 4هـ إلى نهاية القرن 6هـ/10م-12م

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في تاريخ المغرب الوسيط

إعداد الباحث:
حاج عبد القادر يخلف

تحت إشراف :
أ.د عبدالقادر بوباية

الاسم واللقب	المؤسسة الأصلية	الصّفة
أ.د/- بوباية عبد القادر	جامعة وهران1- أحمد بن بلّة	مقرّرا
أ.دة/- بلهواري فاطمة	جامعة وهران1- أحمد بن بلة	رئيسا
أ.د/- بن معمّر محمد	جامعة وهران1- أحمد بن بلّة	عضوا مناقشا
أ.د/- بوداود عبيد	جامعة مصطفى اسطمبولي- معسكر	عضوا مناقشا
أ.د/- بلغيث محمد الأمين	جامعة الجزائر1- بن يوسف بن خدّة	عضوا مناقشا
أ.دة/- عبد الشكور نبيلة	جامعة الجزائر2- أبو القاسم سعد الله	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 1437- 1438هـ/ 2016- 2017م

إهداء

* إلى روح الوالدة الغالية رحمة الله عليها، وإلى الوالد العزيز أطال الله في عمره وأمدّه بموفور الصحّة والهناء.

* وإلى الزوجة الكريمة التي كانت عونا لي في ديني ودنياي ، وإلى أبنائي الأعزّاء، وجميع أفراد الأسرة الصغيرة والكبيرة.

* وإلى كلّ الشغوفين بالعلم وطلبته والسّاهرين على نشره أهدي هذا العمل المتواضع.



شكر وتقدير

الشّكر والامتنان أولا للطيف المنّان الذي أعانني على إنجاز هذه الأطروحة ووفّقني إلى إخراجها لترى النّور بعد جهد جهيد.

ثمّ أقدّم شكري الخاص والخالص إلى الأستاذ عبد القادر بوباية لقاء ما قدمه لي من دعم بكلّ ما تحمله هذه الكلمة من معان، فضلا عن تحفيزاته وتوجيهاته التي لم يبخل بها علي كلّما تطلّب الأمر ذلك من بداية إشرافه على هذه الرسالة إلى نهايتها.

وأسأله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم وأن يتقبله في صالح الأعمال.





على قدر أهل العزم تأتي العزائم

وتأتي على قدر الكرام المكارم

أبو الطيّب المتنبّي



مقدمة

ساهم البربر في عملية فتح الأندلس، وشهدوا تفاصيل أحداثه منذ بدايتها إلى نهايتها، وكانوا الأوفر عددا والأكثر نفيرا، ويشهد التاريخ أنهم أبلوا البلاء الحسن ، إلى جانب إخوانهم المسلمين الفاتحين من العرب والموالي حتى دانت لهم بلاد القوط.

وكان البربر السبّاقين إلى احتضان مشروع إقامة دولة الإسلام على أرض الأندلس، وعلى عاتقهم تمّ إرساء قواعدها، وظهر ذلك جليّا منذ البداية، بإيوائهم وحمايتهم ومؤازرتهم الماديّة، ودعمهم المعنوي للرجل الذي كان يمثل شرعية السلطة[1] في دولة الخلافة بالمشرق، بعد قضاء العباسيين على ملك بني أميّة هناك، حتى استعاد ملكه الضائع وصلحت أحواله، وصار الأمر دولة بين أبنائه من بعده.

وعرفت الأندلس تطورات سياسية كثيرة ، جعلتها تنتقل من الإمارة إلى الخلافة الأموية، التي انفكّت عراها ودبّ إليها الضّعف ، بسبب الصرّاع على السلطة، الذي حوّلها من دولة خلافة إلى دويلات طوائف متصارعة فيما بينها، وكانت صنهاجة ممثلة في دولة بني زيري بغرناطة إحدى هذه الممالك، التي حكمت حينا من الدهر، وفي غفلة منها بشهوة السلطة وملذات الدنيا، تداعت عليها وعلى غيرها من دويلات الطوائف، أمم الصليب في شبه الجزيرة الإيبيرية، ولم تسلم من السقوط في أيديهم، إلاّ بظهور صنهاجة الصحراء من أهل اللثام، على مسرح الأحداث في المغرب كقوة ضاربة، استنجد بها أهل الأندلس فخلّصتهم، من ظلم الإسبان وجور السلطان، وأوقفت الزحف المسيحي وقضت على بذور الفتنة، بتوحيد المغرب والأندلس تحت راية واحدة حكمتها الدولة المرابطية.

وإذا كانت الدراسات قد أفاضت في الحديث عن البربر، ما لهم وما عليهم في المجالين السياسي والعسكري بالأندلس بشكل عام[2]، إلى جانب ما تمّ تقديمه عنهم

---

[1]- عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك (حكم 138- 172هـ/756- 788م)، لقّب بالدّاخل وبصقر قريش لدخوله الأندلس.

[2]- محمد حقّي، البربو في الأندلس- دراسة لتاريخ مجموعة إثنية من الفتح حتى سقوط الخلافة الأموية (92هـ-422هـ/711م-1031م)، شركة النشر والتوزيع- المدارس- الدار البيضاء، 1422هـ/2001م، 340ص./ عبد القادر بوباية، البربر في الأندلس وموقفهم من فتنة القرن 5هـ/11م (92-422هـ/711-1031م)، دا رالكتب العلمية- بيروت، ط1، 2011م، 543ص.

كدراسات مستقلة في المجال الفكري[1]، فإنّني أجد - إلى حد الساعة – أنّ الدراسات الخاصة بالقبائل البربرية قبيلة بقبيلة، أو على الأقلّ تلك القبائل المتنفّدة التي لعبت أدوارا مهمّة في التاريخ المحلّي والإقليمي في الغرب الإسلامي، تتطلّب منّا كباحثين الكشف عن ما كان لها من يد في صناعة الأحداث السياسية، إلى جانب نطاق مشاركتها في مجال الفكر والثقافة بالأندلس، حيث لا زال البحث في هذه الجوانب موضوعا بكرا لم ينل حظّه من البحث والدّراسة المستقلّة، باستثناء العمل الذي خُصّت بها قبيلة كتامة [2]، والذي تركّز حول الدّور السياسي الذي قامت به هذه القبيلة، في تاريخ الخلافة الفاطمية ببلاد المغرب، من مرحلة التأسيس مع نهاية القرن الثالث إلى منتصف القرن 5هـ/11م.

والجدير بالذكر أنّ الأندلس كانت تمثل تجانسا بشريا، أشبه ما يكون بالعقد الذي تلاحمت عراه، بفعل التمازج والانصهار في بوتقة مجتمع واحد متعدّد الأعراق، وقد اصطلح على تسمية حلقات هذا التجانس بالأقليات، التي لعبت دورا في شدّ أزر الدولة وتقوية عضدها، في زمن الخلافة الأموية لضرب أعدائها في الداخل والخارج، فلما تقطّع حبل الخلافة تناثرت حبّاته، واتضح عبث المنشقين وخروج الخارجين عن الدولة المركزية، سعت كل أقلّيّة في غياب السّلطة الشّرعية، أن تجد لنفسها شرعية تستند عليها، لتأسيس مملكة على أرض الواقع، ممّا أدّى إلى نشأة ما أصبح يعرف بدويلات ملوك الطوائف في الأندلس.

وقد كان للبربر نصيبهم في تأسيس عدد من هذه الدويلات، التي بلغت في مجموعها ست إمارات، كما كان لصنهاجة حضورا قويّا، كواحدة من كبريات القبائل البربرية، التي تركت بصماتها على السّاحة السياسية بالأندلس حينئذ، وكانت دولة بني زيري الصنهاجية بغرناطة إحدى هذه الإمارات. وهي القبيلة نفسها التي

---

[1]- يخلف حاج عبد القادر، الإسهام الفكري للبربر بالأندلس من العهد العامري إلى نهاية الوجود المرابطي (371-539هـ/981-1144م)، مذكرة ماجستير في التاريخ الإسلامي غير مطبوعة، جامعة وهران، 1429-1430هـ/2008-2009م، 205ص./ حبيب حاكمي، الإسهام العلمي للبربر في الأندلس على عهد الموحدين من منتصف القرن 6 إلى مطلع القرن 7هـ/ق12- ق13م، مذكرة ماجستير في التاريخ الإسلامي غير مطبوعة، جامعة وهران، 1430-1431هـ/2009-2010م، 170ص.

[2]- موسى لقبال، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري (11م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر، ط1، 1979، 736ص.

ستعتمد على قوة عصبيتها، في تأسيس دولة المرابطين بالمغرب فيما بعد، وتتصدّى للفرُقة بين الإخوة في الملّة بالأندلس ، الذين صاروا غثاء كغثاء السّيل، فتقضي عليها وتوحّد الجميع تحت رايتها، وتقف في وجه تكالب النصارى، مانعة الأندلس من السقوط، وممدّدة عمر دولة الإسلام في هذا الصقع ردحا من الزمن.

وتجدر الإشارة إلى أنّ تجانس الأقليات في المجتمع الأندلسي، أدّى إلى تلاقح في الأفكار، سمح لكلّ أقلية منها أن تدلو بدلوها، لإثراء المنتوج الحضاري والتراث الفكري الأندلسي. وفي هذا الإطار كانت مساهمة البربر بشكل عام، باعتبارهم أكبر أقلية إثنية في البلاد، مهما كانت نسبة هذه المساهمة- ضئيلة أو كبيرة، محتشمة أو متميّزة- مقارنة بمساهمة الأقلّيات الأخرى . وليس ثمّة شكّ في تفاوت الحضور الفكري والإسهام الثقافي بين القبائل البربرية في الأندلس، فمنها من كانت حاضرة بقوّة، ومنها من كانت متواضعة في عطائها، ومنها تلك التي كانت خاملة وغائبة تماما عن الساحة في هذا المجال.

إنّ الدّافع وراء اختياري للموضوع الذي سأطرقه يكمن أساسا في أهمّيته المتمثلة في التعريف بإحدى القبائل البربرية البارزة، من حيث الحديثُ عن ما قدّمته للإسلام سياسيا وفكريا في الغرب الإسلامي خلال مرحلة مهمّة من تاريخ المسلمين في العصر الوسيط، ومن هذا المنطلق اخترت أن أسلّط الضوء على قبيلة أو شعب "صنهاجة" كأنموذج للقبائل البربرية، التي قامت بالدّور المنوط بها في معترك الحياة السياسية، كما كان لها نصيبها المحترم في ميدان الفكر والثقافة بالأندلس، وبذلك تكون قد جمعت بين لغة السّيف ولغة القلم في فضاء الأندلس الواسع خلال العهد الإسلامي.

وقد اختلفت المصادر التاريخية في تحديد نسب صنهاجة، فمنها من جعلتها عربية قحّة الأصول، ومنها من قالت بأنّها بربرية متأصّلة الجذور، لا تمتّ بصلة إلى النسب العربي البتّة. فأيّ الفريقين- يا ترى- أقرب إلى الصّواب في مسألة تحديد هذا النسب؟ وما هي الشعوب التي تنتمي إلى صنهاجة؟ وأين كانت مواطنها في بلاد المغرب الإسلامي على اعتبار أنها مناطق تواجدها الأولى؟ وما هي مواطن

استقرارها في الأندلس بعد الجواز إلى عدوتها؟ وفيما يتمثّل الدّور الذي لعبته على الساحة السياسية في بلاد الأندلس؟ وهل ثمّة مساهمة تذكر لصنهاجة في عالم الفكر والثقافة بالأندلس؟ وما حجم هذه المساهمة؟ وما هي المجالات التي شملتها؟ وما النتائج التي تمّ التوصل إليها من خلال هذه الدراسة؟

وللإجابة عن جوهر هذه الإشكالية بكلّ ما حملته من تساؤلات جزئية، اعتمدت على المنهج السّردي الوصفي، في الجانب السياسي للموضوع، بالرجوع إلى النّصوص من مصادرها الأولى ، كما وردت في أمّ ات الكتب، مع الشّ رح والتعليق كلّما دعت الضرورة إلى ذلك، أو التعقيب الذي أتوصّل إليه عقب التحليل والمناقشة أو المقارنة، بحسب ما تقتضيه طبيعة هذه النصوص ، في المواطن التي وردت فيها بما ينسجم مع الفكرة ويخدمها . كما استعنت بالمنهج الإحصائي في الجانب الفكري للموضوع، لتجنّب التكرار في طبيعة المعلومات المتعلّقة بالشخصيات العلمية، التي أسهمت في الحياة العلمية بالأندلس خلال الفترات المعنية بالدّراسة، ولتسهيل قراءة الجداول والوقوف على أهمّ الملاحظات والمقارنات والاستنتاجات التي يمكن الخروج بها في هذا الشأن.

وعليه فإنّي أقدّم وبكلّ تواضع إلى اللجنة العلمية الموقّرة، ثم إلى الدّارسين من أهل الاختصاص في حقل التاريخ ، موضوع أطروحة الدكتوراه الموسومة بـ: " الدّور السّياسي والإسهام الفكري لصنهاجة بالأندلس من القرن 4هـ إلى نهاية القرن 6هـ/10م-12م". وقد شملت دراستي لهذا الموضوع المحتويات التالية: مقدمة أتبعتها بتمهيد وأعقبت ذلك بفصلين ثم خاتمة.

اشتملت المقدمة على التعريف بالموضوع، والأهمية التي يكتسيها في التاريخ الإثني ببلاد المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، مع ذكر الدّ وافع التي حفزتني للكتابة فيه، وأهمّ الأسئلة التي تركّزت حولها إشكالية الموضوع المطروح للنقاش العلمي الأكاديمي، من أجل التوصّ ل إلى النتائج التي يفترض التوصّ ل إليها في خاتمته، وتلا ذلك شرح لمنهج الدرّ اسة الذي اتّبعته، لأخلص بعد ذلك إلى عرض وتحليل لأ همّ المصادر التي اعتمدت عليها في إنجاز دراستي، معرّ فا

بأكثرها حضورا في رسالتي، وموضّحا أهمّية كل مصدر منها في نوعية المادة العلمية التي أفادتني في البحث قيد الدراسة.

وتناولت في الفصل التمهيدي:" التواجد الصنهاجي في الأندلس من القرن 4 إلى 6هـ/10- 12م"، ويندرج تحت هذا العنوان العناصر التالية:

- العنصر الأول: وقد خصّصته للكلام عن حقيقة أصل صنهاجة؟ ما قيل في نسبهم نقلا، والوقوف عند الأرجح منها عقلا.

- ثمّ تطرّقت بعدها بالتفصيل إلى الحديث عن شعوبها ومناطق تمركزها ببلاد المغرب، من الفتح الإسلامي إلى عصر المرابطين.

- وفي العنصر الموالي تحدّثت عن هجرة الصنهاجيين واستقرارهم بالأندلس، وكيف تمّ ذلك إلى غاية القرن 6هـ/12م.

أمّا الفصل الأول الموسوم بـ :" الدور السياسي لصنهاجة في الأندلس من القرن 4 إلى نهاية القرن 6هـ/10-12م"، فقد خصّصته للحديث عن الحضور السياسي للصنهاجيين، وتأثرهم وتأثيرهم في الأحداث، من خلال العناصر التالية:

- " الصنهاجيون خلال الفتح و عهد الولاة في الأندلس " (92هـ-138هـ/711م-756م).

- ويليه الحديث عن الصنهاجيين على عهد الإمارة الأموية بالأندلس (138-316هـ/756-929م).

- ثمّ الصنهاجيون خلال عهد الخلافة الأموية بالأندلس(316-422هـ/928- 1031م).

- وأعقب ذلك الحديث عن صنهاجة بالأندلس على عهد ملوك الطوائف (422-484هـ/1031-1091م)، وتناولت من خلاله الموقع السياسي لدولة بني زيري بغرناطة (403-483هـ/1013-1090م) من خارطة ملوك الطوائف، في عهد تميّز

بانفصال واستقلال ما يزيد عن عشرين دويلة عن السلطة المركزية بقرطبة ، عقب زوال الخلافة سنة 422هـ/1031م.

- وكان آخر عنصر في هذا الفصل حول الصنهاجيين بالأندلس على عهد المرابطين (479-541هـ/1086-1146م)، وبسطت الكلام فيه عن أهل اللثام، الذين ينتقون إلى لمتونة، وهي أحد فروع قبيلة صنهاجة الصحراء، الذين تحوّلوا بفضل الجهاد ومحاولة تحقيق العدل إلى أسياد للمغرب والأندلس، في وقت تفرّقت فيه كلمة الأندلس وتشتّت شملها، ولم يلتئم جرح أهل ها إلاّ بمجيء هؤلاء المرابطين، الذين استجابوا لنداء الاستنجاد، ودافعوا عن حمى الأندلس ، وحموا أهلها من بطش الغريب وجور القريب.

وجاء الفصل الثاني تحت عنوان : " الإسهام الفكري لصنهاجة بالأندلس من القرن 4 إلى 6هـ/ 10-12م"، وتعرّضت فيه إلى العناصر التالية:

- أوّلها: عوامل تطور الحركة العلمية في الأندلس من عهد الحكم المستنصر إلى زوال الخلافة الأموية (350-422هـ/961-1031م)، الذي كان بمثابة توطئة للولوج إلى العنصر الموالي.

- ثانيها: جاء تحت عنوان إسهامات البربر العلمية بالأندلس وحظّ " صنهاجة " منها خلال الفترة من 366 إلى 422هـ/ 976-1031م.

- ثالثها: عوامل ازدهار الحركة العلمية ومظاهره ا في عصر الطوائف (422-484هـ/1031-1091م).

- رابعها: إسهامات البربر العلمية في عصر الطوائف بالأندلس ونصيب صنهاجة من الزّخم الفكري والثقافي الذي تميّز به هذا العصر.

- خامسها: دور الملثّمين في الحركة العلمية بالأندلس أثناء حكمهم لها إلى نهاية القرن 6هـ/12م. وبعد أن تطرّقت إلى الدّور الإيجابي الذي قام به المرابطون في الحياة الفكرية، انتقلت إلى نقطة مهمّة أثير حولها جدل كبير، وهي تتعلّق بمسألة

نظرة المؤرّخين وتقييمهم " للمرابطين والحياة العلمية "، فكان منهم قسم أجحف تعصّبا أو جهلا أو تحاملا على دولة الجهاد، وقسم آ خر أنصف بالحجّة والدليل، فأزال تلك الغشاوة التي قد يقع فيها كلّ من لم يوطّن نفسه على التثبّت . وانتقلت بعد ذلك إلى نقطة أخرى أسالت الكثير من الحبر، ألا وهي موقف المرابطين من الفلسفة وعلم الكلام والتصوّف، وبيّنت من خلالها أنّ التهكّمات التي تعرّضت إليها الدولة المرابطية ناتجة عن فهم سقيم ركّز فيه أصحابه على حجر دراسة هذه العلوم، للاستدلال على جهل وعداوة المرابطين للعلم، بينما كان هؤلاء لا يقطعون أمرا من أمور دينهم ودنياهم دون الرّجوع إلى رأي العلماء، الذين أفتوا بميزان الشّرع وهو ميزان الحقّ، الذي رأته العقول البشرية القاصرة أنّه لا عدل، لعدم إدراكهم لمقاصد الشّريعة المحمّدية، أو حسدا من عند أنفسهم.

- سادسا: تطرّقت في هذا العنصر إلى الحديث عن إسهامات البربر عامّة وصنهاجة خاصّة في الحركة العلمية بالأندلس المرابطية، حيث تعرّضت لأبرز الشخصيات العلمية والأدبية وبيّنت مجال تخصّصها انطلاقا من النصوص الواردة في كتب التراجم، وبلغة الأرقام بيّنت قوّة المشاركة الفكرية للبربر في هذا العهد مقارنة بالعهود السّابقة ، ومقارنة إسهام صنهاجة مع باقي القبائل البربرية من هذه المشاركة.

وتضمّنت الخاتمة أهمّ النتائج التي توصّلت إليها في هذه الدراسة، في شكل نقط مختصرة ضمن فقرات موجزة.

- عرض المصادر والمراجع وتحليلها:

لقد قمت باستخدام مجموعة معتبرة من المصادر الأندلسية والمغربية بالدرجة الأولى، بحكم تخصّصها وقربها من زمان ومكان وقوع الأحداث، كما استعنت ببعض المصادر المشرقية الهامّة، كلّما شعرت بمسيس الحاجة للعودة إليها اقتضاء للضّرورة العلمية، فقد تنقل عن المصادر المغربية فتسند ما ورد فيها وتدعمها وتكمّلها، وقد تنفرد ببعض الأخبار، وشكّلت النصوص المستخرجة من هذه المصادر سواء في وحدة رواياتها أو اختلافها في الموضوع الواحد، مادّة الرّسالة

قيد الدّراسة، التي أضعها بين يدي اللجنة الموقّرة، لتكون بعد ذلك في متناول الشغوفين من الباحثين المهتمّين بمثل هذا النّوع من الدراسات التاريخية، ومن ضمن هذه المصادر ما يلي:

أوّلا: كتب الأنساب:

لقد ورد ذكر هذه المصادر في الفصل التمهيدي، الذي خصّصته للحديث عن أصل صنهاجة وما يتصل بذلك من الكلام عن نسبها وشعوبها ومواطنها ببلاد المغرب، وهجراتها واستقرارها بالأندلس، ومن أبرز هذه الكتب:

1/- **جمهرة أنساب العرب** [1]: لأبي محمد بن حزم القرطبي (ت سنة 456هـ/1064م)، الذي ينحدر من أسرة إسبانية الأصل، رغيدة العيش ألفت حياة القصور، فقد كان والده أحمد بن سعيد الفارسي وزيرا للمنصور بن أبي عامر، وعندما تداعت أركان الخلافة بالأندلس، نُفي ابن حزم أوّل الأمر إلى المرية ثمّ إلى شاطبة، ومنها عمل على إعادة مجد الخلافة الضائع، فنجح في تولية صديقه عبد الرحمن الخامس- الملقّب بالمستظهر- عرش الخلافة الأموية بالأندلس، فعيّن على إثر ذلك رئيسا لوزرائه. غير أنّه لم تدم خلافة المستظهر سوى شهرين حيث قتل سنة 414هـ/1024م، ونتيجة لهذه الأحداث المؤلمة فضّل ابن حزم الاختفاء عن الحياة السياسية، وبعد محاولة فاشلة لنشر مذهبه توارى عن الأنظار مفضّلا اعتزال الناس، إلى وفاته بضواحي لبلة غير بعيد عن إشبيلية سنة 456هـ/1064م.

ويعدّ كتاب الجمهرة من أفضل المصادر العربية التي تحدثت عن جمهرة نسب البربر ، ومناطق استقرارهم بالأندلس خلال القرنين الرّابع والخامس الهجريين، ورغم دقّة المادّة التي ينقلها إلينا إلاّ أنّها لا تفي بالغرض لقلّتها، ولاتّصافها بالتعميم أحيانا، بينما تبقى الفترة السابقة لعصر ابن حزم أكثر شحّا من

[1]- مراجعة وضبط الأعلام: لجنة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية- بيروت، 1421هـ/ 2001م، صص495- 503.

حيث معلوماتها عن القبائل البربرية ومراكز استقرارها، لندرة المصادر التي كتبت عن تفاصيل استقرار القبائل البربرية في الفترة ما بعد الفتح إلى نهاية لقرن الثالث.

2/- **كتاب أنساب البربر** [(1)]: قام بتأليفه عبيد الله بن صالح بن عبد الحليم الإيلاني، (من أعلام القرن 8هـ/14م)، وهو يورد لنا أنساب أهل المغرب معتمدا على روايات نسّابتها من البربر على وجه الخصوص، ويتضمّن هذا الكتاب بعض الأساطير التي حيكت بشأن الأقدمين من سكان بلاد المغرب، كما يورد نتفا من أخبار الفتح العربي لبلاد الأندلس.

ونظرا لشحّ المادّة المعرفية المتعلّقة باستقرار البربر في الأندلس، رغم أنّهم كانوا يشكّلون السواد الأعظم لساكن تهعلى مختلف مراحل الوجود الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية، حيث لم ي نقطع تيار هجرتهم بحكم قربهم من الأندلس، وبحكم الإغراءات المادية وتوفّر الظروف السياسية التي ساعدت على تدفّقهم المستمر، فقد تحتّم علينا الاجتهاد في البحث والتنقيب عن كلّ ما من شأنه أن يساعد على رفع هذا اللّبس . وفي غياب تأريخ المصادر المعاصرة للأحداث أو القريبة منها، التي أهملت – في غالب الأحيان- تسمية القبائل البربرية والمناطق التي كانت تقيم فيها، أصبح من الضّروري علينا الاستفادة من الدراسات العربية الحديثة وعلى رأسها ما قدّمه الدكتور حسين مؤنس [(2)]، رغم قلّة المعلومات التي قدّمها لنا بهذا الشأن، حيث لم تتعدّى بضعة صفحات عن استقرار البربر بالأندلس. أمّا ثاني هذه الدراسات فهو كتاب " الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس"[(3)]، الذي تناول فيه صاحبه بشيء من الإسهاب - مسألة الاستقرار- مقارنة مع العمل السّابق.

---

[1]- وهو نص من ثلاثة نصوص عن البربر في الغرب الإ سلامي، قام بدراستها وتحقيقها : محمد يعلى، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي- مدريد، 1996، 119ص.

[2]- فجر الأندلس دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية (711-756م)، العصر الحديث للنشر والتوزيع- دار المنا هل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط 1،1422هـ/2002م، صص419-427.

[3]- عبد الواحد ذنون طه، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس، دار المدار الإسلامي، دار الكتب الوطنية- بنغازي، ط1، صيف 2004، صص259-284.

وحاولت بعض الدراسات غير العربية الجادّة لمؤرخين محدَثين من أمثال P.Guichard أن تعتمد على أسماء المواضع (Toponymie) التي يمكن ردّها إلى أصل بربري، خَرَجْتُ من خلالها باستنتاجات ، مفادها دلالة هذه الأسماء على أنّ المواضع التي حملتها وما زالت تحملها إلى يومنا هذا كانت فيما سبق منازل للبربر[1]، وتأتي في هذا الإطار الدراسة التي قامت بها H.de Felipe التي تحدثت فيها عن هوية بربر الأندلس[2].

دون أن أنسى الدراسات الأخرى التي استعملتها للإشارة إلى نقاط معيّنة في البحث قيد الدّراسة و أخصّ منها بالذكر Madoz في قاموسه الجغرافي الكبير الذي يحتوي على 16 مجلّدا[3]. وهو من المؤلّفات الجغرافية التي اختصّت بالأقاليم الجغرافية الإسبانية في العصر الوسيط والفترات التي سبقته . بالإضافة إلى هذه الدراسات هناك دراسات أخرى سيرد ذكرها في حينها عند الاستشهاد بها في معرض هذه الرسالة.

ثانيا: كتب التاريخ:

1/- **كتاب ترجمان العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**[4]: لصاحبه عبد الرحمن بن خلدون (732-808هـ/1332-1406م)، ويعتبر الكتاب موسوعة تاريخية كبيرة، وقد رفع الجزء الأوّل منه ـ الذي يشتمل على المقدّمة ـ ابن خلدون إلى مصاف كبار فلاسفة العالم، وفيها أرسى قواعد فقه التاريخ وعلم العمران وطبائع البشر ومختلف أنشطتهم، كما بحث في موضوع ازدهار الدول وأسباب انهيارها، ويعود تاريخ كتابتها إلى الفترة

1– Pierre Guichard, structures sociales orientales et occidentales dans L'Espagne musulmane, Ecole des hautes Etudes en sciences sociales centre de recherches Historiques, Mouton-Paris, LA Haye, 1977.

2- Helena de Felipe, Identidad y Onomastica de los Beréberes de AL-Andalus, Consejo Superior de Investigaciones Cientificas, Madrid, 1997.

3- Madoz, Pascual, Diccionario Geografica- estadistico- historicode Espana y sus Posrsiones de Ultramar, 16 vols, Madrid 1848- 1850.

4- ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس، خليل شحاذة، مراجعة، سهيل زكار، دار الفكر- بيروت- 1421هـ-2000م، 8ج.

الممتدّة مابين 776و780هـ/1374و1378م، أثناء إقامته في قلعة بني سلامة (تغزوت بفرندة)، ثم نقّحه بعد ذلك وهذبه وألحق به تاريخ العرب والعجم والبربر وأخبار أجيالهم وممالكهم.

وقد زوّدني هذا المصدر بمعلومات ذات صلة بفصول الرسالة وبخاصّة الجزء السادس، الذي أفادني في التأصيل إلى أنساب البربر وأصولهم، وما يتعلّق بقبائلهم وبطونهم وأفخاذهم ومواطنهم، بالإ ضافة إلى الصّراعات التي قامت بين أعتى هذه القبائل لا سيما زناتة وصنهاجة . فضلا عن تعرّضه للأحداث التي كانت في المغرب والأندلس، والدول التي أنشأها البربر في المغرب والأندلس ، كما أفادتني المقدّمة في الكثير من الآراء الحسّاسة كتلك المتعلّقة بمسألة العلم والعلوم بما فيها الفلسفة وعلم الكلام والتصوّف، فكان الرّجوع إليها جمّ الفائدة للفصل في نقط الخلاف بالترجيح الذي كثيرا ما يشير إليه ابن خلدون في مقدّمته . ومن ثمّ يمكن اعتبار هذا المصدر من أهمّ وأعظم ما ألّف في تاريخ العرب والعجم والبربر منذ الخليقة إلى عصر المؤلف.

2/- **كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** [(1)]: لأبي العبّاس أحمد بن عذاري المراكشي، الذي كان حيّا سنة 712هـ/1312م، وهو تاريخ شامل للمغرب والأندلس، منذ الفتح العربي حتّى بداية عصر بني مرين ، وبلغ به مؤلّفه إلى عام (668هـ/1269م)، ويقع الكتاب في خمسة أجزاء. وتكمن أهمّيته في كونه يغطّي أحداث زمن الرسالة التي نحن بصدد دراستها، فهو يسوق لنا أخبارا من مصادر مفقودة عاصرت الأحداث، مثل كتاب الرّقيق القيرواني والورّاق وعريب بن سعد وآل الرّازي، وهو من بين أعظم المصادر وأوثقها في موضوعه.

وقد استفدت من أجزاء هذا الكتاب: الثاني والثالث والرّابع، باعتبارها تغطّي فترة موضوع الدّ راسة بأكمله، كروايته للصّراع الصنهاجي الزّ ناتي، إلى جانب تعرّضه للإمارات البربرية بالأندلس، وبخاصّة إمارة بني زيري الصنهاجية في

[1]- تحقيق ومراجعة: إحسان عبّاس، دار الثقافة- بيروت، ط3، 1983، ج4، 174ص.

غرناطة، وجهاد دولة المرابطين ضدّ النصارى، فضلا عن ترجمته للعديد من ولاة قبيلة لمتونة الصنهاجيين.

3/- **كتاب التبيان أو مذكرات الأمير عبد الله بن بلقين**[1]: (حكم 465-483هـ/1073-1090م)، وهو آخر أمراء بني زيري بغرناطة، وقد استخلفه جدّه على عرشها وهو يناهز الثامنة عشرة من العمر، وانتهى حكمه على يد المرابطين بقيادة يوسف بن تاشفين، خلال جوازه الثالث إلى الأندلس، حيث خلع ونفي رفقة المعتمد بن عبّاد إلى أغمات بجنوب المغرب.

وهناك عكف على كتابة مذكراته الخاصّة، التي تضمّنت معلومات تاريخية جدّ هامّة عن عصر ملوك الطوائف، لا سيما ما يتصل بمملكته، كما يتعرّض إلى كيفية قدوم المرابطين إلى الأندلس، ويصف لنا معركة الزلاّقة مع ألفونسو السادس، بصفته شاهد عيان على أحداث شارك في صنعها مع جيش المرابطين.

والواقع أنّ هذه المذكرات مفيدة للغاية، بالنسبة لموضوع أطروحتي خاصّة فيما يتعلّق بالدّور السياسي، الذي لعبته صنهاجة في مسرح الأحداث على أرض الأندلس، في الفترة التي كان صاحب التبيان شاهدا عليها.

4/- **" كتاب الاكتفاء في تاريخ الخلفاء "**[2]، لأبي مروان عبد الملك بن الكردبوس التوزري الذي كان بقيد الحياة سنة 594هـ/1198م، وقد قسّم كتابه هذا إلى قسمين : أرّخ في القسم الأول منه للدولة العربية مبتدئا بسيرة المصطفى صلّى الله عليه وسلّم، ثمّ الخلفاء الرّاشدين فالدولة الأموية، منتهيا عند دولتهم في الأندلس باعتبارها استمرار لتاريخهم في المشرق، أمّا القسم الثاني فهو خاصّ بالدولة العبّاسية، وقد تناول فيه تاريخ الخلفاء العبّاسيين من قيام دولتهم إلى عصر الخليفة أبي منصور الفضل المسترشد العبّاسي (512- 516هـ/1118- 1122م). وقد اختصر في القسم

---

[1]- تحقيق وتقديم وتعليق: د. أمين توفيق الطيبي، منشورات عكاظ- الرباط، 1995، 295ص.

[2]- تحقيق وتعليق قطعة من الكتاب، أحمد مختار العبّادي، في صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، مطبعة المعهد المصري للدراسات الإسلامية- مدريد، المجلّد 13، 1965-1966، صص 8-11./ عبد القادر بوباية، المؤنس في مصادر تاريخ المغرب والأندلس، كوكب العلوم للنشر والتوزيع- الجزائر، 1432هـ/2011م، صص112-114.

الأول تاريخ الدولة الأموية في الأندلس من الفتح إلى عصر الخليفة الموحدي أبي يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن (580- 595هـ/ 1184- 1199م)، ورغم اختصاره فهو يقدّم لنا معلومات قيّمة لا سيّ ما عن جهاد المرابطين في الأندلس، وسقوط المدن الإسلامية في قبضة النصارى ومنها بلنسية وسرقسطة، وممّا يؤكّد قيمة وأهمّية أخباره أنّه اقتبس الكثير منها عن مصادر مفقودة ، وعنه نقلت الحولية التاريخية الإسبانية المعروفة باسم La Primera Crónica General التي وضعها الملك ألفونسو العاشر المعروف بالعالم (El Sabio) في منتصف القرن 7هـ/ 13م.

5/- **" الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس"**[1]: لأبي الحسن علي بن عبد الله بن أبي زرع الفاسي [2] (من أعلام النّصف الأوّل من القرن 8هـ/14م)، ويتعرّض فيه لتار يخ الدول التي قامت على أرض المغرب الأقصى: الإدريسية، الزناتية بفرعيها المغراويين واليفرينيين، المرابطين، الموحّدين ثمّ المرينيين، وينتهي به عند حدود سنة 726هـ/1326م على عهد أبي سعيد الأول (710-731هـ/1310-1331م)[3]. وقد أفادني كثيرا في أخبار الدولة المرابطية لا سيما جوازات يوسف بن تاشفين الأربع إلى الأندلس، وخلع ملوك الطوائف وجهاد المرابطين ضدّ نصارى الشمال.

6/- **كتاب مفاخر البربر**[4]: الذي ألّفه أبو علي صالح بن عبد الحليم الإيلاني (كان حيّا سنة 712هـ/1312م)، وهو كتاب بالغ الأهمّية جمّ الفائدة، يمسّ جانبا كبير ا من موضوع أطروحتي، ذلك أنّه ألمّ بكلّ ما يتصل بالبربر ويرفع شأنهم بداية بالنسب، حيث ينقل عن ابن حزم في جمهرته، لكنّه يتوسّع في أخباره عن البربر أصلا

---

[1] - منشورات المنصور للطباعة والوراقة- الرباط، 1972، ويقع في 517 ص.

[2] - علي الجزنائي، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية- الرباط، ط2، 1411هـ/1991م، ص24.

[3] - عبد القادر بوباية، المؤنس في مصادر تاريخ المغرب والأندلس، كوكب العلوم للنشر والتوزيع- الجزائر، ط1، 1432هـ/2011م، ص167.

[4]- دراسة وتحقيق: عبد القادر بوباية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر- الرباط، ط2، 2008، 261ص.

ونسبا، وما كان لهم من مواطن بالمغرب وجزيرة الأندلس، كما ساق إلينا أخبارا سياسية تتعلّق بالبربر فذكر أولي ا لبأس منهم، وعرّفنا بولاّة لمتونة في جزيرة الأندلس، ويخصّص بعد ذلك كلامه للمثقفين من علماء وصلحاء البربر . وفي هذا الكمّ الهائل من المعلومات عن البربر يشير إلى صنهاجة والصنهاجيين في كثير من المواطن، التي كان النّقل فيها عن هذا الكتاب أكثر من ضرورة، لكونه مصد را يؤرّخ لتاريخ البربر من قبل أحد مؤرّخيهم، وهو ما زاد في قيمة وأهمّية هذا الكتاب، الذي كان ينقل أكثر رواياته من أفواه البربر.

7/- **كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام** [1] أو **تاريخ إسبانية الإسلامية**: لمؤلّفه لسان الدين بن الخطيب السلماني (713-776هـ/1313-1374م)، وهو تاريخ شامل لإسبانية الإسلامية، إذ يغطّي الفترة الممتدّة من الفتح الإسلامي للأندلس، حتّى عصر المؤلّف، وقد أضاف إليه ابن الخطيب مختصرا لتاريخ الممالك المسيحية الإسبانية مثل قشتالة وأراجون والبرتغال . ورغم اختصار معلوماته فقد استفدت من هذا الكتاب المادّة الخبرية التي ساقها إلينا عن أحوال دولة بني زيري وملوكها بغرناطة ، بالإضافة إلى حديثه عن المرابطين ودولتهم بعد أن صارت الأندلس إلى ملوك لمتونة ، فضلا عن الصّراع ما بين الممالك المسيحية والمسلمين في إطار ما كان يعرف عند الصليبيين بحرب الاسترداد.

8/- " **الإحاطة في أخبار غرناطة** "[2]: لنفس المؤلّف وهو عبارة عن موسوعة شاملة لتاريخ وجغرافية بلده غرناطة، كما ترجم فيه لـ 493 علما من شخصيات سياسية وأعلام العلم بغرناطة أو من الوافدين إليها، وختمها بترجمة خصّ بها نفسه، تحدّث فيها عن مسار حياته السياسية والأدبية. وقد أفادني هذا الكتاب في العديد من النقولات باعتبار أنّ غرناطة كانت مسرحا لدولة بني زيري فضلا عن الأحداث

---

[1]- تحقيق وتعليق: إ. ليفي بروفنسال، مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة، ط1، 1424هـ/2004م، 370ص.

[2] - تحقيق يوسف علي طويل، منشورات دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1424هـ/2003م، وهو يقع في 4 مجلّدات.

التي وقعت فيها على عهد المرابطين، التي لم يفوّتها على نفسه نقلا عن المصادر التي سبقته.

9/- **كتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**[1]: لمؤلّفه ابن سماك العاملي، الذي يشير أنّه فرغ من تأليفه سنة 783هـ/1381م، ممّا يعني أنّه كان حيّا في أواخر القرن الثامن الهجري. وقد استهلّ كتابه بالحديث عن تأسيس مدينة مرّاكش، وتناول عصر المرابطين والموحدين بشيء من التفصيل.

وجملة القول إنّ كتاب الحلل قيّم ومفيد، استقى مؤلّفه مادّته المعرفية من كتب معاصرة، بعضها ما زال موجودا والبعض الآخر في حكم المفقود . وقد أفادني بخاصّة في التّعريف بالدولة المرابطية، و جوازات يوسف بن تاشفين و غزوات ملوكها على أرض الأندلس، فضلا عن الترجمة لولاّة لمتونة بهذا الصّقع.

ثالثا: كتب التراجم والطبقات:

وجلّها شملت التعريف بعلماء البربر عامّة، ومن أهمّها:

1/- **" تاريخ علماء الأندلس "**[2]: لمؤلّفه أبي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصير الأزدي المعروف بابن الفرضي القاضي (ت403هـ/1012م)، وهو يعدّ من أوّل الكتب التي ألّفت في علم اء الأندلس ورواة العلم بها، وقد ترجم فيه ل - 1649 علما، من الفقهاء ورواة الحديث، وبعض الأدباء والشعراء الذين برزت شهرتهم في العلوم الشرعية، وتعدّتها إلى اللغة نحوا وصرفا وبلاغة، إلى جانب الأدب نثرا وشعرا.

وقد أفادني هذا الكتاب في الترجمة لعلماء البربر من م نتصف القرن 4هـ/10م إلى نهايته، وهو ما يغطّي الفصل التمهيدي - من موضوع أطروحتي - ونسبة معتبرة من الفصل الأوّل، انطلاقا من عهد الحكم المستنصر إلى نهاية العهد

1- دراسة وتحقيق: عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 2010، 320ص.

2- تحيق روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1417هـ- 1997م، 494ص.

العامري، وباعتبار أنّ المؤلّف عاصر هذه الحقبة وكان شاهدا عليها، فإنّ مؤلّفه هذا يعدّ أوثق وأصدق ما كتب في التراجم عن هذه الفترة.

2/- " **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس** "[1]: لأحمد بن يحي بن أحمد بن عُمَيْرَة الضّبّي (ت599هـ/1203م)، وهو ذيل على كتاب الحميدي "جذوة المقتبس"، فقد نقل عنه ما يقرب من 825 ترجمة كما هي، وتصرّف في خمس عشرة ترجمة، اختصرها اختصارا شديدا، وسبع تراجم توسّع في رواياتها من عنده، وأسقط أربعين ومائة ترجمة من الجذوة لم يعتمدها في كتابه، في حين أضاف 750 ترجمة جديدة غير موجودة في الجذوة، ممّا يجعل كتابه أوفى من جذوة الحميدي

وقد أفادني هذا المصدر بعدد معتبر من التراجم لعلماء البربر في كلّ فصول الفترة قيد الدراسة.

3/- " **الصلة**"[2]: لأبي القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال الأنصاري (ت578هـ/1183م)، الذي لا يقلّ أهمّية عن كتاب تاريخ علماء الأندلس، وهو تتمّة للكتاب السّابق الذكر، إذ بدأ فيه صاحبه من حيث انتهى ابن الفرضي، فترجم لمن أهملهم ابن الفرضي، ثمّ واصل ترجمته لمن جاؤوا بعده إلى سنة 534هـ/1139م، وقد تضمّن الكتاب 1541 ترجمة، لعلماء الأندلس ومن دخلها من غير الأندلسيين، واعتمد في منهجيته على التراتبية الحرفية اقتداء بابن الفرضي، كما طبّق التراتبية الزمنية لتراجمه وفق الترتيب الكرونولوجي التصاعدي داخل كلّ باب، من أقدم العلماء وفاة إلى أحدثهم، وتتّسم ترجماته بالتوسّع النّسبي لأحوال العلماء، مقارنة مع الكتاب السّابق الذي يتسم بالاختصار.

واستفدت من هذا الكتاب في الترجمة لعلماء الفترة الممتدّة من بداية القرن 4هـ/10م إلى نهاية الوجود المرابطي، وهو ما يتناسب مع الفصل الأوّل والثاني

1- تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1417هـ- 1997م، 512ص.
2- تحقيق صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية- صيدا- بيروت، ط1، 1423هـ- 2003م، 2ج، 599ص.

والثالث من موضوع دراستي، حيث شكّلت هوامش البحث نسبة معتبرة من النّقول مقارنة بالمصادر الأخرى.

4/- **" التكملة لكتاب الصّلة "**[1]: جاء هذا الكتاب تتمّة لكتاب الصلة، وهو لأبي عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي المعروف بابن الأبّار (ت658هـ/1260م)، الذي بدأ حيث توقف ابن بشكوال، واستدرك عليه ما فاته من تراجم، فكان كتابه موسوعة حقيقية، حفلت بـ3607 ترجمة، لأعلام العدوة الأندلسية والغرباء الذين دخلوها.

وقد وظفت هذا المصدر في الفصل الثاني ، ثمّ الفصل الثالث من هذه الرسالة، وكان اعتمادي عليه في الترجمة لمرحلتي ملوك الطوائف والعهد المرابطي، وعنه أخذت عددا كبيرا من النقولات النصّية، تجعله يأتي من حيث الأهمّية ـ بالنّسبة إلى موضوع دراستي ـ في نفس المرتبة مع كتاب الصّلة.

5/- **الحلّة السيراء**[2]: لنفس المؤلّف وقد ترجم فيه لأصحاب النفوذ من أهل السلطة فضلا، عن أهل النباهة من العلماء الذين أثر عنهم قرض الشّعر، وجمع فيه 216 علما بداية من المائة الأولى إلى منتصف المائة السابعة. وقد أفادني بعدد من التراجم الخاصّة بأهل الأندلس ذات الصّلة بالموضوع قيد الدراسة.

6/- **" ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك "**[3]: للقاضي عياض أبي الفضل (ت544هـ/1149م)، الذي يعدّ أوّل كتاب استوعب تراجم أعلام مذهب مالك وطريقة انتشاره في البلدان، وذكر فيه أسماء أعيان المالكية وأعلامهم، وبيّن طبقاتهم وأزمانهم، وجمع عيون فضائلهم وآثارهم، ونظم نثر فنون سيرهم وأخبارهم، وقد جاء بتأليف غريب رتبه على الطبقات والبلدان، فيذكر في كل طبقة أعلام كل إقليم مميّزة على حدة، وبذلك يمكن الاهتداء به في التعرّف على أوائل من حملوا مذهب مالك إلى الآفاق.

1- تحقيق عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة- بيروت، 1415هـ-1995م، 4ج.
2 - تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف- القاهرة، ط2، 1985، وهو يقع في جزأين.
3- ضبط وتصحيح محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1418هـ- 1998م، 2ج.

وقد أفادني هذا الكتاب تحديدا بتراجم عدد من فقهاء البربر وعلمائها، الذين برزوا بالأندلس خلال النصف الثاني من القرن 4هـ/10م.

7/- " **الغنية** "[1]: وهو فِهْرِسَة لشيوخ القاضي عياض، وقد أفادني في تراجم بعض العلماء والفقهاء الأندلسيين، الذين حمل عنهم القاضي عياض، ومن هؤلاء من كانت أصوله بربرية.

8/- " **المُغرب في حلى المَغرب** "[2]: لابن سعيد المغربي (610-685هـ/1213-1274م)، وقد رتّبه على نفس نسق تأليفه الآخر الموسوم " المُشرق في حلى المَشرق"، مطبّقا نفس المنهجية، وصرّح صاحبه بذلك في مقدّمة كتابه " المشرق" بقوله: " كلّ من التّصنيفين مرتّب على البلاد، متى ذكر بلد ذكرتُ كوره، وأتكلّم عليه وعلى كلّ كورة منه، وابتدئ بكرسي مملكتها وقاعدة ولايتها، بحسب مبلغ علمي من إعلام بمكانها من الأقاليم، ومن بناها وما يحفّ بها من نهر أو منزه أو خاصّة معدنية ونباتية، ومن تداول عليها من أبناء الملوك أولي التواريخ، التي لا يجب إغفالها، ثمّ نأخذ في الطبقات واحد ة بعد أخرى، وهي خمس : المنصّة، التّاج، السّلك، الحلّة، الأهداب".[3] وسلك ابن سعيد في تأليفي هذا نفس الطريقة التي اتّبعها الحجاري في مسهبه ، وقد أفادني الكتاب في عدد من التراجم، ناهيك عن بعض الأماكن، التي كان أعلم بها من غيره بحكم قربه منها.

رابعا: كتب الأدب:

1/- " **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة** "[4]: لمؤلفه أبي الحسن علي بن بسَّام، التغلبي الشنتريني (ت542هـ/1148م)، من أعلام الكُتَّاب والنقاد الأندلسيين في القرنين 5 و6هـ/11 و12م، ويعتبر هذا الكتاب موسوعة أدبية تاريخية، قدّم فيها

---

[1]- تحقيق ماهر زهير جرّار، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط1، 1402هـ- 1982م، 308ص.
[2] - تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف- القاهرة، ط3، 1955، وهو في جزأين.
[3]- شوقي ضيف، مقدّمة تحقيقه للمغرب، ج1، ص9.
[4]- تحقيق إحسان عبّس، الدار العربية للكتاب- تونس- ليبيا، 8 أجزاء كلّ جزء طبع في سنة (ما بين 1978 و1981).

تراجم لشعراء وأدباء عصر الطوائف، وأوائل عصر المرابطين، بالإضافة إلى ما نقله إلينا من أخبار سياسية واجتماعية عن أمراء الأندلس وحكامها.

وينقسم الكتاب إلى أربعة أقسام، وقد جعله خاصاً في شعراء عصره من أهل الأندلس ومن طرأ عليها، ويشتمل على 154 ترجمة مسهبة، لأعيان الأدب والسياسة ممّن عاصرهم أو تقدّموه قليلا، وحاول من خلال النماذج التي ترجم لها من شعراء وكتاب، أن يثبت تفوّق الأندلس وأصالة أهله مقارنة بالمشرق.

واستفدت من هذا الكتاب في جلّ فصول بحثي، حيث استشهدت ببعض الأشعار والنصوص النثرية، ومنها ما كان ذا علاقة بأعلام البربر للحقبة الممتدّة من العهد العامري إلى نهاية عهد المرابطين بالأندلس.

2/- **" نَفْح الطِّيب من غُصن الأندلس الرَّطِيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب"**[1]: لمؤلفه أبي العباس، أحمد بن محمد بن أحمد المقّري التلمساني الملقب بشهاب الدين (ت1040هـ/1630م)، ويعدّ من عيون مؤلفات المكتبة الأندلسية، وينقسم إلى قسمين، ويضمّ كلّ قسم ثمانية أبواب:

يختصّ القسم الأول بأبوابه الثمانية بالأندلس، فيصف عمرانها وحاضرتها قرطبة وجامعها، والزهراء الناصرية والزّاهرة العامرية، ثم يفرد حديثًا عن الخلافة الأموية بالأندلس، وعن قوة الإسلام وسلطانه في شبه الجزيرة الأندلسية.

وفي هذا القسم يعرّف بأعلام الشخصيات الأندلسيه، التي رحلت إلى المشرق لإتمام دراستها أو تلقي العلم عموما، كما يذكر المشارقة الذين وفدوا على بلاد الأندلس من أعلام الأدباء والمفكّرين، وهذا القسم مليء بالأخبار الطريفة والأشعار الكثيرة، وتتنوّع فيه تراجم الشخصيات الأندلسية، بين ملوك وأمراء وقوّاد ووزراء وشعراء وكتاب، وقضاة وفقهاء وزهّاد وغيرهم، وأهم ما يميز هذا القسم غلبة الطابع الأدبي عليه.

[1]- تحقيق إحسان عبّاس، دار صادر – بيروت، الطبعة الجديدة 2004م، 8ج.

أمّا القسم الثاني بأبوابه الثمانية فقد خصّ به ابن الخطيب نفسه، فتحدّث فيه المَقَّري عن أصله ونشأته وثقافته و مناصبه ورحلاته، كما يعرض لتلاميذه وأصدقائه وندمائه وحسّاده وأعدائه.

وتكمن أهمّية هذا الكتاب في كون مؤلّفه يرجع كل خبر إلى أصله وكل شعر إلى مصدره، ويعتبر نفح الطيب من آخر الموسوعات العربية الكبرى المتخصصة في التراث الإسلامي الأندلسي، لعنايته بالجانب التاريخي السياسي، وبأدب الرّحلة والبلدان والترجمات وذكر الحروب، كما يعكس الأسى والأسف لضياع الأندلس، إذ أن الكتاب كتب وما يزال الجرح نازفًا.

وأفادني هذا الكتاب بموضوع الدّراسة في كلّ الفصول بدون استثناء، سواء ما تعلّق منها بالجانب السياسي أو ما اتّصل بالجانب الفكري، من خلال ترجمته للعديد من الأعلام، إلى جانب مقابلة ما فيه من الشعر مع مصادر أخرى ، عند الضرورة لمعرفة وجه التطابق والاختلاف، والخلاصة أنّه لا يمكن لمن يكتب عن تاريخ الأندلس أن يستغني عن هذه الموسوعة التاريخية التي شملت في ثناياها كلّ التآليف التاريخية السّابقة بما فيها ما ضاع وأصبح في حكم المفقود.

خامسا: كتب الجغرافية والرحلات:

أفادتني هذه الكتب على وجه الخصوص في وصف بعض المدن، التي ورد ذكرها في ثنايا الدّراسة، لتحديد بعض المواقع المجهولة، وكان أبرزها:

1/- " **صورة الأرض**"[1]: لابن حوقل النصيبي (ت367هـ/978م)، الذي زار بلاد المغرب في حدود سنة 330هـ/841م وكتب عنها من موقع المشاهدة والمعاينة، والسّماع من أهلها، ومن ثمّ فإنّ كتابه هذا يكتسي أهمّية بالغة، فهو يصف لنا كلّ ما يتعلّق بصنهاجة أرضا وشعبا، فيحدّد حدودها ويذكر مختلف بطونها، بحيث يأتي على ذكر كثير من البطون والأفخاذ التي ينفرد بها دون غيره من الجغرافيين والمؤرّخين، كما يذكر مضاربها ويقسّمها إلى قسمين : صنهاجة الشمال وأهمّ بطونها، ثم صنهاجة الجنوب وأهم فروعها.

[1] - منشورات دار مكتبة الحياة- بيروت، طبعة 1992، 432 ص.

2/- " **المُغرب في ذكر بلاد إفريقية والمَغرب** "[1]: لأبي عبيد البكري (ت487هـ/1094م)، الذي نقل إلينا معلومات جغرافية قيّمة عن بلاد المغرب، كما ساق لنا في كثير من المواطن أخبارا عن صنهاجة، وتكمن أهمّيته في توثيقه لمادّته التي ينقل أكثرها عن محمد بن يوسف الورّاق القيرواني (292-362هـ/905-973م)، من مؤلّفه الضخم في ممالك إفريقية ومسالكها، والبكري لا يدين له بعنوان كتابه فحسب بل بمقتطفات عديدة كما يتّضح ذلك من نقوله عنه [2]. ويعتبر كتاب البكري هذا جزء من كتابه " المسالك والممالك"[3]، الذي استخدمته هو الآخر باعتباره أصل الكتاب للتأكّد من ما ورد في المغرب.

3/- " **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**"[4]: لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الشهير بالشّريف الإدريسي (ت560هـ/1164م)، وقد أفادني هو الآخر في التعرّف على مواقع كثير من الأماكن ذات الصّلة بموضوع الدّراسة

4/- " **الرّوض المعطار في خبر الأقطار** "[5]: للحميري محمد بن عبد المنعم (ت786هـ/1384م)، وهو كتاب مشهور ألفه حسب الترتيب الهجائي المشرقي، إلاّ أنّه رتّب محتويات كل حرف حسب الترتيب المغربي، ووقع في ترتيبه هذا في الكثير من الأخطاء، واشترط فيه أن لا يذكر من الأقطار إلا ما اتّصلت به قصّة أو حكمة أو خبر طريف، ولا مجال للشّك في أنّ الحميري مجرّد ناقل عن كتب جغرافيي المغرب، ولا يعدو أن يكون نسخة ثانية عن كلّ ما ينقل عنه. وقد طبعت

---

[1] - مكتبة المثنّى- بغداد، (د.ت)، 213 ص وهو ترجمة للنص بالفرنسية لـ: Abou Obeïd el-Bekri, Description de l'Afrique septentrionale, traduite par Mac Guckin de Slane – imprimerie du gouvernement , Alger, 1857 . مع مقدّمة بالفرنسية تحتوي على التعريف بالمخطوط وصاحبه في 13 ص.

[2] - محمد محفوظ، تراجم المؤلّفين التونسيين، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط1، 1406هـ/1986م، ج5، ص 126.

[3] - منشورات دار الغرب الإسلامي- بيروت، طبعة 1992.وهو يقع في جزأين.

[4] - منشورات مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة، 1414هـ/ 1994م. وهو يقع في مجلّدين.

[5]- طبعت الفصول المتعلقة بالأندلس من الكتاب، قديماً بعناية ليفي بروفنسال، مع ترجمة إلى الفرنسية، وطبع بتحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت، ط2، 1980م، 623ص.

الفصول المتعلقة بالأندلس من الكتاب، قديماً بعناية ليفي بروفنسال، مع ترجمة إلى الفرنسية، وطبع بتحقيق إحسان عباس سنة 1980 في طبعته الثانية.

إضافة إلى المصادر السّابقة الذكر، فقد اعتمدت على مجموعة أخرى من المصادر التاريخية والأدبية والجغرافية وكتب الأنساب والتراجم والطبقات، وكتب الحديث وطبقات القّراء وغيرها، قصد الإحاطة بالموضوع من جميع جوانبه: السياسية، والفكرية، وما يمتّ بصلة إلى نسب صنهاجة، وسيرد ذكرها ضمن قائمة المصادر.

ولا يفوتني أن أشير إلى بعض الدّراسات الحديثة التي أفادتني كثيرا لا سيما من حيث الخطّة التي اتّبَعْتُها في معالجة بعض الفصول من أطروحتي، وأخصّ منها بالذكر مريم قاسم طويل، في كتابها الموسوم " مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر 403-483هـ/1012- 1090م "[1]، ومحمد عبد الله عنان في موسوعته " دولة الإسلام في الأندلس "[2]، كما أنّ هناك دراسات أخرى لا تقلّ أهمّية عن هاتين الدراستين وجّهتني وأحالتني في كثير من الأحيان على المصادر التي أبحث عنها، وسيرد ذكرها بضمن المراجع في القائمة البيبليوغرافية.

وفي ختام هذه المقدّمة، لا مندوحة لي من الإشارة إلى بعض الصّعوبات التي واجهتني، ولا أعني الصّعوبات الشخصية ذات العلاقة بالقلق النفسي والتوتر الداخلي، الذي يصاحب الباحث العامل، في التوفيق بين عمله في حقل التدريس وكتابة موضوع رسالته، ولا يجد الوقت الكافي للبحث والكتابة في جوّ مريح في مثل هذه المرحلة، وإنّما أعني الصّعوبات الأكاديمية المتمثلة في:

---

[1]- مكتبة الوحدة العربية- الدار البيضاء، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1414هـ/1994م، 384ص.

[2]- العصر الأول- القسم الأول، من الفتح إلى بداية عهد النّاصر، مكتبة الخانجي- القاهرة، ط 4، 1417هـ/1997م. والعصر الثاني، دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط4، 1417هـ/1997م. ثمّ العصر الرّابع، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط4، 1417هـ/1997م.

- ندرة المادّة وشحّ المعلومات المتعلّقة بالبربر، وما يتوفر منها فهو عادة عام وسطحي لا يتميّز بالتوسّع والتعمّق، بل قد يأتي مبهما غامضا كاللّغز الذي يصعب التوصّل إلى فهمه وتفسيره، ومثل هذا نجده مثلا فيما قاله ابن حزم عن بني عبد الوهاب وهم أحد فروع صنهاجة، حيث ذكر أنّه " كان منهم قوّاد وكتاب وفقهاء "[1]، لكنه لم يتعرّض لهم بالترجمة ولو بشكل مقتضب، ونفس الشيء نجده في عدد من تراجم البربر عند ابن عبد الملك المراكشي [2]، وهناك من المصادر التي ترجمت لحالات من البربر فلم تنسبهم إلى ا لقبائل التي ينتمون إليها[3]، على اعتبار أنّ ظاهرة اتخاذ البربر عامّة والعلماء خاصّة للأسماء العربية التي كانت شائعة، إمّا لكون الإسلام يحث على تسمية الأبناء بأسماء عبد الله وعبد الرحمن ومحمّد ﷺ وسائر الأنبياء[4]، وإمّا لكسب شرف الانتماء إلى العرب، الذي كان يمنح صاحبه المنزلة والمكانة الرفيعة في المجتمع، وربّما تداخل العاملان معا وكانت النتيجة واحدة.

صعوبة التعامل مع المادّة العلمية بين عصر وآخر لمرحلة زمنية فاقت قرنا ونصف قرن، بحيث لا توجد نقاط تقاطع تفصل بين العهد والذي يليه، عندما يتعلّق الأمر بقضية انتماء العَلَمَ (الشخصية) إلى عهد منها، فمن العلماء من عايش أكثر من دولة، فكان مخضرما ومن ثمّ يمكن أن ينسب إلى كلّ العهود التي عاصرها، لا سيما إذا وجدت القرائن التي تدلّ وتثبت ذلك.

---

[1]- ابن حزم الأندلسي، المصدر السّابق، تحقيق، ص502.

[2]- ففي الترجمة رقم 633 المتعلقة ب: أحمد بن محمد بن عبد الله بن مروان بن عبد الملك النفزي، لا وجود لتفاصيل تتعلق بشيوخ المترجم له ولا بمن روى عنه، ولا معرفة لنا بنوع العلم الذي تخصّص فيه، والأكثر من ذلك أنّنا نجهل تاريخ الولادة وتاريخ الوفاة، ولا سبيل لنا إلى ذلك . الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق محمد بن شريفة، دار الثقافة- بيروت، (ب.ت)، س1، ق2، ص449.

[3]- علي سبيل المثال: أبو بكر يحي بن موسى بن عبد الله البرزلي فإنّه ذكر دون هذه النسبة عند ابن بشكوال، وما كنّا لنعرف أنّه برزلي لولا إشارة ابن خير إلى ذلك . ابن بشكوال، المصدر السابق، ج 2، ص518./ ابن خير الإشبيلي، فهرسة، تحقيق: محمد فؤاد منصور ، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1419هـ- 1998م، ص406.

[4]- باب أحبّ الأسماء إلى الله عز وجلّ عند : العسقلاني أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق : محب الدين الخطيب، دار المعرفة – بيروت، (د.ت)، ج10، ص570. وباب التسمّي بأسماء الأنبياء في نفس المصدر، ج 10، ص 578-579./ ابن أبي شيبة الكوفي أبو بكر عبد الله بن محمد، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق : كمال يوسف الحوت، دار النشر : مكتبة الرشد - الرياض ط1، 1409هـ، ج5، ص263.

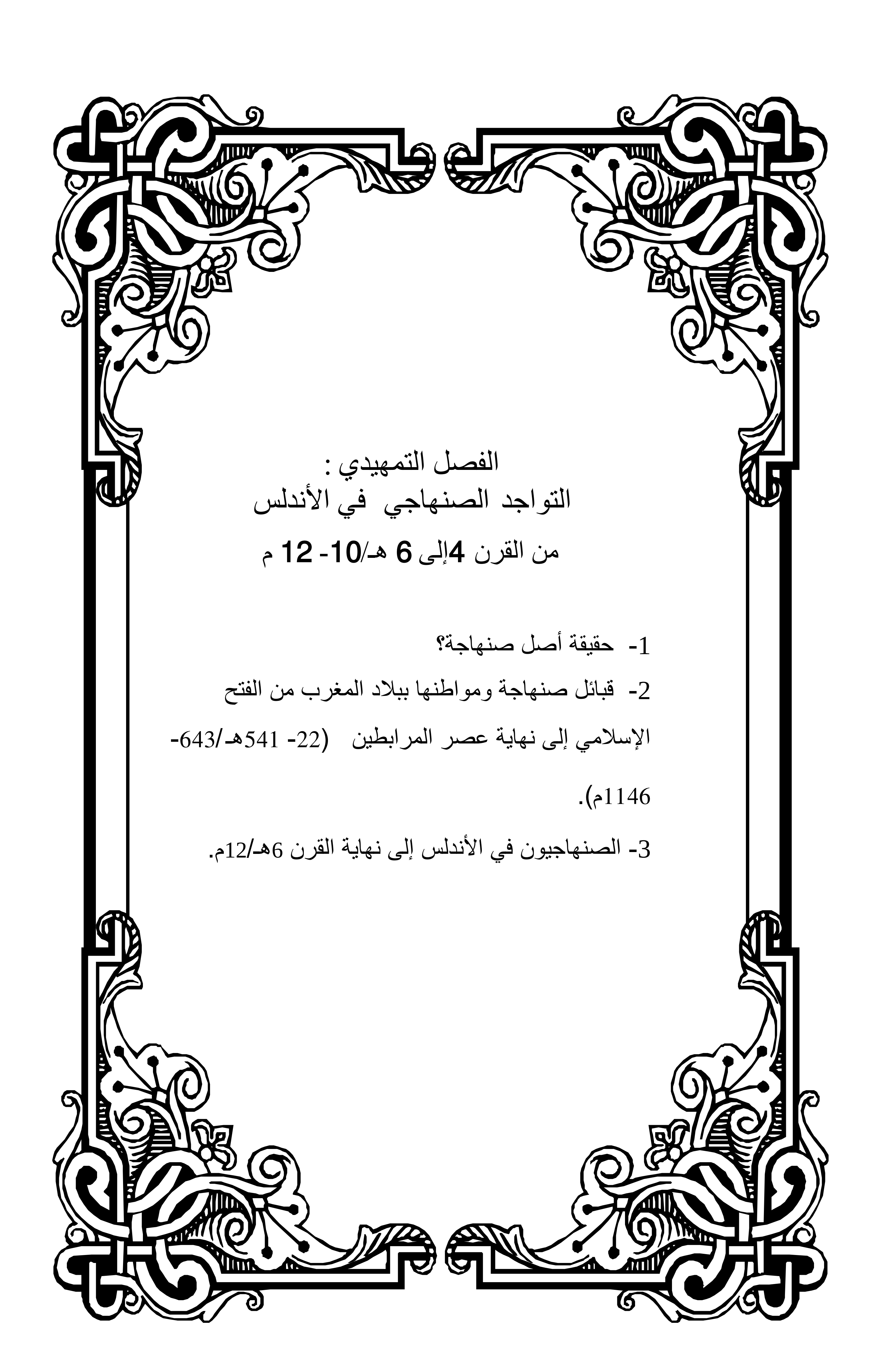
ورغم هذه الصعوبات فقد بذلت وسعي للاطّلاع على أكبر قدر من المصادر المتعلّقة بتاريخ الأندلس، تارة باقتناء أنفسها من المعارض، وتارة باستعارة ما أمكنني من المكتبات المتواجدة على تراب الولاية، وفي أخرى بزيارة الجزائر العاصمة للاطلاع على ما بالمكتبة الوطنية بالحامّة والمكتبة الجامعية والمركز الإسباني بها (ثربانتث). كما مكّنتني الزيارات ا لعلمية خارج الجزائر إلى كلّ من إسبانيا والمغرب، من الطواف بالجامعات في المدن التي زرتها " أليكانت وغرناطة وقرطبة"، والتعرّف عن كثب على بعض الأساتذة الذين اشترك معهم في نفس التخصّص، ممّا سمح لي بالتحاور معهم في موضوع رسالتي، بقصد التوجيه إلى الأصول وإلى الأعمال ذات العلاقة بما أبحث فيه.

وكانت الفائدة جمّة بما حصلت عليه من جولاتي عبر المكتبات العامّة والخاصّة، وما تمكّنت من اقتنائه من دراسات حديثة داخل الجزائر وخارجها، ولو أنّها في موضوع رسالتي تكاد تكون نادرة، ولا أنسى في هذا المقام نفائس المصادر والمراجع، التي حصلت عليها من المكتبات الخاصّة اعترافا بفضل أصحابها، الذين لم يبخلوا بها عليّ، وأعني بهذا الأستاذ المشرف : أ.د/عبد القادر بوباية في المقام الأول ، من باب قوله ﷺ: [لا يشكر الله من لا يشكر النّاس][1].

وهران بتاريخ الجمعة 30 ذي القعدة 1437هـ/ 02 سبتمبر2016م

---

[1] - أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي، مسند أبي داود الطيالسي، تحقيق محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر- الجيزة، ط1، 1419هـ/1999م، الحديث رقم 2613، ج4، ص232./ ابن حبّان محمد بن أحمد، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبّان، ترتيب الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، حقّقه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط1، 1408هـ/1988م، الحديث رقم 3407، ج8، ص198-199.



الفصل التمهيدي :

التواجد الصنهاجي في الأندلس

من القرن 4إلى 6 هـ/10- 12 م

1- حقيقة أصل صنهاجة؟

2- قبائل صنهاجة ومواطنها ببلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية عصر المرابطين (22- 541هـ/643-1146م).

3- الصنهاجيون في الأندلس إلى نهاية القرن 6هـ/12م.

- توطئة:

إنّ الحديث عن دور صنهاجة [1] وتأثيرها في مجريات الأحداث السياسية، إلى جانب ما كان لها من إسهامات فكرية على أرض الواقع في بلاد الأندلس، باعتبارها إحدى القبائل المغربية الفاعلة خلال القرنين 4 و6هـ/10 و12م، يستدعي منّا الرّجوع إلى أصول ه ذه القبيلة، لإزالة اللبّس في مسألة نسبها، ثمّ التعرّف على أبرز فروعها ومواطن استقرارها ب موطنها الأصلي الذي ينتشر في بسائط بلاد المغرب، قبل أن تشارك غيرها من القبائل المغربية في تيار الهجرة إلى الأندلس بعد الفتح، وهو أمر من الأهمية بمكان للانتقال بشكل سلس ع بر كلّ ما له علاقة باكتمال الصورة لتتجلّى لنا بوضوح، تلك الكيفية التي أدّت إلى بروزها على مسرح الأحداث، والعوامل التي ساعدتها على ذلك، لتصبح على رأس القوى البارزة والمؤثرة في بلاد المغرب والأندلس خلال الفترة قيد الدراسة.

وبالتالي فنحن مجبرون على معرفة كلّ ما يتعلّق بهذه القبيلة انطلاقا من ماضيها ببلاد المغرب، لكونها حلقة نمرّ عبرها إلى ما ستعرفه بلاد الأندلس بعد فتحها من حركة سكّانية منشؤها بالدّرجة الأولى العدوة المغربية بحكم قربها، وما سيترتّب عن ذلك من مستجدّات، تلتقي فيها مختلف العناصر التي ستكوّن المجت مع الأندلسي، مؤثرة ومتأثرة ببعضها في أوضاعه السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية.

---

[1]- صُنهاجة قبيلة مشهورة من حِمير وهي بالمغرب . قال ابن دريد صنهاجة بضمّ الصّاد لآ يجوز غير ذلك . ابن خلّكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عبّاس، دار صادر- بيروت، 1900، ج1، ص266./ بينما قرأها غيره بكسر الصّ اد" وصِنهاجة من البرانس ". الأصطخري، المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال الحسيني، مراجعة محمد شفيق غربال، وزارة الثقافة والإرشاد القومي- الجمهورية العربية المتحدة، 1381هـ/1961م، ص 36./ السيوطي جلال الدين، لبّ اللّباب في تحرير الأنساب، تحقيق محمد أحم د عبد العزيز، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1411هـ/1991م، ج2، ص75./ وذكرها البلاذري بفتح الصّاد " وأقام مع البرابرة بنو صَنهاجة وكتامة من حمير ". أنساب الأشراف، تحقيق محمد حميد الله، إخراج معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالاشتراك مع دار المعارف بمصر، 1959، ج1، ص7./ أمّا ابن خلدون فإنّه يرى أنّ كلمة صنهاج، هي الصّيغة المقرّبة لكلمة "صناك"، وهو اسم جدّهم الأعلى الذي حملوا اسمه . وصناك بالصّاد المشمّة بالزّاي والكاف القريبة من الجيم، فلمّا عرّبته العرب زادت فيه الهاء بين النون والألف فصار صنهاج . العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج6، ص201./ واعتقد غوتيه أنّ صنهاجة تعني السنغال، إلاّ أنّ الأستاذ محمد عبد الهادي شعيرة فنّد هذا الرّأي قائلا : إنّ أصل اسم " سنغالي" مركب من كلمتين هما : "سنو" التي تعني نحن و " جال" ومعناها السفينة، ذلك أنّ أهل السنغال كانوا يستعملون السفن الصغيرة منذ القديم في نهر السنغال، وفي تنقلاتهم عبر السواحل بين الجزر القريبة . ينظر كتابه : المرابطون تاريخهم السياسي " 430- 539هـ "، دار الاتحاد العربي للطباعة- مكتبة القاهرة الحديثة، 1969، ص53.

1- حقيقة أصل صنهاجة؟

كانت بلاد المغرب - بحكم إستراتيجية موقعها وتنوّع خيراتها- منذ التاريخ القديم فضاء جغرافيا، التقت على أرضه العديد من الأقوام المختلفة الأعراق ، وتوالت الهجرة إليها في غضون العصر الوسيط من قبل المسلمين الفاتحين، الذين شكّلوا لحمة جديدة في نسيج المجتمع المغربي . وكان البربر يمثلون السّواد الأعظم لهذا المجتمع، باعتبارهم أصحاب البلاد الأصليين، من خلال تواجدهم بشكل غالب ومميّز في سائر أنحائه، إلى جانب عناصر إثنية أخرى أُعتبرت أقلّية كـ"السّودانيين أو الزنوج" على مستوى الواحات ووراء خطّ الرّمل جنوبا[1]، هذا بالإضافة إلى " الأفارقة "، الذين شكّلوا خليطا جنسيا، حيث كانت عروق دماء بعضهم سامية قرطاجية، بينما كان البعض الآخر من بقايا الجنس الآري، أي من الرّومان والبيزنطيين.[2]

واستمرّت الخريطة الديمغرافية ببلاد المغرب في التشكّل والتغيّر، تبعا لظروف معيّنة أبرزها حياة الحلّ والترحال في البسائط طلبا للانتجاع، التي تحكّمت في الظواعن من أهل الوبر، الذين كانوا يعتبرون جزءا مهمّا من المجتمع المغربي بشكل عام في هذه الحقبة الزمنية، فقد طغى نمط حياة البداوة على معيشته، حيث كانت البنية القبلية أساس التنظيم الاجتماعي فيه لمعظم العناصر، التي كان يتألّف منها هذا المجتمع، وبوجه أخصّ زناتة وصنهاجة.

وقد اختلفت روايات النسّابة والمؤرّخين من عرب وبربر حول منشأ قبيلة صنهاجة، فبرزت إزاء ذلك نظريّتان متناقضتان[3]، تدّعي أولاهما عروبتها، بينما

---

[1] -Stéphane Gsell, Histoire Ancienne de l'Afrique du nord, les conditions du développement historique, les temps primitifs- la colonisation Phénicienne et l'Empire de Cartage, Tome I, chapitre IV, librairie Hachette, Paris, 1913, PP.293-295.

[2] - Stéphane Gsell, op, cit, PP.277-279./ وذكر ابن عبد الحكم أنّ الأفارق كانوا خدما للرّوم على صلح يؤدّونه إلى من غلب على بلادهم. ينظر: الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، تقديم وتحقيق وتعليق محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع- القاهرة، ط1، 1414هـ/ 1994م، ص19.

[3] - نظرية: قضية تُثْبَت صحّتها بحجّة ودليل أو برهان، ويقال: وضع نظرية أي بناها وأوجدها وأقام الدليل عليها. ينظر: أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب- بيروت، ط1، 1429هـ/2008م، ج3، ص2233 وص2455.

تنفي الثانية ذلك وتدحضه، حتّى أصبح لكلّ منهما فريق يؤمن بالنظرية التي لاقت قبولا عنده ويدافع عنها ويروّج لها بحججه وأدلّته:

1.1- نظرية علماء أنساب العرب:

أساس هذه النظرية رواية ابن الكلبي الكوفي[1] الذي أرجع نسب صنهاجة وكتامة إلى قبيلة حِميَر اليمنية، حيث قال:" وأقام من حمير في البربر صنهاجة وكتامة ابني السّور بن سعيد بن جابر بن قيس بن صيفي، فهم إلى اليوم "[2]، ويعتبر من أقدم النسّابين الذين روّجوا لهذه الرواية، وعنه نقل من جاء بعده من نسّابي العرب ومؤرّخيهم، الذين تبنّوا روايته كالطّبري والمسعودي والجرجاني علي بن عبد العزيز والسهيلي الأندلسي[3]، وهذا ما ذهب إليه أيضا ابن الحائك الهمذاني صاحب كتاب الإكليل في أنساب حمير وأيّام ملوكها[4]، الذي ذكر أنّ الرّوايات اجتمعت بأنّ صنهاجة من حمير[5]، وبسبب تبنّي هؤلاء جميعا لرواية ابن الكلبي أضحت روايته هذه نظرية لها مؤيدوها المؤمنون بصحّتها!

ويرى نسّابة العرب أنّ جميع العرب ينحدرون من نسل ثلاثة رجال، وهم : عدنان وقحطان وقضاعة. فأمّا عدنان فهو من ولد إسماعيل، وأمّا قضاعة فقيل: هو قضاعة بن مَعَد بن عدنان، وقيل: هو قضاعة بن مالك بن حمير، وهذان الجذمان أي عدنان وقضاعة هما عرب الشمال [6]. وأمّا قحطان فالرّاجح أنّه من ولد سام بن

---

[1]- كانت أخباره مردودة لكونه من ضعفاء الإخباريين المجروحين عند أهل الحديث. ينظر: السخاوي شمس الدين، فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي، تحقيق علي حسن علي، مكتبة السنّة- مصر، ط1، 1424هـ/2003م، ج 4، ص 202./ الحسن العلمي، إعادة كتابة التاريخ الإسلامي في ضوء منهج الجرح والتعديل، معهد الغرب الإسلامي للتكوين والبحث العلمي- القنيطرة، 1427هـ/2006م، ص38.

[2] - ابن السّائب الكلبي هشام بن محمد، نسب معد واليمن الكبير، تحقيق ناجي حسين، عالم الكتب- مكتبة النهضة العربية- بيروت، ط1، 1408هـ/1988م، ج2، ص548-549.

[3]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص59.

[4]- الزركلي خير الدين، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرّجال والنّساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار صادر للملايين- بيروت، ط15، 2002م، ج2، ص179.

[5]- ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج4، ص46./ ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص119.

[6]- ابن حزم الأندلسي، المصدر السابق، ص7-8.

نوح، ومنه ينحدر عرب الجنوب القحطانيين، واسمه يقطن بن عامر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السّلام، وقيل اسمه يقطان.[1]

وزعم هشام بن محمد بن السّائب الكلبي أنّ أحد أحفاد قحطان وهو إفريقش بن صيفي، قد احتلّ معه البعض من الكنعانيين، من اليمن إلى سواحل الشّام، في غزاته إلى المغرب. ففتح إفريقية وقتل ملكها جرجيس، وأنزلهم بها فمنهم البربر.[2]

ويبدو أنّ هذه الرّواية فيها من الخلط ما يجعلها تضحد نفسها بنفسها، ذلك أنّ الخبر الذي تنقله إلينا يتعلّق بالبطريق البيزنطي، الذي كان يقيم بقرطاجنّة، وقتله عبد الله بن سعد بن أبي سرح، أثناء غزوته الأولى إلى إفريقية، زمن خلافة عثمان بن عفّان رضي الله عنه [3]. وقد عبّر أحد المؤرّخين المعاصرين على هذه الرّواية بقوله: " يا لها من غلطة تاريخية فادحة "![4]

وذهب ابن الوردي إلى مثل ذلك، وعنه نقل القرماني، من أنّ الملثّمين وهم من صنهاجة، كان مسيرهم من اليمن في أيّام أبي بكر الصدّيق، سيّرهم إلى الشّام ثمّ إلى مصر، ثمّ إلى المغرب مع موسى بن نصير، وأنّهم أحبّوا الانفرا د، فدخلوا في الصحراء واستوطنوها سنة 448هـ/1056م.[5]

---

[1]- السمعاني، الأنساب، تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، دار الجنان- بيروت، ط1، 1408هـ/1988م، ج4، ص455./ ابن ماكولا علي بن هبة الله بن أبي نصر، الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1411هـ/ 1990م، ج1، ص341.

[2]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص102.

[3]- ابن عبد الحكم، فتوح إفريقية والأندلس، حقّقه وقدّم له عبد الله أنيس الطبّاع، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطّباعة والنشر- بيروت، 1964، ص34-46./ المالكي أبو بكر عبد الله بن محمد ، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهّادهم ونسّاكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحقيق بشير البكّوش، مراجعة محمد العروسي المطوي، ط 2، دار الغرب الإسلامي- بيروت، 1414هـ/1994م، ج 1، ص14-27.

[4]- الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م، نقله إلى العربية حمّادي السّاحلي، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط1، 1992، ص34.

[5]- ابن الوردي زين الدين عمر بن مظفر، تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية- بيروت، 1417هـ/ 1996م، ج1، ص344-345./ القرماني أحمد بن يوسف ، أخبار الدول وآثار الأُول في التاريخ، دراسة وتحقيق أحمد حطيط، فهمي سعد، عالم الكتب- بيروت، ط1، 1412هـ/1992م، ج2، ص409.

ولا تختلف هذه الرّواية عن سابقتها، لكونها اعتمدت على نقل مادّة خبرية دون تمحيص، فوقع أصحابها في نفس ما وقع فيه أصحاب الرّواية الأولى من الغلط، ومن ثم فهي رواية ضعيفة لا يعتدّ بها، ذلك أنّ الهجرة وقعت قبل الإسلام بآلاف السنين، ولو كانت صنهاجة ضمن الجيش الإسلامي الذي بعثه الخليفة أبو بكر لكانت مناطق صنهاجة الصحراوية أكثر المناطق إسلاما وتعريبا.[1]

ويذكر ابن أبي زرع أنّ واقع الحال يشهد بغير ذلك، حيث عبّر يحي بن إبراهيم الكدّالي عقب رجوعه من أداء فريضة الحج، أثناء لقاء جمعه بالفقيه أبي عمران الفاسي الغفجومي في القيروان، الذي سأله عن أهل بلاده وما ينتحلونه من المذاهب؟ فأجابه بقوله: " إنّهم قوم غلب عليهم الجهل، وليس لهم كثير علم، وليس فيهم من يقرأ القرآن"[2]. وبعد الحوار الذي جرى بينهما تبيّن لأبي عمران أنّ يحي بن إبراهيم رغم حبّه للعلم وحرصه على التعلّم، لم يكن يعرف من دينه شيئا، كما أنّه لم يكن من حفظة القرآن، ولا معرفة له بالسنّة.[3]

ولا يختلف ابن خلدون مع نسّابة العرب بخصوص شعوب البربر التي ذكرها في تاريخه، فهو يؤكد أنّ كلّ شعوبهم من البربر، غير أنّه يستثني منهم كتامة وصنهاجة اللّتان وقع فيهما الشكّ والخلاف بين نسّابة العرب، وإن كان الرّاجح والمشهور عندهم أنّهم يمنية، بنص تلك الرّواية التي ساقوها عن غزاة إفريقش لإفريقية ونزولهم بها[4]. ويشكّك ابن خلدون فيما يدّعيه نسّابة البربر حيث يزعمون أنّهم من العرب مثل لواته.[5]

ويخالف النقيب طوكسي (Tauxier) رأي ابن خلدون بما توصّل إليه في دراسته التي نشرها في عدد من المقالات بالمجلّة الإفريقية ومنها مقاله المعنون

---

[1]- إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر- بيروت، (ب.ت)، ص15.

[2]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 122./ ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق وتعليق ج.س. كولان و إ. ليفي بروفنسال، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 2009، ج2، ص6.

[3]- ابن أبي زرع، نفس المصدر والصفحة.

[4]- البلاذري أحمد بن يحي، المصدر السابق، ج1، ص7.

[5]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص128.

بـ:" الهجرة العربية إلى إفريقية، قرن بعد ميلاد المسيح " جوابا على أسئلة المترجم مورسي (Mercier)، فبعد دراسته للروايات العربية التي أوردها ابن عبد الحكم والبكري، قام بمقارنتها بالمصادر الإغريقية اللاّتينية الواردة في نصوص كوريبوس (Corripus)، ليخلص إلى نتائج تفيد بأنّ أصول قبيلة لواته البربرية عربية بحكم ورود اسم هذه القبيلة في المصادر الإغريقية المشار إليها.[1]

لكنّ ابن خلدون يصف هذه الروايات بالمزاعم، ويدافع عن الرّأي الذي تبنّاه مستشهدا على صحّة ذلك في منظوره، بأسماء المواطن التي تسكنها هذه القبائل، وكذا الرّطانة والعجمة في لسانها، فكلّ ذلك عنده يدلّ على أنّهم بمعزل عن العرب، ورغم أنّه استثنى منهم صنهاجة وكتامة، على رأي نسّابة العرب، فإنّه يصرّح في الأخير بقوله: وعندي أنّهم من إخوانهم ، أي من البربر [2]، خاتما كلامه بعبارة " والله أعلم"[3]، وقال في موطن آخر معلّقا على أولئك الذين نسبوا صنهاجة إلى حمير: "وليس كما ذكر والله أعلم".[4]

إلاّ أنّ عبارة " الله أعلم " تحمل في طيّاتها شيئا من الرّيب، ولتدارك ما يمكن أن يعتقد بأنّه شكّ وقع فيه ابن خلدون، صرّح في مقدّمته، التي انتهج فيها التمحيص والتدقيق، فلكّد لنا باليقين الذي يبطل كلّ لبس، بأنّ ما تدّعيه نسّابة العرب من أنّ

---

[1]-Tauxier (H), une émigration arabe en Afrique, un siècle après Jésus-Christ, réponse aux questions de M.L'interprète Mercier, in Revue Africaine, Volume 24, Année 1880, Alger, A.Jourdan, Libraire-Editeur, Constantine, Arnolet, Imprimeur- Libraire rue du Palais; Paris, Challamel Aine, Libraire, PP.373-397.

[2]- من الغريب أن ينسب الدكتور حسن إبراهيم إلى ابن خلدون أنّه يرى " أنّ صنهاجة وكتامة من القبائل البربرية، لكنّه يغلّب الرّأي القائل بيمنية صنهاجة لا بم ضريتها". حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، العصر العباسي الثاني في الشرق ومصر والمغرب والأندلس، دار الجيل- بيروت، مكتبة النهضة المصرية- القاهرة، ط14، 1416هـ/1996م، ج4، ص112./ وهذا ما جعل الكثير من المؤرخين المحدثين يتبنّون هذا الرأي ويرجّحونه ومنهم : إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص 13. وكذا: محمد سعيد القشّاط، التوارق عرب الصحراء الكبرى، مركز دراسات وأبحاث شؤون الصحراء، القاهرة، ط2، 1989، صص17-30. ينظر أيضا: عبد الرحمن الجيلالي، هؤلاء التوارق الملثمين، في مجلة الأصال ة، العدد 7، السنة 8، الجزائر، أوت 1971، صص18-34.

[3]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص127-128.

[4]- المصدر نفسه، ج6، ص201.

صنهاجة وكتامة من حمير، هو من الأخبار الواه ية، ومن المغالط التي وقع فيها هؤلاء، والتحقيق عنده أنّ نسّابة البربر تأبى ذلك، وهو عين العقل والصّواب.[1]

وتجدر الإشارة إلى أنّ رواية غزاة إفريقش لإفريقية، قد وردت مع شيء من التحوير في مضمونها، وجاء فيها أنّه أثناء غزوته هذه أثخن في البربر وسمّاهم بهذا الاسم، واعتبرت زمن حدوثها على عهد موسى أو قبله بقليل . وقد نفت أن يكون غزو إفريقية في زمن جرجيس الملك، ورغم هذا التحقيق أكّد صاحب الخبر أنّ هذه الرّواية من الأخبار الواهية للمؤرّخين، وخلص في نهايتها إلى ما اعتبره ابن خلدون الصحيح، في أصل ونسب صنهاجة وكتامة.[2]

وقام جوتييه (Gautier) بمقارنة نصّ ابن خلدون مع نصّ للمؤرّخ القديم بروكوب (Procope) ليخلص في النهاية إلى أنّ انتساب صنهاجة إلى حمير يعدّ ظلاّ من تأثيرات فينيقية، وفدت على المغرب في العصور القديمة، وأنّ فينيقيي البحر الأحمر هم حميريون، وظلّت الفينيقية في بلاد المغرب خلال العصر الروماني، ومن ثمّ قد تكون القبائل البرنسية خضعت لمؤثرات فينيقية قديمة، ظلّت ذكراها ماثلة إلى النسّابين، على اعتبار أنّ العرب الفاتحين الأوائل وجدوا هذه اللغة ما تزال مستعملة في إفريقية، ولعلّ النسّابين ربطوا بين صنهاجة وبين الحميريين.[3]

---

[1]- مقدّمة ابن خلدون، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس، خليل شحادة، مراجعة سهيل زكّار، دار الفكر للطباعة والنشر- بيروت، 1421هـ/ 2001م، ص16. وبهذا التحقيق يخرج ابن خلدون نفسه من دائرة من قالوا بأنّه مع رأي جلّ المؤرّخين المسلمين الذين ادّعوا الأصل العربي لصنهاجة، مخترعين بذلك هذا النسب اختراعا لعدم معرفتهم بأصول البربر وما يتعلّق بتمركزهم في بلاد المغرب، ولم يسلم من ذات الخطأ حتى المؤلّفين الغربيين المعاصرين . ينظر: ألفريد بيل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي : من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة وتحقيق عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط3، 1987، ص227./ ويشير أبو القاسم سعد الله إلى أنّ "بيل" يتناقض مع نفسه فيؤكّد في الصفحة الموالية " أنّ لغة صنهاجة وعاداتها هي إحدى اللهجات المنتشرة في المنطقة، لأنّهم نسوا لغتهم القحطانية واندمجوا في المجتمع المحلّي "، وحينما نعود إلى المرجع المشار إليه لا نجد أيّ حديث لـ "بيل" عن نسيان الصنهاجيين للغتهم القحطانية واندماجهم في المجتمع المحلّي. يقارن ما في ص227 وص228 من الفرق الإسلامية مع ما ورد عند الأستاذ سعد الله في: تاريخ الجزائر الثقافي من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن التاسع الهجري، السلسلة الأولى، عالم المعرفة للنشر والتوزيع- الجزائر، ط1، 2015، ج2، هامش ص65.

[2]- الملك محمد صدّيق حسن خان، لقطة العجلا ن ممّا تمسّ إلى معرفته حاجة الإنسان، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1405هـ/ 1985م، ص220.

[3]- Gautier (E.F): l'Islamisation de l'Afrique du Nord. les siècles obscurs du Maghreb, Payot, Paris, 1927, p.116-119.

وقد أقرّ هذا الرّأي فورنال (Fournel)[1]، ودي لاشابيل (De la chapelle)[2]، أمّا عبد الحليم عويس، فبعد أن استعرض مختلف الآراء في هذه النسبة، خلص إلى القول : أكاد أميل إلى الرّأي الأخير – أي الرأي الذي يجعل نسبتهم في البربر- على الرّغم من وجود هجرات فينيقية سامية، دخلت بلاد المغرب قبل الإسلام... لكنّ الشيء الذي لم يمكن إثباته بعد، هو : لماذا نفترض أنّ صنهاجة وكتامة هما اللذان وفدا إلى المغرب؟ ولماذا لا تكون هذه الهجرات جماعات سامية متناثرة، اختلطت بالدم البربري كلّه، ولم تحتفظ لنفسها باستقلال جنسي معيّن، وهو الشيء الذي نراه.[3]

2.1- نظرية علماء أنساب البربر:

اختلف في أنساب البربر، إلاّ أنّ أكثر نسّابة أهل المغرب يرجعونهم إلى أيلان، فقد ذكر عبيد الله صالح بن عبد الحليم، نقلا عن ابن أبي المجد المغيلي، رجلين سمّاهما بأيلان. أحدهما: أيلان بن يليتن بن تميلا، والثاني: أيلان بن برّ بن قيس عيلان[4]. وإنّ أصحّ ما جمع عن أهل إفريقية فيما يتعلّق بأنساب البربر، أنّ أكثرهم من أولاد أيلان بن سفكو إلى كنعان[5]، كما أنّ البربر جذمان: جذم يقال لهم البتر، وجذم آخر يقال لهم البرانس، منهم زناتة وكتامة وصنهاجة ومصمودة.

وأمّا قبائل البرانس فلم يكن لهم من ملك يذكر، وقد تقدّم لنا أنّ النسّابين من العرب يقولون : إنّ صنهاجة وكتامة من حمير، وأنّ إفريقش الحميري تركهم حامية بإفريقية، فتناسلوا بها واستحال لسانهم إلى البربرية، لكنّ المحقّقين من نسّابة

---

[1] - Fournel (H), les Berbères étude sur la conquête de l'Afrique par les Arabes, Imprimerie Nationale, Paris, TI, 1875, p. 38-40.

[2] - De La Chapelle (Frédiric), Esquisse d'une Histoire du Sahara Occidental, Actes du 7eme congrès de L'Ihem, in Hésperis, T.H, Rabat, Librairie E. Larose Paris, vol. TXI, 1930, P.49-50.

[3] - دولة بني حمّاد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، ط 2، دار الصحوة للنشر والتوزيع- القاهرة، 1411هـ/1991م، ص49. ويعلّق عبد الحليم عويس على عبارة (يكاد النسابة يتفقون على أنّها من حمير)- التي استعملها الدكتوران حسن إبراهيم وسعد زغلول – بقوله: والحقّ أنّ أكثر النسّابة يرون أنّها من البربر . ينظر هامش رقم 3 من الصفحة نفسها.

[4] - ابن عبد الحليم، كتاب الأنساب، ص45.

[5] - المصدر نفسه، ص46.

البربر كسابق المطماطي وغيره ينكرون عليهم ذلك، ويجزمون بأنّهما قبيلتان عريقتان في البربر.[1]

ومن المؤكّد أنّ سابق بن سليمان بن حرّاث بن صولات بن دوناس المطماطي كان كبير نسّابة البربر، ولذلك أورد صاحب النّص أعلاه اسمه، بينما اكتفى بلفظ "وغيره" للإشارة إلى نسّابة البربر الآخرين، ولعلّه قصد بهم المشهورين منهم كأبي سهل الفارسي حفيد الإمام عبد الرّحمن بن رستم ، خالد بن خدّاش المطماطي المغيلي، خليفة بن خيّاط المطماطي المغيلي ، أبي أيّوب بن أبي يزيد مخلّد بن كيداد ، أبي بكر بن يغني البرزالي الإباضي ، و كهلان بن أبي لوا بن أزلاسن المطماطي[2]، وعبد الحق بن إبراهيم الصنهاجي[3]، وأبي عبد الله محمد بن علي بن حمّاد بن عيسى بن أبي بكر الصنهاجي صاحب كتاب النبذ المحتاجة في أخبار صنهاجة بإفريقية وبجاية [4]. ويضاف إلى هذه القائمة من نسابة البربر سالم بن سليم المطماطي وصابي بن مسرور الكومي وهانئ بن بكور الض ريسي وعبد الله بن إدريس كاتب الخراج لعبيد الله المهدي.[5]

والسؤال الذي يطرح نفسه علينا بإلحاح هو كالتالي: هل من العقل التّسليم بما قاله نسّابة العرب من أنّ صنهاجة وكتامة من حمير؟ وما الحقيقة التي ينبغي التعويل عليها للإجابة على ذلك؟

وأمام غياب الدّراسات ال علمية: الأنتروبولوجية، السوسيولوجية، واللغوية، التي بإمكانها أن تجيبنا بدقّة على سؤالنا هذا، فإنّنا ملزمون بالعودة إلى المصادر

---

[1]- النّاصري أبو العبّاس أحمد بن خالد بن محمد، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق جعفر النّاصري ومحمد النّاصري، دار الكتاب- الدار البيضاء، 1418هـ/ 1994م، ج1، ص121.

[2]- ينظر: الكعّاك عثمان، البربر، المكتبة الإفريقية- تونس،ط1، 1375هـ/ 1956م، صص57-60./ أبو راس النّاصري محمّد بن أحمد، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تقديم وتحقيق المخطوط من طرف محمد غالم، المركز الوطني للبحث في الأنتروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، 2005، ج2، ص90.

[3]- البيدق أبو بكر بن علي الصنهاجي، كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة- الرباط، 1971، ص14.

[4]- الغبريني أبو العبّاس، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق محمد بن أبي شنب، دار البصائر- الجزائر، ط1، 2007، صص100-102./ الكتاني عبد الحي بن عبد الكبير، فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، تحقيق : إحسان عباس، دار العربي الإسلامي – بيروت، ط2، 1402هـ/ 1982م، ج2، ص710.

[5]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6 ص 117، ص124، ص162-163 وج7، ص8.

التاريخية للقيام بعملية مقابلة النّصوص ببعضها، لكي يتسنّى لنا معرفة الرّأي من نقيضه، لأنّ الضّدّ بالضّدّ يعرف، فإن لم نتمكّن من ا لوصول إلى الحقيقة التي لا يختلف حولها اثنان، نكون قد اقتربنا من الصواب إلى حدّ بعيد، يثبت بطلان ترجيح القول بعروبة صنهاجة في هذه المسألة.

فالقول باتفاق معظم الرّوايات على هذا الأصل فيه ما فيه من المبالغة، لأنّ هذه الرّوايات في حقيقة الأمر قد أخذت من رواية واحدة، وإن تعدّد رواة الخبر فإنّ المادّة الخبرية تكاد تكون واحدة، إذا ما استثنينا التفاصيل الزّائدة في بعضها، وغاية ما هنالك أن المتأخرين نقلوا عن المتقدّمين، وكان اعتمادهم في ذلك على ابن الكلبي (ت204هـ/819م)، ثمّ من جاء بعده وهم على التوالي : ابن عبد الحك م (ت257هـ/870م)، البلاذري (ت279هـ/892م)، الطبري (ت310هـ/922م)، المسعودي (ت346ه-/957م)، علي بن عبد العزيز الجرجاني النسّابة (ت392ه-/1002م)، والسّهيلي الأندلسي (ت581ه-/1185م) وغيرهم.

أمّا القول بأنّ بعض الرّوايات أكّدت الأصل الحميري لصنهاجة، من المظهر والعادات فهذا عين العقل، وقد ذكر ابن بطّوطة في معرض حديثه عن مدينة ظفار اليمنية النّص التّالي:" .. ومن الغريب أنّ أهل هذه المدينة أشبه النّاس بأهل المغرب في شئونهم ... وأكثر أهلها رؤوسهم مكشوفة، لا يجعلون عليها العمائم، وفي كلّ دار من دورهم سجّ ادة الخوص معلّقة في البيت، يصلّي عليها صاحب البيت، كما يفعل أهل المغرب، وأكلهم الذرة، وهذا التشابه كلّه ممّا يقوّي القول بأنّ صنهاجة وسواهم من قبائل المغرب أصلهم من حمير".[1]

ورغم أهمّية هذا النّص من حيث المعلومات التي يقدّمها لنا، إلاّ أنّه يشير إلى التشابه في مجال حيوي ضيّق باليمن ألا وهو مدينة ظفار، ويسقط ذلك على مجال

[1]- ابن بطّوطة محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي، تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار المعروف برحلة ابن بطّوطة، تحقيق علي المنتصر الكتّاني، مؤسّسة الرّس الة- بيروت، ط4، 1405هـ/ 1984م، ج1، ص287.

جغرافي واسع للبربر في كلّ بلاد المغرب . وعليه فإنّنا بحاجة إلى نصوص أخرى تدعّم هذا النّص، وتقوّي الرّأي القائل بحميرية صنهاجة وغيرها من قبائل المغرب.

ثمّ إنّه من السّابق للأوان الخروج بهذه النتيجة، التي تحتاج في واقع الحال إلى دراسة دقيقة، وبحث معمّق في طريقة العيش بصفة عامّة، وتستند إلى المقارنة العلمية لشكل الإنسان هنا وهناك، ولا تستثني الجانب اللغوي لإدراك العلاقة بين اللغة الأمازيغية - التي ما تزال قائمة إلى يومنا هذا في بلاد المغرب- ولغة أهل الجنوب في اليمن، التي اندثرت لطغيان لغة أهل الشّمال التي نزل بها القرآن.

وأمّا ما يتعلّق بشأن أصل يوسف بن تاشفين الحميري ! فإنّ المصادر التي كتبت عنه لم تقف على رأي واحد، وقد جرت العادة أن تذكر المصادر التّاريخية نسب مؤسّسي الدول، قبل الحديث عن جلائل أعمالهم . فإذا عدنا إلى المصادر المغربية، نجد عددا من المؤرّخين يذكرون هذا النّسب[1]، في حين لم يشر إليه آخرون كابن عذاري، الذي رغم تعرّضه إلى نسب أمراء الدّولة المرابطية، فقد ذكر تسلسل نسبهم إلى أميّة بن واغالي الصنهاجي ثمّ اللّمتوني فحسب.[2]

وإذا كان هذا حال المصادر التاريخية المغربية، فإنّ المصادر الأندلسية تكاد لا تذكر هذه النسبة تماما، فابن بسّام لا يزيد على وصفه بـ " أمير المسلمين وناصر الدين"، ثمّ يذكر اسمه عقب ذلك [3]. أمّا ابن الأبّار وغيره فيذكرون نسبته إلى صنهاجة أو إلى لمتونة.[4]

ولا تختلف المصادر المشرقية عن المصادر الأندلسية كثيرا، في تحديدها لهوية مؤسّس الدولة المرابطية، فهو عند بعضها يوسف بن تاشفين اللّمتوني، في

1- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص136./ ابن سماك العاملي، المصدر السابق ، ص70.
2- البيان المغرب، ج4، ص17.
3- ابن بسّام الشنتريني، المصدر السابق، ج2، ص733./ ابن سعيد المغربي، المُغرب ، ج2، ص78.
4- ابن الأبّار القضاعي، المعجم في أصحاب القاضي الصدفي أبي علي حسين بن محمد، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري- القاهرة، دار الكتاب اللبناني- بيروت، ط1، 1410هـ/ 1989م، ص62./ ابن الأزرق أبو عبد الله، بدائع السّلك في طبائع الملك، تحقيق وتعليق علي سامي النشّار، دار السّلام للطّباعة والنشر والتوزيع والترجمة- القاهرة، ط1، 1429هـ/2008م، ج2، ص677./ المقّري التلمساني، المصدر السابق، ج1، ص438.

إشارة منها إلى القبيلة التي ينتمي إليها، وقد تضيف إليه أحيانا كلمة "البربري"[1]، للتأكيد على أصوله الأولى أ و تنعته بالصّنهاجي[2]، للدلالة على القبيلة الأمّ التي تعتبر لمتونة من أهل اللّثام أحد فروعها. كما نجد لدى بعضها خلطا بحيث جعل مؤرّخوها نسبه في مصمودة.[3]

وأمّا القول بأنّ بعض المصادر غير المباشرة بالموضوع ، أكّدت الأصل الحميري لصنهاجة فيما سبقت الإشارة إليه [4]، فإنّ " اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصّحابة ورواة الآثار" مصدر عدّه حاجي خليفة من الكتب ذات العلاقة المباشرة بالأنساب، كما اعتبره من الكتب القديمة في هذا التخصّص.[5]

وإذا كان الرّشاطي يجزم بالأصول الحميرية لصنهاجة، فإنّ القلقشندي أورد في ذلك مختلف الرّوايات التي ذُ كرت بشأن صنها جة، ولم يتحقّق عنده رجحان رواية على أخرى، وإن كان ميله ظاهر إلى رأي ابن حزم من أنّ صنهاج هو ابن امرأة اسمها تُزَكِّى ليس له أب معروف[6]، ويجزم أنّه ما كان لحمير طريق إلى بلاد

---

[1]- الذهبي شمس الدّين، سير أعلام النبلاء، حقّقه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرّسالة- بيروت، ط9، 1413هـ/ 1993م، ج19، ص252./ الصّفدي صلاح الدّين خليل بن أيبك،الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث- بيروت، 1420هـ/ 2000م، ج10، ص231./ ابن خلّكان، المصدر السّابق، ج7، ص112.

[2]- السّلفي أبو طاهر، معجم السفر، تحقيق عبد الله عمر البارودي، المكتبة التجاري ة- مكة، (ب.ت)، ص452./ السّلفي أبو طاهر، أخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم السّفر للسّلفي، تحقيق إحسان عبّاس، دار الثقافة- بيروت، ط1، 1963، ص145.

[3]- الذهبي شمس الدّين، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي- بيروت، ط1، 1415هـ/ 1995م، ج36، ص495./ الذهبي شمس الدين، العبر في خبر من عبر، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1405هـ/ 1985م، ج2، ص456./ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، محمد الأرناؤوط، دار ابن كثير- دمشق، ط1، 1406هـ/ 1985م، ج4، ص121./ الأتابكي ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدّم له وعلّق عليه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1413هـ/ 1992م، ج5، ص267.

[4]- الرشاطي عبد الله الأزدي الإشبيلي، مخطوط اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصّحابة ورواة الآثار، الجزء الأول، عدد أوراقه 81 ورقة، رقم النسخة 302664، مخطوطات الأزهر الشريف، ورقة 123.

[5]- حاجي خليفة مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرّومي الحنفي، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الكتب العلمية- بيروت، 1413هـ/ 1992م، ج1، ص134.

[6]- القلقشندي أبو العبّاس أحمد، نهاية الأرَب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللّبناني- بيروت، ط2، 1400هـ/ 1980م، ص317./ ابن دحية الكلبي، المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق

بلاد البربر، إلاّ في تكاذيب مؤرّخي اليمن [1]، ويتّفق مع هذا الرأي عبد الله عنان الذي يرى أنّ الروايات التي تجعل نسب صنهاجة إلى العرب اليمانية، وأنّها فخد من حمير، هي كسائر الروايات المماثلة في أنساب البطون البربرية رواية ضعيفة، تقوم على القصص والأسطورة.[2]

وأمّا الشعراء فإنّ ما يُرَ دّ من كلامهم أكثر ممّا يؤخذ به، ذلك أنّ أكثرهم لا يؤمن بما يقول، ولا يهمّه من الأمر سوى التكسّب، فكم هي نسبة الصدق من الكذب في كلامهم، عندما يتعلّق الأمر بالأمراء وأصحاب النفوذ في الدّولة؟ وقد ورد في محكم التنزيل: (وَالشُّعَرَاءُ يَتْبَعُهُمُ الغَاوُونَ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ، وَأَنَّ هُمْ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ، إلاَّ الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ)[3]. وأداة الاستثناء " إلاّ " في الآية الكريمة تفيد أنّه من لا تعارض بين أقوالهم وأفعالهم من الشعراء في كلّ عصر ومصر يمثّلون قلّة قليلة، ومن ثمّ فهم شواذ والشّاذ لا يقاس عليه.

ومن رأى أنّ أقلّية المؤرّخين الذين نسبوا صنهاجة إلى البربر "مغاربة متعصّبون لأصلهم البربري"[4]، فقد يكون سقط فيما رماهم به، و حكم حكما قاسيا على هذه الفئة، التي لم تقتنع بالأساطير ورفضت التعامل بها لأنّها حكّمت العقل، واستندت إلى الدّليل الأقرب إلى المنطق السليم.

وأمّا القول بأنّ نسب صنهاجة لو كان بربريا لكان مؤرّخو الدولة الموحّدية هم أوّل من يدحض نسبهم هذا، لإظهارهم بمظهر النّقص أمام العامّة والخاصّة، فإنّ مردّ ذلك إلى أنّ مؤرّخيهم بدورهم لم يسلموا من ادّعاء نسب أهل البيت لمؤسّس

إبراهيم الأبياري- حامد عبد المجيد- أحمد أحمد بدوي، مراجعة طه حسين، دار العلم للجميع- القاهرة، 1955، ص61. نقلا عن ابن حزم، المصدر نفسه، ص498.

1- نفسه، ص495 وص498.

2 - دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني، دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط4، 1417هـ/1997م، ج2، ص299.

3- سورة الشعراء، (رقم 26)، الآيات: 224-227.

4- إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص14.

دولتهم[1]، وقد أنكر ابن خلدون وأبطل بالدّليل نسب عبد المؤمن بن علي إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم وإلى العرب مطلقا.[2]

ثمّ إنّ المؤرّخ عبد الواحد بن علي المراكشي- وهو من مؤرّخي الدولة الموحدية- عندما تحدّث عن يوسف بن تاشفين، لم يشر في مؤلّفه إلى نسبه البتّة، واكتفى بنعته في بعض المواطن من مؤلّفه باللّمتوني[3]. وهو ما يعني أنّه لا يعترف بنسبه الحميري لعلمه بأنّه مجرّد ادّعاء، نظرا لعدم وجود ما يؤكّد هذ ه النّسبة يقينا، أو أنّه – على أقلّ تقدير- تجاهله من باب الشكّ، ومن ثم لا يمكن التعويل على ما قيل بهذا الشّأن.

إنّ المتتبّع لأخبار الفتح ببلاد المغرب، يدرك حقيقة مفادها أنّ معظم الفاتحين القادمين ضمن جيوش الفتح الإسلامي إلى بلاد المغرب، كانوا ينحدرون من نسل حمير[4]، ومن ثمّ فقد ذهبت طائفة من علماء أنساب البربر إلى ربط أبناء جنسهم بالنّسب الشّريف، فابن النحويّ وهو من مؤرخي دولتهم بالأندلس يزعم أنّ صنهاج بن المثنّى بن المنصور بن مصباح بن يحصب بن مالك بن عامر بن حمير الأصغر بن سبإ، كذا نقل نسبهم وجعله ليحصب[5]، لإثبات نسبهم في العروبة رفعا لمركّب النّقص عنهم، ومزاحمة العرب في أرومتهم، لأغراض جنسية وسياسية، نستطيع أن نتبيّن أمثالها في التصانيف البربرية لا سيما كتب الأنساب من ناحية ، وكتب الطبقات والسّير من ناحية أخرى [6]، وهو ما ذهب إليه دوزي بشأن أمير غرناطة باديس، حيث قال عنه : " وكان يزعم – حتى لا ينسب إلى ضعة النسب – أنّ السلالة التي انحدر منها – وهي صنهاجة - لم تكن من عنصر البربر، بل كانت من

1- البيدق، المصدر السابق، ص13.
2- تاريخ ابن خلدون، ج6، ص166.
3- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شرحه واعتنى به صلاح الدّين الهوّاري، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ط1، 1426هـ/ 2006م، ص13وص61.
4- الهادي روجي إدريس، المرجع نفسه، ج1، ص33.
5 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص201.
6- عثمان الكعّاك ، المرجع السابق، ص61-62.

عنصر العرب.[1] وهذا أيضا ما ذهب إليه سعد زغلول الذي اعتبر أنّ المُلك استفحل في صنهاجة بعد أن توارثته أسر ة بلكين، باتّخاذها ما يتخذه الملوك من آلة الملك، فلا غرابة إذن أن يصطنع لهم الكتّاب ممّن عملوا في خدمتهم بل ومن غيرهم، النّسب المناسب الذي يرقى بهم إلى الأرومة العربية النقيّة، من حمير ملوك اليمن القدامى ورموز الحضارة[2].

وهناك من المؤرخين من يرى أنّ ربط صنهاجة وكذا كتامة بالأصل اليمني زعم لا غير، ذهب إليه بعض المؤرخين المشارقة ومن قلّدهم من المؤرخين المغاربة، بسبب إعجابهم بالبربر وبطولاتهم فألحقوهم بهم [3]. وقد تُعزى محاولة ربط صنهاجة بحمير ، إلى التشابه الكبير بين العرب والبربر في كثير من أوجه الحياة، فضلا عن حرصهم على الانتساب إلى العرب الفاتحين رغبة في المساواة بهم[4]، حتّى تستطيع المشاركة في الحياة السياسية الجديدة، التي أظلّت المغرب بمجيء العرب، فاصطنعت لنفسها أنسابا عربية.[5]

فقد ادّعى بنو زيري الصنهاجيين أنّهم ينتسبون إلى أصل حميري، وكان ذلك محاولة منهم لفرض سلطتهم على القبائل البربرية، ومن ذلك ما نقل عن عزّ الدّين أبي محمد عبد العزيز بن شدّاد بن الأمير تميم بن المعز بن باديس ، في تاريخه المترجم بـ" الجمع والبيان في أخبار المغرب والقيروان"[6]، عند تعريفه بنسب بُلُكين

---

[1]- ملوك الطوائف، ونظرات في تاريخ الإسلام، ترجمة كامل كيلاني، مؤسسة هند اوي للتعليم والثقافة- القاهرة، ط1، 2012م، ص25.

[2]- سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي- الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيون إلى قيام المرابطين، الناشر منشأة المعارف- الإسكندرية، 1990، ج3، ص293./ رضا بن النيّة، صنهاجة المغرب الأوسط من الفتح الإسلامي حتّى عودة الفاطميين إلى مصر، دراسة اجتماعية، دار توكّل للنشر والتوزيع- سطيف، ص71.

[3]- محمد علي دبّوز ، تاريخ المغرب الكبير، عالم المعرفة للنشر والتوزيع- الجزائر، ط1، 2013، ج1، ص34.

[4]- حسين مؤنس، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الخانجي- القاهرة، ط1، 1980، ص295.

[5]- حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين- صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، دار الفكر العربي- القاهرة، 1956، ص37.

[6] - الاسم الكامل لهذا الكتاب هو: " الجمع والبيان في أخبار المغرب والقيروان ومن فيها وفي سائر بلاد المغرب المغرب من الملوك والأيّام "، وقد أملاه ابن شدّاد على ابنه فخر الدين في شهر رجب من سنة 597هـ/ أبريل 1201م. ينظر: ابن الفوطيّ الشّيباني كمال الدين أبو الفضل عبد الرزّاق بن أحمد، معجم الآداب في معجم الألقاب، تحقيق محمد الكاظم، مؤسسة الطباعة والنشر- وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي- طهران، ط 1،

بُلُكين (بُلُقِّين)، حيث قال: " هو أبو الفتوح يوسف بن زيري بن منّاد بن منقوش بن زناك بن زيد الأصغر بن واشفاك بن ورعفى بن سرى بن وتلكين بن سليمان بن الحارث بن عدي الأصغر- وهو المثنى بن المسور بن يحصب بن مالك بن زيد بن شدّاد بن زرعة- وهو حمير الأصغر بن سبأ الأصغر بن كعب بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن م عاوية بن جُشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عوف بن عَريب بن زهير بن أيمن بن الهَمَيْسَعْ بن عمرو بن حمير- وهو العَرَنْجَجْ- ابن سبأ الأكبر بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عامر- وهو هود".[1]

وممّا يلاحظ على هذا النّص أنّه متّصل الرّجال لا انقطاع في سلسلة النسب التي يقدّمها إلينا، وأنّه ينتهي عند هود عليه السّلام، لكنّ النسّابة ابن حزم يعتبر هذا باطلا بيقين قول الله تعالى : (وَإِلىَ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا)[2]، وقوله تعالى :(وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ، سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَ بْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى القَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ، فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ)[3]، وهود عليه السّلام من عاد، ولا ترى باقية لعاد.[4]

وهناك نصّ آخر ساقه السِّلفي في هذا الإطار، ذكره أبو محمد مهدي بن تميم بن المعزّ الصنهاجي بالثّغر، قال : سمعت أبي الأمير تميم بن المعزّ بن باديس

1416هـ/1995م، ج3، ص84./ عمارة علاوة، ابن شدّاد الصنهاجي جامع أخبار المغرب الوسيط، في مجلّة التاريخ العربي، تصدرها جمعية المؤرّخين المغاربة، قصبة الأوداية- الرّباط، العدد 21، شتاء 1422هـ/2002م، صص67-96.

[1]- النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهّاب، نهاية الأرَب في فنون الأدب، تحقيق عبد المجيد ترحيني، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1424هـ/2004م، ج24، ص85-86./ نفس المؤلّف، تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط (إفريقية والمغرب، الأندلس، صقلية وأقريطش)، من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق وتعليق مصطفى أبو ضيف أحمد، دار النشر المغربية- الدار البيضاء، 1984، ص300. وزاد العماد الأصفهاني على ما أورده النويري من نسب بلقين : ...بن عابر وهو هود عليه السلام، بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام، بن لمك بن متوشلح بن أخنوخ وهو إدريس عليه السلام، ابن برد بم مهلايل بن قينان بن الوشن بن شيث بن آدم عليه السلام . خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء المغرب والأندلس، تحقيق محمد المرزوقي ومحمد العروسي المطوي والجيلاني بن الحاج يحي، الدار التونسية للنشر- تونس، ط3، 1986، ج1، ص141-142. وعلّق المحقّق على هذه السلسلة النسبية بأنّها لا تستند إلى وثائق صحيحة. ينظر الهامش رقم 1 من الصفحة 142.

[2]- سورة الأعراف، (رقم 7)، الآية: 64.

[3]- سورة الحاقّة، (رقم 69)، الآيات: 5-7.

[4]- جمهرة أنساب العرب، ص7.

الحميري بالمهدية يقول :" ألذّ الأشياء في الدّنيا ، تقليد المنن الثقال، في أعناق الرّجال". فالنّص يشير بوضوح- كذلك- إلى ادّعاء النّسب الحميري من قبل أحد أبناء الأسرة الزّيرية الصّنهاجية بالمغرب.[1]

ويبدو أنّ هذا الإدّعاء صار أشبه ما يكون عند البعض منهم بالحقيقة التي يجب التشبّث بها، فهذا المنصور الزيري عند استلامه ولاية أشير [2]، يخطب فيمن جاءه من مشايخ القيروان ووجوهها لتهنئته بالولاية مفتخرا بنسبه الحميري قائلا :" إنّ أبي وجدي أخذا الناس بالسيف قهرا، وأنا لا آخذ هم إلاّ بالإحسان، ولست ممّن يولّي ويعزل بكتاب، ولا أحمد فى هذا المُلك إلاّ الله ويدي، وهذا المُلك ما زال فى يد آبائي وأجدادي ورثناه عن حمير" [3].

ولا غرابة إذن أن يصبح هذا الأمر متداولا بين الأسرة الصنهاجية ال مالكة، بعد أن مهّد لهذا الإدّعاء العبيديون، الذين ادّعوا بدورهم الانتساب إلى آل البيت [4]، فقد ثبت أنّهم اعترفوا بالنّسب العربي لصنهاجة - التي وقفت إلى جانبهم في أحلك الظروف للحفاظ على ملكهم من الزّوال - ونلمس ذلك بوضوح من خلال مباركة الخليفة القائم بن المه دي لزيري بن منّاد بناءه لمدينة أشير، حيث قال حينها : " مجاورة العرب خير لنا من مجاورة البربر"[5].

---

[1]- معجم السفر، ص377.

[2]- مدينة بناها الأمير زيري بن منّاد الصنهاجي سنة 324هـ/ 935م، في موضع خال وقيل على مدينة قديمة فيها آثار عجيبة، بين جبال شامخة محيطة بها (مرتفعات جبل تيطري عند الكاف الأخضر على علوّ 1400م، فوق مستوى سطح البحر على مساحة إجمالية تتجاوز 53 هكتارا). الحميري، المصدر السابق، ص60./ مؤلّف جغرافي عربي مجهول (عاش في القرن 6 هـ)، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية- الدار البيضاء، طبعة جديدة، 1985، ص 170./ البكري، المسالك والممالك، ج 2، ص 724-725./ النويري، المصدر السابق، ج 24، ص160./ رضا بن النيّة، المرجع السابق، ص91.

[3] - النويري، المصدر السابق، ج24، ص177-178.

[4]- ابن حمّاد أبو عبد الله محمد بن علي، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق : عبد الحليم عويس والتهامي نقرة، دار الصحوة للنشر والتوزيع- القاهرة، 1401هـ/1981م. وقد أشار المحقّقان في مقدّمتهما للكتاب إلى ما ورد بشأن نسب الفاطميين من روايات، وأوضحا في ختام تحليلهما بناء على أصحّ الروايات أنّ نسبة الفاطميين إلى آل البيت مشكوك فيها بل هي مرفوضة تماما، وخلصا إلى الاعتقاد بأنهم قرامطة متسلّطون، من أ صحاب العقائد المستترة!. ينظر تفاصيل ذلك صص7-29.

[5]- النويري، المصدر السابق، ج24، ص161.

ولا يخفى على أحد ذلك الدّور الكبير الذي لعبه الشّعر خلال العصر الوسيط الإسلامي، في الترويج لمسألة الأصل والنّسب، ومساندة بُناة الدّول في دعواتهم، بقصد التأثير على رأي عامّة النّاس في المجتمع، لضمان انقياد الرّعية وانصياعها، والتخلّص من تيار المعارضة. وكان التملّق صفة وطبيعة درج عليها أكثر الشعراء في مدحهم للأمراء، وهم يرومون بذلك التقرّب والتزلّف إليهم لنيل الحظوة عندهم، التي تجعلهم من شعراء البلاط، الذين يستفيدون من جود عطاء ما تدرّه عليهم أكفّ الحكّام، وهو ما نستخلصه من الأبيات الشعرية التّالية، للأديب أبي الحسن عبد الكريم بن فضّال القيرواني المعروف بالحلواني، تلميذ الشاعر أبي علي بن رشيق، حيث قال مادحا أحد أمرائهم:

مُرادِيةٌ أنسابُه حميريةٌ	متوّجةٌ بالمجدِ قبلَ العَمائمِ
فما انبسَطت إلاّ لجودِ أكُفّهُمُ وَ	لا انقبَضَت إلاّ لضبطِ القَوائمِ
يجرّون أطرافَ الرّماحِ إلى الوغَى	كما جرّتِ العُقبانُ سودَ الأراقِمِ[1]

وهكذا أصبح أمر انتماء صنهاجة لحمير متداولا بين النسّابة والمؤرخين وانتقل ذلك إلى الشعراء، فهذا أبو فارس الملزوزي شاعر السلاطين المرينيين الأولين الفحل، يقول عن نسب صنهاجة في أرجوزته:

إنّ المرابطينَ أصلُهُمْ من حميرِ	قد بعُدَت أنسابُهم عن مضرِ
وقد رأيْتُ في كتابِ النّسبِ	قولا به أعجَزَ أهلَ الأدبِ
بأنّ صنهاجٌ أبوه حميرُ	وهو أبٌ لصلبِه لا العُنصرِ
أكرم بهِ من نسبٍ صريحِ	فقله لا تخَفْ من التّصْريحِ[2]

[1]- ابن بسّام الشنتريني، المصدر السابق، ج7، ص299.

[2]- أبو فارس عبد العزيز الملزوزي، نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك، المطبعة الملكية- الرباط، 1382هـ/ 1963م، ص48.ينظر في هذا الإطار أيضا: Bernhard and Ellen M. Whishaw, Arabic Spain Sidelights on her History and Art, Smith, Elder and Co, London, 1912, p.225-226.

وقد يقبل المرء بعد كلّ هذه النصوص بل قد يسلّم بصحّة ما تقدّم ذكره، إلاّ أنّ المناقشة العلمية تستوجب منّا التقصّي في حقيقة هذا الأمر بكلّ موضوعية وواقعية، تجعل من الإنصاف التمحيص بدقّة في المصادر للإجابة عن أسئلة قد تتبادر إلى الأذهان بهذا الشّأن، ومن ثمّ قد يقول قائل: كيف يكون إرجاع الزّيريين نسبهم إلى حمير ادّعاء؟ ولماذا لا يعتبر ذلك تعبيرا عن حقيقة نسبهم الشّريف ليس إلاّ؟ وعندئذ لا يمكن اعتبار ما قيل زعما إلاّ بدليل قويّ يدمغه، ويؤكّد صحّته من بطلانه.

وبالرّجوع إلى المصادر التّاريخية الإسلامية الوسيطية، نجد تضاربا بشأن هذه النّسبة الصّنهاجية إلى حمير، كما سبقت الإشارة إلى ذلك، إلاّ أنّ المؤرخ المقريزي احتفظ لنا بنصّ واضح وصريح لا شية فيه، ذكر فيه مؤسّس الدّولة الزّيرية نسبه، وقد ورد فيه أنّ المعزّ الفاطمي [1] عندما عزم على الرحيل إلى القاهرة، استدعى يوسف بن زيري[2]، وقال له: " تأهّب لخلافة المغرب، فأكبرَ ذلك وقال: يا مولانا أنت وآباؤك الأئمّة من ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صفى لكم المغرب، فكيف يصفو لي <u>وأنا صنهاجي بربري</u>؟ قتلتني يا مولاي بلا سيف ولا رمح، ولم يزل به حتّى أجاب".[3]

وممّا تقدّم تتّضح لنا الحقيقة التي يمكن التوصّل إليها، باللّجوء إلى المناقشة العلمية الهادئة والهادفة في نفس الوقت، وذلك بالرّجوع إلى علم الحديث للاستعانة بقواعده التي عمل بها رجاله واعتمدها ابن خلدون في مقدّمته، والتي أخرجت التاريخ من مجرّد سرد للأخبار إلى علم قائم بذاته.

---

[1]- هو أبو تميم معد بن المنصور إسماعيل بن القائم بأمر الله محمد بن المهدي عبيد الله العبيدي الفاطمي المغربي الملقّب بالمعز لدين الله والذي تنسب إليه القاهرة المعزّية، ولد بالمهدية سنة 319هـ، وجلس على سرير الملك يوم الأحد 7 ذي الحجّة سنة 341هـ، وتوفّي بالقاهرة سنة 365هـ. ينظر ترجمته لدى: ابن خلّكان، المصدر السابق، ج5، صص224-228./ ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج5، صص74-83.

[2]- هو الذي يقال له بُلُقين أو بلكين. ينظر: ابن الأبّار القضاعي، الحلّة السّيراء، ج2، ص393.

[3]- المقريزي تقي الدّين أحمد بن علي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمّة الفاطميين الخلفا، تحقيق جمال الدّين الشيّال، مطابع الأهرام التجارية- قليوب- القاهرة، ط2، 1416هـ/ 1996م، ج1، ص99./ محمد الطمّار، المغرب الأوسط في ظلّ صنهاجة، ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر، 2010، ص43.

فمن خلال المقابلة بين النّص الذي ساقه إلينا السِّلفي، والذي جاء فيه ما يلي: "سمعت أبي الأمير تميم بن باديس الحِ ميري" في إشارة إلى النّسب الحميري لصنهاجة، وبين نصّ المقريزي الذي أبدى فيه بُلُقين اندهاشه وتعجّبه في أن يؤول أمر بلاد المغرب إليه، وعبّر عن دهشته هذه بصدق جعله يفصح عن نسبه قائلا : " يا مولانا أنت وآباؤك الأئمّة من ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صفى لكم المغرب، فكيف يصفو لي وأنا صنهاجي بربري "؟. والملاحظ على قوله إنّه انتهى بعبارة " وأنا صنهاجي بربري". فأيّ الرّوايتن أولى بالتصديق أمام هذا التعارض الحاصل بين القولين، أحدهما ورد بلفظ " سمعت" والآخر بلفظ "قال له"(المعزّ) و"قال هو أي"(بلقين)؟

إنّ المنطق يقتضي في مثل هذه الحالات المتعلقة بالنسب، الرجوع إ لى الأكبر سنّا، لكونه حسب ما جرت عليه عادة النّاس الأعلم والأعرف بشجرة نسب قومه، ويفترض أن يتناقل الأبناء والأحفاد عنه أمور نسبهم، بمعنى أنّ الجدّ ينقل إلى الأب، وهكذا دواليك ينتقل الخبر بين الأبناء وعنهم يأخذه الأحفاد، ولا يمكن حينئذ تقديم قول الحفيد عن ا لجدّ، حيث يرجّح تقديم ما ينطق به لسان حال من يعبّر عن نفسه، على ما تصف نفسها به ألسن جاءت بعده، تثبيتا للأمر الذي آل إليهم. ومن ثمّ فاعترافه هو باعتباره صاحب الأمر، كأوّل حاكم للدّولة الزّيرية بإفريقية والمغرب الأوسط، بعد رحيل الفاطميين إلى مصر يسقط ويلغي ادّعاء أولئك الذين جاءوا بعده من الزّيريين، كما ينفي ما يدّعيه البعض من المؤرّخين والنسّابة بدون دليل قاطع.

وقد يشكّك البعض في صحّة النّص الأخير، إمّا بوصف صاحبه بالكذب لكونه على مذهب الفاطميين الشّيعة، أو بوصف بُلُكين بالتّدليس لمخالفته بعض نسّابة العرب فيما اعتبروه حقيقة. وفي كلتا الحالتين تعتبر حجّة هؤلاء واهية، ولا يمكن التسليم بها، ذلك أنّ مادّة هذا الخبر لا علاقة لها بالمذهبية، ولا تستدعي الميل الذي قد يقع فيه أو يضطرّ إليه عادة الإخباريون، إذا كان ما ينقلونه مخالفا لمشاربهم المذهبية ونزعاتهم السياسية.

وعندئذ فإنّنا نعتبر هذا الخبر مجرّد خبر عاد، ليس فيه ما يُ جَرّ به نفع، ولا ما يُدفعَ به ضرر، بالنّسبة للدّولة الفاطمية وحكّامها سياسيا ومذهبيا . فلم إذن قد يكذب صاحب النّص؟!

وأمّا ما يتعلّق ببُلُكين، فليس ثمّة ما يحمله على الكذب والتدليس، فهو أعلم بنسبه من غيره، ولو كان له نسب يتّصل بحمير كما زعم من ادّعوا هذه النّسبة لصنهاجة وكتامة، لما توانى عن ذكرها في حضرة المعزّ بدون عقدة، إذ ليس من مصلحته إخفاء حقيقة نسبه لو تحقّق عنده أنّه من حمير، لأنّ ذلك كان سيخدمه أكثر، ويدعّم مركزه ويعزّز مكانته ويرفع به شأنه، على اعتبار ما جرت عليه العادة في هذا العصر، بشأن شرف النّسب الذي عدّ على رأس ما كانت تقوم عليه الدول، من العوامل المساعدة على ظهورها والمثبّتة لبقائها في سدّة الحكم.

ثمّ إنّ هناك نصّا آخر يدعم نصّ المقريزي، ساقه إلينا ابن بسّام الشنتريني تحت عنوان: " فصول من رقعة عن حبّوس إلى ابن عبد الله أمير قرمونة" الزناتي، الذي بعث إليه بكتاب أغلظ له فيه شتما وسبابا، فردّ عليه حبّوس ردّ عاقل من خلال هذه الرقعة مترفّعا عن معاملته بالمثل، لكنّه قرّعه ولامه لوما شديدا، وقد كتب له هذه الرسالة أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عامر البِزِلْياني المالقي، الذي كان من كتّاب بلاطه، وكان يعدّ من شيوخ الكتّاب وجهابذة الأدب، وقد جاءت الرسالة بأسلوب أدبي رفيع، تضمّن نثرا رائقا، وفيه استشهاد بديوان العرب.

وبغضّ النظر عن مضمون الرسالة بالتفصيل فإنّه يقول له : " ... فإن كنت أردت أن تستصلح مني بسبك فاسدا، وتستقرب من ودّي باستطالتك مباعدا، فما هذه شيم يقضي بها الفضل، ولا سياسة يحكم بها العقل . وإن كنت أردت التخويف والإيعاد، والإبراق والإرعاد... فلنا أحد البرابرة: لا أخرج عن جماعتهم، ولا أبعد عن موافقتهم، ولا أرغب بنفسي عن نفوسهم... وفي لزوم الجماعة السّداد والرشاد، والغي في الانفراد والاستبداد.[1]

---

[1]- ابن بسّام الشنتريني، المصدر السابق، ج2، ص626.

فبعد أن أكّد يوسف بن زيري نسبه في بربر صنهاجة كما سبقت الإشارة إلى ذلك، هذا حبّوس بن ماكسن – وهو أحد أحفاده بالأندلس– يكرّر ما جاء على لسان جدّه ومؤسّس دولة بني زيري في إفريقية، ويعلنها صراحة أنّه أحد البرابرة بدون تردّد ولا تلكّؤ، فهو أمير قومه صنهاجة على غرناطة بعد زاوي بن زيري، ولا حاجة له إلى ادّعاء النّسب العربي ليسود في تلك البلاد التي اعترفت بقوّتهم وقبلت بإمارتهم، بل إنّه بات من الواضح لأهل الأندلس لا سيما أهل قرطبة بعد أحداث الفتنة التي شهدتها في نهاية القرن الرّابع أنّ صنهاجة من ضمن البربر، وأنّ سبب الصراع بين البيت الأموي على الخلافة كان سببا في ظهور ملوك الطوائف، الذين انقسموا بحسب جذور انتماءاتهم العرقية إلى ممالك عربية وأخرى صقلبية وثالثة بربرية عدّت صنهاجة منهم وعلى رأسهم.

ولا يفوتنا أن نشير في هذا المقام إلى الفتنة التي رفعت سليمان بن الحكم الملقّب بالمستعين إلى سدّة الخلافة بسواعد البربر، فقامت دولته على أكتافهم، إلاّ أنّ ابن درّاج القسطلي وهو صنهاجي لم يكترث إلى عصبيته، ولا إلى ما حدث ولم يحاول الاستفادة من الوضع الجديد، واكتفى بالتعبير على هذه الأحداث بقوله: [من الطويل]

قبائلُ من أبناءِ عادٍ وجُرْهُمٍ	لهم صَفْوُ ما تَنْميهِ عادٌ وقحطانُ
أسودُ هياجٍ ما تزالُ تراهُمُ	تطيرُ بهم نحوَ الكريهةِ عِقْبَانُ
بكلِّ زَنَاتِيٍّ كأنّ حُسَامَهُ	وهَامَةُ من لاقَاهُ نارٌ وقُرْبَانُ
وأبْيَضَ صِنْهَاجٍ كأنَّ سِنَانَهُ	شِهَابٌ إذا أهْوَى لِقِرْنٍ وشَيْطانُ[1]

وعلّق محمود علي مكّي على ذلك بقوله: " وهو يشير – ابن درّاج- في هذه الأبيات إلى ما يزعمه بعض نسّابة البربر من اتّصال نسبهم بعرب اليمن "، ثمّ أضاف قائلا: " وقد أجمع ثقات المؤرّخين على إنكار هذه النّسبة".(1)

[1]- ديوان ابن درّاج، تحقيق محمود علي مكّي، منشورات المكتب الإسلامي بدمشق، ط 1، 1381هـ/1961م، ص56-57.

2- قبائل صنهاجة ومواطنها ببلاد المغرب من الفتح الإسلامي حتّى عصر المرابطين:(22- 541هـ-/643- 1146م)

1.2- صنهاجة وشعوبها:

تعدّ صنهاجة إحدى قبائل البربر البرانس، ولم تكن مجرّد قبيلة عادية، بل كانت تعتبر من أعظم قبائل بلاد المغرب، وأوفرها عددا وأوسعها أرضا، وقد ذكر ابن خلدون الذي يعتبر حجّة في تاريخ البربر بنقولاته عن مؤرّخي البربر، أنّ بطون صنهاجة تنتهي إلى سبعين بطنا [2]، فلا يكاد قطر من أقطاره يخلو من بطن من بطونهم في جبل أو بسيط، حتّى زعم كثير من النّاس أنّهم ثلث البربر[3].

ومن أهمّ بطونها: تلكاتة وأنجفة وشرطة، كدّالة (جدّالة) ولمتونة ومسّوفة، ومندلسة وبنو وارث وبنو يتين (بيتيسن)، وتزيد أفخاد أنجفة عن الثلاثين فخدا منها: بنو مزوارت وبنو سليب وفشتالة وملوانة [4]، ومسراته وبنو دخير وبنو زياد، وبنو موسى وبنو لماس[5]، وذكر منهم ابن خلدون قبائل جناته ومنهم ولد هيدي،

1- ديوان ابن درّاج القسطلي، المصدر نفسه، ص24.

2- ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 202./ ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 120./ ابن الأحمر إسماعيل، بيوتات فاس الكبرا، دار المنصور للطباعة والوراقة- الرباط، 1972، ص27./ النّاصري أبو العبّاس المرجع السابق، ج2، ص3.

3- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص201./ الناصري أبو العبّاس، نفس المصدر والصفحة.

4- ابن خلدون، نفس الجزء والصفحة ./ بوزياني الدرّاجي، القبائل الأمازيغية، أدوارها- مواطنها- أعيانها، دار الكتاب العربي- الجزائر، 2000، ج2، ص55-56.

5- ابن أبي زرع، نفس المصدر والصفحة./ الناصري، نفس الجزء والصفحة.

وصنهاجة آزمور، وبطوية ويقال لهم أيضا بطّيوة وهم ثلاثة بطون : بطوية علي تازى، وبني ورياغل علي ولد المزمة، وأولاد علي بتافريست، ومن قبائلهم أيضا : بنو وارتين وبنو الكائي، وسطة وبنو ورياكل، وبنو حميد وبنو مزجلدة وبنو عمران، وبنو دركول وورتزر وملواتة، وبنو مراد وأمركو وبنو زروال وبنو مغالة[1]. وأضاف إليهم عبد الوهاب بن منصور: أنوغة أو وانوغة، بجاية، تاركة، جزّولة، بنو جعد، بنو خليل، الزناكة، زغاوة، لمدية، لمطة، متنان، مزغنّة، مليانة، هنجافة، هسكورة، وتريكة، ورتنطق.[2]

وذكرت مصادر أخرى: تازكاغت وكَاكْدَم [3]، وتادمكه ومن بطونها سغمارة[4]، ومن قبائل لمطة وشّان وتمالتة، ومن قبائل صنهاجة وبطونها : بنو منصور وتمية وبنو إبراهيم وبنو تاشفين وبنو محمد.[5]

وإضافة إلى ما هو معروف من قبائل وبطون وأفخاذ صنهاجة ، انفرد ابن حوقل بذكر: انكيفو وبني ماركسن وبني كاردميت، وبني سيغيت وبني صالح وبني تُوتَك، وسططه ومغرسة ومومنه وفريّة وانيكارت[6]. وجعل عصبتهم هذه بالإضافة بالإضافة إلى المشهور منها وهم : مسّوفة وبنو وارث ولمتونة، لمطة وملوانة وشرطة ضمن قبائل صنهاجة الخلّص، وزاد على ذلك بنو تانماك ملوك تادمكة، هندزة ومكيه وكلماته، انكرياغن وكركه وايللغموتن، كرطوطاوة وسكره وبلفلاغه،

---

[1]- العبر، ج6، صص274-275.

[2]- عبد الوهاب بن منصور، قبائل المغرب، المطبعة الملكية- الرّباط، 1388هـ/ 1968م، ج1، صص330-335.

[3]- شيخ الربوة الدمشقي شمس الدين أبو عبد الله، كتاب نخبة الدّهر في عجائب البرّ والبحر، مطبعة الأكاديمية الإمبراطورية- بطرسبورغ، 1281هـ/ 1865م، ص238.

[4]- البكري أبو عبيد، المُغرب في ذكر بلاد إفريقية والمَغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي- القاهرة، (د. ت)، ص181. شيخ الربوة الدمشقي، المرجع السابق، ص239.

[5]- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج 1، ص225./ الشريف الإدريسي، المغرب وأرض السّودان ومصر والأندلس، مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مطبع بريل- مدينة ليدن، 1863م، ص59./ محمود مقديش، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق علي الزواري، محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط1، 1988، م1، ص55.

[6]- ابن حوقل النصيبي، المصدر السابق، ص101.

انديمن وهاكته وانمزيرن، ايمزواغن وكيلتموني وكيلمكزن، كيلفروك وفدالة وكلساندت، كيل دفر وبنو بزّار وايمكدرن، ايكوفان وانككلن وايسطافن وايفكرن.[1]

وذكر بخصوصهم روايتين، أولاهما: تجعلهم من صنهاج ة المنحدرين من أمّهات زنجيات، ابيضّت بشرتهم لقربهم من الشمال وتأثّرهم بمناخه، وتستند هذه الرّواية إلى رأي الكندي، الذي يعتقد أنّ البيض الذين يعيشون في أرض السّودان ويتناسلون فيه، يصبحون زنوجا بعد سبعة أجيال، وعلى العكس من ذلك فإنّ الزّنوج الذين يعيشون في بلاد البيض، تبيضّ بشرتهم خلال الجيل السّابع . ويشكّك ابن حوقل في مصداقية هذه الرّواية من النّاحية العلمية، ويحكم عليها بالبطلان بقوله :" وليس بمثل هذه الدّعاوى يتكلّم على الإنسان".[2]

وأمّا الرّواية الثانية، فإنّ أصحابها يرون أنّ بني تانماك ملوك تادمكه والقبائل التّابعة لهم من أصل صنهاجي، ويقرّون بانّ بني تماكيزت ومساطة- ولعلّها تحريف لقبيلة مزاتة[3]- تابعين لأسرة بلكين يوسف بن زيري خليفة بني عبيد في المغرب .

ومن القبائل الخارجة عن صلب صنهاجة أيضا : بني عمر زيري وقبيلته يسّاوه، وايفرن وايماكيتن وايتوتين، وايتروين وايوازين وأسواله، وبني كسيلة وبني ورتاف وايزقارن وتلكاتة[4]. وجعل أبو راس الناصري بنو ورنيد وبطيوة وبني يزناسن بطون من صنهاجة [5]. وذكر الإدريسي قوما من صنهاجة يقال لهم املو كانوا يسكنون شرق تادلة في الجبل النّازل إلى داي.[6]

---

[1]- نفس المصدر والصفحة.

[2]- نفسه./ روجي إدريس، المرجع السابق، ج1، ص32.

[3]- هاشم العلوي القاسمي، مجتمع المغرب الأقصى حتّى منتصف القرن 4هـ/ منتصف القرن 10م، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- المملكة المغربية، 1415هـ/ 1995م، ج2، ص101.

[4]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص101-102./ روجي إدريس، نفس المرجع والصفحة.

[5]- أبو راس النّاصري، المرجع السابق، ج 1، ص115. بينما اعتبر ابن خلدون ذلك من مزاعم البربر . ينظر: العبر، ج6، ص275.

[6]- الإدريسي، كتاب نزهة المشتاق، ج1، ص242./ محمود مقديش، المرجع السابق، ج1، ص69.

وبالجمع بين النّصوص الم تقدّمة الذّكر نخلص إلى أنّ قبائل صنهاجة وبطونها وأفخاذها من الكثرة بمكان، لدرجة أنّ المصادر – سواء تعلّق الأمر بالتّاريخية منها أو تلك التي عنيت بعلم الأنساب- لم تأت على ذكرها جملة واحدة، في نصّ يذكرها بدون استثناء، وقد اقتصر جلّها على ذكر القبائل الفاعلة منها، التي لعبت دورا في الحياة السّياسية على السّاحة المغربية.

وتجدر الإشارة إلى أنّ جميع المصادر التي تحدثت عن صنهاجة تتّفق على أنّ شعوبها تتفرّع إلى أكثر من سبعين قبيلة، وأنّهم يمثّلون ثلث البربر ممّا يعني أنّهم يشكّلون السّواد الأعظم منهم.

2.2- مواطن انتشار صنهاجة في بلاد المغرب:

احتلّت قبائل صنهاجة مساحات شاسعة في أرض المغرب، رغم أنّ الخريطة القبلية لم تكن قارّة ولا ثابتة خلال الفترة الوسيطية، بسبب الحركة والتداخل لا سيما بين المغربين الأوسط والأقصى، وكانت بلادهم عموما تشمل أجزاء كبيرة من أقطار المغر ب والصّحراء ما بين الحبشة والزّنج، وكان انتشارهم في جهتين جغرافيتين:

أ- صنهاجة الشمال:

يمثّلون المجموعة الأولى التي تسود في الشمال بمنطقة الجبال والأطلس التلّي، وخاصّة جبال الأوراس وفي سفوحه الجنوبية المواجهة للصّحراء الإفريقية[1]. وكانت تمثّل هذه الجهة القسم الشّرقي - من المجموعة الصّنهاجية - الذي شمل المغربين الأدنى (إفريقية) والأوسط.

ويذكر أنّ موسى بن نصير خرج من القيروان لفتح صنهاجة، فسار إليهم حتى غشيهم ومن كان معهم من قبائل البربر، وهم لا يشعرون فقتلهم قتل الفناء، فسبى منهم سبيا عظيما وغنم من الغنا ئم ما لا يحصى، ثمّ انصرف قافلا إلى القيروان، وجاء بعد ذلك دور قبيلة سجوما التي كانت ما وراء نهر ملوية . وفي هذا

1- هاشم العلوي القاسمي، المرجع السابق، نفس الصّفحة.

النصّ ما يدلّ بوضوح، على أنّ معظم مواطن صنهاجة الشمال، في هذه الفترة من الفتح، كانت ما بين القيروان ونهر ملوية.[1]

وجلّ بطون صنهاجة في هذا القسم كانت تنتشر بإقليم الجزائر ما بين مناطق المسيلة وتِطري وميلة، ومن ذلك لَمْدِيَّة وهم بطن من بطون صنهاجة، وكان المختطّ لها بلكين بن زيري، وقد سمّيت جبال صنهاجة بنواحي المدية باسمهم [2]، وكان هذا الفرع من صنهاجة يسيطر على الطريق الموصل بين موريطانية السطيفية وموريطانية القيصرية.[3]

ويرى روجي إدريس أنّ تلكاتة، وهي فرع من صنهاجة، ينتمي إليه بنو زيري بإفريقية والأندلس، وبنو حمّاد بالمغرب الأوسط كانوا في المنطقة الغربية من المغرب الأوسط [4]. ويتّفق مع هذا الرّأي هاشم العلوي معلّلا ذلك بالعلاقات التنافسية، وصراعهم على المنطقة مع مغراوة الزّناتية في أواخر القرن 3هـ/9م، الذي يوافق نهاية العهد الأغلبي [5]، أو بالأحرى الصّراع الفاطمي الأموي ، على طرق التجارة الدولية آنذاك، ومحاولة كلّ منهما بسط نفوذه السياسي والمذهبي على بلاد المغرب.

وفي هذا الإطار كانت حملة مصّالة بن حبّوس، لفرض الحكم الشّيعي الفاطمي، هذه الحملة التي غيّرت الخريطة القبلية في الجهات الشرقية والشمالية من المغرب الأقصى، فانتقلت على إثر ذلك مجموعة من القبائل الموالية للحكم الفاطمي إلى المغرب الأقصى، على شكل حاميات حول المدن المفتوحة ومنها مدينة

---

[1]- ابن قتيبة الدينوري (المنسوب إليه)، الإمامة والسياسة، اعتنى بطبعه وتصحيحه وشرح بعض مسائله مع كلماته اللغوية: محمد محمود الرفعي، مطبعة النيل- مصر، 1322هـ/ 1904م، ج2، ص105-106.

[2] - ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص210.

[3]- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص36.

[4]- الدولة الصنهاجية، ج1، ص36. Bilal Sarr, La Granada Zirí (1013-1090), Ajbar coleccción, Imprime: Kadmos, Granada, 2011, p. 51.

[5]- مجتمع المغرب الأقصى، ج2، ص101.

نكور[1]، أو ع لى شكل قبائل فارّة من الشرق إلى الغرب، خوفا من الانتقام الفاطمي[2]. ففي هذه الحملة (305هـ-312هـ/918م-925م) انتقلت من مكناسة المغرب الأوسط، ومن كتامة ومن صنهاجة إلى شمال المغرب الأقصى مع الجيش العبيدي.[3]

كما شهدت حملة جوهر الصقلّي لتأديب القبائل الرّافضة للنفوذ الشيعي الفاطمي، فرار موجة أخرى من القبائل البربرية نحو أوعار المغرب الأقصى، ومن هذه القبائل بني يفرن ومغراوة وبعض بطون مكناسة المغرب الأوسط، فضلا عن بداية دخول العناصر الصنهاجية، التي كانت تابعة لحلف زناتة المغرب الأوسط.[4]

وتتوغّل هذه العناصر في شمال المغرب الأقصى وهم صنهاجة الرّيف [5]، وكانوا يتوزّعون بين نهر كرط وبلاد غمارة والبحر المتوسّط بالمغرب الأقصى [6]، ويتوغّلون إلى طنجة التي قال عنها الورّاق :" إنّ كورة طنجة هي مساكن صنهاجة الهَبْط، بطريق السّاحل ممّا يلي سبتة[7]، ومن مدنهم بهذه المنطقة قصر صنهاجة.[8]

صنهاجة.[8]

وفي حديثه عن الطريق بين طنجة وفاس، أورد البكري أنّه بالقرب من مدينة قلعة ابن خرّوب دمنة، عشيرة بلد طيّب لصنهاجة[9]، وكانت مدينة فاس مقسّمة إلى قسمين يجري بينهما نهر كبير يأتي من عيون تسمّى عيون صنهاجة [10]، ممّا يدلّ

---

[1] - مدينة بالمغرب بقرب مدينة مليلة، وهي مدينة كبيرة بينها وبين البحر عشرة أميال وقيل خمسة . ينظر: الحميري محمد بن عبد المنعم، المصدر السابق، ص576.

[2] - هاشم العلوي، المرجع السابق، ج2، ص329.

[3] - موسى لقبال، المرجع السابق، ص117- 124. هاشم العلوي، المرجع السابق، ج2، ص329-330.

[4] - هاشم العلوي، المرجع نفسه، ج2، ص374.

[5] - الإيلاني صالح بن عبد الحليم، مفاخر البربر، ص172.

[6] - عبد الوهاب بن منصور، المرجع السّابق، ج1، ص329.

[7] - ابن عذاري، المصدر السابق، تحقيق وتعليق ج .س. كولان و إ. ليفي بروفنسال، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 2009، ج1، ص26.

[8] - مجهول الاستبصار، ص189.

[9] - المغرب في ذكر بلاد...، ص109-110.

[10] - محمود مقديش، المرجع السابق، ج1، ص69.

على أنّهم كانوا يستقرّون حول هذ ه العيون التي حملت اسمهم كدلالة على إعمارهم للمكان، وذكر ابن سعيد المغربي أنّ صنهاجة شكّلت أكثر سكّان مدينة أزمّور، التي كانت على بعد ميلين من البحر.[1]

ب- صنهاجة الجنوب:

يشكّلون المجموعة الثانية التي تنتشر في الصحراء الإفريقية، من بداية الرّمال إلى التخوم الدّاخلية للصحراء الإفريقية، على امتدادها الجغرافي من وادي النيل شرقا، إلى المحيط الأطلسي غربا، وهو ما يعبّر عنه بصنهاجة ما بين الحبشة والزّنج[2]. وحدّد عبد الوهاب بن منصور هذا الإقليم من الصحراء الكبرى، بداية من غدامس إلى البحر المحيط وبلاد السودان بأقصى الجنوب[3]، وبشيء من التعميم التعميم وزيادة على ما ذكر، حصر ألفرد بل تواجدهم في نطاق ضيّق بقوله: " إنّهم كانوا يملكون القسم الشمالي الشرقي من السنغال"[4].

وكانت بعض بطونهم تضرب في منطقة الأطلس الأوسط، من تازا إلى إقليم بني هلال، وتحتلّ منحدرات الأطلس الكبير الجنوبية، وتوغل جنوبا محتلّة الواحات الواقعة على أطراف الصحراء[5]، وبأكثر دقّة ذكر لنا ابن خلدون أنّهم كانوا بالجانب بالجانب الشرقي من جبال دَرَن ما بين تازى وتادلا ومعدن بني فازان حيث الثنية المفضية إلى آكْرِسِلْوَين من بلاد النخل بناحية سجلماسة، وبالرّجوع إلى الغرب من آكْرِسِلْوَين نحو درعة إلى ضواحي السوس الأقصى وأمصاره من تارودانت وإيفري إلى فوتان وغيرها [6]. وكان حوز صنهاجة في القبلة مسيرة سبعة أشهر

[1] - كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر، ط2، 1982، ص137.
[2] - هاشم العلوي، المرجع السابق، ج2، ص101.
[3] - قبائل المغرب، ج1، ص329.
[4] - الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، ص227.
[5] - حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 37. Terrasse (H) : Histoire du Maroc, des Origines à l'établissement du Protectorat Français, Casablanca, 1946,P23.
[6] - العبر، ج6، ص273.

طولا، ومسيرة أربعة أشهر عرضا، من نول لمطة [1] إلى قبلة القيروان من بلاد إفريقية.[2]

ويرى مارمول أنّ صنهاجة تشكّل أوّل إ قليم مأهول غرب صحاري ليبيا[3]، ولعلّ المقصود بهذا الإقليم غدامس[4]. وأشار ابن خلدون إلى أنّ " هذه الطبقة من صنهاجة هم الملثمون الموطّنون بالقفر، وراء الرّمال الصحراوية بالجنوب، أبعدوا في المجالات هناك منذ دهور، قبل الفتح لا يعرف أوّلها، فأصحروا عن الأرياف، ووجدوا بها المراد، وهجروا التّلول وجفوها".[5]

ويتفق مع هذا الرّأي غوتيه (Gautier) ولعلّه استقى مادته عنه، فهو يتبنّى ما ذكره ابن خلدون مؤكّدا أنّ مردّ ذلك إلى قوّة قبائل البتر، التي استخدمت منذ العصر الرّوماني الإبل، فدفعت قبائل صنهاجة أمامها دفعا نحو ا لمغرب الأقصى، ولمّا استخدم هؤلاء الإبل استقرّوا في بعض جهات الصحراء منذ وقت بعيد.[6]

أمّا ويدنر (weidner) فإنّه يرى أنّ إدخال الجمل تدريجيا في أوائل العصر المسيحي أحيا التجارة، وجعل بالإمكان حدوث هجرات لها أهمّيتها من جانب البربر، من الشمال باتجاه الجنوب من الصحراء، وكانت نقطة الاتّصال بين الزّنوج

---

[1]- سميت نول لمطة لأن قبيل لمطة يسكنونها وهي من بلاد السوس الأقصى بالمغرب، بينها وبين وادي السوس الأقصى ثلاث مراحل، ومنها إلى البحر ثلاثة أيام، وبينها وبين سجلماسة ثلاث عشرة مرحلة وفيها جزولة ولمطة. وهي مدينة كبيرة في أول الصحراء على نهر كبير يصب في البحر المحيط. ينظر، الروض المعطار ، ص584.

[2]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص120.

[3]- مارمول كربخال، إفريقيا، ترجمة محمد حجّي- محمد زنيبر وآخرون، دار نشر المعرفة- مطابع المعارف الجديدة- الرباط، 1408-1409هـ/ 1988-1989م، ج3، ص179.

[4]- عبد الوهاب بن منصور، المرجع السابق، ج1، ص329.

[5]- العبر، ج6، ص241./ ابن سماك العاملي، المصدر السابق، ص 63./ الإدريسي، نزهة المشتاق، ج 1،ص 223-224./ نفس المؤلّف، المغرب والسودان ومصر...، ص57-58.

[6]- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص42. - Gautier,op,cit,P.184-185.

والبربر، على امتداد نهر النيجر ، عند الحافّة الجنوبية للصحراء، حيث كان البربر يجلبون الملح عبرها، ويبادلونه بالذهب.[1]

وينفرد ابن عذاري برواية ذكر فيها ، أنّه لم يدخل المغرب الأقصى أحد من ولاّة خلفاء بني أميّة ب المشرق، إلاّ عقبة بن نافع الفهري، ولم يعرف المصامدة غيره، وقيل إنّ أكثرهم أسلموا طوعا على يديه [2]، وقد وصل إلى السّوس الأقصى حيث ديار الملثمين سنة 62هـ/681 م، فبنى مسجدا في ماسّة [3]، التي تقع جنوب أغادير.[4]

ومن ثمّ يمكننا القول بأنّ معرفة الملثمين بالإسلا م تعود إلى منتصف القرن الأوّل الهجري/ منتصف القرن 7م، وإن كانت هذه المعرفة سطحية، تحتاج إلى تعميق الفهم لدى البربر ليحسن إسلامهم، فقد كانوا حينئذ عناصر جديدة عهد بالإسلام، كما كانوا في حاجة إلى تأليف قلوبهم لتثبيت نفوسهم وترسيخ انتمائهم لهذا الدّين. إلاّ أنّ سوء معاملة عمر بن عبد الله المرادي والي طنجة وما والاها، وتعسّفه في إخضاع قبائل صنهاجة الصحراء من السوس الأقصى إلى مدينة أودغشت [5]، حيث بعث عبد الرحمن بن حبيب، حسب رواية ابن خياط والبلاذري [6]، أو والده

1- دونالد ويدنر، تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء، ترجمة راشد البراوي، النّاشر مكتبة راندون- نيويورك، دار الجيل للطباعة- القاهرة 1962، ص37-38.
2- البيان المغرب، ج1، ص42.
3- المالكي ، المصدر السابق، ص40./ البكري، المصدر السابق، ص160.
4- عصمت عبد اللّطيف دندش، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا (430-515هـ/1038-1121م) مع نشر وتحقيق أبي بكر بن العربي، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط1، 1408هـ/1988م، ص37.
5- سكانها أخلاط من البربر والمسلمين، والرئاسة فيها كانت لصنهاجة . ينظر: ابن سعيد، المصدر السابق، ص113.
6- البلاذري، فتوح البلدان، حقّقه وشرحه وعلّق على حواشيه وأعدّ فهارسه وقدّم له عبد الله أنيس الطبّاع – عمر أنيس الطبّاع، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر- بيروت، 1407هـ/ 1987م، ص324./ خليفة بن خيّاط الليثي العصفري أبو عمر، تاريخ خليفة بن خيّاط، تحقيق أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة- دمشق، دار القلم، ط2، 1397هـ/ 1977م، ص347.

حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري، حسب رواية ابن عبد الحكم والرقيق القيرواني[1] غازيا إلى السوس الأقصى، فعاد منها بسبي عظيم.[2]

فكان من نتائج ذلك أن ثار البربر ، ومنهم الملثمون على هذه الأوضاع سنة 122هـ/739م، منضوين تحت لواء الخوارج، الذين وجدوا في أرض المغرب تربة خصبة، لزرع مذهبهم ونشر أفكارهم، مناوئين بذلك بني أميّة في المشرق، وكادت هذه الثورة أن تقضي على حكم العرب في المغرب.[3]

وشهد المغرب بعد ذلك ظهور دويلات بربرية مستقلّة، استطاعت إحداها ألا وهي الدولة الإدريسية أن تحقّق وحدة المغرب الأقصى، بعد أن ظفرت بتأييد صنهاجة الشمال وصنهاجة الجنوب من أه ل اللّثام[4]. وتوجّهت أنظارهم بعد ذلك إلى نشر الإسلام، فدخلوا مدينة نفيس التي كانت تعرف بالبلد النفيس[5]، وهي مدينة تقع على نهر يعرف باسمها شمال وادي السوس، ثمّ دخلوا مدينة أغمات، وفتحوا سائر بلاد المصامدة في الصحراء الكبرى، التي تفصل بلاد المغرب عن إقليم السودان[6]. ولمّا انتشر الإسلام في صنهاجة الصحراء، عملوا على نشره جنوبا في بلاد السودان، حتى أدركوا النيجر في هجرتهم [7]، واستقرّوا في موريطانيا السينغالية، وعلى ضفاف نهر السينغال وبحيرة تشاد.[8]

ب.1- بلاد أنبية الصنهاجية:

يبدو أنّ قبائل صنهاجة الجنوب كوّنت اتحادا قبليا تزعّمته قبيلة لمتونة، إلى جانب قبائل صنهاجية أخرى أهمّها مسّوفة، جزّولة، ولمطة على الامتداد

---

[1]- ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص94./ الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص67.
[2]- ابن عبد الحكم، المصدر السابق، نفس الصفحة./ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص51.
[3]- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 67./ حسن إبراهيم حسن، انتشار الإسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى، معهد الدراسات العربية العالمية- القاهرة، 1957، ص49.
[4]- حسن إبراهيم حسن، المرجع نفسه، ص97.
[5]- البكري، المصدر السابق، ص160.
[6]- الجزنائي علي، المصدر السابق، ص27.
[7]- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص43.
[8]- الكعّاك، المرجع السابق، ص69.

الصحراوي بين سجلماسة وغانا، وفي مساحة واسعة جدّا ما بين القرنين الثّاني والثّالث الهجريين/8و9م، وقد عرف هذا الحلف بـ" مجموعة أنبية".[1]

وأوّل رواية ذكرت بلاد أنبية ساقها لنا ابن الفقيه في معرض حديثه عن نيل مصر نقلا عن أبي الخطاب (توفّي نحو 145هـ/762م) وممّا جاء فيها :" قال المشترَى بن الأسود غزوت بلاد أنبية، عشرين غزاة من السوس الأقصى، فرأيت النيل بينه وبين البحر الأجاج كثيب رمل، يخرج النيل من تحته".[2]

ومن المحتمل جدّا أنّ المشترى بن الأسود الوارد في هذا النّص ، كان أحد القادة في حملة عبد الرحمن بن حبيب ، أو والده إلى السوس الأقصى سنة 116هـ/734م، حيث ذكر أنه غزا بلاد أنبية عشرين غزوة من السوس الأقصى، فرأى النيل المقصود به نهر السنغال، بينه وبين البحر الأ جاج أو بحر الظلمات أي المحيط الأطلسي كثيب من الرمل.

وقدّر اليعقوبي " هذه المسافة بخمسين رحلة، وذكر أنّ هؤلاء القوم من صنهاجة اتخذوا اللّثام بعمائمهم سنّة فيهم ، وكانوا غير قارّين في هذه المساحة الواسعة التي يشغلونها من الصحراء"[3]. في حين حدّد ابن الفقيه " امتداد بلاد أنبية من السوس الأقصى، على مسيرة سبعين ليلة في براري ومفاوز، ثمّ قال وأهلها وأهل لمطة أصحاب الدّرق، والدّرقة اللّمطية ليس عليها قياس".[4]

وهو ما يشير بوضوح إلى أنّ هناك أكثر من قبيلة أو بطن، خلافا لما ذكره ابن عبد الحكم في قوله:" وأهل السوس بطن من البربر يقال لهم أنبية "[5]، كما أنّ

1- أحمد إلياس حسين، العلاقات بين مملكة غانا والمغرب العربي، أطروحة دكتوراه مرقونة قدّمت لجامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، 1986، ص 56-58./ هاشم العلوي، المرجع السابق، ج 2، ص102.

2- ابن الفقيه الهمذاني أبو بكر أ حمد بن محمد، مختصر كتاب البلدان، مطبع بريل- ليدن، 1302هـ/ 1884م، ص81.

3- اليعقوبي أحمد بن إسحاق بن أبي يعقوب ابن واضح، البلدان، دار الكتب العلمية- بيروت، 1422هـ/ 2001م، ص199.

4- ابن الفقيه، المصدر السابق، ص81.

5- ابن عبد الحكم، المصدر السابق، 58.

المجال الجغرافي لهؤلاء غير محصور في إقليم السّوس، خصوصا إذا ما علمنا أنّهم كانوا أهل وبر غير مستقرّين، وأنّ حركتهم وتنقلاتهم كانت داخل المساحة الواسعة التي سبقت الإشارة إليها.

ويؤيّد ذلك ما ذهب إليه اليعقوبي ، عندما تحدّث عن هذا الإقليم وما بعده جنوبا، حيث قال:" وأهل سجلماسة أخلاط ، والغالبون عليه ا البربر، وأكثرهم صنهاجة "[1]، ثمّ ذكر أنّه على مقربة من سجلماسة مدينة تَامَدَلْت ، والغالب على سكّانها قوم من البربر يقال لهم بنو ترجا، كما أشار إلى أنّ أهل السوس الأقصى أخلاط من البربر ، والغالب عليهم مدّاسة [2]، ويعتبر بنو ترجا ومدّاسة من بطون صنهاجة الصحراء. وقال الإدريسي:" بلاد نول عند طرف المغرب الأقصى مع البحر المحيط، وأنّها كانت بلاد لمتونة الصحراء، وكان معهم من قبائل صنهاجة : لمطة ومسّوفة وجزّولة وجدّالة وبنو تاشفين وجمل من صنهاجة[3]. ويصبّ في هذا المنحى ما ذكره أبو راس النّاصري في قوله : " إنّ صنهاجة أهل اللّثام المعروفين عندنا بالتوارك، مساكنهم بين السودان وبين الرمال، التي هي تخوم بلاد البربر، متّصلون بالبحر المحيط لهذا العهد - عصر المؤلّف- في المغرب إلى ساحل النيل في المشرق".[4]

ب.2- أهمّ التجمّعات القبلية الصنهاجية لهذه المجموعة:

إذا تأمّلنا أعلاه في النصوص الواردة بشأن مجموعة أنبية، وحاولنا الجمع بينها أدركنا أنّ هذه المجموعة ، كانت تشمل عددا كبيرا من قبائل صنهاجة الصحراء، والتي ستلعب دورا كبيرا في وحدة صنهاجة خلال لقرن 5هـ/11م، تحت لواء عبد الله بن ياسين، لتنطلق نحو الشمال مساهمة في تأسيس دولة المرابطين،

1- البلدان، ص198.

2- نفسه.

3- نزهة المشتاق، ج 1، ص225./ نفس المؤلّف، المغرب والسودان ...، ص57-60./ أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن محمد، تقويم البلدان، طبع بدار الطّباعة السّلطانية- مدينة باريس، 1255هـ/ 1840م، دار صادر- بيروت، ص135.

4 - عجائب الأسفار، ج2، ص50.

التي حكمت المغرب والأندلس إلى منتصف القرن 6هـ/12م، ومن أهمّ هذه التجمّعات القبلية الصنهاجية في هذا النّطاق:

ب.1.2- قبيلة لمطة:

هي إحدى قبائل الملثمين، وكانت مضاربها جنوب مزاب، ما بين مسّوفة في الغرب وترغة (الطوارق) في الشّرق، وكانت في تعايش مع جزّولة، محتلّة الأراضي القريبة من الأطلس[1]. وعموما فإنّها كانت تحتلّ المنطقة الممتدّة من جبال دَرَن حتّى وادي نول القريب من المحيط الأطلسي، الذي كانت عليه مدينة نول لمطة، وهي آخر بلاد السّوس[2]، وبهذه المدينة كانت تصنع الدّرق اللّمطية، التي لا شيء أبدع منها، وبها يقاتل أهل المغرب لحصانتها وخفّة وزنها.[3]

ب.2.2- قبيلة جزّولة:

كانت مضارب هذه القبيلة من قبائل صنهاجة إلى جانب لمطة، من وادي سوس إلى مدينة نول[4]، أي أنّها كانت تسكن جنوب غرب المغرب[5]، وقد مارست الظعن والترحّل في الصحراء بين إفريقية وصحراء أدغشت، ومجال انتشارها إلى منتصف القرن 4هـ شرق مواطن لمطة، ويمتدّ انتشارها شمالا إلى الأطلس الصغير وحوض نهر درعة ثم يتجه إلى سهل سوس حيث منطقة تزنيت الحالية.[6]

ب.3.2- قبيلة مسّوفة:

---

[1]-G.S.Colin, Lamta, The Encyclopaedia of Islam, New Edition, E.J.Brill- Leiden, 1986, volume V, P 652.

[2]- مجهول الاستبصار، ص213./ حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص44.

[3]- الإدريسي، نزهة المشتاق، ج1، ص224./ نفس المؤلّف، المغرب والسودان، ص59.

[4]- مجهول الاستبصار، ص212.

[5] -G.S.Colin, DJAZŨLA, The E.I, New Edition, E.J.BRILL- Leiden, 1991, volume II, P 526-527.

[6]- هاشم العلوي، المرجع السابق، ج2، ص210.

كانت مساكن هذه القبيلة من الملثمين تنتشر بين سجلماسة في الشمال وأدغشت في الجنوب، متمركزة في هذا النطاق شرق الانتشار اللمطي والجزولي، وكانت بعض بطونها توغل شرقا حتى تصل إلى تادمكة وكوكو [1]، وكانت مسّوفة تسيطر على التجارة المارّة بين بلد السودان وسجلماسة إلى فاس، وأورد ابن حوقل نصّا في ذلك جاء فيه أنّهم " كانوا يملكون تلك الطريق، ولهم الحسن في الدلالة، حيث يستدلّ بهم في الظلام والليل البهيم بغير نجوم... وعليهم لوازم على المجتازين عليهم بالتجارة، من كلّ جمل وحمل، ومن الرّاجعين بالتبر من بلد السودان، وبذلك قوام بعض شؤونهم". [2]

وقد استمرّ استدلال القبائل التي تقطع الصحراء بالمسّوفيين إلى زمن ابن بطوطة، حيث كانوا يعمرون الصحراء من "تغازى" إلى "تمبكتو"، وكانت منازلهم تمتدّ شرقا حتى منطقة الواحات في بلاد غير الهقار، التي تعرف في النصوص الأوربية باسم (Ahoggar) جنوب جمهورية الجزائر الحالية. [3]

ب.4.2- قبيلة لمتونة:

كانت من أهمّ قبائل صنهاجة الصحراء وأقواها، وبدأ بروزها كقوّة سياسية فاعلة في المنطقة منذ القرن 2هـ/8م، وأصبحت لها الزعامة والسيطرة على غيرها من قبائل المرابطين خلال القرن 5هـ/11م [4]، وكانت مضارب لمتونة م مّا يلي منطقة لمطة وجزّولة على الامتداد الرّابط بين وادي نون على المحيط الأطلسي، حتى رأس بوجادور الحالية، وكان هذا الوادي يأتي من جهة المشرق إلى مدينة

1- البكري، المصدر السابق، ص181./ الدمشقي، المصدر السابق، ص238-239./ حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص46./ هاشم العلوي، نفس المرجع والصفحة.

2- صورة الأرض، ص98-99.

3- ابن بطوطة ورحلاته، تحقيق ودراسة وتحليل حسين مؤنس، دار المعارف- القاهرة، 1980، ص226-227.

4- ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية، ط1، 1286هـ/ 1869م، ص101./ الدمشقي، المرجع السابق، ص238.

نول، وكان عليها قبائل لمتونة ولمطة [1]. وتُوغِل لمتونة في الصحراء شرقا حتى تدرك الطريق الرّابط بين غانة وس جلماسة، وتمتدّ ديارهم مسيرة شهرين طولا وعرضا، لكنها لا تصل إلى ساحل المحيط حتى مصبّ السينغال، ولعلّ بعض بطونها نزلت على مقربة من غانة، فقد ذكر الإدريسي أنّ تكرور من بلاد لمتونة، بالرّغم من أنّ تكرور كانت في وادي النيجر في الجنوب.[2]

واستطاعت لمتونة السيط رة على الطريق التجاري الهام بحذاء المحيط الأطلنطي، لذلك لم يكن غريبا أن تكون لها السيادة على غيرها من القبائل، ففضلا عن الموقع الممتاز، كانت لها الوفرة في العدد والمال [3]. ولأبي راس النّاصر ي المعسكري رأي آخر بشأن هذه القبائل الثلاث، حيث ذكر " أنّ لمتونة ومسّوفة في مقابلة المغرب الأوسط، ولمطة في مقابلة عرب الزّاب، وتركا في مقابلة إفريقية ... وأنّ أهل فكيك وتيكورارين وتوات وأكثر مصاب ملكهم صنهاجة، وبعض مصابه من لمّاية والله أعلم".[4]

ب.5.2- قبيلة جدّالة أو كدّالة:

تمتدّ جنوب النطاق الذي كانت تحتلّه لمتونة، ح تى مصبّ نهر السينغال، متخذة مدينة أوليل على شاطئ البحر المحيط مركزا لها، وكان موضع معدن الملح بهذه المدينة. وكانت جدّالة أقرب بلاد الإسلام إلى بلاد السّودان، وأقرب مدينة من مدنها إليهم مدينة صنغانة[5]. وقد حدّ كولان موطن جدّالة جنوب موريطانيا الحالية وشمال السينغال، وأنّها تتّصل بالمحيط الأطلنطي، وتعتبر أراضيها الجنوبية حدّا

---

[1]- مارمول، المرجع السابق، ج3، ص180./ الإدريسي، نزهة المشتاق، ج1، ص224./ نفس المؤلّف، المغرب والسودان، ص 59./ وذكر الباحث عربي عقون أنّ المرابطين من قبيلتي لمتونة وقزولة الصنهاجيتين من الصحراء الغربية . ينظر كتابه : الأمازيغ غبر التّاريخ نظرة موجزة في الأصول والهويّة، التنوخي للطباعة والنشر والتوزيع- الرباط، ط1، 2010، ص48.

[2]- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص45.

[3]- محمد عبد الهادي شعيرة، المرجع السابق، ص 28. ينظر أيضا : T.Lewicki, Lamtuna, dans E.I, New Edition, E.J.Brill- Leiden, 1986, volume V, P 652-654.

[4] - عجائب الأسفار، ج2، ص51.

[5]- مجهول الاستبصار، ص216.

فاصلا بينها وبين بلاد السّودان . وهو يحتمل أنّ أوليل (Awlil) هي ولالن (wolalan) حاليا، وهي تقع مابين نواقشط (Nwak-shot) وسان لويس (Saint-Lois).[1]

وتجدر الإشارة إلى أنّ البيدق قسّم صنهاجة المجاورين لمصمودة - الذين كانوا يتمركزون بين المحيط الأطلسي ووادي درعة والسفوح الخلفية لجبال الأطلس- إلى صنهاجة الظل وصنهاجة القبلة [2]، ولعلّه قصد بالفريق الأول سكان الجبال، وبالفريق الثاني سكان البسائط القاحلة القريبة من وادي درعة المعرّضين للشمس باستمرار.[3]

كما قسّم ابن خلدون صنهاجة إلى أهل مدر ، كانوا يقيمون في بيوت مبنية، وأهل وبر [4] كانوا ظواعن رحّل، يضربون الخيام بأقصى الجنوب، وهم في جملة قبائل الملثمين، في حين قسّم صنهاجة شمال المغرب الأقصى إلى صنهاجة العزّ، وسبب هذه التسمية على ما يبدو أنّهم كانوا ممتنعين بجبالهم الوعرة من أداء الضرائب، وصنهاجة الذلّ بأزمور ، الذين كانوا راضخين للحكومة ، ويؤدّون إليها المغارم وهم صاغرون. وصنهاجة البزّ ويقصد بهم سكان نهر ورغة وأمركو، المجاورين لجبال غمارة، الذين كانوا يحترفون الحياكة والحراثة ، ويؤدّون المغارم.[5]

---

[1]-Colin (G): Gudãla, E.I, New Edition, E.J.Brill- Leiden, 1991, volume II, P 1121-1122.

[2]- البيدق، المصدر السابق، ص56-59.

[3]- عبد الوهاب بن منصور، المرجع السابق، ج1، ص329.

[4]- العبر، ج6، ص202.

[5]- المصدر نفسه، ج6، ص275.

3- الصنهاجيون في الأندلس قبل القرن 6هـ/12م:

1.3- الهجرة:

ما من شك أنّ تدفّق تيار الهجرة من العدوة المغربية إلى شبه الجزيرة الإيبيرية، كانت بدايته مع أولى عمليات الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس، حيث تجمع معظم المصادر التاريخية الإسلامية، أنّه اجتمع لطارق بن زياد أثناء فتحه للأندلس سنة 92هـ/711م اثنا عشر ألفا[1]، كان غالبيتهم من البربر، وهو ما ذكره

[1]- الطبري محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تقديم ومراجعة صدقي جميل العطّار، دار الفكر- بيروت، ط1418،1هـ/1998م، ج8، ص35./ ابن الأثير عز الدين، الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي- بيروت، ط5، 1405هـ/1985م، ج4، ص119./ مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها، تحقيق وتعليق إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر، 1989م، ص98.

ابن عذاري بقوله: " وكان اجتمع لطارق اثنا عشر ألفا من البربر، فأجمع طارق على فتح الأندلس".[1]

وقد تبنّت هذا الرّأي مراجع معاصرة مهمّة، جعلت تعداد جيش طارق سبعة آلاف جندي من المسلمين، وكان جلّهم من البربر، وليس فيهم من الموالي والعرب إلاّ عدد قليل، وعندما علم طارق بضخامة جيش عدوّه لذريق ملك القوط، أرسل إلى موسى بن نصير يطلب المدد، فبعث إليه خمسة آلاف أخرى، فصار مجموع ما توافى عنده اثنا عشر ألف[2]

ورغم كون جلّ جيش طارق من البربر، فإنّ المصادر لا تحدثنا في هذه الفترة المبكّرة عن الانتماءات القبلية لهؤلاء، ذلك أنّ البربر لم يكونوا يقسّمون أنفسهم هذا التقسيم الحاد إلى بتر وبرانس، الذي ظهر فيما بعد، عندما سرت عدوى العصبية القبلية من العرب إلى البربر، وعندما بدأ البربر يستقلون بأنفسهم، ويقيمون الدول معتزّين بالعصبيات والأصول.[3]

وعقب الانتصارات التي حقّقها جيش طارق، بلغت الأخبار إلى برّ العدوة المغربية، عن كثرة الغنائم التي حصّلها جيش المسلمين، وعن ما تزخر به أرضها من خيرات، وعندئذ فتح باب الهجر ة على مصراعيه، فتدافع أهل برّ العدوة في دفعة ثانية نحو الأندلس،" وخرقوا البحر على كلّ ما قدروا عليه من مركب وقشر، فلحقوا بطارق".[4]

وسيتواصل تيار الهجرة دون انقطاع على مراحل بشكل جماعي أو بشكل فردي في عدّة دورات، اللّهم إذا استثنينا توقّف الهجرة بعد سنة 123هـ/741م بسبب ثورة البربر بالمغرب الأقصى سنة 122هـ/740م، التي تلتها موقعة بقدورة (غزوة

1- البيان المغرب، ج2،ص6.

2- حسين مؤنس، موسوعة تاريخ الأندلس، مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة، ط1، 1416هـ/1996م، ج1، ص17-18./ عبد الرحمن علي الحجّي، التاريخ الأندلسي، دار القلم- دمشق، ط4، 1415هـ/1994م، ص46-47.

3- حسين مؤنس، فجر الأندلس، ص421.

4- المقّري التلمساني، المصدر السابق، ج1، ص259.

الأشراف) سنة 123هـ، وفيها انتصر البربر على الجيش الأموي[1]، ولم ينج من هذه المعركة إلاّ تسعة آلاف ، تمكّنوا من الدخول إلى الأندلس فيما بعد بزعامة بلج بن بشر القشيري، فرجحت بذلك كفّة العرب، ودارت الدّائرة على البربر في الأندلس، الذين أعلنوا الثورة تأسّيا بإخوانهم في بلاد المغرب، لكنّ الهزيمة التي منيوا به ا قضت على ثورتهم[2]، ولم يكن أمامهم من حلّ سوى اللجوء إلى الثغور [3]، حيث الجبال العالية الممتنعة، كما لجأوا إلى المناطق الجنوبية القريبة من عدوتهم.

ولمّا كانت سنة 138هـ/755م أعاد عبد الرحمن الداخل أمجاد الدولة الأموية، التي قضى عليها العبّاسيون في المشرق سنة 132هـ/750م، بتأسيس الإمارة الأموية في الأندلس، وقد قامت هذه الإمارة على عاتق الجيش الذي استعان به عبد الرحمن الداخل، فغلب بهم أهل الأندلس، وكان جلّ هذا الجيش من البربر، الذين جلبهم معه أثناء جوازه إلى الأندلس، إلى جانب أولئك الذين انضمّ وا إليه من بربر الأندلس، فصار عددهم ثلاثون ألفا[4]، ثمّ سرعان ما قفز هذا العدد ليصل إلى أربعين ألفا [5]، وبطبيعة الحال شكّل معظم هؤلاء البربر جيش عبد الرّحمن بحكم علاقة النسب، التي كانت تربطه بهم من جهة، وتجنّبا للقبائل العربية التي كانت تقف في صفّ الثّائرين ضدّه من جهة أخرى . واستطاع بجيشه هذا الملتفّ حوله، المؤلّف من البربر والمماليك توحيد الأندلس سياسيا تحت زعامته.

وصفوة القول إنّ موجة الهجرة لسنة 138هـ/755م، دعّمت مركز السلطة الأموية بقرطبة، وإن كنّا لا نعلم حجم هذه الهجرة من حيث العدد، ففي كثير من

---

[1]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص242.

[2]- مجهول، فتح الأندلس، دراسة وتحقيق لويس مولينا، المجلس الأ على للأبحاث العلمية، الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي- مدريد، 1994، ص53./ مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري- القاهرة، دار الكتاب اللبناني- بيروت، ط2، 1410هـ/1989م، ص44./ ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص31.

[3]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص20-21.

[4]- ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري- القاهرة، دار الكتاب اللبناني- بيروت، ط2، 1410هـ/1989م، ص53.

[5]- مجهول، فتح الأندلس، ص104.

الأحيان لا تقدّم لنا المصادر التاريخية المعلومات المتعلّقة بعدد أفراد البربر ولا بالعناصر التي كانت تضمّها . غير أنّ اللاّفت للانتباه أ نّ البربر أُستخدموا كأداة لضرب الآخر بصفة عامّة، بسبب اضطراب الأوضاع السياسية في الأندلس . فإذا كان عبد الرحمن قد اعتمد عليهم، وارتكز بناء دولته عليهم أساسا، فإنّ كلّ خصم سياسي معارض للسلطة المركزية، كان يعتمد أيضا في جيشه على مرتزقة من البربر، للإطاحة بخصمه والظفر بالحكم، بداية من عهد عبد الرحمن الداخل، إلى عهد حفيده الحكم بن هشام سنة 182هـ/798م.(1)

والجدير بالملاحظة أنّ المصادر وإن كانت قد أشارت إلى هذه الهجرات، فإنّها لا تقدّم لنا أرقاما محدّدة، لعدد الذين اجتازوا العدوة المغربية، إلى العدوة الأندلسية واستقرّوا هناك، رغم أنّها تتفق على كون هذه الهجرات جماعية، وهو ما يعني أنّها كانت كثيرة العدد، ومن الأهمية بمكان، حتى استطاعت أن تقلب موازين القوّة، وتؤسّس لعهد جديد.

إلاّ أنّنا لا نجد كذلك في هذه المصادر ما يشفي غليلنا، إذا ما تعلّق الأمر بالإشارة إلى القبائل البربرية، التي صنعت أحداث هذه الهجرات بتفصيل يؤكّد نسبة مشاركة كلّ منها في هذه الهجرة أو تلك، وهو ما يجعلنا نحتمل أن تكون معظم القبائل البربرية بترية وبرنسية، قد هاجرت أعداد منها إلى الأندلس، خلال هذه الفترة لا سيما صنهاجة، إذ لم تكن هذه القبيلة بمع زل عن مجريات الأحداث، التي كانت تمرّ بها بلاد المغرب والأندلس، باعتبارها إحدى أهم القبائل البربرية، المتواجدة بقوّة في جميع أنحاء بلاد المغرب، من غدامس إلى المحيط الأطلسي، ومن سواحل البحر المتوسط إلى تخوم بلاد السودان.

والنتيجة التي يمكن الخروج بها بالنسب ة لهذه الفترة، هي أنّ المصادر التاريخية تحدثت عن الهجرة في إطارها العام، فذكرت لفظ البربر على الإطلاق، وأهملت التقييد والتخصيص، فلم تفصّل في مسألة انتماءات البربر، بإرجاعهم إلى

---

[1]- ينظر تفاصيل ذلك لدى : عبد القادر بوباية، المرجع السابق، ص 59-60./ محمد حقي، المرجع السابق، ص40-41.

قبائلهم، ولعلّ ذلك راجع إلى تعذّر حصولها على هذه التفاصيل بدقّة، بحكم مشاركة جلّ القبائل البربرية في هجرات طغى عليها الشكل الجماعي، ولم يكن فيها أفضلية قبيلة على غيرها بشكل واضح ومميّز، وأنّ ما ورد ذكره منها في المصادر، فهو على سبيل المثال لا على سبيل الحصر، الذي يلغي عدم تواجد القبائل الأخرى في هذه الهجرة نحو الأندلس.

ولم يتوقّف تيار الهجرة من المغرب نحو الأندلس في القرن 4هـ/10م، الذي شهد تحوّل الإمارة الأموية بالأندلس، إلى خلافة في فترات حكم عبد الرّحمن النّاصر وابنه الحكم المستنصر، ثمّ عهد المنصور محمد بن أبي عامر وولديه، إلى عهد الدولة المرابطية في المغرب والأندلس، ويؤكّد ذلك ما ذهب إليه ليفي بروفنسال بقوله :" استمرّ تيار الهجرة من المغرب نحو إسبانيا بشكل منتظم "[1]، وخلص حسين مؤنس إلى نفس الرأي بقوله :" أمّا البربر فقد كان تيار هجرتهم متّصلا"[2]، وهذا ما يعني أنّ تيار هجرة البربر نحو الأندلس ظلّ يتجدّد على الدوام ولم ينقطع أبدا.[3]

وإذا كانت النّصوص لا تتحدّث عن تواصل تيار الهجرة المغربية إلى الأندلس إلاّ فيما ندر، فإنّ قراءة ما بين سطور الأحداث تجعلنا نهتدي إلى هذه الحقيقة، فبالعودة - مثلا - إلى جوازات يوسف بن تاشفين إلى الأندلس، يمكننا أن نستنتج أنّ هذه الجوازات عرفت دخول الكثير من أبناء البربر الذين استقرّوا في الأندلس ولم يعودوا إلى المغرب، ولكنّنا لا نستطيع الجزم بذلك في غياب النّصوص التي تؤيّد ما نقول، إلاّ أنّنا نجد صاحب البيان المغرب في أخبار سنة 535هـ/1140م ينقل لنا نصّا في غاية الاختصار والأهمّية عن ابن حمادة يذكر فيه " أنّه في هذه السنة انجلى أهل المغرب انجلاء عظيما إلى الأندلس "[4]، ولعلّ السبب في هذا

---

1 -Lévi-Provençal Evariste, L’Espagne Musulmane au 10éme siècle, Edition Larose, Paris, 1932, P10.

2- فجر الأندلس، ص420.

3- خالد الصوفي ، تاريخ العرب في إسبانيا، المطبعة التعاونية- دمشق، 1959، ص33.

4 - ابن عذاري، المصدر السابق، ج4، ص98.

الانجلاء الكبير يعود إلى الصراع المحتدم الذي كان على أشدّه فوق أديم السّاحة المغربية ما بين المرابطين والموحدين في هذه الفترة بالذّات، وربّما فكّر هؤلاء المهاجرون في ملاذ آمن فيمّموا وجوههم شطر الأندلس الذي لم يكن يعيش حينئذ نفس الأجواء.

ولا يساورنا الشكّ في العدد الهائل الذي تدفّق من المهاجرين انطلاقا من المغرب إلى الأندلس، التي استقبلت هذه الهجرة، فعبارة النّص " الانجلاء العظيم " تعني ما تعنيه من الكثرة العددية، بالنّظر إلى ا لسبب الوجيه الذي ذكرناه، إلاّ أنّه مرّة أخرى نجد أنفسنا أمام نصّ مبهم لا يحدّثنا بالتدقيق عن نوعية هذه الهجرة، فبلفظ العموم يشير إلى هذه الهجرة العظيمة، لكنّه يضع القارئ في حيرة من أمره عندما يستفسر عن العناصر التي حوتها هذه الهجرة؟ ! والرّأي الذي نميل إليه بعد قراءتنا لهذا الحدث أنّ هذه الهجرة شملت عناصر مغربية مختلفة بربرية كانت أ م عربية، إلاّ أنّنا نرجّح أن يكون غالبية العناصر المتواجدة في هذه الهجرة من الصنهاجيين، على اعتبار أنّهم كانوا مستهدفين أكثر من غيرهم بسبب ولائهم للمرابطين، فتولّد عن ذلك ضغط رهيب لاحقهم في كلّ مكان من بلاد المغرب، وسعيا منهم إلى فضاء بعيد عن الموحدين وبلد آمن يأويهم اختاروا الأندلس وجهة لهم حتى تضع الحرب أوزارها.

والمؤكد في هجرات هذه الفترة الطويلة، من عهد الخلافة بقرطبة، إلى زوال الحكم المرابطي عن الأندلس، أنّها صارت نوعية ، حيث أشارت المصادر إلى الانتماءات القبلية، لهذه الهجرات في غالب الأحيان، سواء تعلّق الأمر بهجرات جماعية أو فردية.[1] إذا ما استثنينا هذه الهجرة التي حدثت في العهد المرابطي.

2.3- الاستقرار والمَواطن:

ركّزت الدّراسات الاستشراقية على فكرة استقرار البربر في المناطق الجبلية بشكل عام، تاركين المناطق السهلية للعرب، لا سيما المؤرخ الفرنسي ليفي

[1]- ينظر تفاصيل ذلك لدى: عبد القادر بوباية، المرجع السابق، صص61-79.

بروفنسال، الذي جعل مردّ ذلك إلى استئثار العرب بالأراضي الخصبة، وطرد البربر نحو الجبال والهضاب الجافّة.[1]

وتبنّت الدراسات العربية المشرقية هذه الفكرة، لكنها فسّرت ذلك بما يتناسب مع طبيعتهم في بلادهم، لا إلى طرد العرب لهم نحو هذه المناطق، لأنّ شبه الجزيرة الإيبيرية كانت تتسع لأضعاف ما نزل بها من العرب والبربر معا في هذه الفترة، ونظرا لكونهم يعيشون في بلادهم بالجبال العالية، فقد ألفوا مثل هذه البلاد في الأندلس، فاستقرّوا فيها باختيارهم.[2]

إلاّ أنّ بيار قيشار (Pierre Guichard) خالف هذه الفكرة متبنّيا رأيا وسطا، وقد دافع عن رأيه مستدلاّ بوجود البربر في مناطق سهلية، في حوض الوادي الكبير وسهول شرق الأندلس، وإن كان استقرارهم في المناطق الجبلية أكثر.[3]

ومن ثمّ فإنّه لا يمكن تعميم ظاهرة اضطرار البربر إلى الاستقرار في المناطق الجبلية والهضبية على كلّ البربر، وخير مثال على ذلك استقرار أسرة بني رزين ذات الأصول البربرية في كورة السهلة بشرق الأندلس، التي حملت اسمهم وصارت تعرف بسهلة بني رزين أو شنتمرية الشرق [4]. وعن هذه الكورة بالذات قال ابن عذاري :" وليس في بلد الثغر أخصب بقعة من سهلته المنسوبة إلى بني رزين".[5]

ومهما يكن من أمر فإنّ استقرار البربر شمل جميع أصقاع العدوة الأندلسية، مع وجود تباين في أعداد المستقرّين بها، ومنهم على وجه الخصوص الصنهاجيون، فأين كانت مواطن ومناطق استقرار هؤلاء؟

1-Levi-Provençal (E), op, cit,P23-25./Levi-Provençal (E), Histoire de L'Espagne Musulmane, G.P Paris Maisonneuve, Leyde, E.J. Brill, , 1950, TI, P88./ Dozy. R, recherches sur l'histoire et la littérature de l'Espagne pendant le moyen age, Paris, Maisonneuve, Leyde, E.J. Brill, 1881, Troisième édition revue et augmentée, T_1, pp118-119.

2- حسين، مؤنس، المرجع السابق، ص428-429. الحجّي، المرجع السابق، ص137-138.

3- Pierre Guichard, Structures Sociales " Orientales" et "Occidentales" dans L'Espagne Musulmane, Ecole des Hautes Etudes en Sciences Socials- Centre de Recherches Historiques, Mouton- Paris, La Haye, 1977, P225.

4- عبد القادر بوباية، المرجع السابق، ص113.

5- البيان المغرب، ج2، ص38.

3.3- مواطن صنهاجة بالأندلس:

استقرّت العديد من القبائل البربرية في شبه الجزيرة الإيبيرية، وتعدّ صنهاجة إحدى هذه القبائل التي كان لها وزنها، على السّاحة السياسية في المغرب والأندلس، ونجم عن ذلك تواجدها بصورة جلية، على الخريطة الجغرافية لبلاد الأندلس، منذ الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن 6هـ/12م.

أ- الصنهاجيون في الجنوب:

يعتبر كتاب جمهرة أنساب العرب، من أهمّ المصادر التاريخية الإسلامية المعاصرة للفترة قيد الدراسة، لكونه اهتمّ بذكر أنساب ومنازل كلّ العناصر التي كانت تسكن الأندلس إلى عصر مؤلّفه، وقد زوّدن ا بمعلومات قيّمة عن أنساب البربر، وكانت بعضها نادرة لا سيما ما تعلّق منها ب مواطن استقرارهم بالأندلس، ومن هؤلاء: بنو طاهر بن منّاع الذين ينتمون إلى صنهاجة[1]، وقد استقرّوا بأشونة (Osuna)، وهي من كورة استجة [2] (Ecija) وهي تقع على بعد أربعة وثلاثين كيلومترا إلى الجنوب من إستجة[3]، المدينة الواقعة بين الغرب والقبلة من قرطبة.[4]

وبأشونة سكن أيضا بنو عبد الوهاب الذين ينتمون إلى صنهاجة، وهم من ذرّية ميمون بن جميل ابن أخت طارق بن زياد، وكانت لهم ثروة وعدد، وبرز منهم قوّاد وكتّاب وفقهاء، لكنّهم خملوا في عهد ابن حزم ، فلم يبق منهم من يعرف إلاّ رجل واحد اسمه عبد الوهاب بن محمد بن عبد القدوس بن يوسف بن أحمد، هو اليوم خطيب جامع قرطبة.[5]

1- ابن حزم، المصدر السابق، ص502.

2- الرشاطي أبو محمد وابن خرّاط الإشبيلي، الأندلس في اقتباس الأنوار وفي اختصار اقتباس الأنوار، تقديم وتحقيق إميليو مولينا وخاثينتو بوسك بيلا، المج لس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي-مدريد، 1990، ص15./ الحميري، المصدر السابق، ص60.

3- عبد الواحد ذنون طه، المرجع السابق، ص264.

4- الرّشاطي وابن الخرّاط، المصدر السابق، ص101./ الحميري، المصدر السابق، ص53.

5- جمهرة أنساب العرب، ص502./ الإيلاني صالح بن عبد الحليم، مفاخر البربر، ص199.

ويحتمل هذا النصّ أن يكون بنو عبد الوهاب الصنهاجيين، من جملة البربر الأوائل الدّاخلين إلى الأندلس، خلال فترة الفتح أو عقبها بقليل، ويبدو أنّ دخولهم للأندلس قد تمّ في الدورة الهجرية الأولى للبربر، بعد أن تسامعوا بأخبار الفتح فلحقوا بجيش طارق بن زياد سنة 92هـ، هذا إن لم يكن قد دخل معه بعضهم في صفوف جيشه الفاتح، ذلك أنّ ابن حزم يشير إلى بروز قادة منهم. وقد تكاثروا عددا وكسبوا ثروة مفضّلين الاستقرار بشكل جماعي في مدينة أشونة، مع العلم أنّ هذا النّوع من الاستقرار كان خاصية، تميّزت بها المجتمعات القبلية خلال العصر الوسيط، وإن كان ذلك وُجد في العصور السّابقة واللاّحقة لهذا العصر، وكانت الغاية من ذلك تحقيق الحماية الكافية، التي تجعلها بمنأى عن أولئك الذين يريدون بأمنها شرّا.

كما برز منهم الكتّاب والفقهاء، وهو ما يعني أنّهم سجّلوا حضورهم القويّ في جميع مناحي الحياة بالأندلس، وللأسف الشديد أنّ ابن حزم لم يعرّفنا بمن عرف منهم، خلال هذه الفترة المتقدّمة من تاريخ الأندلس، ولعلّه قصد بذلك مجرّد الإشارة وعدم الإطالة، في التعريف بالعناصر التي سكنت الأندلس، حتى لا يخرج عن عنوان موضوع كتابه الرّئيس المتعلّق بالأنساب.

ويستفاد من هذا النصّ أيضا أنّ بني عبد الوهاب الذين كانوا من القوّة بمكان، بدليل كثرتهم وثروتهم ووجاهتهم في المجتمع الأندلسي، قد ضاع منهم هذا المجد على عهد ابن حزم الذي وصفهم بالخمول، فما تفسير ذلك يا ترى؟ وهل معنى ذلك أنّهم تعرّضوا إلى الحروب والفتن التي قامت بين العرب والبربر، فاستحال وضعهم من القوّة إلى الضعف، الذي جعلهم على هامش صناعة الأحداث، قانعين بالعيش الزهيد، بعد أن كانوا في عيش رغيد.

بالإضافة إلى ذلك هل يمكن إرجاع السبب فيما حدث لهم، إلى تغيّر ميزان القوّة في الأندلس؟ فرغم أنّنا لا نستطيع الجزم بذلك، إلاّ أنّ هذا الاحتمال وارد ويمكن ملاحظته في التاريخ الأندلسي، الذي يخبرنا ببروز قبائل جديدة لعبت

الأدوار الأولى، واستطاعت أن تحلّ محلّ تلك القبائل، التي كانت صاحبة الفضل في عملية فتح الأندلس، والتي قد يكون بنو عبد الوهاب الصنهاجيين جزءا منها.

وكان يقيم بإستجة وحولها بعض أفراد من صنهاجة[1]، وأورد بيار قيشار أنّ منطقة أشونة هي مثال عن المنازل التي تبربرت، وأنّ معظم ساكنتها كانوا أسرا بربرية تنتمي إلى صنهاجة ومصمودة[2]. وبمرور (Moron de la Frontera) استقرّ العديد من العناصر البربرية، ينتمي معظمها إلى البرانس، لعلّ البعض منهم كانوا من صنهاجة وفروعها لمطة وهسكورة وجزّولة [3]. كما عاش بنو درّاج الذين ينتمون إلى صنهاجة بقسطلة درّاج[4] (Castellón)، وهي قرية في غرب الأندلس[5]، الأندلس[5]، من أعمال جيّ ان[6] (Jaén) ، وربّما استقرّوا أيضا بمنطقة أندة [7] (Onda).

وأشار أسين بلاسيوس هو الآخر إلى أسماء الأماكن البربرية النّادرة بكورة جيّان، ومنها مكان يحمل اسم صنهاجة (Ceneja)[8] متواجد بقسطلة دراج، في حين حين اتخذ بعض أفراد صنهاجة وهوارة من جيّان وما حولها سكنا ومستقرّا لهم [9]. ويحتمل أن يعود حمل هذا الاسم إلى فترة استقرار بني زيري بالكورة أو إلى عهد

[1]- البيان المغرب، ج2، ص70./ عبد الواحد ذنون طه، المرجع نفسه، ص263.

[2] -Guichard (P), op, cit, P252.

[3]- عبد القادر بوباية، المرجع السابق، ص115./ ذنون طه، المرجع السابق، ص262.

[4]- ابن حزم، المصدر السابق، ص 501-502. الإيلاني، المصدر السابق، ص 199. Guichard (P), Le peuplement de la région de Valence aux deux premiers siècles de la domination Musulmane, in Mélanges de la casa de Velázquez, Tome 5, 1969, p.125.

[5]- الرشاطي وابن الخرّاط، المصدر السابق، ص186.

[6]- ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، ج2، ص60.

[7]- Guichard (P), op. cit, p.139.

[8]- Asin Palacios,contribución à la toponímia arabe de Espagña, imprenta de Estanislao Maestre, Madrid, 1940, p.102.

[9]- ابن حيّان القرطبي أبو مروان، كتاب المقتبس في تأريخ رجال الأندلس، نشره عن النسخة المخطوطة بالخزانة البدليانة بإكسفورد الأب ملتشور م. أنطونية، بولس كتنر الكتبي بباريس، 1937، ص25./ عبد الواحد ذنون طه، استقرار القبائل البربرية في الأندلس، مجلة أوراق، المعهد الإسباني العربي للثقافة- مدريد، العدد الرّابع، 1981، ص39./ نفس المؤلّف، الفتح والاستقرار...، ص267.

المرابطين خلال القرن 5هـ/11م[1]. وينفرد ذنون طه بخبر إقامة بني حبر الصنهاجيين في بلكونة[2] (Porcuna)، وهي قرية صغيرة بالق رب من مارتوس (Martos)، تقع إلى الجنوب من الطريق بين مدينتي قرطبة وجيّان.[3]

وفي تعريفه لغرناطة (Granada)، يصف الشريف الإدريسي هذه المدينة بقوله: " إنّها محدثة من أيّام الثوار بالأندلس، وإنّما كانت المدينة المقصودة إلبيرة (Elvira)، فخلت وانتقل أهلها منها إلى أغرناطة، ومدّنها وحصّن أسوارها وبنى قصبتها حبوّس الصنهاجي، ثم خلفه ابنه باديس، فكملت في أيّامه وعمرت إلى الآن "عصر المؤلّف"[4]. وذكر البكري أنّ كورة إلبيرة يوجد بها اسم مكان يدعى موضع الصنهاجيين.[5]

وكانت مدينة غرناطة مركز حكم بني زيري الصنهاجيين ، على عهد ملوك الطوائف، إذ بعد أن قام سليمان بن الحكم بن سليمان ابن الناصر لدين الله عبد الرحمن بالدخول إلى قصر قرطبة، في المرّة الثانية خلال سنة 403هـ/1012م، وانتقل منها إلى سكن الزهراء ورتّب الأمر، شرع في تقسيم بعض كور الأندلس على رؤساء القبائل البربرية، التي قدّمت له المساعدة وكانوا ستة، فأعطى صنهاجة منهم بني زيري بن منّاد إلبيرة.[6]

ويفهم من هذا النص أنّ غرناطة التي صارت دار ملك لبني زيري، وبنيت بأمر منهم كان معظم ساكنتها - على الأرجح – من صنهاجة بالدّرجة الأولى

---

[1]- محمد حقّي، المرجع السابق، هامش الصفحة 82.

[2]- ذنون طه، المرجع السابق، ص267./ وذكر المقدسي حصن بلكونة على أنّه مدينة بالأندلس، المقدسي أبو عبد الله محمد بن أحمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي- القاهرة، ط3، 1411هـ/ 1991م، ص28.

[3] - تقع على بعد أربعين ميلا من قرطبة، بينما تبعد جيان عن قرطبة بخمسين ميلا، وهي أقرب إلى جيان وهذا يعني أنّه ليس بينها وبين جيان سوى عشرة أميال. المقدسي، المصدر نفسه، ص234.

[4]- نزهة المشتاق، ج2، ص569./ نفس المؤلّف، المغرب والسودان ومصر والأندلس، ص203.

[5]- جغرافية الأندلس وأوربا من كتاب المسالك والممالك، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، دار الرّشاد- بيروت، ط1، 1968، ص128.

[6]- لسان الدين بن الخطيب السلماني، كتاب أعمال الأعلام، ص119.

وبعض القبائل البربرية، إلى جانب تواجد عر بي محترم وحضور يهودي مميّز، بمدينة تعايشت فيها مختلف الأعراق والديانات السماوية بحكم ما فرضته الظروف عليهم، إلى أن انكشف مخطّط اليهود للانفراد بحكم المدينة باسمهم، كما سيأتي تفصيل ذلك لاحقا عند الحديث عن مملكة بني زيري في غرناطة.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الجزيرة الخضراء (Algeciras) استقبلت أعدادا هائلة من البربر، منذ الفتح الإسلامي للأندلس، وصار للبربر إقليم خاص بهم في هذه الجزيرة، يعرف بـ" جزء البربر"[1]، ويؤيّد ذلك ما ذكره اليعقوبي بقوله :" نزلها – أي الجزيرة الخضراء- البربر وأخلاط من العرب قليل[2]، وإذا كان البربر يشكلون غالبية سكانها، فإنّ معظمهم كان من البرانس، حيث يذكر ابن حيّان ثورة حبيب البرنسي سنة 236هـ/750م في الجزيرة الخضراء[3]، وهو ما يدلّ ربّما على كثرة عددهم، التي وفّرت لهذا الثّائر أتباعا، يفترض أنّ أكثرهم كانوا من رهطه.

ومن ثمّ يمكن القول بأنّ الصنهاجيين كانوا يشكلون جزءا معتبرا من التواجد البرنسي بالجزيرة الخضراء، باعتبارهم إحدى القبائل البرنسية . ومن أهمّ الملاحظات التي نسجّلها عن استقرار البربر في جنوب الأندلس، هي الحضور القوي وكثافة عددهم وبالأخص صنهاجة، وهي من بين أهمّ المجموعات القبلية، الوارد ذكرها في المصادر التي أرّخت للتاريخ الأندلسي، منذ بداية الفتح إلى غاية التواجد المرابطي بالأندلس، حيث نجد بمدينة قادس الحالية (Gadiz) قلعة تحمل اسم كزّولة[4] (Gazules) نسبة إلى قبيلة جزّولة البربرية، التي من المحتمل أن يكون

[1]- ابن الدلائي أحمد بن عمر بن أنس العذري، نصوص عن الأندلس من ك تاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق عبد العزيز الأهواني، منشورات معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، 1965، ص120.

[2]- كتاب البلدان، ص193.

[3]- المقتبس من أنباء أهل الأندلس، حقّقه وقدّم له وعلّق عليه محمود علي مكي، دار الكتاب العربي- بيروت، 1393هـ/1973م، ص7./ ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص89-90.

[4]- Asin Palacios, op. cit, p.107.

استقرارها في هذا المكان قد ح دث في وقت متأخّر، صاحب الوجود المرابطي في الأندلس، وحينئذ ظهرت التسمية للدلالة على تواجد هذه القبيلة بالمنطقة.[1]

ب- مواطن الصنهاجيين في الشرق:

يعدّ شرق الأندلس من المناطق التي نزلت بها أعداد هائلة من البربر، واتخذوها مستقرّا لهم، لا سيما منطقتي بلنسية (Valencia) وتدمير (Tudemir) التي سمّيت باسم صاحبها (Theodomiro)، إنّما كان يقال لها أريولة [2] (Orihuela)، وقاعدتها مرسية[3] (Murcia)، وتعود أصول بربر هذه المناطق إلى البتر والبرانس، وقد كان غالبية البرانس من صنهاجة وأوربة وكتامة وهوارة ومصمودة [4]. كما سكن بربر صنهاجة في أماكن مختلفة من ضمنها مرسية، التي استقرّ فيها بعض أفرادهم، وقد أورد مجهول ذكر بلاد الأندلس نصّا قال فيه:" والمغناطيس الجاذب للحديد يوجد بالأندلس بموضع يعرف بالصنهاجيين من كورة مرسية".[5]

بينما أقام البعض الآخر منهم في مناطق قسطليون (Castellón) ولقنت (Alicante) في مواضع ما تزال إلى يومنا هذا تحمل أسماء تنسب إلى قبيلتهم مثل : (Ceneja) و(Soneja) في مقاطعة قسطليون[6] (Castellón de la plana) و(Senija) و(Senija) في مقاطعة لقنت (Alicante)[7]. ويبدو أنّ عناصر من زناتة وصنهاجة على وجه التحديد، دخلت الأندلس مع المر ابطين ثمّ الموحدين ما بين القرنين 5

1- ذنون طه ، المرجع السابق، ص261./ محمد حقي، المرجع السابق، ص80.

2- Don Pascual De Gayangos, Memoria Sobre la Autenticidad de la crónica Denominada del Moro Rasis, Leida, en la Real Academia de la Historia, Madrid. 1850 , p70.

3- الحميري، المصدر السابق، ص539.

4- Madoz Pascual, Diccionario geográfico-estadístico-historico de España y sus posesiones de ultramar, Madrid, 1846, TVI, p.308./ ينظر أيضا ذنون طه، المرجع السابق، ص275.

5- مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، تحقيق وترجمة لويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، المعهد ميغيل أسين- مدريد، 1983، ج1، ص14.

6- ابن حزم، المصدر السابق، ص501-502./ Palacios, op. cit, p.88.

7- Madoz, op.cit, Madrid, 1849, TXIV, p.170./ Palacios, op.cit, p.134./ Guichard (P), Le peuplement de la région de Valence, p.121.

و6هـ/11 و12م، واستقرّت في شرق بلاد الأندلس في المنطقة التي تمثل حاليا بلنسية ولقنت.[1]

وأورد قيشار أمثلة عن أسماء مواقع حالية بمقاطعة قسطليون في السهول، نجد بها على سبيل المثال سهل إيكسو (Val d'uxo) الواقع إلى الشمال من شاقونت (Sagonte) على بعد عشرين كيلومترا بحذاء سهل جبال سييرا إيسليدا (La Sierra d'eslida) المروي، أين نجد مجموعة من القرى تحمل أسماء ذات أصول بربرية من بينها (Ceneja) و(Zeneta) ، التي تعود إلى أصل قبيلتي صنهاجة وزناتة.[2]

وعلّق في الحاشية رقم 99 بأنّ اسم (Le Senija) المتواجد بالقرب من لقنت، نعثر عليه في وثائق القرن 7هـ/13م باسم (Alçinhadjiyin) أو(Les Sinhadjiens) ضمن أرشيف تاج أراغون وبرشلونة، سجّل السفارة:n°15, f°105 v°- 106 r°. كما يضيف أنّه يوجد اسم موضع جغرافي آخر في Le val d'uxo حيث تحمل قرية اسم (Soneja) وهي قريبة م ن (Segorbe) ببلنسية بمقاطعة قسطليون، وتوجد قرية أخرى باسم (Cehigin) بمقاطعة مرسية، وثالثة بمرينة (La Marina)، ولا شك أنّها ذات علاقة بالاسم القديم الصنهاجيين[3] (Al-Sinhadjiyin).

وأورد محمد حقي أنّ بني القاسم من زواوة الكتامية الصنهاجية ، قد استقرّوا في البنت (Alpuente)، والواقع أنّ بني القاسم حسب ما ذكره ابن خلدون لا ينتسبون إلى صنهاجة، ذلك أنّ نسّابة البربر يعدّونهم من سمكان بن يحي بن ضري بن زحيك بن مادغيس، وأقرب ما إليهم من البرابر زناتة [4]، ويستثني ابن خلدون من بطون زواوة الكتامية بني مليكش بقوله:" إنّهم من صنهاجة والله أعلم"[5]، بينما

---

[1]- Guichard, op.cit, p.122.
[2]- Guichard, Structures Sociales, p. 337-339.
[3]- Ibid; p.280.voir aussi son article : Le Peuplement de la Région de Valence, p.122, note n°1.
[4]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص168./ عبد الوهاب بن منصور، المرجع السابق، ج1، ص318-321./ Guichard,Le peuplement de la région de Valence, p.130.
[5]- ابن خلدون، نفس الجزء والصفحة.

عدّ أبو راس الناصري زواوة من صنهاجة ولم يستثن منهم أيّ بطن، واعتبر أهل الجبل المطلّ على تادلا وأهل الجبل المطلّ على دلّس أعزّهم جانبا.[1]

ج- مواطن الصنهاجيين في الغرب والشمال والشمال الغربي:

سكنت مجمو عات من البربر تنتمي إلى البرانس المنطقة الغربية، التي عرفت عند المؤرّخين بأرض الجوف، وشكّل البربر في هذه المنطقة غالبية ساكنتها، حيث ذكر ابن حيّان بأنّ " أرض الجوف كانت بلاد البربر"[2]، ويوجد بها مكان يقع إلى الشمال الشرقي من شنترين، ما يزال يحمل اسم (Pernes) نسبة إليهم.[3]

ومن منازل البربر الصنهاجيين في هذه المنطقة، التي ذكرها سيزار دوبلر في بحثه عن أسماء المواضع الإسبانية، التي يمكن ردّها إلى أصل بربري (Azinhaga) في البرتغال نسبة إلى صنهاجة [4]، كما استقرّت أعداد كبيرة من البربر في الشمال والشمال الغربي، ينتمون إلى مختلف القبائل في جليقية وإستورقة وشرطانية غرب جبال البرت.[5]

وقد سميت سلسلة جبال البرانس (Sierrade Bornes) و(Bornes) في الشمال الشرقي من دولة البرتغال و(Albornos) بناحية آبلة (Avia) نسبة إلى فرع البربر البرانس، الذين شكّلوا غالبية البربر المستقرّين في هذه المناطق الجبلية بحكم التشابه الكبير بينها وبين مواطن استقرارهم الأصلية في شمال إفريقيا [6]، ونجد أيضا هذه

[1] - أبو راس النّاصري محمّد بن أحمد، المرجع السّابق، ج1، ص102-103.
[2]- المقتبس، نشر الأب ملشور أنطونية ، ص139.
[3]- ذنون طه ، المرجه السابق، ص273.
[4]-Césare E. Dubler, « Uber Berbersiedlungen auf der Iberiscben Halbinsel » Separatdruck aus “Sache ort und wort”, Festschrift Jakob Jud, وهو عدد من Romanica Helvetica, Band 20, Zuerich-Genf, 1943, pp.183-196. Voir aussi la critique qui a été écrit par Jaime Oliver Assin in Al-Andalus Revista de las Escuelas de Estudios Arabes de Madrid y Granada, Imprenta de la Viuda de Estanislao, Maestre Pozas, Madrid, Volumen VIII, Madrid- Granada, 1943, Reprint Schmidt Periodicals GMBH, Bad Feilnbach, W.Germany, 1989, pp 262-267. /423 وحسين مؤنس، فجر الأندلس، ص423.
[5]- Saavedra Eduardo, op. cit, p.70.
[6]- Mados, op. cit, 1845, TI, p.335.

التسمية (Albornos) و(Albornoz) في مدن أفيلا (Avila)، قرطبة (Cordoba) وإشبيلية (Sevilla) الإسبانية.[1]

وشكّل الصنهاجيون جزءا من بعض العنا صر البربرية، التي نزلت في الشمال الشرقي من بلاد الأندلس، فقد أقام عدد منهم إلى جانب قبائل أخرى مثل نفزة ومكناسة وزواغة وهوارة[2]، وفي مدينة سرقسطة يوجد إلى يومنا هذا حيّ أخذ اسمه من صنهاجة [3]. وفي وادي الحجارة (Guadalajara) التي كانت تعرف في القديم بمدينة الفرج- وهي بين الجوف والشرق من قرطبة، وبينها وبين طليطلة خمسة وستون ميلا[4]- عناصر بربرية تنتمي إلى قبائل مختلفة ومن بينها صنهاجة، حيث يذكر اليعقوبي أنّه كان عليها رجل من البربر يقال له منتيل بن فرج الصنهاجي، الذي كان يدعو لبني أمية، ثمّ صار ولده وذريته من بعده إلى هذه الغاية في البلد [5]. وتنتسب مدينة الفرج إلى جعفر المعروف بالتميمي، ورهطه هم بني جعفر، وهو تميم بن عبد الله بن محمد بن يوسف بن الفرج، من موالي بني مخزوم.[6]

ويدلّ هذا النص بوضوح على التواجد البربري الكثيف بهذه المدينة، وعلى رأسهم قبيلة صنهاجة ، التي يحتمل جدّا أنّها كانت تمثّل غالبية البربر بهذا الثغر، حسب النظرية الخلدونية التي تؤكّد أنّ المغالبة والممانعة إنّما تكون بالعصبية لما فيها من النّعرة والتذامر واستماتة كلّ واحد منهم دون صاحبه [7]. وهو ما يفسّر تواجد رجل من صنهاجة على رأس البربر في وادي الحجارة بحكم عصبيته.

---

1 - Asin Palacios, op. cit, p.49-50.

2- الإصطخري أبو إسحاق إبراهيم، كتاب الأقاليم، نشر مويلير، غوته، 1939، ص23./ نفس المؤلّف، مسالك الممالك، مطبع بريل، مدينة ليدن المحروسة، 1870، ص 44./ الإدريسي، نزهة المشتاق، ج 2، ص 555. Palacios , op.cit, p.80 y121. /. ذنون طه، المرجع السابق، ص277.

3- Guichard (P), op.cit, p.274./ Helena de Felipe, op. cit, p.338.

4- الحميري، المصدر السابق، ص606./ Don Pascual De Gayangos, op. cit, p.48.

5- البلدان، ص194.

6- ابن حزم الأندلسي، المصدر السابق، ص501.

7- ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص193.

وفي هذا الإطار تحدّث السيّد قيشار عن زعماء البربر الصنهاجيين بوادي الحجارة فقال:" إنّ الاسم وحده كاف للدلالة على الأصول العرقية "[1]، وذكر في موطن آخر أنّ تسمية وادي الحجارة ترد كثيرا في علم الأنساب الإسباني- العربي، وقد ظهرت في وقت مبكّر ككنية لمصمودة أو صنهاجة التي حكمت وادي الحجارة حتى القرن 10م.[2]

د- مواطن الصنهاجيين في وسط الأندلس(قرطبة وذواتها):

ومن الصنهاجيين الذين عاشوا بالأندلس بنو الغليظ[3]، الذين لم يشر ابن حزم حزم إلى مكان استقرارهم، ومن المحتمل أن يكون موطنهم بالمناطق الوس طى من بلاد الأندلس. حيث ذكر الضبّي " أنّ عمر بن شعيب أبو حفص المعروف بالغليظ البلوطي، من أعمال فحص البلوط المجاور لقرطبة، ذكره أبو محمد بن حزم وقال : إنّه كان من فلّ الربضيين، وأنّه الذي غزا إقريطش [4] وافتتحها بعد 230هـ/845م وتداولها بنوه بعده إلى أن كان آ خرهم عبد العزيز بن شعيب، الذي غنمها في أيّامه أرمانوس بن قسطنطين ملك الرّوم سنة 350هـ[5]/961م ". ويؤكّد ياقوت الحموي أنّ عمر بن شعيب هذا، كان يعرف بابن الغليظ، وأنّه من أهل قرية بُطروح من عمل فحص البلوط بالأندلس.[6]

وتميزت قرطبة عن غيرها من المدن الأندلسي ة، منذ أن أصبحت عاصمة الإمارة الأموية، حيث شدّت إليها الأنظار، فقصدها أهل السيف طلبا للتجنيد،

1- Guichard (p), op.cit, p.329.
2- Ibid, Note nº 48, p.344.

3- جمهرة الأنساب، ص501. الإيلاني، نفس المصدر والصفحة.
4- جزيرة في بحر المغرب، يقابلها من برّ إفريقيا لوبيا . ياقوت الحموي، معجم البلدان، طبعة جديدة مصححة ومنقحة، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي- بيروت، (د،ت)، م1، ص190./ وقال ابن خلدون: هي جزيرة من جزر البحر الرومي، ما بين صقلية وقبرص في مقابلة الإسكندرية . ينظر العبر، ج4، ص270./ ينظر أيضا مادة: Ikritish: لدى: M.Canard, The Encyclopaedia of Islam, New Edition, Leiden- E.J.Brill, London, Luzac & Co, 1986, volume III, P.1083.
5- الضبّي، المصدر السابق، ترجمة رقم 1165، ص356.
6- ياقوت الحموي، المصدر السابق، م 1، ص190-191./ الأمير شكيب أرسلان، تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط، دار الكتب العلمية- بيروت، 1352هـ/1933م، ص144.

وأهل القلم طلبا للعلم، وكانت أبواب الرّزق فيها أوسع من غيرها . ومن الطبيعي جدّا أن نجد فيها استقرار البربر بكلّ جهاتها، باعتبارهم أوّل الدّاخلين وأكثر الفاتحين والأقرب ديارا من الأندلس، وكان معظمهم ينتمون إلى قبائل زناتة ونفزة وصنهاجة ومصمودة.[1]

وما من شكّ أنّ أكثر البربر الذين استقرّوا بها، كانوا من أهل الحاضرة في بلادهم الأصلية، لأنّ الإنسان بطبيعته يميل إلى الاستقرار في المدن، إن كان من أهل الحاضرة، وإن كان من أهل البادية فإنّه يفضّل العيش والاستقرار بالبوادي [2]، وينقل إلينا ابن الخطيب نصّا عن ابن حزم يقول فيه :" إنّ الأرباض الغربية من مدينة قرطبة كانت منازل البرابر "[3]. وبطبيعة الحال كان الصنهاجيون يشكلون بعضا من هؤلاء، وإن كان النص جاء بلفظ العموم، فلم يخصّص أيّا من القبائل بحدّ ذاتها، إذ أنّ عبارة " منازل البرابر" تدلّ على أنّها كانت آهلة بهم، وهو ما يحتمل وجود مجموعات وعناصر بربرية مختلفة القبائل.

ويشير ابن حيّان في أخبار سنة 362هـ/972م بوضوح إلى قدوم إبراهيم بن مسهول الصنهاجي ومحمد بن خلف الكتام ي، وجهان من وجوه قومهما في نفر من أصحابهما، على الخليفة الحكم المستنصر بالله، الذي قبل وفادتهم ورحّب بهم وأنزلهم مدينة قرطبة.[4]

ويذكر ابن خلدون أنّ المنصور بن أبي عامر " استدعى أهل العدوة من رجال زناتة والبرابرة، فرتّب منهم جندا، واصطنع أولياء وعرّف عرفا ء من صنهاجة ومغراوة وبني يفرن وبني برزال ومكناسة وغيرهم، فتغلّب على هشام

[1]- عبد القادر بوباية، المرجع السابق، ص119-120.
[2]- ابن الأحمر إسماعيل، المصدر السابق، ص25.
[3]- أعمال الأعلام، ص106./ ينظر أيضا ابن حزم، طوق الحمامة في الأُلفة والأُلاّف، حققه وشرح غامضه عبد القادر محمد مايو، ط 1، دار القلم العربي، دار الرّفاعي- حلب، 1424هـ/2004م، ص91./ ابن عذاري، ج3، ص51.
[4]- المقتبس، شرح صلاح الدين الهواري، ص79.

المؤيّد وحجره واستولى على الدولة[1]، وتجدر الإشارة إلى أنّ جماعة من صنهاجة دخلت الأندلس، مع شيخهم وأميرهم زاوي بن زيري بن منّاد سنة 391هـ/1001م، على المنصور بن أبي عامر، فرارا من الحرب التي فرّقت أخوّة الصنهاجيين، وحوّلتها إلى عداوة استحكمت فيهم، بعد تأسيس الدولة الحمّادية، على يد حمّاد بن بلقين، فأكرم المنصور مثواهم واصطنعهم واتخذهم بطانة دولته.[2]

ومن النصوص السّابقة الذكر نستنتج أنّ هؤلاء الصنهاجيين، الذين قدموا إلى قرطبة استقرّوا مع أسرهم بها، وإن كانت الحاجة إليهم تستدعي عدم بقائهم فيها، باعتبارهم أجناد يستعان بهم على الكريهة، وحيثما كانت نار الفتنة لإطفاء لهيبها وإخماد بذورها.

كما نستنتج أنّ الصنهاجيين أصبحوا يشكّلون قوة ضاربة منذ عهد الخليفة الحكم المستنصر، ثمّ عهد المنصور محمد بن أبي عامر، وسيؤدّي هذا إلى بروزهم في الأحداث السياسية المعروفة بفتنة القرن 5ه-/11م، كإحدى أهمّ القبائل البربرية الستّة، التي وقفت في صفّ سليمان بن الحكم بن سليمان ابن الناصر لدين الله عبد الرّحمن في المرّة الثانية، والتي دخل على إثرها إلى قرطبة، ثمّ انتقل إلى سكنى الزهراء، فكافأ بني زيري بكورة إلبيرة وجيان، بعد أن استأثر بها زاوي بن زيري.

وجملة القول إنّه برزت إزاء منشأ صنهاجة نظريتان متناقضتان: تبنّى وروّج لأولاهما علماء الأنساب العرب، مدّعين حميرية صنهاجة بروايات فيها من الخلط ما يجعل حجّتها ضعيفة، ذلك أنّ كلّ ما ورد بشأنها من الأدلّة أخبار واهية يمكن مقابلتها بأدلّة علمية منطقية تؤكّد بطلان هذا الإدّعاء.

أمّا النظرية الثّانية، فإنّها تقول بإنكار المحقّقين من نسّابة البربر حميرية صنهاجة وكتامة، جازمين بكونهما قبيلتان عريقتان في البربر، وقد تبنّاها فريق من

---

[1]- العبر، ج4، ص189.

[2]- المصدر نفسه، ج 7، ص46./ ابن عذاري، المصدر السابق، تحقيق ومراجعة ج . س. كولان و إ . ليفي بروفنسال، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 2009، ج3، ص263./ الأمير عبد الله بن بلقّين، المصدر السا بق، ص57.

المؤرّخين المغاربة، الذين رفضوا ما جاء بشأن ذلك من الأساطير، فحكّموا العقل بالارتكاز على أقرب الأدلّة إلى المنطق السليم.

لم تستطع المصادر إحصاء بطون صنهاجة بأسمائها كلّها، رغم أنّها تتّفق بأنّها تنتهي إلى سبعين بطنا، ولا يُعرف عن بعضها إلاّ أقلّ القل يل من المعلومات، وقد استقرّت صنهاجة عبر الشريط الساحلي للبحر المتوسط، من إفريقية إلى طنجة بالمغرب الأقصى مرورا بالغرب الأوسط، وتمكن صنهاجيو الشمال من تأسيس الدولتين الزيرية والحمّادية، اللّتين حكمتا تونس وأجزاء من الجزائر الحالية، بينما استقرّ إخوانهم فرع الصحراء في الجنوب بين طرابلس والمحيط الأطلسي، وكانوا قبائل تمكّنت أشهرها وهي : لمتونة من توحيد بقية القبائل الصنهاجية في دولة قويّة حكمت المغرب والأندلس مدّة من الزّمن، ووقفت في وجه النصارى رافعة شعار الجهاد الذي أكسبهم احترام العدوّ قبل الصّديق.

يعتبر الصنهاجيون بضمن المجموعات البربرية التي هاجرت إلى الأندلس، بداية من الفتح وإلى غاية القرن 6هـ/12م، وأكّدت المصادر والدراسات الحديثة أنّهم استقرّوا بشرق الأندلس وبغربها وشمالها وشمالها الغربي، وكان لهم حضور في موسطتها (قرطبة وذواتها)، وكان أكثر استقرارهم بالجن وب لقربه من عدوتهم ولاعتبارات أخرى، والشواهد على ذلك كثيرة من النصوص وأسماء الأماكن التي حملت اسمهم، كدلالة على نزولهم هنا وهناك في مختلف المناطق السّابقة الذكر .



الفصل الأول:
الدور السياسي لصنهاجة في الأندلس
من القرن **4**إلى نهاية القرن **6**هـ/**10** إلى **12**م

1- الصنهاجيون خلال الفتح وعهد الولاة في الأندلس (92-138هـ/711-756م).

2- الصنهاجيون خلال عهد الإمارة الأموية بالأندلس(138-316هـ/756-929م).

3- الصنهاجيون خلال عهد الخلافة الأموية بالأندلس (316-422هـ/929-1031م).

4- الصنهاجيون بالأندلس على عهد ملوك الطوائف (422- 484هـ/1031- 1091م).

5- الصنهاجيون بالأندلس على عهد المرابطين (479-541هـ/1086-1146م)

- الصنهاجيون خلال الفتح وعهد الولاّة في الأندلس: (92-138هـ/711-756م)

1.1- مدخل إلى عصر الولاّة:

تتفق جلّ المصادر الإسلامية التي أرّخت للأندلس على أنّ مرحلة فتح الأندلس واستكماله من قبل طارق بن زياد وقائده موسى بن نصير، تبدأ من حملة الدخول إلى الجزيرة الخضراء بالنزول على صخرة جبل طارق التي حملت اسمه سنة 92هـ/ 711م[1]، وما أعقبها من فتوحات إلى مغادرتهما معا إلى الشّام مع نهاية سنة 95هـ[2]/ 714م استجابة لأمر الخليفة الوليد بن عبد الملك (86-96هـ/705-714م) بالحضور إلى مقابلته، وستدخل الأندلس بعد رحيلهما مرحلة جديدة اصطلح على تسميتها بعصر الولاّة بداية من سنة 95هـ/755م - أي من تعيين عبد العزيز بن موسى بن نصير أوّل وال على الأندلس- إلى تأسيس الإمارة الأموية بهذا الصّقع على يد عبد الرحمن الدّاخل سنة 138هـ/756م، وكان عدد من تولّى إدارة الشؤون السياسية للأندلس حينئذ عشرين واليا[3]، آخرهم يوسف بن عبد الرحمن الفهري.

ويُذكر أنّ تعيين الولاّة كان من قبل الخلفاء الأمويّين بكتاب من دمشق، أو من لدن ولاّتهم على إفريقية، كما فرضت ظروف الأندلس نفسها في تعيين بعض الولاّة، نزولا عند رغبة الفئة الغالبة من الأندلسيين، أو بناء على موافقة غالبية أهلها.

وتميّز عصر الولاّة على مدار إثنين وأربعين سنة بأوضاع سياسية داخلية مضطربة اصطلى بنار حرّها أهل الأندلس، حيث تعاقب على الولاية بعد مقتل عبد

[1]- ابن حبيب عبد الملك، كتاب التاريخ، وضع حواشيه سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1420هـ/1999م، ص124./ ابن الكردبوس عبد الملك التوزري، الاكتفاء في أخبار الخلفاء، تحقيق عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 2009، ج1، ص292./ ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص6./ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص150./ عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص16./ السلاوي، الاستقصا، ج1، ص153.

[2]- ابن الكردبوس، المصدر السابق، ج 1، ص297./ ابن عذاري، المصدر السابق، ج 2، ص19./ المقّري التلمساني، المصدر السابق، ج1، ص279.

[3]- المقّري، المصدر نفسه، ج1، ص249./ ابن الخطيب لسان الدين، أعمال الأعلام، ص 6-7./ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص151-154.

العزيز بن موسى ولاّة لم تتعدّى مدّة حكمهم بضعة أشهر، باستثناء عقبة بن الحجّاج السّلولي، الذي تجاوزت فترة ولايته خمس سنين[1]، في حين كانت خاتمة هذا العصر أطول ولاية، إذ تجاوزت فترة ولاية عبد الرحمن الفهري تسعة أعوام (128-138هـ/745-755م)[2].

واستحكمت العصبية والنّعرات القبلية في الصّراع، الذي بدأ بين العرب مضرية ويمنية، وبين العرب البلديين والعرب الشاميين حول أجود مناطق الاستقرار[3]، وانتقل هذا الصّراع من العرب ليشمل البربر، الذين همّشوا فثاروا على العرب لما استأثروا به دونهم من مغانم السّيادة والحكم، فكانت ثورتهم على أسباب التهميش لإثبات ندّيتهم للعرب [4]، وكانوا يرون أنّهم قدّموا مساهمة لا تقلّ عن مساهمة العرب في الفتوحات السّابقة، وكانوا يشكون من معاملة العرب لهم [5]، وتسبّب ذلك في حالة من الفوضى وانعدام الأمن، ولم تعد الأمور إلى مجاريها إلاّ بعد قيام الإمارة الأموية بالأندلس، التي فرضت النظام بالقوّة، وحاربت المنتزين عن سلطتها، فاستتبّ الأمن نسبيّا، رغم أنّه لم يذعن لها أهل الأندلس إلاّ في عهود أمرائها الأقوياء.

كما شهد هذا العصر مواصلة عملية الفتوحات الإسلامية على الصّعيد الخارجي، حيث كثّف بعض ولاّة الأندلس حملاتهم ما وراء جبال البرانس، مستهدفين بلاد غالة (La Gaule) أي فرنسا، ولم يتوقّف إصرار الزّحف الإسلامي على هذه البلاد إلاّ عقب هزيمة المسلمين في معركة بلاط الشهداء (114هـ/732م)، التي وضعت حدّا للتفكير في تحقيق مزيد من التقدّم في الأرض الكبرى[6].

---

[1]- مجهول، فتح الأندلس، تحقيق لويس مولينا، ص49-51.
[2]- المصدر نفسه، ص65-66.
[3]- ابن القوطية، المصدر السابق، ص297.
[4]- محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول- القسم الأول، ص122./ مونتغمري وات، في تاريخ إسبانيا الإسلامية (مع فصل في الأدب بقلم بيير كاكيا)، ترجمة المصري محمد رضا، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر- بيروت، ط2، 1998، ص41.
[5]- M. Reinaud, Invasions des Sarrazins en France et de France en Savoie, en Piémont et dans la Suisse Pendant les 8^{e}, 9^{e} et 10^{e} siècles de notre ère, D'après Les auteurs Chrétiens et Mahométans, Librairie Orientale de V^{e} Dondey- Dupré, Paris, 1836, P.72.
[6]- عبد الرحمن علي الحجي ، المرجع السابق، ص198.

مع الإشارة إلى أنّه تمّ تسجيل محاولات جادّة للحفاظ على المناطق المفتتحة في جنوبها، حتّى لا تضيع من أيدي المسلمين عقب ذلك [1]، واستمرّ بقاء المسلمين بمملكة البروفانس (Provence) قرابة مائة عام، ولم ينجح الكونت غلي وم (Guillaume) في طردهم من جنوب غالة "البروفانس" وما حولها إلاّ في أواخر القرن العاشر.

2.1- الدور السياسي لصنهاجة خلال الفتح وعهد الولاّة في الأندلس:

إنّ الحديث عن الدور السياسي الذي لعبته قبيلة صنهاجة كبير الأهمية، باعتبار هذه القبيلة إحدى أبرز القبائل البربرية التي تركت بصماتها بقوّة في التاريخ الأندلسي ، خصوصا في عصر الخلافة وما بعدها، الأمر الذي يجعلنا كباحثين نتساءل عن دورها في صناعة الأحداث، التي كانت تجري في الفضاء الأندلسي منذ الفتح ، ومرورا بعهد الولاّة إلى عصر الإمارة الأموية . فهل كان لها دور خلا ل المراحل المذكورة؟

بادئ ذي بدء نشير إلى صعوبة الإجابة عن هذا السؤال في غياب المادة، التي تجعل بحثنا عن الحقائق المتّصلة بهذه الأحداث مهمّة شبه مستحيلة، ذلك أنّ المصادر العربية الإسلامية التي أرّخت لفتح الأندلس وعصر الولاّة يكتنفها الكثير من الغموض، فيما يتعلّق بانتماءات البربر القبلية خلال هذه المرحلة بالذّات، فهي إمّا صامتة صمتا مطلقا بشأنها، أو أنّها تمرّ عليها مرّ السحاب مشيرة باقتضاب وإيجاز لا يفيان بالغرض، بحيث لم نقف في أيّ المصادر العربية التي بين أيدينا على أصل لهذه التفاصيل إلاّ فيما ندر.

فالمصادر العربية لم تأخذ في الحسبان نسب البربر في عرضها للأحداث التي دوّنتها عن الأندلس وخاصّة في المراحل الأولى، ولعلّها لم توله نفس الأهمّية التي كانت توليها لنسب العرب، نظرا لجهلها بتفاصيل موضوع نسب البربر، ويمكن أن نلمس ذلك من خلال ما كانت تورده من تفاصيل بشأن عرب الأندلس، حيث كانت في العادة تذكر لنا نسب صانعي الأحداث، بردّهم إلى القبائل التي

---

[1]- المرجع نفسه، ص202.

ينتمون إليها، سواء كانت قيسية أو كلبية، حجازية أو شامية . وقد يعزى ذلك إلى معرفة العرب لموضوع نسبهم الذي كان علما قائما بذاته، يشترك في معرفته الخاصّة والعامّة منهم، وربّما سهّلت قلّة تواجدهم في الأندلس - مقارنة بالبربر- مهمّة المؤرّخين في معرفة أدقّ تفاصيلهم، ناهيك عن الاقتراب منهم الذي سمح بمعرفة كلّ شاردة وواردة عنهم.

وبالموازاة مع ذلك سهّل قرب الأندلس من بلاد المغرب دخول واستقرار البربر إليها بأعداد كثيرة، وكان انتماؤهم بطبيعة الحال إلى مختلف القبائل البربرية وفروعها، ولعلّ عدم اقتراب المؤرّخين منهم لفهم حقيقة نسبهم وفروع قبائلهم في المراحل الأولى من الفتح وما تلاه، كان من أسباب تعتيم صورتهم وتقديمهم وفق رؤية هؤلاء المؤرّخين العرب من زاوية أحادية تفتقد إلى المصداقية العلمية.

فعندما يتعلّق الأمر بالبربر يبدو جهلها واضحا فيما يتّصل بنسبهم، إذ لا تورد لنا إلاّ معلومات مقتضبة لا تتعدّى في أحسن الأحوال ردّهم إلى جذمين، كما عبّر ابن عبد الحكم عن خروج موسى بن نصير في غزوته إلى طنجة، فقال : " وهو أوّل من نزل طنجة من الولاّة، وبها من البربر بطون من البتر والبرانس "[1]. وسنجد ذلك يتكرّر في كثير من الأحداث التي كان وراءها البربر في الأندلس، مع فارق بسيط بحيث تشير بشيء من التدقيق، إمّا بكون المقصود بالحدث بتريا أو برنسيا.

وإذا كنّا نجد في بعض الأخبار ذكرا لاسم القبيلة التي ينتمي إليها بعض القادة، الذين فرضوا أنفسهم على مسرح الأحداث، كطارق بن زياد الذي أشارت إلى نسبه أصحّ المصادر بأنّه بربري من نفزة[2]، فإنّ السواد الأعظم من البربر الذين تشكّل منهم جيشه، ودخلوا معه إلى الأندلس برسم الجهاد في سبيل الله، ففتح الله على أيديهم وأيدي إخوانهم من العرب الأندلس، كانوا جميعا في حكم المجهول، وكلّ ما نعرفه عنهم أنّهم بربر ليس إلاّ، لكنّه بالعودة إلى المناطق التي استقرّ فيها هؤلاء، نجد أسماء مختلف القبائل البربرية مثل هوارة ومديونة وغمارة، نفزة

---

[1]- ابن عبد الحكم، فتوح إفريقية والأندلس، ص71.
[2]- ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج2، ص5.

ومكناسة ومصمودة وصنهاجة وغيرها، ممّا يجعلنا نخمّن معتقدين ب دخول معظم هذه القبائل بأعداد متفاوتة فيما بينها، مع طارق بن زياد وموسى بن نصير أثناء الفتح، غير أنّنا لا نستطيع البتّة تحديد تعداد كلّ منها، في ظلّ غياب النصوص التي نستند عليها في ذلك.

لقد تحدّثت المصادر العربية عن البربر في هذه المرحلة المبكّرة بشكل عام فلم تخصّص، وممّا ورد فيها " أنّه اجتمع من البربر نحو ثلاثة آلاف رجل، قدّموا عليهم أبا زرعة طريف بن مالك"[1]، وإن كان المقّري أزال اللّبس عن هذه الشخصية فأشار بوضوح إلى " أنّ أوّل من دخل الأندلس برسم الجهاد طريف البربري مولى موسى بن نصير"[2]، وممّا جاء فيها أيضا:" أنّ دخول طارق بن زياد لفتح الأندلس كان بسبعة آلاف جلّهم من البربر والموالي "[3]، وأشار ابن القوطية وهو من المؤرّخين المتقدّمين إلى " أنّ البربر بعد مقتل عبد العزيز بن موسى قدّموا على أنفسهم أيّوب بن حبيب اللّخمي".[4]

وقد لا يعاب على هذه المصادر العربية وغيرها ذلك التعميم في حقّ البربر، حينما يتعلّق الحديث بموضوع الفتح، الذي كان يمثّل حدث السّاعة البارز، والذي استقطب الأنظار فحاز على أكبر قسط من الأخبار، ومن ثمّ كان التركيز عليه كظاهرة دينية وسياسية جديدة في الغرب الإسلامي.

فالفتح إذن كان فتحا إسلاميا، جمع أه ل عقيدة التوحيد من عرب وبربر وغيرهم من الأعراق، وإن كان للبربر فضل السّبق بالنّظر إلى العدد والقيادة[5]، وقد قضى هذا الفتح على حكم القوط، وأسفرت نتيجته على تغيير الخريطة السياسية لأوروبا، بميلاد حكم إسلامي شمل معظم أنحاء شبه الجزيرة الإيبيرية، تحت اسم جديد ه و الأندلس، وسيستمرّ ذلك زهاء ثلاثة قرون، قبل أن تدخل الأندلس في دوّامة ملوك الطّوائف وصراعاتها، وما آلت إليه البلاد من تغيّرات سياسية، حكمت

[1]- مجهول، فتح الأندلس، ص16.
[2]- نفح الطيب، ج1، ص229.
[3]- مجهول، أخبار مجموعة، ص17.
[4]- تاريخ افتتاح الأندلس، ص37.
[5]- مونتغمري وات، المرجع السّابق، ص29.

بالزوال على مصير المسلمين بزوال إمارة بني الأحمر بغرناطة، كآخر حبّة أُكلت من الرمّانة في حروب الاسترداد المسيحية، التي وضعت حدّا لوجود إسلامي دام قرابة ثمانية قرون من الزمن.

وعندئذ يمكن تفسير استخدام لفظ " البربر " للدّلالة على كلّ القبائل التي أسلمت منهم، وشاركت في عملية الفتح دون تخصيص، من قبيل سكوت المؤرّخين العرب عنها، معتبرينها من الأحداث العارضة والتفاصيل الزّائدة، التي ليست ذات أهمّية كبيرة في نظرهم، وأنّ إدراجها لا يتمشّى مع خطّتهم العامّة، التي كانت تتمحور أساسا حول دوافع الفتح وخطّته والنتائج التي آل إليها.

ولا مندوحة لنا من القول بأنّ الفتح الإسلامي في الأندلس، كان فتحا يعزى بالدّرجة الأولى إلى الوازع الدّيني، الذي حرّك الأنفس تجسيدا لما دعت إليه آخر الرّسالات، وتحقيقا لما نادى به آخر الرّسل، الذي بعث رحمة للعالمين . إلاّ أنّه لا يمكن القطع بكون الدّافع وراء الفتح ديني روحي محض، لا وجود للعامل المادّي الدنيوي فيه قطعا، بل إنّ قراءة الأحداث تؤكّد تداخل النّية الجه ادية الحسنة، مع المطالب الغريزية الدنيوية في الذّات البشرية، التي لا يمكن للمرء أن يبقيها في حكم المستور، ولا يستطيع ذلك وإن حاول، لأنّها جزء لا يتجزّأ من العمل الجهادي، الذي تكون نتيجته إحدى الحسنيين: فإمّا الشهادة التي تعني الفوز بالجنّة، وإمّا النّصر الذي يورّث صاحبه حقّه من المغانم، بعد أن تضع الحرب أوزارها.

ولم تسلم المراجع الأجنبية – هي الأخرى – من التعميم الذي وقعت فيه المصادر العربية بشأن البربر، حيث كان يعوزها التفاصيل عن انتماء البربر في عملية الفتح، فقد اكتفى سافيدرا (Saavedra) بالقول: " بعث موسى في جوان من سنة 710م/ رمضان من سنة 91هـ حملة بربرية مع يوليان (Julien)، هاجمت ساحل إسبانيا، وكانت الحملة تتكوّن من أربعمائة راجل ومائة فارس، وعندما ذكر طارق في حملته نعته بالبربري، وأنّ جيشه كان يتألّف من سبعة آلاف غماري "[1]،

[1]- Eduardo Saavedra y Moragas, Estudio sobre la Invasión de los Àrabes en Espaňa, de la Real Academia de la Historia, Imprenta de " Elprogreso Editorial ", Madrid, 1892, p.63 y p.65.

وكما يبدو أنّ هذه النسبة على إطلاقها فيها مبالغة لا يقبل بها عاقل، اللهمّ إلاّ إذا كان يريد بذلك أنّ غالبيتهم كانت من قبيلة غمارة البربرية وفي ذلك نظر.

أمّا دوزي (Dozy) فهو لا يختلف عن الرّواية العربية القائلة " بأنّ موسى بن نصير ندب مولاه طارق على مقدّمة جيشه، وعقد له الرّاية على سبعة آلاف مسلم معظمهم من البربر... فلمّا طلب من موسى المدد، أمدّه بخمسة آلاف رجل من البربر"[1]. ولا يختلف سيلي (Seely) عنهما كثيرا، إلاّ من حيث اللّفظ الذي استخدمه للتعبير عن البربر، ألا وهو كلمة " المور" (Moors)[2]، ولهذه الكلمة معنى جغرافي يقصد به الشعب القادم من سواحل شمال إفريقيا إلى إسبانيا، كما تطلق ويراد بها الفاتحون من العرب والبربر معا (المغاربة).[3]

بينما نجد واتس (Watts) يستعمل اللّفظين معا ففي البداية وظّف لفظ "البربر"، فقال عن الجيش الفاتح : " كان معظم الجيش المسلم يتكوّن من البربر تقريبا، وأنّ البربر اعتنقوا الدين الجديد مؤخّرا، ففتح لهم ذلك شهية الغزو في إسبانيا"، ثمّ يذكر لنا في نفس الفقرة " أنّ البربر هم أحفاد الوندال، الذين طرِدوا من إسبانيا على يد القوط ، قبل نحو ثلاثمائة سنة، وكان قائدهم طارق نفسه بربريا، أقرب بدمه إلى أولئك الذين غزوا إسبانيا من الرّومان".[4]

ونفس الطرح نجده عند رينو (Reinaud) الذي يرى بأنّهم شعب اندمج بالفينيقيين وبقايا الوندال، وتكوّن من كلّ ذلك ما يسمّى بالشعب المغربي (Les Maures)، وكان المسيحيون يعرفونهم بهذه التسمية في العصور الوسطى [5]. ثمّ وظّف

---

[1]- R. Dozy, Histoire des Musulmans d'Espagne jusqu'a La Conquête de L'Andalousie Par les Almoravides (711—1110), E. J. Brill, Leyde, Imprimeur de l'Université, 1861, Tome Deuxième, p.32-33.

[2]- Seely Robert Benton, The Spanish Peninsula: a Sketch of its Fast History, Present Condition, and Future Frosfects, The Religious Tract Society, London, R. Clay, Sons, and Taylor, Printers, London, 1873, p.44.

[3]- ينظر مادّة "Moors" عند: E.Lévi-Provençal -[E. Van Donzel], The Encyclopaedia of Islam, New Edition, E.J.Brill, Leiden- New York, 1993, Volume VII, MIF-NAZ, p.235-236.

[4]- Watts Henry Edward, The Christian Recovery of Spain Being The Story of Spain From The Moorish Conquest To The Fall of Granada (711-1492 A.D.), G. P. Putnam's Sons, New York, T. Fisher Unwin, London, 1894, p.17.

[5]- M. Reinaud, op. cit, p.233.

واتس لفظ المور (Moors) في مواطن أخرى، ومثال ذلك ما ذكره بشأن المغاربة، الذين خاضوا معركة الفتح بشدّة ولم يتراجعوا.[1]

وما من شكّ أنّ اعتبار البربر أحفاد الوندال وأنّه ثمّة اندماج حصل بينهما، طرح يحاول التّأسيس لمغالطة سعت المدرسة الاستشراقية إلى بثّها من خلال كتاباتها، لزرع بذور الفتنة العرقية لعلّها تجد من يتبنّاها من أبناء البربر يوما ما، معتبرة أنّ هناك قرابة دم بين الشعبين، دون أن تكلّف نفسها عناء تقديم الأدلّة العلمية التي تؤيّد ما تدّعيه، وهي بدون شكّ لا تملكها ممّا يفنّد إدعاءها المزعوم، وعلى عكس ما تقول فإنّ التاريخ القديم للمنطقة يشهد بأنّ البربر لم يندمجوا مع الاستعمار الثلاثي الروماني والوندالي ثمّ البيزنطي، وظلّوا مستقلّين بكياناتهم السياسية عنهم، إلى أن جاء الفاتحون فاندمجوا معهم في الإسلام بسبب سماحة تعاليمه وعدالته.

إنّ سكوت المصادر عن التفصيل في انتماءات البربر الذين شاركوا في فتح الأندلس، وما تلاه خلال عصري الولاّة والإمارة الأموية، يجعلنا في موقف حرج لاستخراج ما نرغب في الحصول عليه من حقائق، من أجل الوصول إلى ما نعتقده من نتائج. ويرى أحد المؤرّخين المعاصرين المختصّين في التاريخ الأندلسي أنّ هذا التّاريخ " من الفتح إلى نهاية الدّولة الأموية، يعتبر تاريخا مختصرا بالنّظر إلى قلّة مصادر هذه الفترة، أو ضعفها إلى حدّ ما، فابن الخطيب لم يخصّص في كتابه أعمال الأعلام إلاّ صفحتين لفتح المسلمين للأندلس"[2]. وإن كنّا نتّفق مع صاحب هذا الرّأي فيما يتعلّق بمرحلة الفتح إلى نهاية عصر الإمارة كمرحلة أولى، فإنّ ما ذهب إليه لا ينسحب تماما على ما ستعرفه المراحل اللاّحقة من حظّ وفير من الكتابة بدءا بعصر الخلافة.

فإذا عدنا إلى المرحلة الأولى وجدنا ندرة في المادّة الخبرية، لا سيما ما يتّصل منها بالبربر، ورغم شحّ هذه المادّة فإنّنا مدينون بالشّكر لابن حزم الأندلسي،

---

[1]- Watts, op. cit, p.19.

[2]- امحمّد بن عبّود، " ابن الخطيب مؤرّخا للأندلس في عهد دول الطوائف "، في مجلّة كلّية الآداب بتطوان، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، عدد خاص بندوة ابن الخطيب، السنة الثانية، العدد 2، 1408هـ/1987م، ص169.

الذي احتفظ لنا بنصّ يعدّ في غاية الأهمّية، حيث يؤكّد فيه حقيقة التواجد الصنهاجي، ضمن المشاركة البربرية في صناعة الأحداث السياسية لهذه الفترة السّابقة الذكر، فقد أورد لنا " أنّ بني عبد الوهاب، وهم ينتمون في صنهاجة، كانوا يستقرّون بأشّونة، وأنّهم من ولد ميمون بن أبي جميل، ابن أخت طارق بن زياد، كانت لهم ثروة وعدد وكان منهم قوّاد".[1]

والملاحظ على هذا النّص المقتضب، أنّه غاية في الاختصار ورغم ذلك فهو يحمل في ثناياه الكثير من المعلومات الهامّة، فهو يخبرنا عن ابن أخت طارق، الذي يرجع نسبه إلى بني عبد الوهّ اب الصنهاجيين، وعن موطن استقرارهم الذي كان بأشونة الواقعة إلى الجنوب من استجة [2]، المتواجدة ضمن مقاطعة إشبيلية في الجنوب ، والقريبة من العدوة المغربية موطنهم الأصلي، كما يذكر أنّهم كانوا أصحاب ثروة ، ويمكن تفسير ذلك بأنّهم كانوا يقيمون في أخصب الأراضي وأجودها، وهو ما أدّى إلى استقرارهم بكثافة في هذه المنطقة، إلى درجة أنّه وصفهم بالعدد، وأنّه كان منهم قواد، الأمر الذي يجعلنا نفترض أنّ دخولهم إلى الأندلس كان في وقت مبكّر.

ومن المحتمل جدّا أن يكون دخولهم أثناء عملية الفتح الأولى، التي مكّنتهم من اختيار مكان اس تقرارهم بأرض غنيّة، جادت عليهم بالثروة طيلة فترة من الزمن، قبل أن يصيبهم الخمول في وقت لاحق، لا يحدّده صاحب النّص، ولا يمكننا تحديده بالضبط، ومع ذلك أعتقد أنّه ربّما كان هذا الزمن إلى نهاية عهد الإمارة، وهي فترة سبقت عصر ابن حزم.

وأمّا قوله بأنّه كان منهم قواد، يجعلنا نجزم بأنّهم كانوا يشكّلون حينئذ قسما من قوات البربر التي ساهمت في الفتح، كما أنّه لا يستبعد مشاركتهم في أحداث عصر الولاّة بالأندلس، فقد كان البربر عموما ومنهم الصنهاجيون، يمثّلون بحكم كثرتهم العددية وشدّة بأسهم في الحروب أداة طيّعة، تحرّكها ا لأطراف العربية

[1]- جمهرة الأنساب، ص502.
[2]- الحميري، المصدر السّابق، ص53 وص60.

المتنازعة على أرض الأندلس، كلّما اقتضت الضرورة إلى ذلك، وكانت استجابتهم للدخول في هذا الحراك، وفقا لما تقتضيه مصلحتهم.

أمّا مشاركتهم في الفتوحات ما وراء جبال البرانس فهي أكثر من أكيدة، ذلك أنّهم كانوا على الدوام يمثّلون غالبية الجيوش الإسلامية، التي غزت "غالة" ما بين سنة 102 إلى سنة 114هـ/721 إلى 731م، مع السّمح بن مالك الخولاني، ثمّ عَنبسة بن سُحيم الكلبي وعبد الرحمن الغافقي. ويؤكّد ذلك استقرار أعداد كبيرة من البربر، الذين ينتمون إلى مختلف القبائل في الشمال والشمال الغربي لشبه الجزيرة الإيبيرية، كجليقية (Galicia) وأستورقة (Astorga) وشرطانية (Cerratania) غرب جبال البرت، وممّا يؤسف له عدم توفّر المعلومات الكافية عن هؤلاء البربر في هذه المناطق النّائية، باستثناء ما جاء من أنّ عددهم كان كبيرا.[1]

ويبدو أنّ وجود أسماء مواقع كجبال البرانس (Sierra de Bornes) و(Bornes) في الشمال الشرقي للبرتغال و(Albornes) في محافظة آبلة (Avila)[2]، يوحي لنا بأنّ هذا ليس من قبيل الصّدفة، ذلك أنّ هؤلاء البرانس كانوا يؤلّفون أغلبية البربر الذين اختاروا الاستقرار في هذه المنطقة الجبلية، التي كانت تناسبهم أكثر من غيرها من المواقع، بسبب التشابه الكبير بينها وبين أماكن سكناهم الأصلية في شمال إفريقيا.[3]

ورغم أهمّية موضوع الفتوحات فيما وراء جبال البرانس، فإنّ المصادر العربية تجنّبت الغوص في تفاصيله، إذا ما استثنينا ما ورد في معرض حديثها عن بعض الأمراء وقادة الجيش، وتوجد سلسلة هامّة من الأحداث التي لا تشير إليها الرواية التاريخية العربية [4]، وعندئذ فلا مناص للباحث من الرّجوع إلى ما كتبه المؤرّخون الغربيون، رغم ما يشوب رواياتهم من التعصّب الدّيني المقيت، فضلا عن ميلهم إلى النّعرة الوطنية العنصرية، الأمر الذي يتطلّب منّا الحذر في النقل عنهم، مع التحلّي بالموضوعية في استخدام النّقد البنّاء لتجنّب ما وقعوا فيه.

---

[1]- ذنون طه، المرجع السّابق، ص283./ حسين مؤنس، المرجع السّابق، ص381-384.

[2]- Madoz, op. cit, vol I, p.335.

[3]- ذنون طه، المرجع السابق، ص284.

[4]- M. Reinaud, op. cit, p.14.

ومن بين هؤلاء المؤرّخين المستشرقين الذين عنوا بدراسة هذه الأحداث المؤرّخ كوند (Conde)[1]، فرغم أنّه يسوق إلينا نقولاته عن مصادر عربية معاصرة للأحداث، إلاّ أنّه يهمل ذكر أسماء المؤلّفات التي استقى منها معلوماته [2]، وهذه منهجية لا تمتّ بصلة إلى الكتابة العلمية الأكاديمية، حيث يفلت من كلّ قيد للرّقابة والنقد، وهو ما يجعلنا نشكّ في مصداقية أمانته العلمية، فقد وصف بكثرة الخطأ من قبل نظرائه من المستشرقين مثل دوزي ورينو وقديرة (Kodeira).[3]

ولا يختلف اثنان على أنّ أهمّ حدث في فتوحات المسلمين ما وراء جبال البرانس يتمثّل في معركة بلاط الشهداء (Poitiers)، التي كانت في بداية رمضان سنة 114هـ/ أكتوبر سنة 732م[4]، التي يمرّ معظم المؤرّخين المسلمين – كما ذكرنا سابقا- على أحداثها العظيمة بالصّمت أو الإشارة ال موجزة، في حين يقدّم كوندي إلينا خلاصة من أقوال ينسبها إلى الرواية الأندلسية المسلمة عن غزو غالة "فرنسا" وعن موقعة تور، ويعلّق الدكتور عبد الله عنان على ذلك بقوله : "ولعلّه نقلها عن بعض مخطوطات الإسكوريال، أو نقل شيئا منها من شذور لابن حيّان وابن بشكوال، كانت موجودة في عصره ولم تصل إلينا، ويلوّح لنا أنّ الحجاري في كتابه المسهب قد تناول هذه الحوادث بالتفصيل، ولعلّ كوندي وقف على شيء منها، ويخلص في النهاية إلى القول: إنّنا لم نعثر خلال بحوثنا في مجموعة الإسكوريال على أثر لمثل هذه المخطوطات أو الأوراق"[5]، وهو ما يعني أنّه يضع علامة استفهام كبيرة على أقوال كوندي، الذي يدّعي أنّه استقاها من المصادر الإسلامية الأندلسية.

---

[1]- Jose Antonio Conde, Histoire de la domination des Arabes et des Maures en Espagne et en Portugal, depuis l'invasion de ces peuples jusqu'a leur expulsion définitive. Rédigée sur l'Histoire traduite de l'arabe en espagnol de Joseph Conde par M. de Marlès, Alexis Eymery , Libraire, Paris, 1825, Tome I et Tome II.

[2]- M. Reinaud, op. cit, p.33-34.

[3]- شكيب أرسلان، المرجع السابق، الهامش رقم 2، ص21.

[4]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج 2، ص28./ عبد الفتاح مقلد الغنيمي، معركة بلاط الشهداء في التاريخ الإسلامي والأوربي، رمضان 114هـ/ أكتوبر 732م، (بواتيه Poitiers)، عالم الكتب- القاهرة، ط1، 1416هـ/1996م، ص76.

[5]- دولة الإسلام في الأندلس، المرجع السابق، الهامش رقم 1، ص103.

وقد سبقت أحداث هذه المعركة ولاية الهيثم بن عبيد الكناني سنة 111هـ/729م، الذي غزا منوسة[1]، وهو زعيم بربري غامض الشخصية، كان قائدا في جيش طارق بن زياد في خيخون (Gijon) بمنطقة الإشتوريس (Asturias)، وأصبح حاكما على شرطانية، ومسؤولا عن كلّ المنطقة الممتدّة من جبال البرت إلى المحيط الأطلسي[2]، وظهرت منه أعراض التمرّد ولم يوفّق الهيثم للقضاء عليه حتّى توفّي.

وترى معظم الرّوايات الفرنجية والنصرانية أنّ منوسة (Munuza) أو (Munez)، اسم لزعيم مسلم بربري ثار على المسلمين في نواحي بنبلونة [3]، ويرى كوندي أنّ اسم منوسة محرّف عن عثمان بن أبي نسعة [4]، الذي تأمّر على الأندلس في ولايتين، وذهب سافيدرا (Saavedra) إلى أنّه زعيم بربري دخل مع طارق أثناء الفتح، وأنّه ينتمي إلى قبيلة غما رة[5]، وقد حكم منوسة أجزاء من البرتات الغربية وسبتمانيا (Septimanie) باسم حكومة الأندلس فيما بين 107 إلى 113هـ/725 إلى 731م، وحسب رواية إيزيدور الباجي ولذريق شمينيس، فإنّ دوق أكيتانيا أودو (Eude d'Aquitaine Duc) سعى للتقرّب منه، والتفاهم معه ليتجنّب غزو المسلمين لأراضيه، وقد حصل ذلك بالتحالف بينهما، وتعزّزت روابطه بالمصاهرة بتزويج ابنته لامبيجيا (Lampejia) الفائقة الجمال.[6]

ولمّا حمله عبد الرحمن الغافقي على شنّ غارات في بلاد الفرنجة، اعتذر بوجوب مراعاة الميثاق الذي يجمعه بالدوق أودو، وعندما ألحّ عليه قام منوسة بتحذير صهره، فلمّا بلغ ذلك عبد الرحمن أرسل فرقة من جنوده إلى البيرينيه (البرتات) بقيادة جدحي بن زيان، فأدركوه في مدينة الباب بجبال البرتات، وتمكّنوا

---

[1]- ابن عذاري، المصدر السّابق، ج2، ص28./ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص152./ المقّري، المصدر السّابق، ج1، ص235.

2- حسين مؤنس، فجر الأندلس، ص381-382. / ذنون طه، ص283.

[3]- من هؤلاء إيزيدور الباجي Isodoro Oacence وكندي Conde ورينو Reinaud ودوزي Dozy وبروفنسال Provençal. ينظر: وفاء عبد الله بن سليما ن المزروع، جهاد المسلمين خلف البرتات من القرن الأول إلى القرن الخامس الهجري، مكتبة دار القاهرة- القاهرة، ط1، 2003، ص94.

[4]- Jose Antonio Conde, op. cit, T1, p65.

[5]- Eduardo Saavedra y Moragas, op. cit, p118.

[6]- M. Reinaud, op. cit, p.36./ Saavedra, ibid, p118. عبد الله عنان، المرجع السابق، ج1، ص86. وفاء عبد الله بن سليمان المزروع، المرجع السابق، ص104.

منه واحتزّوا رأسه سنة 113هـ /731م وأرسلوه إلى دمشق [1]، وأسرت زوجته وأرسلوها هي الأخرى إلى دمشق، فدخلت في حرم الخليفة هشام بن عبد الملك، حيث تزوّجها أمير مسلم لا تذكر الرّواية اسمه.[2]

إنّ القارئ المتتبّع للأحداث السّياسية والعسكرية التي وقعت ما وراء جبال البرتات، قبيل وأثناء معركة بلاط الشهداء، يلاحظ بالتأكيد بروز شخصية منوسة التي طفت على مسرح الأحداث، كزعيم بربري مسلم حسب ما قالت به الرّوايات الفرنجية والنصرانية السّالفة الذكر. وإذا كان سفيدرا أخرجه من دائرة الوصف العام المتمثل في لفظ "بربري"، إلى الانتماء الخاص بنسبه فجعله في قبيلة "غمارة"، ولسنا ندري مصدر خبره هذا لأنّه لم يشر إليه، وإذا كانت المصادر سواء الإسلامية أو النصرانية تتفق في معظمها أنّه بربريّ مسلم، فإنّها لم تتفق في انتمائه القبلي.

ولا يستبعد أن يكون أحد البرانس الذين كانت تعجّ بهم المنطقة الشمالية والشمالية الغربية، وبطبيعة الحال فإنّ تواجد البربر البرانس بشكل عام، لا ينفي تواجد صنهاجة باعتبارها إحدى قبائل هذا الفصيل من البربر، كما لا ينفي –أيضا- تواجد عناصر بربرية أخرى تنتمي إلى البربر البتر، سواء تعلّق الأمر بالمشاركة ضمن جيش منوسة، أو في الجيش الذي أنشأه عبد الرحمن الغافقي في ولايته الثانية سنة 113هـ/731م.[3]، الذي تألّف من فرقة قويّة مختارة من فرسان البربر بإشراف نخبة من القادة العرب.[4]

وقد ذكر المؤرخ رينو هذه المشاركة على إطلاقها ولم يخصّص، عندما قال: " إنّ أعظم شعب اشترك مع العرب في غزوهم بالأندلس خلف جبال البرتات، الشعب السّاكن في جبل الأطلس ونواحيه، المنتشر من مصر إلى المحيط الأطلسي، ومن البحر المتوسط إلى السودان".[5]

---

[1]- Conde, op. cit, T1, p68-69./ M. Reinaud, op. cit, p.37-38.

[2]- شكيب أرسلان، المرجع السابق، ص98-99./ عبد الله عنان، المرجع السابق، ج1، ص88.

[3]- المقّري، المصدر السّابق، ج3، ص15 وص18.

[4]- عبد الله عنان، المرجع السابق، ج1، ص85.

[5]- M. Reinaud, op. cit, p.233. /.209 -208 شكيب أرسلان، المرجع السابق، ص

ويفهم من الأحداث السّابقة مدى مساهمة البربر وبضمنهم صنهاجة ومصمودة على وجه الخصوص، في صناعة الأحداث التي جرت وقائعها بغَالَةَ، حيث كان القادة العرب يقدّرون فروسيتهم، فلا يستغنون عنهم في الكريهة، بل إنّ الاستعانة بهم كانت تعتبر أكثر من ضرورة، لحسم الموقف لصالحهم في المعارك التي ما فتئوا يخوضونها ضدّ أعدائهم، من حين لآخر في هذه الحقبة الزمنية.

ومن أهمّ الأحداث التي ألقت بثقلها على الأندلس في أواخر عهد الولاّة، ثورة البربر في بلاد المغرب سنة 122هـ/740م، التي تزعّمها ميسرة المطغري الزناتي، والتي عبّروا فيها عن سخطهم واستيائهم من سياسة عمّال بني أميّة في بلادهم، فدخلوا طنجة وقتلوا عاملها عمر بن عبد الله المرادي، ثم ولّوا خالد بن حميد الزناتي، الذي هزم الجيوش العربية مرّة أخرى، بالقرب من طنجة في موقعة الأشراف سنة 123هـ/741م.

ولمّا بلغت أخبار الهزيمة إلى الخليفة هشام بن عبد الملك، أرسل جيشا من عرب الشّام قدّر بسبعين ألف مقاتل، لينتقم للعرب لكنّه مني هو الآخر بهزيمة نكراء، في موقعة بقدورة أواخر سنة 123هـ على ضفاف نهر سبو (Sebou)، ولم ينج من القتل سوى تسعة آلاف، كان يقودهم بلج بن بشر القشيري، وجدو ا أنفسهم محاصرين في ثغر سبتة، ورغم الظروف العسيرة التي كانوا يمرّون بها، لم يكن مرغوب فيهم من قبل والي الأندلس عبد الملك بن قطن.

ولأنّ بربر الأندلس تضامنوا مع إخوانهم في العدوة المغربية، اضطرّ والي الأندلس للاستعانة بهم شريطة أن يعودوا من حيث أتوا بعد مدّة أقصاها سنة، وكان البربر قد رأسوا عليهم ابن هدين[1]، وزحفوا نحو الجنوب للقضاء على قوّة الشّاميين في سبتة، ليتّحدوا مع بربر بلاد المغرب، لكنّ بلجا ورجاله سبقوهم إلى الجزيرة الخضراء، والتحما الجيشان في شذّونة، ويذكر ابن عذاري أنّه " كان عليهم بهذه المدينة رجل زناتي، وخرج بلج منتصرا واتّحد مع الجيوش العربية في قرطبة، ليتّجه الجميع نحو طليطلة، فاصطدموا هنالك بالجيش الرّئيس للبربر فهزموه،

[1]- مجهول، أخبار مجموعة، ص43.

وقضوا بذلك على ثورة البربر بالأندلس في سنة 124هـ/742م. لكنّ الفتنة سرعان ما تحوّلت إلى صراع عربي بين اليمنية والشّاميين، أسفرت عن مقتل عبد الملك بن قطن ثمّ بلج بن بشر واستمرّت أزيد من عام.[1]

ومن أهمّ الملاحظات التي يمكن الخروج بها من هذه الأحداث، أنّ الرّوايات العربية التي ساقت لنا وقائع هذه الثورة، لم تشذ عن الإطار العام للمصادر العربية الوسيطية، فتحدثت مجدّدا عن البربر ككتلة واحد ة، مركّزة على الجانب البارز المتمثّل في الثورة التي قاموا بها، أمّا ما يتعلّق بالطرف الفاعل المحرّك لهذه الأحداث، فقد اكتفت فيه بتعميم لفظ البربر على جميع من شارك في هذه الثورة من قبائل البربر المختلفة دون تحديد، ولم تتفق حتى في تحديد من كان يتزعّم هذه الثورة بدقة.

فهل كان ابن هدين هو نفسه الرجل الزناتي الذي تزعّمهم؟ أم أنّهما شخصيتان مختلفتان كان كلّ منهما زعيم فريق من البربر في جهة من جهات الأندلس؟! وبنفس الغموض نجد المقّري يشير إلى رأس البربر في هذه الثورة، حيث يذكر " أنّهم نصّبوا عليهم إماما فكثر إيقاعهم بجيوش ابن قطن.[2]

فإذا كان الغموض يكتنف التعريف بالشخصية التي من المفروض أن يخرجها المؤرخون العرب في رواياتهم من المجهول إلى المعلوم نظرا لبروزها الذي لا يحتاج إلى دليل ولا يختلف حوله اثنان، فكيف سيكون الحال بالنسبة لانتماءات عموم البربر الذين شاركوا في هذه الثورة؟ وليس ثمّة شك من أنّ البربر في هذه الفترة بالذّات، دخلوا بقوّة وبأعداد كبيرة عبر مراحل متلاحقة، صاحبت أولاها عملية الفتح وأعقبته بعد ذلك تترا، للظفر بحظ أوفر من خيرات الأندلس ونعيمها.

ثمّ إنّ هذه الثورة التي حدثت انطلاقا من بلاد المغرب، سرعان ما ا نتقلت إلى بلاد الأندلس ووحّدتهم أكثر فأكثر، وجعلتهم لا يكترثون إلى عصبياتهم القبلية، التي ينتمون إليها بقدر ما يذوبون في أصلهم العرقي، وأنّ الصّراع القبلي

[1]- البيان المغرب، ج2، ص30-31./ مجهول أخبار مجموعة، ص43-44.
[2]- نفح الطيب، ج3، ص20.

بين البربر لن يظهر إلاّ لاحقا، حيث سيبرز إلى الوجود جليّا عندما تتحوّل بلاد المغرب إلى حلبة صراع بين الفاطميين والأمويين في الأندلس، دون أن ننسى تلك الفتنة التي حدثت بين بربر بلنسية وبربر شنتبرية سنة 164هـ/780م، التي قتل فيها الكثير من الجانبين.[1]

وعليه فمن المحتمل جدّا أنّ جموع البربر في ثورة الأندلس، كانت تحوي في صفوفها قبائل بربرية مختلفة، لا سيما تلك التي لعبت دورا بارزا كمصمودة وصنهاجة وهوّارة وزناتة وغيرها. فلا يتصوّر حينئذ أنّ هذه القبائل الكبيرة كانت غائبة عن السّاحة السياسية والأحداث البارزة التي عرفتها الأندلس.

[1]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص57./ ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص109.

2- الصنهاجيون خلال عهد الإمارة الأموية بالأندلس:(138-316ه-/756-929م)

1.2- المميّزات العامّة لعهد الإمارة بالأندلس:

يعدّ تأسيس الإمارة الأموية في الأندلس على يد صقر قريش عبد الرحمن بن معاوية بداية هذا العهد، فبعد انتصاره على والي الأندلس يوسف الفهري وشريكه الصمّيل بن حاتم، في معركة المُصَارة يوم الجمعة 10 ذي الحجة 138هـ/14 ماي 756م، دخل قصر قرطبة وجلس على سرير الإمارة، فأقبل إليه الناس وبايعوه البيعة العامّة، ثم صلّى بهم الجمعة في المسجد الجامع، وخطب فيهم معلنا قيام الإمارة ووعدهم بالخير[1]. وأصبحت الأندلس إمارة إسلامية مستقلّة عن الخلافة العبّاسية في المشرق، وقد تداول على حكمها سبعة أمراء، بداية بعبد الرحمن الأول (138-172هـ /756- 788م)، إلى عهد عبد الله بن محمد (275- 300هـ /888- 912م)، بالإضافة إلى ست عشرة سنة الأولى من عهد عبد الرحمن النّاصر (300-316هـ/912- 929م).

وفي هذا العهد عرفت الأندلس أوضاعا داخلية مضطربة، من جرّاء الثورات التي قامت بها عناصر مختلفة من المجتمع الأندلسي (عرب- بربر- مولّدون- موالي)، ولم يسلم من نار هذه الثورات عهد أيّ أمير . وممّا زاد الطين بلّة أنّ الإمارة الأموية كانت بين فكّي كمّاشة على الصّعيد الخارجي، فالعبّاسيون في بغداد والفاطميون في بلا د المغرب، كانوا يتربّصون بها الدوائر ويتحيّنون الفرص مضيّقين عليها المجال، كما كان نصارى الشمال في مملكة اشتوريس بجليقية، ومملكة نبرّة غرب جبال البرانس، وإمارة قطالونية ببرشلونة يحاولون التوسّع على حساب أراضيها.

بسبب هذه الأوضاع المتأزّمة توقّفت حركة الف توحات الإسلامية، ووجد أمراء الأمويين أنفسهم مضطرّين إلى الدفاع عن ما بحوزتهم من أراض، أمام هذا الخطر الذي كان يتهدّدهم من نصارى الشمال، قاموا بتأمين المناطق الحدودية المتاخمة لهم على الجبهة الخارجية . وبالموازاة مع ذلك اجتهدوا في إرساء سيادة

[1]- ابن القوطية، المصدر السابق، ص50-51./ مجهول أخبار مجموعة، ص88-90.

الدولة وسلطتها بالقضاء على سلطة القبائل، فحاربوا على الصعيد الداخلي كلّ الثوار والمنتزين، الذين شقّوا عصا الطّاعة وتمادوا في عصيانهم، إلى أن تمّ لهم القضاء على هذه الثورات، التي كانت أخطرها ثورة المولّدين بقيادة عمر بن حفصون، الذي عاصر عهود الأمراء الثلاثة المتأخرين.

وامتدّت ثورته من سنة 256هـ/870م إلى وفاته سنة 305هـ/917م على عهد الأمير عبد الرحمن النّاصر، الذي قضى على محاولات ابني عمر بن حفصون، الرّامية إلى استمرارية الثورة التي بدأها أبوهما، فقتل سليمان في غرّة ذي الحجّة من سنة 314هـ/3 مارس 927م، ولم يجد حفص بدّا من ا لاستسلام بعد أن أجهده الحصار، الذي ضرب عليه في ببشتر (Bobastro) فسلّم المدينة، التي دخلها عبد الرحمن النّاصر في ذي القعدة من سنة 315هـ/ يناير 928م.[1]

كما عرف عهد الإمارة ما يصطلح على تسميته بعصر دويلات الطوائف الأولى (238- 300هـ/852- 912م)، التي امتدّت زهاء 62 سنة، واشتملت على حكم ثلاثة أمراء، لم تتجاوز سلطتهم حدود قرطبة وهم على التوالي : محمد بن عبد الرحمن الذي (حكم من 238 إلى 273هـ/852 إلى 886م)، والمنذر بن محمد الذي حكم أقلّ من ثلاث سنوات (273- 275هـ/886- 888م)، ثمّ عبد الله بن محمد الذي حكم (275- 300هـ/888- 912م).

ونتيجة لضعف سلطة هؤلاء الأمراء، تمرّدت عليهم عناصر المجتمع الأندلسي المختلفة، وتفشّت عدوى الاستقلال من فئة لأخرى، ولم يكن بمقدور حكومة قرطبة فرض نفسها لمنع ذلك، وقد شمل هذا الاستقلال:

- بنو قيس أو بنو موسى المولّدون : وهم من الإسبان الذين أسلموا، وقد استقلّوا بسرقسطة (الثغر الأعلى)، وكانت دويلتهم هذه متاخمة لأراجون وقطالونية في شمال شرق إسبانيا.

- بنو مروان الجليقي: استقلّ هؤلاء ببطليوس، الواقعة في غرب إسبانيا على الحدود البرتغالية.

---

[1]- ابن حيّان، المقتبس، نشره : ب. شالميتا، ف.كورينطي، م.صبح، المعهد الإسباني العربي للثقافة- مدريد، كلّية الآداب بالرباط، 1979، ج5، صص204-205 وصص212-213.

- بنو حفصون: استقلّوا بالمرتفعات الجنوبية لإسبانيا، الواقعة بين رندة غربا ومالقة شرقا، واتخذوا من ببشتر قاعدة لهم.

- كما استقلّ البربر من بني ذي النون بطليطلة (الثغر الأدنى): الذي كان على الحدود مع جليقية ومنطقة القلاع (قشتالة) في شمال غرب إسبانيا . وبنو الملاّح الذين استقلّوا بمدينة جيان.

- وأمّا العرب ومنهم بنو حجّاج، و كان زعيمهم إبراهيم بن الحجّاج، ونسبهم في قبيلة لخم اليمنية، فقد استقلّوا بإشبيلية. في حين استقلّ الأمير الشاعر العربي سعيد بن جودي السعدي بغرناطة.[1]

وتجدر الإشارة إلى أنّ الجهاد البحري ضدّ نصارى الشمال والنورمانديين الوثنيين، كان على عهد عبد الرحمن الأوسط، خلال فترة حكمه (206-238هـ/822- 852م)، حيث قام الأسطول الأندلسي بالإغارة على ميورقة ومنورقة بجزر البليار سنة 234هـ /848م[2]، وانحصر الصراع مع الكارولنجيين (الدولة الرومانية المقدّسة) في الثغر الأعلى، في محاولة لاستعادة مدينة برشلونة، ولم تتمكّن الحملات التي أرسلها عبد الرحمن الأوسط من تحقيق نصر حاسم عدا الحصول على بعض الأسرى وغنائم الحرب، وانتهت هذه المواجهات بعقد هدنة بين عبد الرحمن الثاني والملك الكارولنجي شارل الأصلع.[3]

ودخل الأندلسيون الصّراع مع النورمانديين بعد أن استولى هؤلاء على إشبيلية وعاثوا فيها فسادا في محرّم سنة 230هـ/ أكتوبر سنة 844م، فبعث إليهم الأمير عبد الرحمن الأوسط أسطولا، فلمّا خرج إليهم وأحسّوا بمجيئه لحقوا بلبلة، وحدثت بين الطرفين معركة بطلياطة (Tejada) انهزم فيها النورمانديون وقتل منهم نحو خمسمائة علج وأصيبت لهم أربعة مراكب بما فيها.[4]

---

[1]- أحمد مختار العبّادي، في التاريخ العبّاسي والأندلسي، دار النهضة العربية- بيروت، (ب.ت)، ص368.

[2]- ابن حيّان، المقتبس تحقيق محمود علي مكّي، صص2-3./ ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، 89.

[3]- محمد سهيل طقوش، تاريخ المسلمين في الأندلس 91-897هـ/710-1492م، دار النفائس- بيروت، ط1، 1426هـ/2005م، صص216-217.

[4]- العذري، المصدر السابق، صص 99-100./ ذكر ابن عذاري هذه الرواية وزاد على ذلك أنّه قتل فيها (وقعة طلياطة) منهم خلق كثير، وأحرق من مراكبهم ثلاثون مركبا. ينظر: البيان المغرب، ج2، ص88. بينما يذكر ابن

وعلى إثر ذلك أصلح الأمير عبد الرحمن ما خرّبه المجوس من البلاد وأعلى بناء أسوارها وأكثف حاميتها[1]، وعندما عاود المجوس غارتهم على الأندلس سنة 240هـ/854م، على عهد ولده الأمير محمد الأوّل، وجدوا البحر محروسا على طول الساحل الأندلسي، فهزموا وذهب من مراكبهم أكثر من أربعين مركبا، فلم ينالوا الأندلس بشرّهم بعدها، ولم تقم لهم قائمة بها.[2]

ويذكر – أيضا- أنّ عهد الإمارة الأموية بالأندلس شهد أولى العلاقات السياسية بين الأندلس الأموية والدولة البيزنطية، التي أرسلت سفارة من قبل الإمبراطور تيوفيل "Thiophilus" (حكم 213- 234ه -/828- 842م)، إلى أمير الأندلس عبد الرحمن الثاني في سنة 225هـ/840م، الذي حاول استغلال العداء القائم بين قرطبة الأموية وبغداد العبّاسية، فاستقبله الأمير عبد الرحمن استقبالا عظيما، وردّ عليه بمثلها وأرسل الشّاعر يحي الغزال على رأس سفارته.[3]

2.2- الدور السياسي لصنهاجة في الأندلس على عهد الإمارة:

شارك البربر في تأسيس الإمارة الأموية بالأندلس بصفة جدّ فعّالة، فهم من حمى عبد الرحمن الداخل عندما جاءهم إلى بلاد المغرب وحيدا شريدا فآووه، بحكم صلة الدّم التي تجمعه بهم، من جانب أمّه التي كانت بربرية، وعندما دخل الأندلس حاملا معه حلم مشروع إعادة بعث الدولة الأموية، التي قضى عليها العبّاسيون في المشرق كانوا معه وإلى جانبه، وانضمّت إليه بيوتات لها وفرة وثروة من بربر قرطبة وغيرهم.[4]

إلاّ أنّ البربر لم يكونوا كلّهم من الموالين لعبد الرحمن بن معاوية، بل كان ولاء معظمهم للمصلحة وبعبارة أصح كان هواهم المتّبع هو تحصيل المال وكسب الغنائم، ومن ثمّ فلا غرابة عندما نجدهم منضوين تحت لواء الثّائرين على حكومة

القوطية أنّ السّيف وقع على ستة عشر ألفا منهم ولاذ الباقون بالفرار إلى مراكبهم . ينظر تاريخ افتتاح الأندلس، ص80.

[1]- المقّري، المصدر السابق، ج1، ص346.

[2]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج 2، صص96-97./ في حين ذكر العذري أنّهم عادوا سنة 247هـ/861م فوجدوا عمال المحارس الليلية والرباطات على طول الساحل لهم بالمرصاد، فانهزموا خائبين إلى غير رجعة . ينظر: نصوص عن الأندلس، ص119.

[3]- المقّري، المصدر السابق، ج1، ص346-347.

[4]- مجهول، أخبار مجموعة، ص84.

قرطبة، في سائر العهود التي مرّت بها الأندلس، ويكفي أن نورد بهذا الشأن ما حدث لعبد الرحمن الداخل، بعد أن دخل قصر قرطبة وجلس على سرير الملك، فلم يكد يتخلّص من يوسف الفهري حتّى ثار عليه ابن عبد الغفّار الذي كان على لبلة.

ويذكر ابن القوطية أنّ ابن معاوية خرج إليه في عسكره ورجاله ومواليه، فلمّا كان بالعشيّ " سمع كلام البربر يتكلّمون في العسكر بالبربرية، فدعا بمواليه من البربر مثل بني الخليع، وبني وانسوس وغيرهم فقال لهم : خاطبوا بني عمّكم وعظوهم، وأعلموهم أنّه إن تغلّب العرب وقطعوا دولتنا فلا بقاء لهم معهم . فلمّا أظلم الليل دنوا من العسكر، وخاطبوهم بالبربرية فأجابوهم إلى ما أحبّوه ووعدوهم، إلى أن انحرفوا عن عسكرهم، فلمّا أصبحوا اشترطوا على العرب أنّهم لا يحسنون القتال إلاّ فرسانا، وأنّه لا بدّ من حمل من بقي منهم على الخيل، فحملوهم عليها وأرجلوا العرب، فانحرف البربر إلى عبد الرحمن، وانهزم وقتل عبد الغفّار وجيشه المكوّن من ثلاثين ألفا".[1]

والشاهد عندنا على تواجد الصنهاجيين ضمن هؤلاء الموالين لعبد الرحمن الداخل، وربّما أولئك المعادين له من النّصّين السّابقين، أنّ البربر كانوا أخلاطا بمعنى أنّ انتماءهم لم يكن لقبيلة أو قبيلتين فحسب، فقد ورد وصفهم في النّص الأول ببيوتات لها وفرة في قرطبة، ولم يحدّد النّص بل لم يشر إلى أيّ من هذه البيوت . كما أنّ النّص الثّاني أخرج لفظ البربر من التعميم إلى التخصيص، حيث قدّم لنا اسمي قبيلتين كانتا في صفّ الجيش، الذي كان يقاتل مع صقر قريش، لكنّ ذلك كان على سبيل المثال لا الحصر، باعتبار أنّه ألحق لفظ "غيرهم" باسم القبيلتين.

وعندئذ فأنّ احتمال تواجد عناصر صنهاجية في صفوف جيش ابن معاوية، وفي صفوف جيش عدوّه واردة، إذا ما أخذنا في الحسبان أنّ قبائل صنهاجة كانت تعيش في عدوة المغرب قبالة العدوة الأندلسية، على السّاحل من بجاية إلى مصبّ نهر ملوية، مع غيرها من القبائل ومن بين فروعها تلكاتة . كما عاشت على سهول البحر المتوسّط ومعظم جبال الرّيف، ومناطق المضيق ما بين سبتة وطنجة قبائل

[1]- تاريخ افتتاح الأندلس، ص52-53.

مختلفة ، كانت صنهاجة إحداها وكانت تسيطر على مرسى بالش[1]، وإلى الغرب من طنجة إلى مدينة فاس سكنت رفقة غيرها من القبائل البربرية المختلفة[2]. ومن ثمّ لا يمكن تصوّر تواجد للبربر في هذه الأحداث، دون إد راج لفرع صنهاجة كأحد الشركاء الأقوياء في صناعة ما كان يجري على أرض الأندلس في هذه الفترة.

وشهدت الأندلس على مدى عشر سنوات (151- 160هـ/768- 777م) ثورة، سيطرت على منطقة الجوف بوسط وشمال شرق الأندلس، وقد تركزت أكثر حول شنتبرية (Santaver) في شرق الأندلس[3]، تزعّمها رجل من البربر يدعى شقيا بن عبد الواحد المكناسي، الذي بدأ حياته معلّما للصبيان، ثمّ ما لبث أن ادّعى النّسب العلوي، مستغلاّ اسم أمّه التي كانت تدعى فاطمة، فتسمّى بعبد الله وراح يدعو النّاس إلى اعتناق الدّعوة الشيعية العلوية، فكثر حوله الأتباع من البربر ووصل أمره إلى الأمير عبد الرحمن، فجمع له الجيوش الكثيرة للقضاء على نحلته وثورته.

وخرج إليه ابن معاوية بنفسه أكثر من مرّة فلم يتمكّن منه، لأنّ شقيا كان يفرض على جيوش الأمير، أسلوب حرب الجبال متحصّنا بأعلاها، متجنّبا بذلك المواجهة في السهول الفسيحة المنبسطة، فأكسبته هذه الخطّة الانتصار على جيوش عبد الرحمن، وكلّما أحسّ بخطورة موقفه كان يلجأ إلى الانسحاب، متجنّبا الدخول في معارك غير مأمونة الجانب قد تكسر شوكته.

ونتيجة لهذه الإستراتيجية المعتمدة بالدرجة الأولى على الحيطة والحذر طالت مدّة ثورة شقيا، إلى أن كانت سنة 160هـ/777م التي دبّر له فيها ابن معاوية مؤامرة نفّذها اثنان من أتباعه، فقتلاه واحتزّا رأسه وتوجّها به إلى عبد الرحمن [4].
وكانت هذه الثورة أوّل ثورة بربرية شيعية في الأندلس، سعت إلى إقامة دولة شيعية

[1]- البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص90.
[2]- المصدر نفسه، صص109-110 وص113.
[3]- الرشاطي أبو محمد وابن الخرّاط الإشبيلي، المصدر السابق، ص122.
[4]- مجهول، أخبار مجموعة، ص 101./ ابن عذاري، المصدر السابق، ج 2، ص54./ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص158./ ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص237.

في الغرب الإسلامي، وسبقت قيام دولة الأدارسة العلويين في المغرب الأقصى بنحو عشرين سنة.[1]

ومن الثورات التي جرت وقائعها في الجهة الشرقية من إسبانيا، ثورة عبد الرحمن بن حبيب الصقلبي سنة 163هـ/779م، الذي دخل من إفريقية إلى الأندلس ونزل بساحل مرسية، فدعا للخليفة العبّاسي المهدي متخذا الرّايات السوداء شعارا لدعوته، فلجابه إلى ذلك الكثير من البربر[2]. وعندما خرج إليه عبد الرحمن أحرق السّفن وتقدّم نحوه مضيّقا عليه، فتحصّن الصقلبي بجبل منيع في بلنسية بشرق الأندلس، وبذل ابن معاوية ألف دينار لمن يأتيه برأسه، فنزع إلى الصقلبي رجل من البرانس يقال له سجعان، فصار من أصحابه حتى اطمأنّ إليه وصار من ثقاته، فقتله وحمل رأسه إلى الأمير.[3]

وشهد حصن كركي (Caracuel)[4] وجبل البرانس سنة 285هـ/898م ثورة ابن يامين وابن موجول، فأرسل الأمير عبد الله بن محمد إليهما قائده عبّاس بن عبد العزيز فقضى عليهما، ومن المرجّح أنّ هذين الثّائرين ينتسبان إلى البربر، فقد أشار ابن حيّان في حوادث عام 259هـ/873م إلى أحد المتمرّدين على الإمارة الأموية يدعى ابن يامين البربري، وأنّه امتنع بجبل البرانس، لكنّ الأمير عبد الله تمكّن من القبض عليه، وصلبه على سور مدينة طليطلة.[5]

ومن المحتمل أن يكون "ابن يامين " هذا - الذي لم يذكر ابن حيّان اسمه الكامل- ابنا أو قريبا لذلك المصلوب على سور طليطلة في سنة 259هـ/873م، لا سيما وأنّنا نرى توافقا في المكان الذي قامت فيه ثورتاهما (جبل البرانس)، فضلا عن توافق الاسمين . والملاحظ أنّ الحصن والجبل المذكورين من المواطن التي

---

[1]- محمود علي مكي، التشيّع في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، المجلد الثاني، 1954، العددان 1-2، صص98-99./ أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص315.

[2]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج 2، ص55-56./ ابن خلدون، المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة ./ ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، صص239-240.

[3]- مجهول، أخبار مجموعة، صص 100-101./ ابن خلدون، المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة./ ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص240.

[4]- حصن كركي Caracuel: يقع الآن على مسافة تبلغ نحو عشرين كيلومترا إلى الجنوب الغربي من المدينة الملكية Ciudad Real. محمود علي مكي، المقتبس، تعليق رقم 545، ص615.

[5]- المصدر نفسه، ص331 وتعليق المحقّق رقم 545، ص615.

كانت تعجّ بالبربر حينئذ، ذلك أنّ لفظ البربر كثيرا ما يلحق بهما فيقال : "برابر كركي وجبل البرانس".[1]

فإذا كان سكّان هذين الموضعين بربر، فمن المنطقي أن لا يتمرّد على الحكومة المركزية فيهما إلاّ زعيم من سكانها المحلّيين، ليحصل على العصبية والدّعم لإنجاح ثورته [2]، وإذا علمنا أنّ جبل البرانس يقع شمال قرطبة بينها وبين طليطلة ممتدّا من الغرب إلى الشرق، وأنّ البرانس كانوا يشكلون غالبية ساكنة هذه المنطقة، وما سمّي الجبل باسمهم إلاّ دلالة على تواجدهم بالمكان، وليس ثمّة شكّ أنّ الصنهاجيين كانوا يشكّلون جزءا ونسبة من نسيج القبائل البرنسية في هذا الحيّز الجغرافي إلى جانب القبائل البرنسية الأخرى ككتامة ومصمودة وأوربة وأزداجة وأوريغ.[3]

وبالعودة إلى المناطق التي استقرّ بها البربر البرانس، وعلى رأسهم صنهاجة نجد أنّ هذه القبيلة نزلت بشرق الأندلس، وسكنت في جهات مختلفة لا سيما قسطليون (Castéllon) ولقنت (Alicante) ومرسية[4]، كما استقرّوا في الشمال الذي كان من أوسع أماكن استقرار البربر في الأندلس، وكانت صنهاجة من بين القبائل البربرية المتواجدة في هذه المنطقة حتى في سرقسطة التي كان غالبية ساكنتها من القبائل العربية[5]، ولعلّ استقرار الصنهاجيين بوادي الحجارة كان من الأهمّية بمكان، بمكان، ذلك أنّ اليعقوبي يذكر أحدهم على أنّه كان حاكما لهذه المدينة.[6]

ولا يختلف اثنان من أنّ الثورات التي قادها البرانس في الأندلس قد شاركت فيها عناصر صنهاجية، باعتبار أنّها كانت تشكّل إحدى القبائل الرّئيسية في هذا الجذم من البربر، ومن هذه الثورات تلك التي قادها حبيب البرنسي بالجزيرة

1- ابن حيّان، كتاب المقتبس، تحقيق الأب ملتشور أنطونية، ص 127./ ابن عذاري، المصدر السابق، ج 2، ص159.

2- حمدي عبد المنعم محمد حسين، ثورات البربر في الأندلس في عصر الإمارة الأموية (138- 316هـ/756-928م)، مئسسة شباب الجامعة- الإسكندرية، 1993، ص86.

3- محمود علي مكي، المقتبس، حاشية رقم 546، صص615-616.

4- Madoz, op, cit, vol. XIV, p.170. Palacios, op, cit, p.134. / ذنون طه، المرجع السابق، ص275.

5- ابن عذاري، المصدر السابق، ج 2، ص63./ العذري، المصدر السابق، ص 26./ ذنون طه، المرجع نفسه، ص277.

6- البلدان، ص194.

الخضراء في عام 236هـ/850م، في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط [1]، حيث كان بالجزيرة إقليم تابع لهم.[2]

كما اشتركوا في ثورة طليطلة سنة 238هـ/852م، على عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن، وقد وصف ابن حيّان مشاركتهم في هذه الثورة بقوله: " واشترك من أهل طليطلة في هذه الثورة البرانس البربر فكثر جمعهم وسعّروا البلاد حولهم "[3].

ولا يمكن الحديث عن ثورة إشبيلية سنة 276هـ/889م، على الأمير المنذر بن محمد بن عبد الرحمن، دون الحديث عن البربر البرانس الذين كانوا بقيادة جنيد بن وهب القرموني، إلى جانب زعماء عرب شذونة ولبلة، ضمن التحالف الذي دعا إليه بنو خلدون بزعامة كريب بن عثمان.[4]

كما قامت ثورة عمر بن مضم الهترولي سنة 290هـ/902م، وكان زعيمها ينتسب إلى بربر قرية الملاحة من كورة جيان، فعرف بالملاّحي، فبعث إليه الأمير عبد الله بن محمد جيشا بقيادة أحمد بن محمد بن أبي عبدة، الذي حاصره في قصبة جيان، فلمّا أجهده الحصار طلب الأمان فأمّنه ابن أبي عبدة وأتى به إلى قرطبة.[5]

ورغم أنّ ابن حيّان أمدّنا باسم زعيم هذه الثورة، وأنّه من بربر قرية الملاحة بكورة جيان، فإنّه أهمل كعادته ذكر أصل هذا الزعيم في قبائل البربر، إلاّ أنّه بالعودة إلى جمهرة ابن حزم نجد أنّه عاش في بلكونة- وهي مدينة قريبة من جيان – الفارس المشهور يحي بن ضريس، من بني جعفر من صنهاجة[6]، وهذا ما يعني أنّ جيان وما يحوم حولها كقرية الملاحة وبلكونة وغيرها، كانت من المناطق الآهلة بالبربر بما فيهم قبيلة صنهاجة.

وعلى ذكر الفارس يحي بن ضريس، " الذي صدم عمر بن حفصون، فأبطل يده بالضّربة المشهورة، فلم يأكل ابن حفصون بيمينه بعدها، وعاش بعد ذلك نحو

---

[1]- ابن حيّان، تحقيق محمود علي مكّي، ص7./ ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، صص89-90.
[2]- العذري، المصدر نفسه، ص120.
[3]- المقتبس، تحقيق محمود علي مكّي، ص293.
[4]- المقتبس، تحقيق الأب ملتشور، ص67-68.
[5]- المصدر نفسه، ص25./ ابن عذاري، المصدر السابق، ج 2، ص136./ حمدي عبد المنعم، المرجع السّابق، ص82.
[6]- جمهرة أنساب العرب، ص502./ الإيلاني صالح بن عبد الحليم المصمودي، مفاخر البربر، ص231-232.

ثلاثين سنة"[1]، فنحن مدينون – مرّة أخرى- لابن حزم، الذي أورد لنا هذا النّص، الذي لا نعثر عليه عند مؤرّخ الدولة الأموية ابن حيّان، رغم أنّه يؤرّخ لحدث مهمّ في تاريخ هذه الدولة بالأندلس، فإذا أخذنا في الحسبان تاريخ وفاة ابن حفصون، كما نقله ابن حيّان عن الرّازي " فإنّه لقي حتفه ليلة الاثنين، لأربع عشرة بقيت من شعبان سنة 305هـ/2 فبراير 918م، عن اثنين وسبعين سنة . وكان من أوّ ل قيامه بالفتنة وصدعه عصا الجماعة وامتناعه بقلعة ببشتر... ثلاثون سنة".[2]

وإن نحن عدنا أدراجنا ثلاثين سنة إلى الوراء، فإنّ هذه الضربة التي يتحدّث عنها ابن حزم، يجب أن تكون حوالي سنة 275هـ/888م، أي في عهد الأمير المنذر بن محمد، الذي حكم من 273 إلى 275هـ/ 886- 888م، إلاّ أنّه وللأسف الشديد لا وجود لهذه القطعة من مقتبس ابن حيّان، الذي قد يكون ذكر فيها حادثة ضربة يحي بن ضريس لابن حفصون التي أشلّت يده، كما أنّ القطعة الثانية التي ذكر فيها خلافة الأمير محمد بن عبد الرحمن (238- 273هـ/852- 886م)، فإنّها تنتهي عند سنة 267هـ/880م بخبر واحد قصير، ممّا يعني أنّه قد ضاع منها خمس سنوات ناقصة من تاريخ الأمير محمد.

وللوقوف على السنة التي أظهر فيها عمر بن حفصون خروجه عن الإمارة الأموية بالأندلس وإعلان عصيانه، فالأحرى بنا أن نعود إلى المصادر التي نقلت عن ابن حيّان، كابن خلدون وابن عذاري وابن الأثير [3] الذين يذكرون أنّ ابن حفصون ابتدر بالخلاف على الأمير محمد بن عبد الرحمن في سنة 267هـ/880م، وإذا كانت هذه المصادر تتبّعت أخبار ابن حفصون من بدايتها إلى نهايتها بوفاته سنة 305هـ/917م[4]، فإنّها لا تقدّم لنا شيئا عن خبر الضربة الذي ساقه لنا ابن حزم في جمهرته، والذي فصّل في أنساب أهل الأندلس وبيوتاتهم تفصيلا دقيقا، يوضّح لنا مدى تحكّمه في موضوعه، ورغم ذلك فقد أورد لنا بعض الأخبار التاريخية في

---

[1]- ابن حزم، المصدر السابق، نفس الصفحة./ صالح بن عبد الحليم، المصدر السابق، ص232.
[2]- المقتبس، الجزء الخامس، ص138.
[3]- العبر، الجزء 4، ص168./ البيان المغرب، ج2، ص104./ الكامل في التاريخ، ج6، ص307.
[4]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج 2، ص172./ في حين ذكر ابن خلدون أنّ وفاته كانت سنة 306هـ. ينظر: العبر، ج4، ص173.

شكل إشارات خفيفة ومختصرة ذات علاقة بما كان يسوقه من الكلام في الموطن المناسب، على سبيل المثال لا ا لحصر، حتّى لا يخرج عن إطار موضوعه الذي يتعلّق أساسا بالنسب.

ويبدو أنّ هذا الخبر لا أثر له في مقتبس ابن حيّان، ذلك أنّ ابن حزم عندما ذكر الحدث وصف الضربة التي تحدثنا عنها بالمشهورة، والمشهور ما كان معروفا ومتداولا على ألسنة النّاس قبل أقلام المؤرّخين، وهو م ا يعني أنّ حدثا كهذا نظرا لشهرته، لا شكّ في تداوله إن وجد في تاريخ ابن حيّان المفقود، من قبل المؤرّخين الذين نقلوا عنه، إلاّ انّه بالعودة إلى كلّ من نقل عن ابن حيّان لا نجد أثرا لذلك.

ولسنا ندري إن كانت المصادر التاريخية التي كتبت عن عمر بن حفصون تجهل أمرا، يفترض أنّه كان خبرا شائعا يعلمه العام والخاص، بالنظر إلى ما وصفه به ابن حزم فيما سبقت الإشارة إليه، أو أنّها تجاهلت التفصيل في خبر ضربة يحي بن ضريس التي أشلّت يد ابن حفصون، إلاّ أنّ الغريب في ذلك أنّها لم تأت حتّى على ذكر هذا الخبر في حدّ ذاته على اقتضابه.

وهو ما يجعلنا نعتقد أنّ هناك بعض الحلقات لا تزال مفقودة وضائعة، يمكن اعتبارها فجوات في تاريخ الأندلس الإسلامية، وقد وقعت من المؤرّخين عن قصد أو عن غير قصد، فجلّ هذه الروايات التاريخية الوسيطية الإسلامية وحتى المسيحية الغربية جعلت البربر أخلاطا ولم ترسب كلا منهم إلى قبيلته إلاّ فيما ن در، كما أنّها نعتتهم في معظم الأحيان بلفظ البربر للدلالة على جنسهم بالعموم، دون أن تكلّف نفسها عناء البحث عن التفاصيل الدقيقة المتعلّقة بمن كانوا يصنعون هذه الأحداث، بردّ أصحابها إلى نسبهم في قبائل البربر.

وهذا ابن حيّان شيخ المؤرّخين الأندلسيين ينعتهم على غير عادته بالطنجيين، في معرض حديثه عن أحداث سنة 284هـ/897م، الكائنة على عهد الأمير عبد الله بن محمد، وما كان من أمر عمر بن حفصون، الذي خرج إليه القائد أحمد بن محمد بن أبي عبدة في الصائفة، وفي أول يوم من شهر يونيه العجمي و قعت معركة في محلّة ذكوان، " انهزم الفاسق وقتل له طنجي وأخذ له فرسان، ونزع من أصحابه

إلى العسكر ثلاثة عشر طنجيا ورحل العسكر إلى وادي بني عبد الرحمن مقابل ببشتر"[1]، وعندما تجدّدت الحرب بين الطرفين يوم الخميس ثاني أيّام العنصرة من السنة المذكورة " قتل منهم ثلاثة رجال ومن أهل العسكر طنجي واحد".[2]

ونجد هذا الوصف يتكرّر في أحداث سنة 299هـ/911م، حيث أورد لنا خبرا يتعلّق بحرب عمر بن حفصون في عقر داره في قلعة ببشتر، إلى جانب سعيد بن هذيل الذي انشقّ عن الأمير بالمُنْتلون، فقال:" واتّفق أن تهافت الطنجيون الذين في العسكر على النزوع إلى الخبيثين ابن حفصون وابن هذيل، فدارت الدائرة على هؤلاء وقتلوا بالبلدين ببشتر والمُنتلون، وعاد من بقي منهم إلى الطّاعة".[3]

ولعلّ السبب الذي حمل ابن حيّان على تسميتهم بالطنجيين بدل البربر، وهو الشّائع في كتابته عند ذكرهم، ما ساقه لنا في موطن آخر عن سياسة الخليفة عبد الرحمن الناصر القاضية باستجلاب البربر بقصد استعمالهم في جيشه، حيث ذكر أنّه كان " لا يستخدم من البربر إلاّ أراذلهم وعبدانهم من أُشابتهم وأَساودهم، موقّعا عليهم اسم الطنجيين".[4]

والظّاهر أنّ جنوب الأندلس كان مستقرّا للبربر عامّة والصنهاجيين بخاصّة، فإذا كانت جيان وبلكونة وأشونة وهي من أستجة وقسطلة درّاج وهي قرية في غرب الأندلس من أعمال جيان، وما يحوم حولها من مناطق استقرارهم[5]، فإنّ هذا يعني بلا شكّ أنّ مواطن استقرارهم كانت تنتشر بالأساس في المناطق الجنوبية والغربية، لكون هذه المناطق لا تخضع لتبعية قويّة لسلطات قرطبة المركزية.[6]

---

[1]- ابن حيّان، المقتبس، تحقيق الأب ملتشور، ص121- 122.
[2]- المصدر نفسه، ص122.
[3]- نفسه، ص147./ ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص147.
[4]- ابن حيّان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ط1، 1426هـ/2006م، ص148.
[5]- ابن حزم، المصدر السّابق، ص 502./ الرشاطي، المصدر السابق، ص 15 وص186./ الحميري، المصدر السابق، ص60./ ابن سعيد المغربي، المُغرب، ج2، ص60.
[6]- محمد حقّي، المرجع السّابق، ص119.

3- الصنهاجيون خلال عهد الخلافة الأموية بالأندلس:(316-422هـ/929-1031م)

1.3- مدخل إلى عهد الخلافة بالأندلس:

عاشت الإمارة الأموية بالأندلس ظروفا عصيبة، جعلتها تعجز عن القضاء على فتنة الثورات المتعدّدة، التي قامت بها عناصر انفصالية طموحة، اتخذت من العصبيات بالإضافة إلى أصحاب الأهواء والمصالح دعامة، للوقوف في وجه حكومة قرطبة، معلنة تحدّيها للسلطة الدّاخلية، وهو ما سمح على الصعيد الخارجي لممالك النّصارى بمحاولة التوسّع على حساب أراضي الأندلس الإسلامية المتاخمة لممالكهم، لا سيما مملكة اشتوريس التي كانت بقيادة ألفونسو الثالث، والذي تمكّن من توطيد حدود دولته جنوبا.[1]

ونتيجة لهذه الظروف المزرية التي كانت تمرّ بها الإمارة الأموية، عزف الطّامعون إلى سرير الملك من الأسرة الحاكمة عن السّعي للوصول إلى السّلطة، سيما بعد مقتل محمد بن الأمير عبد الله، الذي كان مرشّحا لولاية العهد بعد أبيه، من قبل أخيه المُطرِّف سنة 277هـ/891م، فاعتنى الأمير عبد الله بحفيده عبد الرحمن، الذي كان طفلا رضيعا حينما مات أبوه، وبالغ الأمير عبد الله في رعايته لكي يعوّض عليه حنان أبيه، فأحسن تعليمه وتهذيبه وصار يؤثره على أبنائه.[2]

فلمّا توفّي الأمير عبد الله تولّى حفيده عبد الرحمن الثالث زمام الحكم، وهو ابن ثلاث وعشرين سنة، فقدّمه أعمامه على أنفسهم، ولم ينافسه أحد في شأن الإمارة لخطورة المهمّة، وصعوبة تولّيها في الظروف التي سبقت الإشارة إليها . وكان من الضروري أن يتولاّها شخص بمستوى حزمه وعزمه وشجاعته وذكائه لمواجهة تلك الأوضاع المضطربة، من أجل استتباب الأمن في البلاد، وتوفير الاستقرار لأهلها.

من أجل ذلك كان على عبد الرحمن الثالث أن يجعل من أولى اهتماماته عند تولّيه زمام الأمر مواجه الثوار المستقلّين في ا لنواحي بالسّيف تارة، وبالعفو عمّن عادوا إلى الوحدة والطّاعة تارة أخرى، كما أخضع نصارى الشمال الذين رضخوا

---

[1]- سهيل طقوش، المرجع السابق، ص299.

[2]- أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص377.

لشروطه، واعترفوا بقوّته التي جعلت حكّامهم يطلبون منه – أحيانا – التدخل لحلّ مشاكلهم الدّاخلية.[1]

وتأكيدا لهذه القوّة أعلن عبد الرحمن الثالث الخلافة الأ موية بالأندلس سنة 316هـ/929م، وأصبحت الأندلس خلافة مستقلّة سياسيا وروحيّا عن الخلافة العبّاسية بالمشرق، وتلقّب بـ "النّاصر لدين الله "، فكان أوّل خليفة أموي بالأندلس، واستمرّ حكمه من 300 إلى 350هـ/912- 961م.

وخلفه ابنه الحكم الثاني الذي كان يلقّب بـ "المستنصر بالله " (350-366هـ/961- 976م)، فكان عهده امتدادا لعهد أبيه، حيث أمّن الحدود وحافظ على قوّة الدولة، وأتمّ المشاريع التي بدأها والده، وأنجز غيرها وشهدت الأندلس تقدّما عمرانيا باهرا، وازدهرت مجالس العلم بحضرته، وكثرت الجامعات ودور العلم والمكتبات العامّة والخاصّة التي تزيّن بها عصره.

وبعد ست عشرة سنة قضّاها في الخلافة توفّي، تاركا الحكم لابنه هشام الثاني "المؤيّد بالله"، الذي بويع قبل الاحتلام، فلم يكن قد تجاوز من العمر إحدى عشرة سنة، ولم يكن بمقدوره رعاية شؤون الدولة التي تبدّلت أحوالها، واستطاع محمد بن أبي عامر أن يستغلّ الفراغ الذي كانت تمرّ به الخلافة الأموية بالأندلس لصالحه، فاستولى على السلطة الزمنية، وتلقّب بـ " الحاجب المنصور " سنة 371هـ/981م، ودُعي له على المنابر بهذا اللقب، استيفاء لرسوم الملوك "[2]، وحجر على هشام المؤيّد ومارس الوصاية عليه، ولم يبق له من الأمر في دولته سوى لقب الخليفة، الذي كان يعتبر رمزا لسلطته الرّوحية.

ومن إيجابيات العهد العامري بالأندلس مواصلة الجهاد ضدّ نصارى الشمال بشكل مستمرّ، حقّق العزّة والكرامة لأهل الأندلس على مستوى الخارج، وبناء مدينة الزاهرة[3]، وجعل الأمن والرخاء يسودان الوضع الداخلي، وكانت وفاته أثناء عودته

---

[1]- عبد الرحمن علي الحجي، التاريخ الأندلسي، ص298.

[2]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص279.

[3]- المصدر نفسه، ج2، ص299./ المقّري، المصدر السابق، ج1، ص585.

إلى قرطبة من آخر حملاته على أراضي قشتالة، حيث اعتراه المرض فمات بمدينة سالم، ودفن في قصره بها تنفيذا لوصيّته[1] في 27 رمضان 392هـ/9 أوت 1002م.

واستمرّت الدولة بعد وفاته في يد ولده عبد الملك المظفّر (392-399هـ/1002- 1008م)، الذي تلقّب بسيف الدولة، وقضى معظم سنوات حكمه في الغزو، ومات من علّة الذبحة في غزوته على بلاد شانجة بن غرسية، وهي سابع غزواته وقد عرفت بغزوة العلّة، وكانت في صائفة 398هـ/1007م، ودفن بالزاهرة [2]. فخلفه أخوه عبد الرحمن شنجول، الذي تطلّع إلى منصب الخلافة، وحاول عبثا الحصول عليه، وأصدر من أجل ذلك مرسوما أجّج الأوضاع في الأندلس.[3]

ولم تدم ولايته سوى بضعة أشهر وانتهت بمقتله، وحدثت بعده أزمة سياسية خانقة، كانت منعرجا خطيرا لمستقبل الأندلس، واستمرّت هذه الأزمة أزيد من عشرين سنة، أدخلت البلاد في واقع مرّ من الفتن اللاّمتناهية، التي مزّقت ثوب الوحدة وجزّأت البلاد وفرّقت العباد، وحوّلت أمنهم خوفا، وصارت نعمة الرّخاء عندهم معيشة ضنكا، واستمرّوا على هذه الحال إلى أن انفرط عِقد الخلافة بالأندلس إلى غير رجعة بسقوطها سنة 422هـ/1031م.

2.3- الدور السياسي لصنهاجة على عهد الخلافة الأموية بالأندلس:

شهد القرن 4هـ/10م ظهورا مميّزا للبربر على السّاحة السياسية في الأندلس الأموية، ذلك أنّ عبد الرحمن النّاصر استمرّ في تطبيق سياسة أجداده، التي اعتمدت على حكّام الكور المتاخمة للثغور الشمالية بخاصّة، في مواجهة أعدائه وأعداء المسلمين من نصارى الشمال، مقابل اعترافه بما تحت أيديهم من كور، وكان من بيوتات البربر التي شملها هذا الاعتراف، وصار حقّا متوارثا في أبنائها بني ذي النّون وبني زروال وبني رزين وغيرها.[4]

[1]- ابن بسّام الشنتريني، المصدر السابق، ج7، ص74-75./ ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص301.
[2]- ابن عذاري، المصدر نفسه، ج3، صص3-4، 24، 36-37./ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص89./ مجهول، تاريخ الأندلس، ص236./ المقّري، المصدر السابق، ج1، ص423.
[3]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، صص43-46./ ابن الخطيب، المصدر السابق، ص90-93.
[4] - محمد حقّي، المرجع السّابق، ص186./ عبد القادر بوباية، المرجع السابق، ص145.

ويدلّ هذا الإجراء على حاجة الدولة الأموية للدّعم العسكري لهؤلاء، كما يؤكّد المكانة الخاصّة للبربر البلديين في الجيش الأندلسي، الذي أصبح يتمتّع بنفس الامتيازات، التي يتمتع بها جند العرب، بعد أن قام الناصر بتعميم ظاهرة التسجيل في الديوان، مقابل الخدمة العسكرية لتشمل البربر أيضا.[1]

وقد بدأ اعتماده على جند البربر منذ سنوات حكمه الأولى، حيث غ زا سنة 301هـ/913م شذّونة للقضاء على أهل الخلاف بها، " فبنى حصن اشبره على حصن أقُوط وجعل عليه عاملا، وصيّر معه فيه عِدّة كثيفة من الفرسان والبربر الطنجيين والرجّالة المُلحَقين" [2]. وإذا كان الخليفة قد سوّى بين العرب والبربر البلديين، فإنّه لم يعامل البربر الطنجيين بنفس المعيار، ففرّق بين عامّتهم وخاصّتهم، وحرص على استجلاب الفرسان الأشدّاء، ليستفيد من خدماتهم العسكرية، لكن الجزاء الذي خصّهم به، لم يكن من جنس العمل الذي اختاره لهم، فقد سلك سياسة الحذر في معاملته معهم، بحيث نجده " لا يستخدم من البربر إلاّ أراذلهم وعبدانهم من أُشابتهم، موقّعا عليهم اسم الطنجيين، مقتصرا بهم على أدنى الملاحق، قاصرا لهم على أقلّ الرّواتب، مصرّفا لهم في أشقّ الخدمة".[3]

ولعلّ السبب في جنوحه إلى هذه المعاملة تكمن في عدم ثقته بهم، على اعتبار أنّهم كانوا كثيرا ما يشقّون عصا الطّاعة، ويقفو ن إلى جانب الثّائرين على السلطة الأموية[4]، وربّما كانت هذه المعاملة نفسها القشّة التي قصمت ظهر البعير، فأفسدت ودّ البربر وجعلتهم يثورون على عدم معاملتهم بالمثلية، مع غيرهم من عرب وبربر، كلّما وجدوا إلى ذلك سبيلا. إذ لم تكن معاملة الناصر لأشراف البربر وخاصّتهم على نفس المنوال، وكان حميد بن يصّل المكناسي الزناتي من مشاهيرهم، الذين فرّوا من المطاردة الفاطمية، والتحق بخدمة النّاصر سنة

[1]- المرجع نفسه، ص146-147.
[2]- ابن حيّان، المقتبس، ج5، ص88.
[3]- ابن حيّان، المقتبس، تحقيق صلاح الدين الهو اري، ص 148./ وأُشابة الناس : أخلاطهم والجمع أُشابات وأشائب. ينظر: ابن دريد الأزدي، جمهرة اللغة، تحقيق رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين- بيروت، ط1، 1987، ج2، ص1023./ والأساود من الناس: الجماعات المتفرّقة. ينظر: ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، مذيّل بحواشي اليازجي وجماعات من اللغويين، دار صادر- بيروت، ط3، 1414هـ/1993م، ج3، ص225.
[4]- عبد القادر بوباية، المرجع السابق، ص147.

336هـ/946م[1]. وينفرد صالح بن عبد الحليم الإيلاني بذكر ثلاث شخصيات بربرية صنهاجية خدمت الخليفة عبد الرحمن النّاصر، وهم " ثابت بن ور زيدان الأمير وعبد الملك بن سكرديد وميمون بن علي وزراء عبد الرحمن النّاصر".[2]

ويستفاد من هذين النصّين أنّ الخليفة النّاصر أدنى منه زعماء البربر وأشراف قبائلهم، وكانت معاملته للبربر تراعي بالدّرجة الأولى مصالح الدولة الأموية ممثلة في شخصه، من أجل ذلك فقد حاز عنده البعض منهم حظوة ومكانة، بناء على مركزهم وكفاءتهم، التي جعلته يتخيّرهم ويفضّلهم على غيرهم، ويدمجهم في سلك الوظائف الإدارية العمومية الهامّة، والمناصب السياسية والعسكرية الحسّاسة للخلافة الأموية، معتلين بذلك إلى عتبة المنصب الثاني في الدولة، أي الوزارة التي تلي في الأهمية منصب الخلافة.

وممّا يؤسف له – مرّة أخرى – أنّنا لا نجد في المصادر الأندلسية المعاصرة للأحداث، ولا في المصادر التي جاءت بعدها ونقلت عنها ذكر لهذه الشخصيات التي أطلعنا على أسمائها صاحب المفاخر، الذي لم يذكر لنا مصدره الذي نقل عنه، وبطبيعة الحال فإنّ هذه الشخصيات لا يمكن أن تكون وهمية، لأنّه لا يعقل أن يأتي على ذكرها لو لم يقف على ما يثبت ذلك، وأعتقد شخصيا أنّ هذه الأسماء الثلاثة لم تكن بنفس الشّهرة التي أُثرت عن بعض القادة من البربر، الذين خدموا الخليفة عبد الرحمن الثالث، ومنهم على وجه الخصوص أحمد بن محمد بن إلياس المغيلي[3]، الذي تقلّد مناصب عليا للنّاصر، حيث عيّنه قائدا للجيش، وكان عاملا له على عدّة كور منها تدمير ووشقة، ثمّ شرّفه بمنصب الوزارة سنة 324هـ/936م "متقلّدا علياء القيادة".[4]

وبالعودة إلى آخر جملة ختم بها صالح بن عبد الحل يم الإيلاني حديثه عن رجال صنهاجة بالأندلس على عهد النّاصر، التي قال فيها :" وجماعة كثيرة لا

---

[1]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص215.

[2]- مفاخر البربر، ص232.

[3]- المصدر نفسه، ص233./ ابن حزم، المصدر السابق، ص499./ ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص198 وص205.

[4]- ابن حيّان، المقتبس، ج5، ص253 وص238، 313، 390، 470.

تحصى"[1]، يبدو لنا جليّا أنّ ما أورده من أسماء كان على سبيل المثال لا الحصر . ذلك أنّ المصادر التّاريخية وبخاصّة كتابات ابن حيّان وابن عذاري تورد لنا تفصيلات كثيرة عن شخصية أحمد بن محمد بن إلياس المغيلي، وعلى النقيض من ذلك فإنّها شحيحة بمعنى الكلمة، فيما يتعلّق بغيره من القادة الآخرين ذوي الأصول البربرية، وعندئذ يجد المرء نفسه مضطرّا إلى الإسهاب في الحديث عن الشخصية المذكورة، وإلى الاختصار في شأن غيره من القادة.[2]

وإنّه لمن الغريب أن تحجم هذه المصادر عن مجرّد التعرّض ولو بالإشارة البسيطة إلى هذه الأسماء الصنهاجية السابقة الذكر، التي يفترض أنّها تنال حظّها من الذكر باعتبار نيلها للوزارة في خلافة النّاصر. ولا نملك نحن سوى أن نؤشّر لهذه الأسماء في موضعها الذي ذكرت فيه للأمانة العلمية والموضوعية التّاريخية، وأيّا كان التفسير بعد ذلك لهذه الظاهرة، فإنّه يبقى مجرّد اجتهاد لحقيقة غائبة تكشف عن هذا المجهول!

وبعد وفاة عبد الرحمن الناصر سنة 350هـ/961م، انتقلت السلطة لابنه الحكم المستنصر، الذي انتهج نفس سياسة والده، فسار على خطاه في معاملته للبربر، سيما بعد الذي رآه من غلبتهم، بقيادة الحسن بن قنّون على جيش الخلافة المغربية، حيث قتل وزير المستنصر القائد محمد بن طُملس، في أوّل سنة 362هـ/973م، وقتل معه من الجند نحو الخمسمائة من الفرسان، ومن الرجّالة نحو الألف[3]. وعندئذ تأكّد له ضرورة نقل عدد كبير من فرسان البربر إلى الأندلس آخر دولته القصيرة، وكانوا يقاربون السبعمائة فارس، فيهم وجوه وأعلام حازوا عمّا قليل بالعسكر الرّئاسة.[4]

وبلغ من فرط إعجابه بجنده من البربر، وهو يشاهدهم يلعبون أن قال لمن كان حوله : " انظروا إلى انطباع هؤلاء القوم على خيو لهم، فكأنّهم الذين عناهم الشّاعر بقوله: [من الكامل]

---

[1]- مفاخر البربر، ص232.
[2]- عبد القادر بوباية، المرجع السابق، ص158.
[3]- ابن حيّان، المقتبس، تحقيق صلاح الدين الهواري، ص71.
[4]- نفسه، ص150.

فكأنّما وُلِدَتْ قِيَاماً تَحْتَهُمْ	وكأنّهُمْ وُلِدُوا على صَهَوَاتِهَا[1]

ثمّ واصل قائلا: ما أعجب انقيادها لهم، كأنّها تفهم كلامهم ! فيعجب سامعوه من سرعة تحوّل رأيه فيهم.[2]

ويذكر ابن حيّان عددا من الشخصيات المميّزة، التي أمّت الحكم المستنصر في زمن خلافته خلال السنة السّابقة الذكر، ومن هذه الشخصيات وجوه من البربر، حيث يقول:" واقترن به في قصده لحضرته، إبراهيم بن مسهول الصّنهاجي، ومحمد بن خلف الكتامي، وجهان من وجوه قومهما، في نفر من أصحابهما، فتُقُبِّلت وفادتهم وحّب بهم، وأُنزِلوا بالمدينة في الدّار المنسوبة إلى بني غانم، وأكرم مثواهم".[3]

وممّا تقدّم يتّضح لنا أنّ فترة حكم المستنصر كانت بداية عهد جديد للبربر في الأندلس، وستتجلّى فيه للعيان المكانة التي باتوا يحتلّونها في المجتمع الأندلسي، بعد أن نالتهم عين الرّضا من الخليفة، الذي أصبح لا يرى بديلا عنهم، ومن جملة هؤلاء الذين اقترن اسمهم بمجموعة صنهاجة، سواء أكان قدومهم فرادى مع من قدم من الفرسان الذين استجلبهم الخليفة الحكم – وإن كنّا لا نملك دليلا على ذلك – فإنّ الاحتمال وإن كان ضعيفا فهو وارد، أم أنّهم دخلوا بشكل جماعي مع إبراهيم بن مسهول الصنهاجي، وممّا لا شكّ فيه أنّ عددهم كان معتبرا، وإن لم تشر المصادر إلى جمعهم بالأرقام.

وبانتقال مقاليد الحكم إلى هشام المؤيّد بن الحكم المستنصر، تبدأ تدريجيا سيطرة الحاجب محمد بن أبي عامر على السلطة لتصل لاحقا إلى ذروتها، وقد بلغ ذلك عن طريق الاستكثار من البربر في عسكر الخلافة الأندلسية، مقابل التقليل من اعتماده على العرب، فصار صاحب الحول والطّول في القصر، فبعد أن تخلّص من خصومه في أعلى هرم الدولة اهتمّ بأمر الجيش، " فاستدعى أهل العدوة من رجال زناتة والبربر، فرتّب منهم جند ا واصطنع أولياء، وعرّف عرفاء من صنهاجة

[1]- أبو الطيب المتنبّي (ت354هـ/965م)، ديوا ن المتنبّي، دار بيروت للطباعة والنشر- بيروت، 1403هـ/1983م، ص186. وهذه القصيدة من 39 بيتا، وفي الدّيوان: " فكأنّها نُتِجَتْ ".
[2]- ابن حيّان، المصدر السابق، ص151.
[3]- المصدر نفسه، ص79.

ومغراوة، وبني يفرن وبني برزال ومكناسة وغيرهم، فتغلّب على هشام وحجره واستولى على الدولة ... وقدّم رجال البربر وزناتة، وأخّر رجال العرب وأسقطهم من مراتبهم، فتمّ له ما أراد من الاستقلال بالملك والاستبداد بالأمر".[1]

ويفهم من هذا النّص أنّ الطريق الذي شقّه المنصور بن أبي عامر، ليصل إلى ما خطّط له من الاستبداد بالملك، كان يقضي بالتخلّص من السيطرة العربية بواسطة قوّة أكبر منها، وهي قوّة البربر التي يمكن الاستفادة من خدماتها، مقابل منحها امتيازات ترضيها على أن تقف في وجه المعارضة العربية، إن هي حاولت أن تحُول بين ابن أبي عامر وما كان يخطّط له فتقطع عليه طريق الوصول إلى دواليب الحكم.

ولكي يجسّد حلمه على أرض الواقع ويجعل منه حقيقة، قرّر الاستعانة بفرسان البربر لشجاعتهم وقوّتهم وكثرتهم، وقرب بلادهم من الأندلس، فهي " تعتبر خزّانا لا ينفذ للفرسان "[2]، فكلّما احتاج إليهم وطلب خدمتهم كانوا رهن إشارته، حتى صاروا اليد التي يبطش بها عدوّ الدّاخل والخارج، ويؤيّد هذا الطّرح النصّ الذي نقله إلينا ابن عذاري عن ابن خاقان الذي جاء فيه أنّه " انتظمت له الأندلس بالعِدوة ... وأذلّ قبائل الأندلس بإجازة البربر، وأخمل بهم أولئك الأعلام الأكابر، فإنّه قاومهم بأضدادهم، واستكثر من أعدادهم حتّى تغلّبوا على الجمهور "[3]. وذكر ابن عذاري في موطن آخر أنّه "ما زال بعد ذلك يستدعيهم ويتضمّن الإحسان إليهم والتوسعة عليهم، إلى أن أسرعوا إلى الأندلس وانثالوا على ابن أبي عامر، وما زالوا يتلاحقون وفرسانهم يتواترون ... حتى صاروا أكثر أجناد الأندلس".[4]

وبطبيعة الحال كان عرفاء صنهاجة من أكثر هؤلاء، الذين اعتمد عليهم المنصور. وقد ذكر ابن الأثير في أحداث سنة 373هـ خبر انتقال بعض صنهاجة من إفريقية إلى الأندلس ونزولهم عند ابن أبي عامر، وطلبهم الغزو فسيّرهم إلى جليقية،

[1]- ابن خلدون، المصدر السّابق، ج4، ص189.

[2]- Levi-provençal, op, cit, T2, p.261.

[3]- البيان المغرب، ج2، ص274.

[4]- المصدر نفسه، ج2، ص279.

فقتلوا منهم خلقا كثيرا وغنموا دوابهم وسلاحهم، ثمّ عادوا إلى قرطبة فرأى ابن عامر من شجاعتهم ما لم يره من جند الأندلس، فأحسن إليهم وجعلهم بطانته.[1]

وفي نفس السّياق يخبرنا ابن الأثير عن غزوة المنصور بن أبي عامر إلى بلد ألِيون في أرض نصارى الشمال، أين صبرت صنهاجة صبرا عظيما، وتمكّن فيها جلالة بن زيري الصنهاجي من الإجهاز على قومص مدينة قامونة في مبارزة رجل لرجل، وأسفرت هذه الغزوة عن تخريب هذه المدينة وسبي ثلاثين ألفا من مقاتليها.[2]

ويؤيّد هذا الطّرح ما أورده الأمير عبد الله بن بلقين آخر حكّام بني زيري بغرناطة في مذكراته، من أنّ المنصور " استجلب من رؤساء البربر وحماتها وأنجادها، من بلغه فروسيته وشدّته، وتسامع النّاس بالجهاد فبادر إليه من شرق العدوة، من كان من الآثار والمكارم والبأس على النصارى ما لا خفاء به، وبهم كان يصول ابن أبي عامر على العدوّ، وهم كانوا العِدّة في الجيش، والموثوق بهم عند اللّقاء ومعترك الوغاء. وكان من أدهاهم رأيا وأبعدهم همّة زاوي بن زيري [3] عمّنا، وبعده حبُوس بن ماكسن ابن أخيه، فإليهما كان الرّأي والمشورة في الأمر، والحكم على من دونهم من الأجناد".[4]

ويستفاد من هذا النص أنّ المنصور أدرك أنّه ليس بالإمكان تحقيق أحسن ممّا كان على أرض الأندلس، إلاّ من خلال الدعوة إلى الجهاد وحرصه الشديد على أن تصل هذه الدعوة إلى بربر العدوة، ليقينه بأنّهم هم الرّجال الذين يرجّحون كفّة المعارك في الحروب، أمام خصوم لا يستسلمون ولا يسلّمون لهم ما تحت أيديهم ما

---

[1]- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، راجعه وصحّحه محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1407هـ/1987م، م7، ص413. Bilal Sarr, op. cit., p.54.

[2]- ابن الأثير، المصدر نفسه، ج7، ص414.

[3]- لقّب بالحاجب المنصور وكنّي بأبي المثنّى . ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق يوسف علي طويل، ج1، ص40./ أعمال الأعلام، ص228. ابن الخطيب، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة- بيروت، ط3، 1400هـ/1980م، ص31./ وقيل يكنّى أبا مزني . ينظر: Emilio Lafuente y Alcantara, Inscripciones Arabes de Granada, Precididas de Una Resetia Historica y de la Genealogia Detallada de Los Reyes Alahmares, Imprenta Nacional, Madrid, 1859, p.19.

[4]- عبد الله بن بلكين بن باديس بن حبوس، كتاب التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة، تحرير الدكتور علي عمر، ط 1، مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة، ط1، 1427هـ/2006م، ص31. Bilal Sarr, op. cit., pp.53-54.

لم يجدوا فيهم من الغلظة والشدّة ما يجعلهم ينكفئون على أنفسهم، فلا تحدّثهم أنفسهم بالاعتداء على أراضي المسلمين.

ولمّا وصل هذا النّداء إلى رؤساء البربر الذين عُرفوا بفروسيتهم وشدّتهم، بادرت إليه صنهاجة من ساحل العدوة بالمغرب الأ وسط تعرض خدمتها[1]، فصار اعتماد المنصور عليهم في صولاته وجولاته على نصارى الشمال، مقدّما إيّاهم على من سواهم من البربر بعد الذي رآه من شجاعتهم، وبما استطاعوا أن يثبتوه من شدّة بأسهم، التي لم تعد تخفى على الخاصة والعامة من الناس، وقد عاد الرأي والمشورة في صنهاجة لزاوي بن زيري، الذي كان أدهاهم عقلا وأخطرهم تدبيرا، ثمّ صارت قيادتهم من بعده لابن أخيه حبوس بن ماكسن.

ومن أجل ذلك" رتّب ابن أبي عامر الرّتب بهم، وأظهر هيبة الخلافة، وقمع الشّرك وحضّ المسلمين عامّة على الغزو، فعجز عن ذلك رعيّة الأندلس، وشكوا إليه ضعفهم عن الملاقاة وشغلهم بالغزوات عن عمارة أرضهم، ولم يكن القوم أهل حرب، فقاطعهم على أن يشتغلوا بعمارة أرضهم، ويعطوا من أموالهم كلّ عام ما يقيم به من أجناد من يكفيهم ذلك، على اتفاق ورضى منهم".[2]

وكان قرار المنصور بن أبي عامر عين الصواب، باعتماده على البربر وفي مقدمتهم صنهاجة، بعد أن رأى أنّ أهل الأندلس من العرب خاصّة، قد انشغلوا بالأرض وافتتنوا بملذات الحياة وطيبها، وثقل عليهم حمل السّلاح بعد الذي أصابوه، فيما أصبح بين أيديهم من النعم والخيرات، فمالت أنفسهم إلى الرّاحة والدّعة، في وقت تكالبت فيه عليهم أمم الصليب من نصارى الشمال، تريد استرداد ما تعتبره حقّا ضائعا يجب استعادته . فاشترط المنصور على أهل الضّيعات تجييش الجيوش

---

[1]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص238. وفيه أنّ حمّاد بن بلقين لقي عمومته سنة 391هـ- بعد أن أجمعوا على الخروج على باديس في حكمه لإفريقية، فهزمهم وقتل ماكسن وابنه، فلحق زاوي بجبل شنوق من ساحل مليانة، وأجاز البحر إلى الأندلس في بنيه وبني أخيه وحاشيته ونزل على المنصور . ولعلّ الجبل الذي ذكره ابن خلدون هو جبل شنوة بناحية شرشال، فهو كائن بتسمي ته هذه إلى يومنا هذا . ينظر: عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص58. محمد الطمّار، المرجع السّابق، ص 74./ Ibn Khaldoun, Histoire des Berbères et des dynasties Musulmanes de l'Afrique septentrionale, Traducteur: William baron Mac Guckin de Slane, Impr. Du Gouvernement, Alger, 1854, Vol.2, p.60.

[2]- عبد الله بن بلكين، المصدر السابق، ص31-32.

في كلّ عام، من أجل التصدّي لحملات النصارى في عقر دارهم، متّبعا سياسة الهجوم التي تمنع خصومه من الزحف على أراضي المسلمين جنوبا.

ويؤيّد ا لنصّ السابق ما ذكره ابن خلدون، الذي يحدّثنا عن خبر جواز " زاوي بن زيري بن منّاد الصنهاجي البحر إلى الأندلس، في بنيه وبني أخيه وحاشيته سنة 391هـ/1001م، ونزل على المنصور بن أبي عامر، ... فأحسن نزلهم وأكرم وفادتهم ، واصطنعهم لنفسه واتخذهم بطانة لدولته، وأوليائه على ما يرومه من قهر الدولة والتغلّب على الخلافة، ونظّمهم في طبقات زناتة وسائر رجالات البربر، ... واستغلظ أمر صنهاجة بالأندلس واستفحلت إمارتهم، وحملوا دولة المنصور بن أبي عامر وولديه المظفّر والنّاصر من بعده على كاهلهم ".[1]

وجملة القول إنّ المنصو ر بن أبي عامر كان رجلا طموحا إلى المجد، وقد كان في مستوى هذا الطموح، فسعى إلى تحقيق ذلك برجاحة عقل وحسن تدبير، مستفيدا من سياسة النّاصر وابنه المستنصر تجاه البربر إلى أبعد الحدود، حيث تجاوز عدد المجنّدين من فرسان البربر في ديوانه ثلاثة آلاف فارس [2]، وقيل:" إنّهم بلغوا ألفي غلام "[3]، في حين لم يزد عددهم عن سبعمائة في عهد المستنصر.[4]

وكانت نظرة المنصور الاستشرافية تعتبر هؤلاء البربر صمّام الأمان للخلافة الأندلسية، وأنّه لا يمكنه الحفاظ على قوّة الدولة وهيبتها ما لم يمتلك جيشا كثير العِدّة موفور العُدّة، يتقن فنّ الحروب ولا يخشى خوض الخطوب، ليستطيع في النهاية التمكين لمشروعه الجهادي، ولهذه الغاية استدعى البربر واستكثر منهم في جيشه، فجاءه " فرسان الغرب وزناتة الواردين على بابه في سبيل الحسائف، والدماء الواقعة بينهم وبين ناسهم، فارتاش منهم بأجنحة وافرة لم يستظهر قبله ملك بمثلها، ومغراوة وإزداجة وزناتة وصنهاجة، وانتقى الرجال منهم، فكان لا يلحق في ديوانه إلاّ من تقرّر غناؤه، وتحقّق نفعه وكرم موقفه ".[5] وانطلق ابن أبي عامر في

[1]- العبر، ج6، ص238.
[2]- ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص102.
[3]- ابن بسّام الشنتريني، المصدر السابق، ج7، ص81.
[4]- ابن حيّان، المقتبس، تحقيق صلاح الدين الهواري، ص150.
[5]- ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص66.

تجسيد مشروعه الجهادي ضدّ النصارى، فقاد بهم جلّ غزواته التي بلغت " ستّا وخمسين غزوة، لم يهزم قطّ في غزوة منها، ولم يزل فيها ظافرا مؤيّدا منصورا عند اسمه".[1]

وبعد وفاة المنصور بن أبي عامر خلفه ابنه عبد الملك المظفّر سنة 392هـ/1002م، فلم يزد على أن واصل سياسة والده في اصطناع البربر، من أهل العدوة المغربية داعيا إليه قبائلهم للخدمة، وأورد ابن بسّام رواية نقلها عن ابن حيّان ذكر فيها أنّ جواز زاوي وقومه كان زمن المظفّر بن المنصور وبإذن منه حيث قال: " وكان من أعظم من هاجر إليه زاوي بن زيري بن منّاد الصنهاجي، صاحب الفرقة الخارجة على عمّه ابن المعزّ بن باديس بن منصور صاحب إفريقية، ... فطلب عبد الملك السمعة باستخدام مثله – في دهائه ومكره – فأدخله بمن معه من إخوته وولاّه الوزارة أرفع خطط أصحاب السلطان بالأندلس".[2]

ويذكر ذات المصدر " أنّ المنصور قد التوى في الإذن له بالدخول إلى الأندلس، حذرا من دهيه ومكره وبعد صيته في المغرب، فأضرب عبد الملك عن الفكر في شأنه، وطلب السمعة باستخدام مثله فأدخله بمن معه"[3]، وأخذ بهذه الرواية أيضا ابن عذاري وابن الخطيب في إحاطته [4]. والرّاجح أنّ دخولهم كان على عهد المنصور بن أبي عامر، وهو ما سبقت الإشارة إليه في رواية الأمير عبد الله بن بلقين وابن خلدون، باعتبار أنّ الأوّل هو حفيد ماكسن أخو زاوي وأدرى بتاريخ أسرته، أمّا الثاني فهو يعتبر حجّة في تاريخ البربر [5]. وبناء على ذلك فمن الأرجح أن يكون دخول زاوي والوفد المرافق له من صنهاجة إلى الأندلس على عهد المنصور وليس على عهد ابنه المظفّر.

---

[1] - مجهول، تاريخ الأندلس، دراسة وتحقيق : عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1428هـ/2007م، ص226.

[2] - ابن بسّام، المصدر السّابق، ج7، ص81-82.

[3] - المصدر نفسه، ج7، ص81.

[4] - ينظر: البيان المغرب، ج3، ص263./ ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص238. إلاّ أنّه يتناقض مع نفسه في مؤلّفه أعمال الأعلام بشأن نفس الخبر، حيث جعل تلقّي زاوي ومن جاز صحبته من قبل المنصور وليس من لدن ابنه المظفّر مخالفا بذلك ما أورده في الإحاطة. ينظر للمقارنة: أعمال الأعلام، ص229.

[5] - عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني، ص122.

وأمّا فيما يتعلّق بتاريخ دخولهم، فقد ذكر ابن الأثير ذلك في حوادث سنة 373هـ، مع العلم أنّه جعل ولادة باديس سنة 374هـ، وذكر أنّ ولايته للحكم كانت سنة 386هـ، وأنّ باديس استعمل عمّه حمّادا على أشير في نفس السنة، وسيدخل في صراع مع أعمامه بسبب خروجهم على باديس، فيقتل عمّه ماكسن ويرغم عمّيه زاوي وجلالة وأولادهما على الرّحيل إلى الأندلس. فإذا كان من المعقول تولية باديس لعمّه على أشير في نفس السنة التي تولّى فيها حكم الدولة الزيرية أي سنة 386هـ، فهل يعقل أن يسبق رحيل أعمام حمّاد إلى الأندلس تاريخ ولادة باديس الذي كان سنة 374هـ بسنة، ويكون هو من ولاّه ليدخل في مواجهته العنيفة لهم، التي ستنتهي بترك بلاد المغرب والجواز إلى الأندلس!.[1]

وإذا كان تاريخ دخولهم سنة 391هـ/1001م ، فإنّ هذا التاريخ يوافق على الأرجح الغزوة الخامسة والخمسين من غزوات المنصور، أي غزوة "بابش"[2] وهي الغزوة ما قبل الأخيرة ضدّ نصارى الشمال قبل أن يتخطّفه الموت بسنة.

وقد أثمرت سياسة المنصور وابنه المظفر من بعده، التي اعتمدت على جند البربر وفرسانهم، في المواجهات العسكرية مع نصارى الشمال، انتصارات متتالية طيلة فترة تولّيهما الحجابة لهشام المؤيّد (367- 399هـ/978- 1008م).

وينبغي الإشارة إلى أنّ محمد بن أبي عامر كان في هذه الأثناء من أبرز الشخصيات الأندلسية المؤهّلة للقيام بدور الوصيّ على الفتى هشام، حيث استطاع أن ينتقل في ظرف وجيز من رجل عادي، يكتب العرائض على باب القصر إلى شخصية مميّزة بالعمل داخل القصر، بطلب من السيّدة صبح أمّ هشام، التي خدمها فأحسن خدمتها، فزكّته لدى الخليفة، وإذ به يصبح من خواص الدّولة ووجوهها، كما جعله وكيلا لوليّ العهد هشام.[3]

ولمّا علمت نصارى الشمال بوفاة الحكم، قرعت طبول الحرب على دار الخلافة، فنهض ابن أبي عامر بدفاع العدو صدر دولة هشام، وكان قيامه بالجهاد

---

[1]- ينظر تفاصيل ذلك لدى ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص485.

[2]- مجهول تاريخ الأندلس، المصدر السابق، ص235.

[3]- ابن بسّام الشنتريني، المصدر السابق ، ج4 ص37/ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص59.

دون الجماعة سببا في توصّله إلى تدبير الملك[1]، وتمكّن بما أوتي من حيلة وذكاء أن يطيح بكلّ خصومه من رجالات الدولة، الذين رأى فيهم منافسا له في الأمر[2]، وكان آخرهم غالب بن عبد الرحمن، الذي تخلص منه بقائد جيش الحضرة جعفر بن علي بن حمدون، ثم دبّر مكيدة اغتال بها قاتله لكي لا ينكشف الأمر.[3]

فلمّا صفا له الجوّ بدا له أن يستبدّ بالأمر كلّه، فاستأثر بمنصب الحجابة، وتلقّب بالمنصور سنة 371هـ/981م، ودعي له على المنابر استيفاء لرسوم الملوك، وأخذ الوزراء ووجوه بني أميّة بتقبيل يده[4]، وعندها حجب الخليفة عن أعين الناس، وقوّى نفوذه بجنود البربر لا سيما من صنهاجة، التي كانت تمثل القوّة الضّاربة للمنصور[5]، فأصبح الآمر النّاهي في الأندلس لعهد سمّي بعهد الحجابة.

وخلفه عليها ابنه عبد الملك المظفر من سنة 392هـ /1002م إلى سنة 399هـ/1008م، ثمّ أخوه عبد الرحمن شنجول، الذي تولّى أمرها بعده بضعة أشهر، حتى قتل في رجب من نفس السنة، وبوفاته دخلت الأندلس في فتنة أذهبت ريحها وشتتت وحدتها ومزّقتها كلّ ممزق إلى طرائق أشبه بالفسيفساء، تولّى حكمها خلفاء ضعفاء جعلوا بأسهم بينهم، أمّا الخلافة فظلّت تترنّح في حالة من الضعف الشديد إلى سقوطها نهائيا سنة 422هـ/1031م.

---

[1]- ابن بسّام، المصدر السابق، ج4 ص38.
[2]- ليفي بروفنسال، تاريخ إسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية، ترجمه إلى العربية : علي عبد الرءوف البمبى وآخرون، ط3، Espasa Calpe, S.A , Madrid, 1967، ص445- 446.
[3]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج2 ص279/ خليل إبراهيم السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار المدار الإسلامي- بيروت، ط1، 2004، ص197.
[4]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج2 ص279.
[5]- ابن خلدون ، المصدر السابق، ج6 ص238.

4- الصنهاجيون بالأندلس على عهد ملوك الطوائف:(422- 484هـ/1031- 1091م)

1.4- المميّزات العامّة لعهد ملوك الطوائف:

يعتبر حادث إقدام عبد الرحمن بن المنصور (شنجول) على تحويل الخلافة باسمه اعتداء على شرعية الخلافة في الأندلس، بانتزاعها من بني أميّة أصحابها الشرعيين، فكان من نتائج ذلك أن قام الأمويون والمضريون بخلع هشام المؤيّد عن العرش، وتولية محمد بن هشام بن عبد الجبّار حفيد عبد الرحمن الناصر ولقّبوه بالمهدي، وقد حدث ذلك بينما كان شنجول يريد القيام بغزوة له بالشمال، فلمّا وصلته الأنباء عاد من حينه إلى قرطبة للدفاع عن عرشه، وبسبب هذ ه المستجدّات انفضّ عنه بعض جيشه، فلقي حتفه من لدن خصومه سنة 399هـ/1008م.

وابتليت الأندلس في هذه السنة بفتنة حالكة، متّصلة الفصول بين مختلف انتماءات المجتمع الأندلسي، من بربر وعرب وصقالبة، جعلت حليم أهلها حيران ا، وضربت تماسكها وقسَمت ظهرها، وأتت على الأ خضر واليابس فيها، وزاد عدد الخلفاء الأمويين في هذه الفترة الوجيزة بداية من سنة 399هـ إلى سنة 422هـ على عدد الخلفاء الذين حكموا قبلهم منذ بداية الدولة الأموية في الأندلس.[1]

وظلّت الخلافة الأموية تترنّح في ضعفها منذ قيام الفتنة بالأندلس سنة 399هـ إلى سنة 407هـ (من خلافة محمد بن هشام المهدي إلى سليمان المهدي للمرّة الثانية)، أين استطاع بنو حمّود الأدارسة الحسنيون الذين صاروا يتكلّمون باللّسان البربري، بموجب استقرارهم بين البربر لفترة طويلة، حيث كان مؤسس دولتهم بالأندلس علي بن حمّود بربري اللّسان، فقد ثبت عنه أنّه قال: " لايقتل الزلطان إلاّ الزلطان، يعني السلطان".[2]

واستمرّت السلطة بين أيديهم مدّة سبعة أعوام، ثمّ استعادها بنو أميّة وحكموا قرطبة فترة قصيرة امتدّت من 414هـ إلى 422هـ (بدأت بخلافة المرتضي وانتهت بخلع هشام المؤيّد)، حيث اتّفق الملأ على إسناد الأمور بالحضرة إلى شيخ الجماعة، وبقيّة الأشراف من بيوت الوزارة أبي الحزم بن جهور الذي أعلن سنة 422هـ خلع

---

[1]- أحمد مختار العبّادي، المرجع السّابق، ص464.
[2]- ابن الخطيب، الإحاطة، ج4، ص228.

هشام وإبطال الخلافة جملة لعدم وجود من يستحقّها، فرجعت قرطبة إلى تدبير الوزراء فيما يجمعون عليه من الأمر شورى بينهم.[1]

وقضي بذلك نهائيا على دولة الخلافة الأموي ة التي حكمت الأندلس مائتين وأربعة وثمانين عاما [2]. ولم يمض وقت طويل حتى تحوّلت كلّ مدينة من مدن الخلافة إلى دويلة، يحكمها متغلّب فرض نفسه بقوّة العصبية، فيما اصطلح على تسميته عند المؤرّخين بعهد ملوك الطوائف، الذي سيعرف ميلاد اثنتين وعشرين دويلة، وراح كلّ من هؤلاء المستبدّين يسعى إلى فرض نفسه على غيره من أشباه الحكّام، وتناسوا جميعهم الممالك الإسبانية النصرانية، التي كانت تمثّل الخطر الحقيقي الزّاحف نحوهم من الشمال، وكانت تختبر مواطن الضعف منتظرة بفارغ الصّبر الفرصة السّانحة للانقضاض على المسلمين والقضاء عليهم وطردهم من الأندلس نهائيا.

واستحكمت الأنانية في هؤلاء الملوك، وطغت عليهم الأطماع الشخصية، فكان قويّهم يذلّ ضعيفهم ليستولي على أملاكه قهرا، ولأنّهم كانوا يفتقدون إلى الشرعية، فقد ادّعى كلّ واحد منهم أنّه سيحافظ على ما بحوزته حتّى يظهر الحاكم الشّرعي فيتنازل له عن ذلك[3]، لكنّ الحقيقة التي أخفاها هؤلاء سرعان ما انكشفت للعيان، حيث سعى كلّ منهم إلى إضفاء الشرعية على حكمه من خلال استقطاب الفقهاء والعلماء، لتدعيم مركزه وتبرير سطوته وفرض سلطانه.

وكانوا كلهم وبدون استثناء يقومون بتزكية أعمالهم، وعلى رأسها ما كانوا يفرضونه من ضرائب أثقلوا بها كاهل النّاس بدعوى حمايتهم من إغارة الأعداء، والواقع أنّهم بجمعهم لتلك الأموال، إنّما كانوا يحمون ملكهم ويحافظون عليه من الزوال بإرضاء الملوك الأقوياء، الذين كانوا في غالب الأحيان ملوك نصارى الشمال.

---

[1]- ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص139 وص147./ ابن بسّام، المصدر السّابق، ج5، ص527-528.

[2]- عبد الله عنان، المرجع السّابق، ص13.

[3]- ابن الخطيب، المصدر السابق، ص144.

وقد اشتكى ابن حزم من سوء هذه الحال متضرّعا إلى ربّه بقوله: " اللّهم إنّا نشكو إليك تشاغل أهل الممالك من أهل ملتنا بدنياهم عن إقامة دينهم، وبعمارة قصور يتركونها عمّا قريب عن عمارة شريعتهم اللاّزمة لهم في معادهم ودار قرارهم، وبجمع أموال ربمّا كانت سبباً إلى انقراض أعمارهم وعوناً لأعدائهم عليهم وعن حياطة ملّتهم بها".[1]

ولمّا تأكّدت نواياهم بالحرص على إبقاء عروشهم، وتبيّن للناس عورهم وتجلّى بوضوح زيف إدّعائهم للنّاس عافوهم وجفوهم وانفضّوا من حولهم، فلم يعد أمامهم من سبيل بعد أن تعرّت سلطتهم من الأساس الشرعي، الذي كانوا يحاولون عبثا جاهدين إقناع العامّة به، سوى اللّجوء إلى تجنيد المرتزقة دون مراعاة لمسألة الأصل والدّين ، فاستغنوا عن من استغنى عنهم، واستعانوا بنصارى الشمال كحلفاء مقابل أجور مغرية تمّت على شكل معاهدات.[2]

وقد انقسمت الأندلس في عهد ملوك الطوائف إلى أربعة فرق كانت على النحو التّالي:

- **الأرستقراطية العربية** : تمثّلت في الأسر العربية التي غيّبت وكانت صاحبة زعامة، فعملت على استرجاع مكانتها، وأشهرها : بنو عبّاد اللّخميون في إشبيلية، وبنو تجيب اليمنيون بسرقسطة والثغر الأعلى، وبنو صمادح وهم فرع من بني تجيب بالمريّة، وبنو هود بالثغر الأعلى.
- **موالي بنو أميّة** : شتّت المنصور العامري أكثرهم، وإلى هذا البيت ينتمي بنو جهور الذين حكموا قرطبة بعد زوال الخلافة الأموية بالأندلس.
- **الصقالبة**: استكثر منهم الحاجب المنصور، وتولّى بعضهم منصب القيادة، ومنهم أسرة عبد العزيز بن أبي عامر التي حكمت بلنسية، وخيران وزهير العامريان اللذان حكما المرية قبل بني صمادح، ومجاهد العامري الذي استقلّ بدانية والجزائر (جزر البليار).

---

[1]- ابن حزم، رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق إحسان عبّاس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت، ط1، 1981، ج3، ص41.
[2]- سهيل طقوش، المرجع السّابق، صص432-433.

- **البربر**: وينقسمون إلى مجموعتين:

* **البربر البلديون**: استقرّوا في الأندلس منذ الفتح واندمجوا في المجتمع الأندلسي، ومنهم بنو الأفطس المكناسيون الذين حكموا بطليوس، وبنو ذي النون بطليطلة، وبنو رزين بتيروال وكلاهما من هوارة.

* **البربر حديثو العهد بالأندلس** : استجلبهم المنصور للاستعانة بهم في غزواته، وكانوا محلّ كراهية شديدة بسبب دورهم في الفتنة، ولم يندمجوا في المجتمع إلاّ بعد قيام دويلات الطوائف، ومنهم بنو زيري الصنهاجيين بغرناطة ومالقة، وبربر زناتة ومنهم بنو برزال بقرمونة ومورور، بنو نوح بدمّر ورندة وبنو خزرون بأركش، وبنو حمّود الأدارسة العلويون المغاربة، الذين عاشوا وسط البربر وصاهروهم، فالتفّ البربر حولهم لا سيما الصنهاجيون، وقد استقلّوا بمالقة والجزيرة الخضراء، وامتدّت سلطتهم أيّام الفتنة إلى قرطبة وإشبيلية.

وقد بدأ عصر ملوك الطوائف رسميا في الأندلس مع قيام دويلة بني جهور في قرطبة سنة 422هـ/1031م، وإن كانت دويلات عديدة سبقت دويلة بني جهور أو أعقبتها وعاصرتها، ممّا يعني عمليا أنّ هذا العصر بدأ مع قيام دويلة بني حمّود في مالقة والجزيرة الخضراء سنة 407هـ/1016م، ويشغل زهاء سبعين أو ثمانين سنة من تاريخ إسبانيا الإسلامية[1]، وسيستمرّ هذا العصر إلى سنة 483هـ/1090م، وهي السنة التي استسلم فيها الأمير عبد الله بن بلقين لأمير المسلمين يوسف بن تاشفين.

ولعلّ أبلغ ما وُصف به هذا العصر قول الشاعر أبي عليّ الحسن بن رشيق القيرواني (ت463هـ/1071م): [من البسيط]

ممّا يُزهدني في أرضِ أندلسٍ	سماعُ مقتدرٍ فيها ومعتضدِ
ألقابُ مملكةٍ في غير موضعها	كالهرِّ يحكي انتفاخًا صولةَ الأسدِ[2]

[1]- عبد الله عنان، المرجع السّابق، ص3.

[2]- ابن رشيق، ديوان ابن رشيق القيرواني، تقديم وشرح صلاح الدين الهواري، دار الجيل- بيروت، ط1، 1995، ص66./ عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص59./ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص 144./ المقّري، المصدر السابق، ج1، ص213./ وقد وقعت الدكتورة مريم قاسم طويل في اللبس الذي وقع فيه ابن خلدون فنسبت نقلا عنه هذين البيتين خطأ لابن شرف القيرواني . ينظر كتابها: مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر، ص85 يقارن مع ما ورد في مقدمة ابن خلدون، ص195 وص285./ فابن شرف القيرواني (ت390هـ/1067م)

2.4- موقف صنهاجة ودورها في فتنة الأندلس سنة 399هـ/1008م:

عرفت الأندلس بداية سنة 399هـ/1008م فاتحة فتنة، طالت فصولها حتّى أتت على الأخضر واليابس، وجعلت أعزّة أهلها أذلّة، وأصبح أمرهم ش ذر م ذر، فضاعت وحدتهم وضعفت شوكتهم، وسعى كلّ حزب لإزالة غيره من طريقه، ويعدّ عبد الرحمن شنجول رأس هذه الفتن ة الحالكة[1]، ذلك أنّه بعد تولّيه الحجابة ركبه الغرور وحبّ الظهور الذي يقسم الظهور، فتاقت نفسه طمعا في مركز الخلافة بلا مصوّغ ، فأوعز إلى من خوّف الخليفة هشام المؤيّد بالفتك [2]، فاستجاب هشام له وامتثل لأمره مكرها.

وأحضر شنجول لذلك وجوه قرطبة وكبراءها على طبقاته م، يتقدّمهم أرباب الشورى وأهل الحلّ والعقد، وأجلس هشاما وأخرج كتابا - قرئ بحضرته- ينصّ على تولية هشام لعبد الرّحمن شنجول العهد من بعده، وقد صاغ هذا الكتاب كاتب الرّسائل أبو حفص أحمد بن برد[3]، ولم يجد المروانيون بعد هذا الحدث الأليم بدّا من التجمّل بالمَلَق، فتظاهروا بالطّاعة والانصياع على مضض من سوء ما أصابهم، وخرجوا لتهنئة شنجول بهذه المِنحة التي كانت عندهم أعظم مِحنة، كلّهم يعزّي عنها نفسه ويكفكف عبرته.[4]

وأراد شنجول أن يختبر شعبيته بالغزو ليثبت من خلاله لأهل الحضرة وكلّ بلاد الأندلس أحقّيته بالمنصب الذي سطا عليه، فخرج في عزّ قسوة فصل الشتاء،

له ديوان شعر مجموع قصائده 108 قصيدة ومجموع أبيات هذه القصائد 513 بيتا ليس فيها هذين البيتين . الموسوعة الشعرية الإلكترونية ، www.daoo.org./ وبالعودة إلى ياقوت الحموي نهتدي إلى الصواب الذي نبحث عنه، فهو يخبرنا أنّ ابن شرف خرج من المهدية صوب صقلية فل حق به رفيقه ابن رشيق فاجتمعا بها ومكثا معا مدّة، ثمّ استنهضه ابن شرف على دخول الأندلس، فتردّد ابن رشيق وأنشد هذين البيتين . ينظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، تحقيق إحسان عبّاس، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط1، 1414هـ/1993م، ج6، صص2636-2637./ كما نسب ابن عمّار الوزير لنفسه هذين البيتين . ينظر: المصدر نفسه، ج6، ص310-311./ وقال ابن خلّكان إنّ هذين البيتين كانا سببا في قتله من قبل المعتمد بن عبّاد. ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، تحقيق إحسان عبّاس، دار صادر- بيروت، ط1، 1971، ج4، ص428.

[1]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج 3، ص42./ عبد العزيز فيلالي، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، دار الفجر للنشر والتوزيع- القاهرة، ط2، 1999، ص252.

[2]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، 83./ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص90.

[3]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج 3، ص44./ النويري شهاب الدّين، نهاية الأرب ، ج23، ص239./ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص91./ المقّري، المصدر السابق، ج1، ص424.

[4]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص47.

في جمادى الآخرة من سنة 399هـ/ يناير 1009م، يريد غزو نصارى الشمال في جليقية، فكان خروجه هذا مخالفة للعرف الذي جرت عليه عادة الغزو عند أهل الأندلس، ولعلّه أراد بذلك أن يؤكّد للعامّة والخاصّة أنّه قادر على تحقيق ما لم يحقّقه من سبقوه، فيحسّن صورته ويثبت للجميع أنّه أهل للمنصب الذي آل إليه، ومن أجل ذلك تحدّى التحذيرات من عواقب هذه الغزوة بسبب الظروف المناخية المشار إليها، ناهيك عن الوضع المتأجّج الذي كانت تمرّ به قرطبة حينئذ، حيث كانت المعارضة المروانية تعدّ نفسها للقيام بأحداث خطيرة.[1]

ولمّا بلغ طليطلة أتته الأخبار بخروج محمد بن هشام بن عبد الجبّار بن عبد الرّحمن النّاصر بقرطبة، وخلعه لهشام المؤيّد وتغلّبه على الزّاهرة، التي استحوذ على جميع ما فيها ثمّ أحرقها وهدمها، فحاول شنجول أن يعالج الأمر برويّة حتّى لا ينفضّ عنه من حوله من الرّجال، ومن أجل ذلك أقام بقلعة رباح وتبرّأ من ولاية العهد واقتصر على الحجابة[2]، واستحلف رؤساء الجند عند المنبر للقتال معه، وراح يكتب لهم ويمنّيهم بامتلاك الدّور والضّياع، وتقديم جميعهم على الخطط.[3]

لكنّ شيئا من ذلك لم يكن ليشفع له سوء ما اتّصف به من السلوك وقبح الأفعال، التي باتت حديث النّاس جميعا، فجرّ على نفسه بما فعل سوء المنقلب، حيث انصرف عنه البربر في نهاية جمادى الآخرة سنة 399هـ/27 فبراير 1009م، ومن جملة القوّاد الذّين بادروا بتركه زاوي بن زيري وحباسة بن ماكسن بن زيري مع من كان معهما من صنهاجة، وتنلبع الانسحاب عنه، للالتحاق بالخليفة الجديد محمد بن هشام المهدي بقرطبة.[4]

ولم يبق في صفّه غير نفر يسير في نحو خمسين فارسا، سرعان ما تخلّوا عنه وتركوه وحيدا، فلمّا وصل قصر أرملاط غير بعيد عن قرطبة دخله رفقة حرمه، فأشخص إليه ابن عبد الجبّار من جنده من أوهمه با لحصول على الأمان،

---

[1]- E. Levi Provençal, op. cit, T_{II}, P.297.

[2]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص69.

[3]- المصدر نفسه، ج3، ص49./ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص97.

[4]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص193./ ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص71.

لكنّه توجّس منه خيفة ففرّ هاربا نحو الجوف، فبعث إليه ابن عبد الجبّار ألف فارس تتعقّبه[1]، يقودهم الحاجب ابن ذرى فاحتزّ رأسه وحمله إلى صاحبه.[2]

وعندما تخلّص ابن عبد الجبّار من خصمه واستوسق له الملك، كلّف وزيره الحسن بن يحي بإخفاء هشام المؤيّد بالله عنده، وتلقّب بالمهدي وخطب له بالخلافة، ثمّ شرع في إقصاء كلّ منافسيه على السّلطة، فبدأ بالإطاحة برؤوس أبناء عمومته، فسجن سليمان بن هشام بن النّاصر، وكان قد جعله ولي عهده، كما سجن جماعة من قريش، والأغرب من ذلك أنّه أسقط من جنده نحوا من سبعة آلاف، و أفصح عن بغضه للبربر وسبّهم علنا في مجلسه[3].

وللإشارة فإنّ البربر عندما رأوا وقوف أهل قرطبة مع ابن عبد الجبّار خافوا على أموالهم وأهليهم، وأيقنوا ألاّ قبل لهم في قتال القرطبيين، فاتّفقوا على التخلّي عن شنجول، والدخول في طاعة الخليفة الجديد طلبا للسلامة [4]. إلاّ أنّ ابن عبد الجبّار اعتبر البربر سبب الاستبداد العامري، فأعلن بغضه لهم وتنقّصهم جهلا بمحلّهم من البأس والعصبية [5]، ونهبت دورهم على الفور، ومن بين الدّور التي تعرّضت للنّهب دور لبني ماكسن بن زيري ودور لبني زاوي، ودور كثيرة بالرّصافة لجماعة من البربر، وسبب ذلك سوء تصرّف ابن عبد الجبّار الذي قال: لا يركبنّ أحد من الغزاة ولا يحمل سلاحا ولا يأت القصر.

ومن سوء حظّ زاوي بن زيري بن منّاد – وكان عظيم صنهاجة أصحاب إفريقية وملكهم وقومه ملوك إفريقية يملكون من طرابلس إلى طنجة- أنّه ركب في ذلك اليوم في جماعة معه، فـردّوا عن باب القصر وانصرفوا في غاية من الذلّ، ويذكر أنّ الدهماء احتبست زاوي بن زيري بالباب للازدحام مدّة، لا يفرج له ولا

---

[1]- المصدر نفسه، ج3، ص49-50.

[2]- نفسه، ج3، ص71-73. / Emmanuelle Tixier du Mesnil, Université de Paris Ouest Nanterre, EA 1587, Département d'histoire , La fitna andalouse du XIe siècle, in médiévales revues, n° 60, printemps 2011, p.17-28 .

[3]- النويري، المصدر السابق، ج 23، ص245./ ابن عذاري، المصدر السابق، ج 3، ص78-79./ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص112-113.

[4]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص67.

[5]- ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص112-113.

يعرف مكانه، وكلّما همّ بالاستقدام ردّوه، وقرعوا رأس فرسه، فلمّا أكثروا عليه جعل يقول: هذا الرّأس فاضربوا فالدّابّة لا ذنب لها.[1]

وبعد الذي أصاب دورهم من السّلب والنّهب، ارتأى البربر تقديم شكواهم للمهدي، فاستقبل رؤوسهم بقيادة زاوي بن زيري وحبّوس وحباسة ابني ماكسن وأبي الفتوح بن ناصر، فلمّا سمع تظلّمهم اعتذر لهم ووعدهم بتعويض ما نهب لهم، وأمر بقتل بعض من اتّهم من الجند بنهب البربر[2]. لكنّ الانفلات الأمني كان قد شقّ طريقه إلى العامّة، بسبب سفاهة رأي ابن عبد الجبّار، الذي أوقد نار الفتنة العظيمة التي يسمّيها أهل الأندلس ظلما بالفتنة البربرية، ولو سمّوها بفتنة ابن عبد الجبّار لكان الأحقّ والأولى.[3]

وانتشرت نار الفتنة بقرطبة بين البربر والعامّة انتشار النّار في الهشيم ، ولم تتوقّف أعمال النّهب لا سيما بعد أن أمر ابن عبد الجبّار أن ينادى في البلد : " من أتى برأس بربري فله كذا وكذا "، فشرع أهل قرطبة في قتل من قدروا عليه منهم، ولم يشفع لمجاهدهم جهاده ولصالحهم صلاحه فنالهم القتل، وهتكوا الحرمات وسبوا النّساء وباعوهنّ في دار البنات، وقتلوا الحوامل كما قتلوا سبعة عشر رجلا من أهل تلمسان، قدموا للغزو في ساعة واحدة، وقتلوا بالخطأ قوما من أهل خراسان وأهل الشّام اعتقدوا أنّهم من البربر، وهرب من سلم من البربر إلى أرملاط ثمّ جلوا إلى الثغر.[4]

وتبيّن لابن عبد الجبّار سوء تصرّفه، فخاف أن تُستغلّ قوّة البربر ضدّه فأمر مناديه أن ينادي في المدينة: من آذى بربريا أو تعرّض له بعد كانت عقوبته السّيف، فكفّ النّاس عنهم، لكنّ البربر كانوا قد وصلوا إلى أرملاط، فلمّا أدركهم البكري وهو أحد وزرائه يخبرهم بأنّ الخليفة أمّنهم، وأنّه نودي في الحاضرة وأرباضها بأنّ أمير المؤمنين المهدي قد عفا عن البربر، على أن يرجعوا إلى بلادهم فيصيروا

---

[1]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص75-76.
[2]- المصدر نفسه، ج3، ص76./ المقّري، المصدر السابق، ج1، ص427.
[3]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص76.
[4]- المصدر نفسه، ج3، ص81./ النويري، المصدر السابق، ج23، ص245.

حرّاثين كما كانوا، لكنّ البربر صمّوا آذانهم عنه وتابعوا سيرهم، حتّى وصلوا قلعة رباح في آخر شوّال[1]/25 جوان.

ويذكر أنّه بعد أن " استوحش البربر من سوء أعمال وتصرّفات ابن عبد الجبّار، اشتوروا في تقديم هشام بن سليمان ابن أمير المؤمنين النّاصر، ففشا في الخاصّة حديثه، فعوجلوا عن مرامهم ذلك، وأغرى بهم السّواد الأعظم فثاروا بهم، وأزعجوهم عن المدينة، وتُقبّض على هشام وأخيه أبي بكر، وأحضرا بين يدي المهدي فضرب عنقيهما"[2]. ولحق سليمان ابن أخيهما الحكم بجنود البربر، فلمّا سألوه عن نفسه فأخبرهم اجتمعوا إليه وولّوه على أنفسهم، وعقدوا له الخلافة وتسمّى بالمستعين في عقب شوال من سنة 399هـ[3]/ جوان 1009م، ورؤساؤهم يومئذ زاوي بن منّاد الصنهاجي وبنو ماكير ابن أخيه زيزي وابني عبد الله البرزالي وأبو الفتوح بن ناصر وخزرون بن محصن المغراوي وغيرهم كثير.[4]

وينفرد ابن الخطيب برواية نقلها عن ابن حيّان، جاء فيها " أنّهم لمّا انتهوا إلى فحص هلال واجتمعوا على التأسّي، ضرب لهم زعيمهم زاوي مثلا بأرماح خمسة جمعها مشدودة ودفعها لأشدّ من حضره منهم، وقال أجهد نفسك في كسرها كما هي وأغمزها، فعالج ذلك فلم يقدر عليه، فقال له حِلها وعالجها رُمحًا رُمحًا، فلم يبعد عليه دقَّها، فأقبل على الجماعة فقال: هذا مثلكم يا برابرة، إن جُمعتم لم تُطاقوا، وإن تفرّقتم لم تبقوا، والجماعة في طلبكم، فانظروا لأنفسكم وعجّلوا، فقالوا نأخذ بالوثيقة، ولا نلقي بأيدينا إلى التهلكة، فقال لهم : بايعوا لهذا القرشي سليمان، يرفع عنكم الأنفة في الرّياسات وتستميلون إليه العامّة بالجنسية، ففعلوا . فلمّا تمّت البيعة قال: إنّ مثل هذا الحال لا يقوى على أهل الاستطالة، فيقيّد له رئيس كلّ قبيلة منكم، قبيلة يتكفّل السلطان بتقويمهم، وأنا الكفيل بصنهاجة، قال : وامتازت بطون القبائل على أرحامها وقبائلها إلى أفخاذها وفصائلها، فاجتمع كلّ فريق منهم على تقديم

[1]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص82.
[2]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، 193./ المقّري، المصدر السابق، ج1، ص427.
[3]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج 3، ص82./ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص 113./ المقّري، المصدر السابق، ج1، ص428.
[4]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص192.

سيّده، فاجتمعت صنهاجة على كبيرها زاوي، ولم تزل تلك القبائل المتألّفة با لأندلس لطاعة أميرها المنادين له، إلى أن أورثوهم الإمارة.[1]

ويبدو أنّ محمد بن هشام بن عبد الجبّار أحسّ بخطورة ما آلت إليه أوضاع الأندلس، بسبب سوء أوامره وتصرّفاته التي كانت غاية في الحمق لا سيما إزاء البربر، فحاول مجدّدا أن يتدارك الأمر قبل أن يخرج عن طوعه وإرادته، فأرسل إليهم عبّاس البرزالي وهم بقلعة رباح، فقال لهم: " قد أمّنكم أمير المؤمنين أمانا تامّا فارجعوا إلى دوركم ومحالكم، فقالوا ليس إلى رجوعنا من سبيل، لأنّه إن أمّننا لم تؤمّننا رعيّته، وإن أمّنتنا عامّته لم يؤمّننا جنده".[2]

وعندما دنا البربر من مدينة سالم التي كان عليها واضح الفتى باعتباره قائد الثغر الأوسط، الذي يوالي في الخدمة محمد بن عبد الجبّار، وكان في جيشه نحو أربعمائة فارس بربريّ يرابط في المدينة، فأراد واضح الغدر بهم لكنّهم اخترقوا صفوفه، والتحقوا بإخوانهم ودخلوا وادي الحجارة فانتهبوها واستباحوا أهلها.[3]

فلمّا بلغت الأخبار ابن عبد الجبّار أمر ببناء أبواب قرطبة، تحسّبا لما قد يحدث مستقبلا، ووصل البربر إلى مدينة سالم فسألوا واضحا ليتوسّط في الصّلح بينهم وبين ابن عبد الجبّار، شريطة أن يكون سليمان بن الحكم وليّ عهده، لقطع دابر الفتنة بما يكون فيه صلاح البلاد والعباد، لك نّه أبى ودسّ طائفة من الفتيان العامريين كانوا مع البربر، كلّفهم بالقبض على سليمان أثناء التناوش بين الفريقين، ولسوء حظّهم اكتشفت خطّتهم وقتلوا جميعا.[4]

ولمّا اتّصل الخبر بابن عبد الجبّار قرأ كتابا على أهل قرطبة، يريد به رفع معنوياتهم، أشاع فيه بأنّ البربر قُتِلوا قتلا ذريعا، وأنّه سيصل من رؤوسهم أكثر من ألف رأس، وضرب واضح حصارا على البربر اضطرّهم إلى أكل حشيش الأرض خمسة عشر يوما، فلمّا أجهدهم الحصار اتّصلوا بشانجة بن غرسية بن فرذلند،

---

[1]- ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، صص294-295./ نفس المؤلّف، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، ط2، مكتبة الخانجي بالقاهرة، 1393هـ/ 1973م، ج1، صص514-515.

[2]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص84-85.

[3]- المصدر نفسه، ج3، ص85.

[4]- نفسه.

وعقدوا معه صلحا في الوقت الذي أخفق ابن عبد الجبّار في الحصول على ذلك، وقضى هذا الصّلح أن يمنح النّصراني ما يحبّ من مدائن الثّغر بعد ظفر البربر بعدوّهم، فزوّدوهم بما يحتاجون من الغذاء والسلاح.[1]

وغير بعيد عن قلعة عبد السلام بشرنبة اقتتل الطرفان في أواخر ذي الحجّة من سنة 399هـ/23 أوت 1009م، فدارت الدّائرة على واضح وأسروا من كان معه، فقتلوا منهم كثيرا وعفوا عن بعضهم وغنموا ما كان بحوزتهم من مال وسلاح.[2]

وحاول ابن عبد الجبّار أن يستنجد ببعض الشخصيات البربرية المعروفة، التي لم تغادر الحاضرة رغم أحداث الفتنة، كابن ذكوان وغيره من أجل التوسّط له، لكنّهم خافوا على أنفسهم فعذرهم.

ولمّا أدرك أنّ الحرب قاب قوسين أو أدنى منه، وأنّه لا مفرّ من ذلك، أمر بحفر خندق حول قرطبة على أفواه الأرباض، كما أمر البربر المقيمين بين ظهرانيهم بالخروج من المدينة، وشدّ الرّحال نحو العدوة المغربية، ليأمن عدم انضمامهم إلى صفوف المنتزين من إخوانهم إذا حلّت الحرب بساحتهم، وبلغت قلوبهم الحناجر لمّا علموا بتجمّع أهل قرطبة حول القصر، وتصايحهم بقتل البربر الذين لا يزالون معهم بالمدينة، لأنّهم أضرّ عليهم من الذين يأتونهم من خارجها.[3]

وأقبل واضح في أربعمائة فارس من مدينة سالم لنصرة ابن عبد الجبّار، ووصل غلامه في مائتي فارس، ونزل البربر يوم الأربعاء الحادي عشر من شهر ربيع الأوّل سنة 400هـ/1 نوفمبر 1009م بأرملاط، ونادى منادي ابن عبد الجبّار بأن يخرج كلّ من بلغ الحلم من سائر النّاس، فلم يتأخّر أحد إلاّ المستضعفين من الشيوخ والولدان، ثمّ تحرّك البربر ونزلوا في سفح جبل قنتيش، بينهم وبين أهل قرطبة الوادي الكبير.[4]

وكان واضح الفتى وجنده قد وصلوا الوادي قبلهم بيومين، واحتشد النّاس من الكور والبادية، وفي يوم السبت الثالث عشر ربيع الأوّل سنة 400هـ/3 نوفمبر

---

[1]- نفسه، ج3، ص86./ النويري، ج23، ص246./ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص113.
[2]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص87.
[3]- المصدر نفسه، ج3، ص87-88.
[4]- نفسه، ج3، ص88-89./ ابن الأبّار، الحلّة السيراء، ج2، ص6.

1009م زحف القرطبيون على البربر، الذين استدرجوهم إلى معسكرهم فحمل عليهم نحو ثلاثين فلوسا فتراجعوا منكشفين، فأعمل البربر فيهم السيف بعد أن ازدحموا وتناشبوا وسقط بعضهم على بعض، وغرق كثير منهم في الوادي، في هذه الواقعة التي عُرفت بوقعة قنتيش، والتي قتل فيها عشرة آلاف قتيل أوأزيد.[1]

وفرّ واضح من فوره إلى الثغر في ظلمة الليل، ودخل البربر قرطبة وأرباضها، وانبسطوا في أرضها يقتلون ويأسرون[2]، وحاول ابن عبد الجبّار أن ينقذ ما يمكن إنقاذه، بعد أن أيقن أنّ الدّائرة دارت عليه، فأخرج هشام المؤيّد إلى النّاس، وأقعده على شرفة القصر ليروه، وأشخص القاضي ابن ذكوان إلى البربر لينقل لهم أنّه قائم دون هشام المؤيّد، وهو نائب عنه كالخليفة والحاجب، وهو أمير المؤمنين[3]، لكنّ الوقت كان قد فات على ذلك فلم يسمع له.

ولم يقابل البربر الإساءة بالإساءة والشرَّ بالشرِّ رغم ما لقوه من بغض العامّة من أهل قرطبة لهم، وقد ساموهم سوء العذاب فذبّحوا البربر واستحيوا الحرمات، ونهبوا كلّ ما وقعت عليه أعينهم، لكنّ البربر أرادوا أن يجعلوا حدّا لهذه الأعمال الشنيعة بفتح صفحة جديدة، من شأنها أن تخمد نار الفتنة التي اصطلت بها الأندلس. وفي هذا الإطار ذكر أنّ بعض عبيد البربر نهبوا دورا من أرباض قرطبة، فضربت رقاب أربعة منهم فسكن النّاس[4]. وكانوا – أي البربر- ينهون سفهاءهم وعبيدهم أن يمدّ أحد منهم يده إلى أندلسي.[5]

وخرج ابن عبد الجبّار من قرطبة ووصل إلى طليطلة في أوّل جمادى الأولى من سنة 400هـ/20 ديسمبر 1009م، فاستقبله أهلها أحسن قبول، وخرج سليمان من الحاضرة للقاء ابن عبد الجبّار وحلفائه النّصارى، بعد أن سلّمهم مدينة

---

[1]- ابن بسّام، المصدر السّابق، م1، ص43./ ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص90./ وقيل إنّ عدد القتلى بلغ ثلاثين ألفا. ينظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص 113./ وقال البعض إنّ العدد كان نيف وعشرين ألف قتيل . ينظر: ابن الأبّار، المصدر السّابق، ج 2، ص6./ الحميدي أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تقديم وضبط وشرح ووضع الفهارس لـ: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية- صيدا- بيروت، ط1، 1425هـ/ 2004م، ص30./ عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص40.

[2]- ابن بسّام، المصدر السابق، م1، ص44./ ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص89.

[3]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص89./ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص113.

[4]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص90.

[5]- المصدر نفسه، ج3، ص92.

سالم، وكان ذلك في 14 من شوال/30 ماي 1010م، وتمكّن ابن عبد الجبّار من حشد ثلاثين ألف فارس من المسلمين، وتسعة آلاف من النّصارى، والتقى الجمعان في موقعة عقبة البقر، وكانت خطّة البربر تقضي بوضع سليمان مع خيل من المغاربة في مؤخّرة الجيش، على أن لا يبرح مكانه مهما حدث، فلمّا بدأت الموقعة فتح البربر صفوفهم لتطويق جيش عدوّهم، لكنّ سليمان ظنّ أنّ جيشه انهزم، فانسحب مع من كانوا معه، فانقلب النّصر هزيمة، رغم قتل البربر لملك النّصارى "أرْمَنْقُد"[1]. " واضطرّ البربر إلى الانسحاب نحو مدينة الزهراء، وقد فقدوا بسبب التدافع والازدحام وهم يخرجون منها، من عيالهم وأبنائهم وأتباعهم خلقا".[2]

ويصف سعيد المرابط وكان أحد المشاركين في موقعة عقبة البقر على لسان ابن حيّان، " أنّه لمّا غادر البربر الزهراء لم يحملوا معهم ما يحتاجون إليه من غذاء وما يستعينون به لحمل عيالهم وضعفائهم عليه، فأغاروا على الحاضرة وقراها ... فأخذوا كلّ ما أصابوه فيها من دابّة، حملوا عليها العيال والضعفاء والقرابة".[3]

وعاد ابن عبد الجبّار إلى قرطبة فجدّد البيعة لنفسه، وأمر بقتل كلّ متشبّه بالبربر وكلّ عدويّ (العدوة المغربية)... حتّى أنّ كلّ من بينه وبين أحد عداوة قال: هذا بربري فقتل [4]، وأقسم أن لا يهدأ له بال إلاّ إذا فرغ من أمر البربر، الذين أجمعوا أمرهم على ترك العدوة الأندلسية متّجهين بأُسرهم نحو بحر الزّقاق (البحر المتوسط) إلى جهة الخضراء قِبَل بلادهم الغربية، حتّى نزلوا بوادي يارو (وادي السقّائين) من أحواز مربلّة. ولحق بهم ابن عبد الجبّار بالوادي فدارت بين الفريقين معركة حاسمة، يوم الخميس السادس من ذي القعدة سنة 400هـ/20 جوان 1010م، ورغم قلّة جيش البربر فقد قاتلوا قتالا مستميتا، فكتب الله لهم الصّائلة، وانهزم واضح وابن عبد الجبّار والفرنج ولم تغزهم كثرتهم، فقتل من الفرنجة يومها أكثر من

---

[1]- ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص 114-115./ ابن عذاري، المصدر السابق، ج 3، ص94-95./ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص193./ النويري، المصدر السابق، ج23، ص248.

[2]- أبو بكر بن العربي المعافري، كتاب ترتيب الرّحلة للترغيب في الملّة، مخطوط بالخزانة العامّة- الرباط، رقم ك 1275، الورقة 156.

[3]- نفس المخطوط والورقة.

[4]- Emmanuelle Tixier du Mesni, op, cit, p.17-28.

ثلاثة آلاف، وغرق منهم بالوادي خلقا كثيرا، وغنموا ما في حوزة خصومهم من مضارب ومال وسلاح ودواب.[1]

ويواصل سعيد المرابط وصفه لواقعة وادي يارو فيقول : " وتقدّم عدوّ الله للحرب – ويقصد بذلك ابن عبد الجبّار- قبل إقامة التعبئة، واقتحم الوادي إلينا في جمعه العرمرم، فاستقبلهم حماة القوم وعامّتهم بنو برزال، وقد تناهت خيلهم أربع مائة فارس، وصنهاجة معهم مقدار مائة وخمسين فارسا ... واستحرّ القتل، فقتل من وجوه بني برزال في الكبّة بضعة عشر رجلا، ومن صنهاجة نفر "[2]. في حين بلغ القتل في النّصارى نيّف على ثلاثة آلاف فارس، واقتحموا النهر على مخاضه ففرّق منهم خلقا كثيرا.[3]

وألمّت بجيش المهدي الهزيمة التي لم يكن يتوقّعها، وغنم البربر المحلّة بما فيها وسرادق المهدي وبيت ماله، ومحلّة الإفرنجة بأَسرها، وحصلوا على ما لا تقدّر قيمته[4]. " وقيل إنّ البربر جمعوا رؤوس من قتلوه في هذا المأقط بحضرتي (عبد الرحمن بن هشام بن سليمان العراقي وهو ابن عمّ سليمان المستعين الذي شهد الموقعة) معدودة وانتهت إلى ألف وخمسمائة وزيادة".[5]

وعاد محمد بن عبد الجبّار إلى قرطبة، فأمر بحفر خندق يحيط بها وحصّنها بسور وراءه، منتظرا قدوم البربر إليه، بعد أن استنفد جميع أوراقه الحربية، وأبى النّصارى القتال مع أهل قرطبة ورحلوا إلى بلادهم، وعندئذ ارتأى واضح وطائفة من الفتيان العامريين التخلّص من ابن عبد الجبّار، وإعادة هشام المؤيّد إلى عرشه، وقاموا بتنفيد ذلك يوم الأحد الثامن من ذي الحجّة سنة 400هـ[6]/23 جويلية 1010م.

ونتيجة لما فُعِل بهم بلغ غيظ البربر لأهل قرطبة أشدّه، فأغاروا على شقندة وفجّ المائدة وغيرها من المدن والقرى، فأفقروها ونهبوا كلّ ما وجدوه من أموال،

---

[1]- ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص115. / ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، صص97-98.
[2]- مخطوط ترتيب الرّحلة، ورقة 156-157.
[3]- ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص115./ ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص96./ عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص40.
[4]- أبو بكر بن العربي، المخطوط نفسه، ورقة 156-157.
[5]- نفس المصدر والورقة.
[6]- ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص 116./ ابن عذاري، المصدر السابق، ج 3، صص99-100./ النويري، المصدر السابق، ج23، ص249.

وفي سنة 401هـ/1011م دخل البربر قرطبة ومدينة الزهراء، ثمّ انتهوا إلى مال قة فانتهبوها وجاء الدور على إلبيرة، ثمّ دخلوا الجزيرة وقطعوا الميرة على أهل قرطبة ، حتّى اشتدّ الجوع بها ولم يسلم من المدن إلاّ طليطلة ومدينة سالم.[1]

وكان زاوي كبش تلك الوقائع ومحش حروبها ، وتمرّس بقرطبة هو وقومه صنهاجة وكافة زناتة والبربر حتى ثبتّوا قدم خليفتهم سليمان المستعين الّذي بايعوه وبذلوا له الطاعة، ثم اقتحموا به قرطبة عنوة واصطلموا عامّة أهلها ، وأنزلوا المعرات بذوي الصّ ون منها وبيوتات السّ تر من خواصّها، وتوصّل زاوي عند استباحة قرطبة إلى رأس أبيه زيري بن مناد المنصور بجدران قصر قرطبة فأزاله وأصاره إلى قومه ليدفن في جدثه[2]، وكان مقتله يوم الخميس 10 رمضان سنة 360هـ/970م بالقرب من ملوية واحتزّ الزناتيون رأسه وأرسلوه إلى خليفة الأندلس الحكم المستنصر.[3]

وسار قوم من البربر من جيّان إلى بلنسية فأغاروا عليها، وحازوا منها خمسمائة فرس كانت للسلطان، وثلاثمائة رجل من وجوه الجند والكتّاب والعمّال الذين كانوا بها، ثمّ خرجوا من جيّان إلى أرملاط بعد ذلك، وقد ملؤوا أيديهم من البقر والغنم حتّى عجزوا عن ضبطه [4]. وطالت فصول هذه الفتنة إلى غرّة ذي الحجّة من سنة 402هـ/23 جوان 1012م، فتوجّه وجهاء قرطبة بكتابين أحدهما عن هشام المؤيّد إلى سليمان المستعين، والآخر من وزرائه إلى وزراء البربر لقطع دابر الفتنة، وذلك بتسليم الأمر إلى هشام المؤيّد، على أن يكون سليمان وليّ عهده، إلاّ أنّ سليمان رفض هذا العرض جملة وتفصيلا، واعتبر نفسه أولى بها منه، فاتّبع وزراء البربر خليفتهم، ومزّقوا الكتب الموجّه إليهم.[5]

---

[1]- ابن الأبّار، المصدر السابق، ج 2، ص7./ ابن عذاري، المصدر السابق، ج 3، صص101-104./ النويري، المصدر السابق، ج23، ص250.

[2]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص239.

[3]- ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق صلاح الدين الهواري، ص24-25.

[4]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، صص105-106.

[5]- المصدر نفسه، ج3، صص108-109.

وفي آخر شهر ذي الحجّة /21 جويلية نزل البربر غرب الوادي الكبير بقرطبة ، وعلى رأسهم خزرون بن محمد وحباسة بن ماكسن، الذي قاتل قتالا شديدا في وقعة رمداي، وكان حباسة صدرا من صدور صنهاجة، وأشجع من أخيه حبّوس، ويروي ابن الخطيب نقلا عن أبي مروان ابن حيّان من كتابه المتين " أنّه استلحم وهو فارس صنهاجة طرّا وفتاها ... وخانه مقعده عند المجاولة فمال به سرجه، فوقع من صهوة جواده، فتمكّن أحدهم من طعنه ... وغلب عليه الموالي فاحتزّوا رأسه [1]... واجتمعوا إليه اجتماع البُغاث على كبير الصّقورة فجرّوه في الطّرق والأسواق، ونكّلوا بجثّته ثمّ حرّقوه بالنّار جريا على ذميم عادتهم في قبح المثلة[2]. وحزن البربر عليه ورأوا أنّ دماء أهل قرطبة جميعا لا تعدله.

فلمّا أصبح اليوم الموالي قاتلوا أهل قرطبة قتالا لم يسمع به قطّ، فكمنوا لهم الكمائن وتظاهروا بالهزيمة، فطمع خصومهم بالخروج إليهم من خنادقهم، فطوّقوهم واتبعوهم بسيوفهم يحصدون رؤوسهم، فكانت الهزيمة نكراء على أهل قرطبة الذين طلبوا الأمان، لهول ما أصابهم بعد اقتحام البربر لأرباض قرطبة عنوة، في يوم يَجُلُّ عن الوصف ويشدّ عن العبارة، من استيلاء السّيف والسّبي والنّار والتّخريب، فأُمِّنوا بعد أن أُغرِموا أموالا عظيمة فوق طاقتهم، وملك البربر يوم الأحد 25 شوّال من سنة 402هـ[3]/19 ماي 1012م.

ويوضّح هذا النّص جسامة الهول وفداحة الكراهية التي بات كلّ طرف من عرب وبربر يكنّها للآخر في الأندلس، بسبب النّزاع على عرش زائف ودنيا منتنة، في الوقت الذي كان يفترض بهم أن تجتمع كلمتهم على الوحدة والتعاون والتآزر،

---

[1]- ابن الخطيب، الإحاطة، تحقيق عبد الله عنان، ج1، ص486-487./ الإحاطة، تحقيق يوسف علي طويل، ج1، ص273-274. وخالف ابن عذاري هذه الرواية بقوله: " فقاتل قتالا شديدا ثمّ صار إلى مكان ليس فيه قتال، فنزل عن فرسه ومعه خيل قليلة نزلوا معه وسرّحوا دوابهم، فإذا جمع عظيم من أهل قرطبة عاينوهم من وراء الخندق، وهم آمنون قد نزعوا لجم دوابّهم فانقضّوا عليهم، فما استو ى على فرسه وركب أصحابه إلاّ والقوم قد غشوهم، وكانوا سبعين فارسا والبربر خمسة، فقاتلوهم وقتلوا من أهل قرطبة عددا كثيرا، ثمّ طعنه أحدهم طعنة تجدّل منها صريعا عن فرسه، وهرب عنه أصحابه فأخذ أسيرا فلمّا عرفوه قتلوه وقطّعوه قطعا ". ينظر البيان المغرب، ج3، ص111-112. وايّا كانت الرّواية الأصح فإنّ ذلك لا ينقص من شجاعة وإقدام وقيمة الفارس حباسة في قومه صنهاجة وسائر البربر.

[2]- ابن الخطيب، تحقيق يوسف علي طويل، ج1، ص274.

[3]- ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص118./ ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص112.

وأصبح حالهم عنوانا للفرقة والتّفرقة التي عذّبهم الله بها، بعد أن تنصّلوا من أخلاق الإسلام الحنيف ومبادئه، وابتعدوا عن حبل الله المتين، الذي يدعوهم إلى الوحدة ضدّ الكفر وأهله، وإلى عدم العودة إلى دعوى الجاهلية.

ثمّ بايع أهل قرطبة سليمان المستعين، الذي أقدم على خلع هشام المؤيّد بالله ثانية، وأُخبِر حبّوس بن ماكسن بقاتل أخيه، فدخل المدينة في بعض أصحابه، حتّى أتى إلى دار قاتل أخيه، فاستخرجه وقتله وحرّق داره، وأخذ ما وجد بحوزته من مال وأربع عشرة جارية، وفرشا كثيرة وسلاحا وافرة، واستخرج أخاه فما وجد إلاّ عظامه، فاشتدّ حنقه على أهل قرطبة، فحلف يمينا على مرأى النّاس قائلا : والله لا كان عندي أمان لعبد من عبيد بني أميّة أبدا، وانتهب البربر ديار وأموال أهل قرطبة، وقتلوا من نازعهم وخرّبوا كلّ موضع امتنع عليهم حرقا.[1]

ولم يكن بوسع سليمان أن يمنعهم لأنّهم كانوا عامّة جنده، وهم الذين قاموا معه حتّى ملّكوه[2]. وفي سنة 404هـ/1013م كفّ البربر أيديهم عن أهل قرطبة[3]، بعد أن نالوا مكافئتهم لقاء مساعدتهم للمستعين، بغية الوصول إلى منصب الخلافة، فلمّا ظفر به سنة 403هـ/1012م جعل من الزهراء مستقرّا ومقاما له، مخافة الغدر الذي درج عليه أهل قرطبة بحكّامهم، ومبعدا – في ذات الوقت – للبربر عن العرب، بعد أن أصبح التعايش في قرطبة شبه مستحيل بينهما، بسبب الفتنة التي تولّى كبرها ابن عبد الجبّار، فكان من نتائجها حصول أحداث بين الفريقين يندى لها الجبين.[4]

واعترافا بالجميل قسّم المستعين بعض كور الأندلس على القبائل البربرية، فأعطى صنهاجة من بني زيري بن منّاد إلبيرة، وأعطى مغراوة جوفي البلاد، وبني برزال وبني يفرن جيّان وذواتها، والمغاربة وبني دمّر وأزداجة شذّونة ومورور،

[1]- المصدر نفسه، ج3، ص115.
[2]- ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص77.
[3]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص115.
[4]- عبد القادر بوباية، المرجع السابق، صص421-422.

وولّى علي بن حمّود على سبتة، والقاسم بن حمّود على مدينة طنجة وأصيلا الخضراء.[1]

وبذلك يكون المستعين قد ردّ الجميل لصنيع البربر معه، بنزوله عند رغبتهم في الحصول على أرض تكون لهم وطنا آمنا على حدّ تعبير ابن الخطيب الذي يقول: " لمّا استقرّ صاحبهم بمقرّ الخلافة، وفي أيديهم زمامه ولحكمهم يرجع نقضه وإبرامه، طلبوه بالبلاد التي يحرزون بها أولادهم وحرماتهم، ويرجعون إلى فوائدها في حاجات أقواتهم، إذ لا يأمنون على أنفسهم تمالؤ البلديين في زمن من الأزمان".[2]

3.4- إمارة بني زيري بغرناطة (403-483هـ/1013-1090م):

عمّرت إمارة بني زيري بن منّاد الصنهاجية فترة قاربت الثمانين سنة، واستطاعت أن تواجه خلالها كلّ المصاعب السياسية التي حيكت ضدّها، وأثبتت بذلك قوّتها ومكانتها كإمارة يحسب لها ألف حساب من قبل دويلات الطوائف، التي كانت تريد السيطرة على الأندلس، لا سيما إمارة بني عبّاد بإشبيلية.

4.4- ملوك بني زيري بغرناطة:

حكم إمارة غرناطة أثناء هذه الفترة أربعة حكّام أوّلهم زاوي بن زيري، وآخرهم الأمير عبد الله بن بلقين، الذي سقطت الإمارة على عهده في قبضة المرابطين.

أ- زاوي بن زيري (403-410هـ/1013-1019م)[3]:

يعتبر زاوي بن زيري أوّل حاكم في أسرة بني زيري بن منّاد الصنهاجية، التي حكمت في الأندلس بكورة غرناطة ومعاقل كثيرة منها قبرة وجيّان [4] وحصن آشر من الغرب[5]، فهو أوّل من سكن هذه المدينة سكن استبداد، وصيّرها دار ملكه

---

[1]- ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص 119./ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص194./ Bilal sarr, op. cit, p.63.

[2]- أعمال الأعلام، ص228.

[3]- أمين توفيق الطيبي، مقدمة تحقيق كتاب التبيان، ص26./ Bilal Sarre, op, cit, p84.

[4]- غلب عليهما حبوس بن ماكسن وتملّكهما . ينظر البيان، ج 3، ص 264./ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص229. الإحاطة، تحقيق يوسف علي طويل، ج1، ص238. وفي تحقيق محمد عبد الله عنان، ج1، ص432.

[5]- عبد الله بن بلقين، تحقيق أمين توفيق الطيبي، ص59.

ومقرّ أمره عام 403هـ/1012م فما بعدها[1]. ويذكر لنا الأمير عبد الله بن بلقين " أنّ سلاطين صنهاجة وبني زيري استقرّ رأيهم بعد التشاور على ترك الأندلس فهمّوا بالرّحيل عنها والجواز إلى العدوة ليرجعوا إلى مستقرّهم، بعد أن رأوا اقتطاع كلّ أمير في بلد لنفسه، وذهاب ما كانوا عليه من عزّ وأثر".[2]

لكنّ أهل إلبيرة كانوا يتوجّسون خيفة من وقوع مدينتهم في قبضة سلاطين الأندلس المتغلّبين بعد الفتنة، فاتّصلوا بزاوي وعرضوا عليه حمايتهم مقابل الأموال والسّكنى ومشاركتهم في خيراتهم وما تصيبه أرضهم من النّعم، فقبل القوم النزول بينهم في تلك الأرض التي اغتبطوها، وأجمعوا أمرهم على الدّفاع عنها [3]. وذهب الدكتور أمين توفيق الطيبي في ت حقيقه لكتاب التبيان إلى استبعاد أن يكون قدوم زاوي إلى مدينة إلبيرة قد حدث – كما يزعم الأمير عبد الله – تلبية لدعوة أهلها، وحجّته في ذلك ما عاناه هؤلاء على يدي زاوي في الفتنة قبل ذلك.[4]

قلت وهذا رأي محترم إلاّ أنّنا إذا قابلنا هذا النّص الذي يحدّثنا عن استق رار رأيهم على الرّحيل إلى العدوة المغربية، بالنّص الذي تحدّث فيه صاحب التبيان عن جمع زاوي لأهل إلبيرة، لمّا بلغهم احتشاد أهل الأندلس ومبايعتهم للمرتضى، فقال زاوي لأهل إلبيرة: " نحن لم نأت لفساد دياركم، ولا قهرناكم على استيطانها، وإنّما كان ذلك على اختياركم لنا، وهذه الفئات مقبلة لطلبنا، فإن استوثقنا منكم دافعنا عنكم، وإن كانت الأخرى فأعلمونا نمض عنكم على أجمل وجه، فلن نعدم الخير بسيوفنا فأجابهم القوم : اثبتوا في قتال عدوّكم والدّفاع عنّا وعن أنفسكم، فنحن رعيّتكم الطّائعة وأسيافكم القاطعة".[5]

فهذا النّص يعبّر عن رضا سكان إلبيرة بزاوي وقومه لمقاسمتهم البلد، ولا يفهم منه أيّ إكراه يكونون قد تعرّضوا إليه لحملهم على هذا الخيار الحاسم . ضف إلى ذلك النّص المتعلّق برحيل زاوي إلى إفريقية، رغم انتصاره على المرتضى –

---

[1]- ابن الخطيب، الإحاطة، تحقيق يوسف علي طويل، ج1، ص40./ ابن الخطيب، اللّمحة البدرية، ص31.
[2]- التبيان، تحقيق أمين توفيق الطيبي، ص59. التبيان، تحرير علي عمر، ص33.
[3]- التبيان، تحقيق توفيق الطيبي، نفس الصفحة. /Bilal Sarre, op, cit, p64-65.
[4]- التبيان، تحقيق توفيق الطيبي، ص28.
[5]- المصدر نفسه، ص60.

وسيتمّ التفصيل في هذا الحدث في حينه لاحقا- وكيف أنّه حا ول جادّا التأثير على رؤوس صنهاجة من قومه بمرافقته فيما عزم عليه، فمن خلال هذين النصّين ندرك أنّ مسألة ترك الأندلس إلى العدوة المغربية كانت واردة، وعلى أقلّ تقدير لدى زعيم صنهاجة الأوّل زاوي بن زيري[1] وهذا منطق سليم.

وسيكون الاتّفاق بين سكان إلبيرة وقبيلة صنهاجة، بمثابة عقد لإنجاز مدينة إسلامية جديدة[2]، ورأى زاوي أنّ إلبيرة سهلة المنال، لا يمكنها أن تقاوم العدوان، لوجودها في مكان منبسط، فأشار على أهلها بالرّحيل عنها، واختيار معقل قريب منها يكون مستقرّا لهم، فوقعت أعينهم على بسيط جميل، جمع الأنهار والأشجار، وجميع ما يليه من البلد كلّه يسقى من وادي شنيل (Guadaxenil)، المنحدر من جبل شُلَيْر (Sierra Nevada)، فبنوا في هذا البسيط الذي يحجبه الجبل مدينة محصّنة لا يطيق العدوّ على حصارها، فظهرت إلى الوجود غرناطة[3]، بينما خربت إلبيرة من حينها[4]. وقد وصفها المؤرّخ ابن الخطيب بقوله: " حجبت الجنوب عنها الجبال ... وانفسحت للشمال واستوفت الشروط على الكمال، وانحدر منها فجاج الجليد على الرّمال، وانبسط بين يديها المرج، الذي نضرة النّعيم لا تفارقه".[5]

وعلى ذلك فإنّ غرناطة مدينة استحدثها بنو زيري في بداية حكمهم، فحلّت محلّ إلبيرة التي خلت وخربت، وقد كانت من قبل حاضرة كورة إلبيرة، فهي مدينة رومانية قديمة كانت تسمّى أيّامهم إليبوريس (Iliboris)[6]، وحافظت على ذلك إلى الحرب الأهلية "الفتنة" التي وقعت بين الأندلسيين والبربر سنة 400هـ/1010م، أين فقدت إلبيرة تفوّقها فبدأ سكانها بالانتقال إلى غرناطة، التي تحوّلت إلى معقل يوفّر

---

[1]- نفسه، ص63.

[2]- Bilal Sarre, op, cit, p.66.

[3]- غرناطة ويقال أغرناطة وكلاهما أعجمي، وهي مدينة كورة إلبيرة، وبينهما فرسخان وثلثا فرسخ (12 كلم). ينظر: الإحاطة، تحقيق يوسف علي طويل، ج 1، ص13./ D.Emilio Lafuente y Alcántara, op, cit, p15./ Dozy, op, cit, T3, p330.

[4]- ابن بلقين، التبيان، تحقيق أمين توفيق الطيبي، ص60-61./ Bilal Sarre, op, cit, p.76.

[5]- ابن الخطيب السّلماني، صفة مملكة غرناطة وهي مأخوذة من كتاب معيار الاختبار، من إظهار عبد المسيح افرنسيسكو خوير سيمونيت المالقي، المطبعة الدولية- مجريط المحروسة، 1860، ص20.

[6]- مريم قاسم طويل، المرجع السابق، ص 54./ ينظر أيضا مادة "ILBIRA" في: J.F.P.Hopkins, The Encyclopaedia of Islam, Prepared by a Number of Leading Oriontalists, Under the Patronage of the International Union of Academies, Leiden E.J.Brill, London, Luzac & co, 1986, TIII, p1110.

لهم مزيدا من الأمن لأرواحهم وممتلكاتهم [1]، فصارت حاضرة الصّقع لحصانة وضعها وطيب هوائها ودرور مائها، فأمن فيها الخائف ... فانقلبت العمارة إليها.[2]

وإذا كان تعمير المدينة قد بدأ عندما حلّ زاوي بها، حيث يمثّل عهده النواة الأولى في تأسيسها وإعمارها بالسّاكنة، وسيتواصل ذلك عبر عهود خلفائه باستمرار، فإنّ بناءها لم يكتمل عندما غادرها عائدا إلى القيروان سنة 410هـ /1019م، إذ حصّن خليفته حبّوس بن ماكسن الصنهاجي أسوارها وبنى قصبتها، فكملت في عهد ابنه باديس وعمرت [3]، وأصبحت مدينة كبيرة مستديرة[4]. وبدأ إعمار غرناطة بالسّاكنة سنة 400هـ/1009م[5]، وقيل سنة 401هـ/1010م.[6]

وممّا لا شكّ فيه أنّ أكبر عدد منهم انتقل إليها في عهد زاوي بن زيري، ثمّ تتابع تدفقهم إليها خلال فترة حكم حبّوس بن ماكسن، فاتّسعت وعمرت نواحيها بالمباني، وتكوّن خارجها أحد عشر ربضا ، وهي: ربض البيّازين (Albaicin)، وربض الفخّارين، وربض الرملة، وحيّ غرناطة والحيّ المعروف بغرناطة اليهود، وربض النجد، وربض قمارش، وربض المنصور، وربض الأجل، وربض البيضاء، وربض المرابطين.[7]

ولم يكد يستقر بنو منّاد بغرناطة حتّى قام الصقالبة بإعلان العصيان والتمرّد على عليّ بن حمّود الإدريسي، الذي قتل سليمان المستعين، واستولى على عرش الخلافة الأموية بالأندلس، في محرّم سنة 407هـ/ جويلية 1016م، وفي العام الموالي قُتل ونُصّب مكانه أخوه القاسم بن حمّود، فأعاد خيران الدعوة لبني أميّة واختار لذلك عبد الرحمن بن محمد، وهو من أحفاد النّاصر ولقّبه بالمرتضى، بعد أن علموا

---

[1]- Don Francisco Javier Simonet, Descripcion Del Reino de Granada Bajo la Dominacion de Los Naseritas Scada de Los Autores Arabes, y Seguida del Texto Inédito de Mohammed Ebn Aljathib, Imprenta Nacional- Madrid, 1860, p33./ Bilal Sarre, op, cit, p.59.

[2]- ابن الخطيب، الإحاطة، تحقيق يوسف علي طويل، ج1، ص14.

[3]- الإدريسي، نزهة المشتاق، ج2، ص569.

[4]- العمري شهاب الدين، مسالك الأبصار في م مالك الأمصار، تحقيق كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 2010م، ج4، ص116.

[5]- ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص13./ La Fuente y Alcantara, op. cit, p16./ Simonet, op. cit, p33./ Dozy, Recherches.., TIII, Appendice LXIX.

[6]- Dozy, Recherches.., TI, p329.

[7]- ينظر التفاصيل المتعلّقة بهذه الأرباض لدى مريم قاسم طويل، المرجع السابق، صص24- 26.

بمقتل هشام المؤيّد، فنزحوا نحو شرق الأندلس، حيث انضمّ إليهم عدد من ولاتها ومنهم منذر بن يحي التجيبي.[1]

وظنّ المرتضى ومن كان معه أنّهم هم الغالبون، بحكم كثرة عددهم الذي قارب أربعة آلاف فارس[2]، فلمّا دنوا من غرناطة بعثوا بكتاب إلى زاوي، يدعونه فيه إلى الطّاعة والامتثال لأمرهم بالتسليم والانقياد، ومقابل ذلك يُمنح الأمان والعودة إلى كنف الجماعة، فلمّا وصله الكتاب وقرئ عليه، قال لكاتبه أُكتب على ظهر رقعته: (قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ، لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ)[3]، لا تزده حرفا.

فلمّا بلغت المرتضى هذه الرّقعة، ردّ عليه بكتاب تهديدي يعده فيه بوعيده، وعندما قرئ ذلك على زاوي، قال ردّ عليه : (اَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ، حَتَّى زُرْتُمُ اَلْمَقَابِرَ، كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ، ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعلَمُونَ، كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ اَلْيَقِينِ، لَتَرَوُنَّ اَلْجَحِيمَ، ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ اَلْيَقِينِ، ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ اِلنَّعِيمِ)[4]، فاستشاط المرتضى غيظا.[5]

ولم يجد المرتضى بدّا من مواجهة زاوي والبربر فتقدّم إليه، ودخل الفريقان في معركة دامت أيّاما، اقتتلت فيها صنهاجة مع أميرهم مستميتين لما دهمهم من بحر العساكر، وأسفرت عن انهزام الأندلسيين مسلميهم وإفرنجهم، وتركوا ميدان المعركة فرارا من القتل، وسيوف البربر تتبعهم وتحصد أرواحهم، فكان الظهور لزاوي، وقد عبّر ابن حيّان عن هذه الهزيمة بقوله: " فحلّ بهذه الوقيعة على جماعة الأندلس مصيبة سوداء، أنست ما قبلها، ولم يجتمع لهم على البربر جمع بعدها، وفرّوا بإدبار وباؤوا بالصّغار "[6]. وقتل المرتضى في ضنك ذلك المأزق سنة

---

[1]- عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني، ص124.
[2]- ابن بلقين، المصدر السابق، ص62.
[3]- سورة الكافرون، (رقم 109)، الآية 1و2.
[4]- سورة التكاثر، (رقم 102)، الآيات من 1 إلى8.
[5]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج 3، ص125-126./ ابن بسّام، المصدر السابق، ج 1، ص453-454./ ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص295./ ابن بلقين، المصدر السابق، ص62.
[6]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج 3، ص127./ ابن الخطيب، الإحاطة، ج 1، ص296./ ابن بسّام، المصدر السابق، ج1، ص455.

409هـ/1018م، وخلّفوا وراءهم ما لا كفاء له اتّساعا وكثرة من الأموال والأسلحة والخيل والذخائر وفاخر الحلي والمتاع.[1]

وحاز زاوي على سرادق المرتضى بكلّ ما فيه من الزّينة ورفيع الحلية، ممّا كان الأمراء قد جمعوا له وجمّلوه به، معتقدين غرورا أنّ النّصر سيكون حليفهم لا محالة، وعندئذ سيدخلون قرطبة للاحتفال، باستعراض ما كانوا قد أعدّوه م ن بهرجة للتباهي بالنّصر، لكنّ السّحر انقلب على السّاحر، وخابوا وحاق البغي بهم وخسروا أنفسهم وأموالهم.[2]

ويذكر أنّ منذر التجيبي جاء إلى شاطبة مصحوبا بابن مسّوف والإفرنج، للاجتماع ورسم نقطة الهجوم على قرطبة، وفي طريقه إلى شاطبة مرّ على بلنسية، فأغلق واليها مبلوك بابها في وجهه، فلمّا اجتمع بالمرتضى بشاطبة طالبه بإخراج مبارك للغزو معهم، فاعتذر المرتضى بإبقاء مبارك خلفه لجمع الأموال وإرسالها خلفه فأحقده عليه، وعندئذ اتّفق منذر وخيران على الغدر به، بعد إظهاره الجفاء لهما عقب مبايعتهما له، مولّيا وجهه شطر أهل بلنس ية وشاطبة، دون أن يقبل عليهما.[3]

ويفصّل لنا المقّري سبب ما كان من أمرهما بقوله : " فكان من الاتّفاق العجيب أن فسدت نية منذر وخيران على المرتضى، وقالا أرانا في الأوّل وجها ليس بالوجه الذي نراه، حين اجتمع إليه الجمّ الغفير، وهذا ما كر غير صافي النّية، فكتب خيران إلى ابن زيري الصنهاجي المتغلّب على غرناطة، وهو داهية البربر وضمن له أنّه متى قطع الطريق على المرتضى، عند اجتيازه عليه إلى قرطبة ، خذل عن نصرته الموالي العامريين، أعداء المروانيين وأصحاب رياسة الثغور، فأصغى ابن زيري إلى ذلك".[4]

---

[1]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص206./ ابن عذاري، المصدر السابق، ج 3، ص126./ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 100./ ابن بلقين ، المصدر السابق، ص 62./ ابن بسّام، المصدر السابق، ج 1، ص454./ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص131.

[2]- ابن بسّام، المصدر السابق، ج1، ص454.

[3]- ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص100.

[4]- نفح الطيب، ج1، ص485.

وتنفيذا للخطّة مالا بالمرتضى إلى غرناطة، وأقنعاه بأنّ الدخول إلى قرطبة لا يمكن أن يتمّ دون التخلّص من زاوي، وبعثا إلى زاوي وأسرّا له بغدرهما لصاحبهما، فلمّا أصبح القتال حرّض منذر الموالي العامريين ليورّطهم، وخرجت صنهاجة وباقي البربر، ولمّا حمي الوطيس أشار منذر وخيران بتقريب المحلّة من مكان القتال، فلمّا شدّ البربر على عدوّهم اضطرب العسكر، فانحاز منذر وخيران لأوّل وقتهما، وانهزما على وجوههما فلم يثبت النّاس بعدهما، فلحقت بهم الهزيمة [1]. وفرّ المرتضى مخافة أن يقبض عليه، فأدركته عيون خيران - التي كانت تترقّبه- بقرب وادي آش، فهجموا عليه وقتلوه، وجيء برأسه إلى خيران ومنذر وقد لحقا بألمرية، فشربا خمرة الصباح على رأسه سرورا بمهلكه.[2]

ويبدو أنّ هناك تهويل كبير قامت به المصادر الإسلامية السابقة الذكر، بشأن سبب انهزام جيش المرتضى المرواني في هذه الواقعة، إذ نجدهم يحمّلون المسؤولية كاملة لمنذر التجيبي وخيران العامري، اللذين انفصلا وانسحبا بمن كان معهما عن الموقعة عندما دقّت ساعة الحسم، إلاّ أنّنا إذا تحدّثنا بلغة الأرقام عن ذلك، فإنّ جيش المرتضى الذي كان قرابة أربعة آلاف فارس، كان حينئذ أضعافا مضاعفة لجيش زاوي بن زيري.

ومهما حدث من أمر انسحاب المنه زمين، فإنّ المقارنة بين تعداد الجيشين تجعل الكفّة – فيما نعتقده- متوازنة أو أكثر بقليل لصالح جيش المرتضى، وعندئذ تظهر شخصية القائد الكفء في مثل هذه الحالات الصّعبة، وهو ما لم يكن يتمتّع به المرتضى، حيث كان بالإمكان تفادي ما كان بحشد معنويات جيشه وحثّهم على الثّبات، وتغيير الخطّة بتغيير موقع المعركة عن طريق جذب الصنهاجيين ومن معهم من البربر خارج أسوار مدينتهم المحصّنة، فيصبح هناك مجال لمناورة عدوّهم، مع إمكانية المبادرة بحلول استراتيجية تتجلّى من خلال مراقبة سيرورة أحداث المعركة.

---

[1]- ابن بسّام، المصدر السابق، ج1، ص456-457.

[2]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص127./ المقّري، المصدر السابق، ج1، ص485-486.

إلاّ أنّ فاقد الشيء لا يعطيه، ومن لم يكن يحظى بشعبية في عيون جيشه، لا يمكن أن يقدّم في واقع الأمر شيئا، ولا يمكن أن ترجح كفّة المعركة وتنقلب موازينها لصالحه، خصوصا إذا أخذنا في الحسبان ما يسبّبه انسحاب بعض الجيش من المعركة أثناء نشوبها، من التأثير على معنويات باقي الجيش المقاتل لخصمه.

ثمّ يجب أن لا ننسى – بالمقابل- الرّوح القتالية العالية التي كان يتمتّع بها جيش زاوي، والقتال المستميت الذي كانوا يتحلّون به، لأنّ المعركة كانت تعني بالنّسبة لهم مسألة حياة أو موت، وعلى ذلك لا يمكن التقليل من قيمة هذا النّصر بالنّسبة لصنهاجة ومن كان معها من البربر، مهما كانت الأعذار التي جعلت مسار المعركة يؤول إلى ما انتهت إليه.

وعند البحث في تاريخ الحروب نجد حالات مشابهة لتفاصيل أحداث هذه المعركة، فقد كان فتح الأندلس في موقعة وادي لكّة بنفس الحيثيات، التي جعلت المصادر والمراجع الغربية تلتمس الأعذار للهزيمة التي مني بها جيش القوط، فأرجعت انتصار المسلمين، لا إلى قوّتهم المعنوية النّابعة من قناعتهم بالجهاد في سبيل الله، بل إلى ما يسمّونه خيانة يوليان ومساعدته لجيش طارق بن زياد في تلك المعركة الفاصلة.[1]

ومثل ذلك حدث زمن النبيّ ﷺ في غزوة الأحزاب، حيث انسحب يهود بني قريظة من صفّ جيش النبيّ، لكنّ الله سبحانه وتعالى لمّا اضطلع على قلوب الصحابة رضوان الله عليهم، فرأى ثباتهم وعزمهم على النّصر والتفافهم حول نبيّهم، جعل النّصر حليفهم، وخسر الأحزاب هنالك وعادوا يجرّون ذيل الهزيمة إلى ديارهم، ودارت الدّائرة بعيد ذلك على بني قريضة الذين نالوا جزاءهم بسبب غدرهم وخيانتهم.[2]

---

[1]- R. Dozy, Histoire des Musulmans d'Espagne..., TII, p.31-35./ Saavedra, op, cit, p64 y siguientes./ Conde, op, cit, pp.62-66.

[2]- فصّل القرآن الكريم في أمر هذه الغزوة وما كان من خيانة اليهود الذين وسمهم بالنّفاق وسمّاهم بالمنافقين، وما نالهم من العقاب بسبب خيانتهم ونقضهم العهد الذي قطعوه على أنفسهم مع رسول الله ﷺ. ينظر سورة الأحزاب، (رقم 33)، من قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُواْ اذْكُرُواْ نِعْمَةِ اللهِ عَلَيْكُمُ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا)، الآية 9 إلى قوله تعالى: (وَأَوْرَثَكُمُ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَءُوهَا وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا)، الآية 27.

ورغم النّصر المؤزّر الذي حقّقه زاوي زعيم صنهاجة على جيش المرتضى، إلاّ أنّه أصبح يرى أنّ الأندلس لم تعد وطنا آمنا لهم، بسبب الحقد الأعمى الذي امتلأت به قلوب الأندلسيين على البربر، فصاروا لا يتورّعون في إظ هاره صراحة ويتحيّنون الفرص للتخلّص من البربر بقوّة [1]، معتبرين إيّاهم أسباب الفتنة التي حلّت بوطنهم، متناسين أنّ هشام بن عبد الجبّار كان رأس هذه الفتنة بتعنّته وجبروته وسوء تدبيره، وقد أُقحم فيها البربر الذين وجدوا أنفسهم وسط أوحالها، فلم يرضوا لأنفسهم ما حلّ بهم من الأذى، فتحوّلوا من طرف مفعول به إلى طرف فاعل في الفتنة، فأصبح أكبر همّهم البحث عن الأمن لأنفسهم وأهليهم وذراريهم.

ولقد ساق لنا صاحب التبيان نصّا بيّن فيه القرار الذي اتّخذه زاوي بن زيري بعد هذه المستجدّات، موضّحا المبرّرات التي جعلته يصرّ على قرا ر الرّحيل عن الأندلس فقال: " قد علمت وأيقنت أنّ هذا يكون دأبهم أبدا، وإن كنّا قد منحنا الظفر في أوّل صفقة، لم نأمنهم على أنفسنا وديارنا كلّ حين! وهم إن قتل منهم واحد خلفه ألف، مع ميل جنسيتهم من الرّعايا إليهم، فتكون الزّيادة فيهم والنّقصان منّا ! ولا يموت لنا نحن أحد ونخلفه أبدا!".[2]

ولم يقتنع ولده ووجوه صنهاجة بهذا القرار، الذي بدا لهم من الغرابة بمكان، رغم أنّ زاوي سعى جاهدا للتأثير عليهم، بما عرف عنه من الدّهاء والرّأي، معتبرا النّصر الذي أحرزوه على عدوّهم فضل من الله ومنّة، وأنّ الله نجّاهم برحمته فحازوا الغنائم الوفيرة، ورأى أنّه من باب أولى الرّجوع إلى قومهم بالمغرب، كانفين للعيال والذرّية مباعدين لما وراءهم من أهل جنسهم زناتة، الذين اعتبرهم عدوّهم الحقيقي، فهم لا يغفلون عنهم وإن غفلت الخليقة، لا سيما وقد قرفوا قرحهم، ونبشوا أحقادهم المدفونة، وأكّد لهم أنّهم إن فرغوا لهم على قلّة عددهم، وظاهروا عليهم الأندلس، وقعوا منهم بين فكّي أسد فاصطلموهم، وختم كلامه قائلا: " وها أنا قد أدّيت لكم النّصيحة، وأنا راحل عن الأندلس، فمن أطاعني فليرحل معي، فلم

---

[1]- عبد الله عنان، المرجع السابق، ص124.
[2]- التبيان، تحقيق أمين توفيق الطيبي، ص63.

يساعده أحد، فرحل عن الأندلس "[1] بعد أن أسّس ملك بني زيري في غرناطة ، وقضّى 17 سنة من الحكم في هذه الإمارة النّاشئة.

ورحل زاوي عن الأندلس، فركب البحر من مرسى المنكّب سنة 410هـ[2]/1019م، واستقلّت السّفن به وبمن آثر الرّحيل معه من أهله، وهي تحمل على متنها ما أصابه من نفائس الذّخائر والأموال، ما يفوت الإحصاء كثرة لعظيم ما حازه أيّام الفتنة، فدخل القيروان وأقرّه ابن عمّه المعزّ بن باديس في دولته وكنفه وأنزله بالمنصورية[3]. ويذكر الأمير عبد الله بن بلقين أنّه لمّا وصل إلى القيروان، تحرّج بعض وزراء المعزّ فنكروه، وخافوا من مكره وما يضمره في صدره، فآثروا ولاية المعزّ لهم على طفولته، عن ولاية هذا الشيخ الدّاهية، فدسّوا إليه من سقاه السمّ فمات به.[4]

ب- حبّوس بن ماكسن[5] (410-429هـ/1019-1038م):

بعد مغادرة زاوي بن زيري للأندلس مال القاضي ابن أبي زمنين إلى حبوس، على حساب ابن عمّه حلالة[6] بن زاوي، فدخل حبوس غرناطة التي استقبلته وصعد إلى قصبتها وجلس على سرير الإمارة بها [7]، أمّا جلالي فقد انسحب منها ولحق بأبيه. واتّسع ملك حبوس ليشمل مدينتي قبرة وجيان[8] اللتين صارتا من أعمال أعمال غرناطة، وسار بأجمل سيرة وأعدل طريقة فأحبّه النّاس، وقرّب إليه بني عمّه فلم يستأثر عليهم بشيء وقسّم عليهم البلاد، فكان كلّ وا حد منهم سلطانا في

---

[1]- ابن بسّام، المصدر السابق، ج1، ص458-459./ R. Dozy, Recherches…, TI, Annexe XIII, XV, XVII.

[2]- قال بعض المؤرّخين " إنّ تاريخ خروجه كان سنة 420هـ/1029م". ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 206./ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص 229./ وقال ابن عذاري :" إنّه رحل عن الأندلس سن ة 416هـ/1025م". ينظر: البيان المغرب، ج3، ص128./ وفي موطن آخر قال:" إنّ وصوله كان سنة 410هـ". البيان، ج1، ص269.

[3]- المصدر نفسه، ج3، ص128./ ابن الخطيب، الإحاطة، تحقيق يوسف علي طويل، ج 1، ص296./ ابن بسّام، المصدر السابق، ج1، ص458.

[4]- التبيان، تحقيق أمين توفيق الطيبي، ص64.

[5]- وردت ترجمته في عدد من المصادر منها : ابن بلقين، كتاب التبيان، تحقيق أمين توفيق الطيبي، ص 64./ ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص267-268./ ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج 3، ص264./ ابن خلدون، العبر، ج6، ص238./ وما نقله ابن سعيد المغربي عن ابن حيّان الذي سمّاه "حبوس بن ماكس"، ينظر: المغرب في حلى المغرب، مصدر سابق، ج2، ص107.

[6]- Bilal Sarr, op,cit.p86.

[7]- ابن بسّام الشنتريني، المصدر السابق، ج1، ص459-460.

[8]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص264.

جهته، وحثّهم على الاستكثار من الأجناد فزاد الجيش في أيّامه، وأشركهم في رأيه ووحّد كلمتهم فلم يكن فيهم من يطمع في ما تحت يده.[1]

وتجدر الإشارة إلى الوضع الخطير الذي كانت تشهده الأندلس من صراعات سياسية خلال السنوات الأخيرة التي سبقت سقوط دولة الخلافة، فبعد وفاة المستكفي أبي عبد الرحمن الأموي قام - بدعوة من أهل قرطبة- يحي بن علي بن حمود (المعتلي بالله) بكرّته الثانية على قرطبة في 16 رمضان من سنة 416هـ/ 9 نوفمبر 1025م فدخلها واستولى على الخلافة، فخالف حبّوس بن ماكسن على طاعة يحي [2]، وبقي يترصّد أخباره، إلى أن خرج إلى مالقة ليتفقّد أمورها، فاستغلّ حبّوس غيابه عن قرطبة فأوعز لحليفيه زهير وخيران العامريين بدخولها، فتمّ لهما ذلك بعد معركة قتل فيها ألف رجل من البربر.[3]

وكان من أشدّ ملوك الطوائف منافسة ليحي بن علي الحمّودي، أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عبّاد اللّخمي، الذي قدّمه يحي على عمل إشبيلية[4]، إلاّ أنّه كان كان يرى أحقّيته بمنصب الخلافة من يحي، وحدّثته نفسه بالتغلّب على تلك البلاد [5]، ولكي يجسّد طموحه للظفر بالخلافة فقد سعى إلى إعطاء حكمه درجة من الشرعية كان في أمسّ الحاجة إليها، نظرا لأنّه لم يكن يتوفّو على أيّة أسس للحكم[6]، ومن ثمّ كان لا بدّ أن يزيح يحي من طريقه، فأخرج للنّاس هشام الأموي المزيّف الذي ظهر من جديد سنة 426هـ/1034م بالمرية أيّام زهير الصقلبي[7]، وكان ابن عبّاد يريد بذلك بذلك أن ينال به مراده، ورغم أنّه اعترف له أمام من كان معه بقوله: " لست بالذي

[1]- ابن بلقين، المصدر السابق، ص64.
[2]- ابن الأثير، الكام ل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت ، ط1، 1417هـ/1997م، ج7، ص623.
[3]- لسان الدين بن الخطيب، أعمال الأعلام، ص136-137. مريم قاسم طويل، المرجع السابق، ص106.
[4]- ابن عسكر أبوعبد الله وابن خميس أبو بكر، أعلام مالقة، تقديم وتخريج وتعليق:عبد الله المرابط الترغي، دار الأمان ودار الغرب الإسلامي، مطابع دار صادر- بيروت، ط1، 1420هـ/1999م، ص279.
[5]- ابن حزم الأندلسي، رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق إحسان عاس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1987، ج2، ص205.
[6]- امحمّد بن عبّود، التاريخ السياسي والاجتماعي لإشبيلية في عهد دول الطوائف ، تقديم وليم مونتغومري واط، تحت إشراف المعهد الجامعي للبحث العلمي، مطابع الشويخ "ديسبريس"- تطوان، 1983م، ص54.
[7]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص198.

تعنون ولا بالذي تطلبون "، وعلى ما ذكر ابن القطّان فإنّ هذا الرّجل كان خلف الحصري[1]، وقد ورد اسمه في أعلام مالقة بـ"هشام بن فلان الدعيّ".[2]

ويبدو أنّه كان على قدر من الشبه يجعل النّاس لا يفرّقون بين صورته وصورة هشام المؤيّد بالله الذي مات سنة 402هـ/1012م أو نحوها[3]، ومن ثمّ وجد ابن عبّاد في الرّجل ما كان يبحث عنه، فدعا إلى مبايعته والدخول في طاعته على أنّه هشام الحقيقي، فاستجاب له صاحب بلنسية عبد العزيز بن أبي عامر، والموفّق صاحب دانية والجزائر الشرقية، وصاحب طرطوشة، والوزير أبو الحزم بن جهور صاحب قرطبة، وأقرّوا بخلافته وبعثوا كتبهم بذلك[4]، وهو ما يعني أنّ ابن عبّاد نجح نجح في تكوين حلف خماسي للوقوف في وجه من يعترض تدبيره.

ولأنّ تعاظم شأن يحي بن علي الحمّودي كان يشكّل خطرا حقيقيا أحسّ به جميع رؤساء الطوائف بجنوب الأندلس، فإنّ ذلك كان سببا في عدم قبول حبّوس وعبد الله بن محمد البَرزالي الوصول إلى يحي عندما خاطبهما بالخروج معه إلى قرمونة فاعتذرا له[5]. وكان يحي بن علي بن حمود خرج إلى قرمونة يريد أبا القاسم القاسم بن عبّاد في عدد قليل من الرّجال، فوجّه إليه ابنه إسماعيل فلمّا احتدم القتال فرّوا من أمامه، حتّى توغّل في صفوفهم فاجتمعت الخيل عليه، وقاتل حتى أثخنته الجراح فوقع عن فرسه وقطع رأسه وحمل إلى إشبيلية في هذه الموقعة سنة 427هـ/1036م.[6]

ويذكر ابن القطّان أنّ محمد بن عبد الله البرزالي صار من جيش ابن عبّاد إلى قرمونة فدخلها وملكها [7]، وهو ما يعني أنّ ابن عبّاد نجح في استمالة وإقناع

---

[1]- المصدر نفسه، ج3، ص200.
[2]- ابن عسكر وابن خميس، المصدر السابق، صص358-360.
[3]- المصدر نفسه، ص360.
[4]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص190 وصص197-199.
[5]- ابن عسكر وابن خميس، المصدر السابق، ص361.
[6]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج 3، ص199./ ابن عسكر وابن خميس، المصدر السابق، ص 361-362./ يوسف أشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة وتعليق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط2، 1417هـ/1996م، ج1، ص33.
[7]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص199.

البرزالي بضرورة التعاون معه لدفع خطر يحي بن علي، وربّما وعده ومنّاه بامتلاك قرمونة وعدم منازعته عليها مستقبلا لقاء هذا التعاون.

لكنّ المستفيد الأكبر من مقتل يحي – من دون شكّ - كان إسماعيل ابن عبّاد، الذي تخلّص من خصم عنيد، وثبّت دعائم ملكه، وبالتّالي فإنّ البرزالي خدم ابن عبّاد بالمجّان من حيث لا يدري، وأنّه سرعان ما سيتحوّل إلى هدف من أهداف سياسة ابن عبّاد التوسّعية، حسب ما تقتضيه المصلحة وظروف المرحلة القادمة، التي سيسعى فيها إلى الاستحواذ على الخلافة بالدهاء والحيلة، فضلا عن استخدامه لسلطة المال والقوة العسكرية.

ويبدو أنّ عبد الله بن محمد البرزالي وحبوس بن ماكسن شعرا بالذّنب بعد مقتل يحي، أو بسوء تقديرهما لعاقبة الأمر، ذلك أنّه بمجرّد أن اعتلى أخوه إدريس بن علي بن حمود، الذي تلقّب بالمتأيّد بالله سرير الملك في مالقة، أسرع صاحب قرمونة وأستجة، وصاحب غرناطة مع قومه صنهاجة، وحليفهما زهير العامري صاحب المرية إلى مبايعته.[1]

ممّا يعني أنّ هذا الحلف سيصبح رباعيا قويّا يمكنه أن يتصدّى لمشروع وأطماع وطموحات ابن عبّاد ومن يقف في صفّه، ولذلك كان أول عمل قام به هذا التحالف أن " اجتمع زهير وحبّوس وزعيم زناتة عبد الله ال برزالي بأستجة، يوم الأربعاء 5 ذي القعدة سنة 427هـ/29 أوت 1036م، واحتلّوا يوم السبت قرمونة، ويوم الأحد احتلّوا قرية طرشانة بجهة إشبيلية وقاتلوا حصن زعبوقة، واحتلّوا بالقلعة يوم الإثنين، وقربوا من إشبيلية يوم الثلاثاء، وأحرقوا طريانة يوم الأربعاء بعده، ثمّ احتلّوا بحصن القصر وفيه انعقدت البيعة بينهم لإدريس بن علي بن حمّود، ثمّ انصرفوا إلى قرمونة وقد تحالفوا وتعاقدوا على القيام بدعوته".[2]

وكان من نتائج هذا الحلف أن قام حبّوس بنجدة زهير العامري بعد أن استنصره على ابن عبّاد قاضي إشبيلية، الذي حزّ في نفسه عدم قبول زهير ببيعة هشام المزيّف، فلم يقتنع ولم يقبل بالدخول في هذه اللّعبة التي دبّرها ابن عبّاد، الذي

1- ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص140.
2- ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص190-191.

بعث إليه جيشا لإرغامه على ذلك، فحالت قوات حبّوس التي عزّزت موقف زهير دون حدوث ما كان يصبو إليه ابن عبّاد، الذي قدّر ما يمكن أن ينجرّ من عواقب سيّئة في مواجهة غي ر مأمونة الجانب، ففضّل الانسحاب والتراجع نحو إشبيلية، وعاد حبّوس نحو مالقة، بينما أقام زهير في بيّاسة.[1]

لكنّ ابن عبّاد شرع في تنفيذ مشروعه، يريد التغلّب على ما بيد ملوك البربر، فأخرج ابنه إسماعيل على رأس الجند مع بعض من أجابه من البربر، فحاصر قرمونة ثمّ زحف إلى أشونة وأَستِجة فأخذهما، وكانتا بيد محمد بن عبد الله البِرزالي صاحب قرمونة، فاستصرخ بإدريس بن علي الحسيني الحمّودي وبصنهاجة، فأجابوه لما طلب واجتمعوا مع البرزالي، لكنّهم سرعان ما افترقوا دون الدخول في مواجهة مع ابن عبّاد، وانصرف كلّ واحد منهم راجعا إلى بلده، فلمّا بلغ ذلك إسماعيل بن عبّاد داخله الغرور بأنّهم تهيّبوه، فأسرع بجيشه للّحاق بحبوس الصنهاجي، الذي بعث بدوره إلى ابن بقنّة قائد عسكر إدريس يسترجعه، فرجع إليه والتحم الجيشان في معركة حاسمة، انهزم فيها عسكر إسماعيل بن عبّاد، وكان هو أوّل قتيل في هذه الموقعة سنة 431هـ/1039م، وحمل رأسه إلى إدريس بن علي [2]، واستطاع حبّوس بجيشه أن يحوّل نصر ابن عبّاد إلى هزيمة نكراء وافتكّ منه قرمونة وأثخن في إشبيلية.[3]

إلاّ أنّ ما يجب التنويه به أنّ عبد الله البرزالي سرعان ما تناسى الجميل الذي أسداه إليه حبّوس، فتغيّرت مودّته وفكّ رابطة الحلف الذي يجمعه به، وعوض أن يعمل على تمتين عرى الأخوّة مع حبّوس الذي ساعده في أحلك الظروف، فإنّه سيتحوّل من حليف ودود إلى عدوّ لدود، ولفهم كيف تعقّدت الأمور بينهما لا مناص لنا من العودة إلى تلك الرّقعة التي كتبها وزير حبّوس أبو عبد الله البزلياني، تحت عنوان: " فصول من رقعة عن حبّوس إلى ابن عبد الله أمير قرمونة" الزناتي، الذي

[1]- ابن الأثير، المصدر السّابق، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ج7، ص630.
[2]- الحميدي، المصدر السابق، ص38-39. / الضّبّي، المصدر السابق، ص33.
[3]- أشباخ، المرجع السابق، ص 36./ Antonio Prieto y Vives, Los Reyes de Taifas, Estudio Historico-Numismatico de los Musulmanes Españoles en el Sieglo V de la Hégira (XI De J.C.), Madrid, 1926, P22.

بعث إليه بكتاب يبدو من خلال الردّ الذي حوته هذه الرّقعة أنّ محتوى الرسالة التي بعث بها البرزالي الزناتي غلب عليها السبّ والشتم والاستعلاء، وإن جاء ذلك في شكل النّصح.

ومن أهمّ ما ورد فيها: " من النصح تقريع، ومن الحفاظ تضييع، ولكلّ مقام مقال، إذا عدي به عنه استحال. ووصل إلي منك كتاب طمست منحاه، وعميت معناه، أومأت فيه إلى النصح، ودلّ لت على سبيل النجح؛ فوقفت على فصوله ومعانيه، وأحطت علما بجميع ما فيه، ولم يكن لمن أوحشت جهته، وتغيرت مودته، أن يدخل مدخل الناصحين، وقد خرج من جملة المشفقين . وكان بالجملة أوّ له سباب، وآخره إعجاب؛ والسباب لا ينطق به كريم، والإعجاب لا يرضى به حليم . وقد نزّ هني الله عن المقارضة بهذا ومثله... فإن كنت أردت أن تستصلح مني بسبك فاسدا، وتستقرب من ودّي باستطالتك مباعدا، فما هذه شيم يقضي بها الفضل، ولا سياسة يحكم بها العقل. وإن كنت أردت التخويف والإيعاد، والإبراق والإرعاد... فلَنا أحد البرابرة: لا أخرج عن جماعتهم، ولا أبعد عن موافقتهم، ولا أرغب بنفسي عن نفوسهم ... وفي لزوم الجماعة السدّاد والرشاد، والغي في الانفراد والاستبداد.[1]

وتدلّ هذه الرسالة أنّ عقد الأخوّة انفرط فانقلب إلى عداوة، وكأنّي بالذي تكهّن به زاوي وهو يحاول إقناع قومه صنهاجة بمغادرة الأندلس يحدث كما توقّعه بالضّبط، فقد حذّرهم من زناتة بقوله : " ... فالرأي الخروج عن أرضهم (عرب الأندلس)، واغتنام السلامة مع إحراز الغنيمة، والرجوع إلى الجملة التي انفصلنا عنها كانفين للعيال والذرية، مباعدين لهم لما وراءنا من أهل جنسنا زناتة، الأعداء في الحقيقة، الذين لا يغفلون عنّ ا وإن غفلت الخليقة، لا سيما وقد قرفنا قرحهم، ونبشنا أحقادهم المدفونة، فإن فرغوا لنا على قلّ ة عددنا، وظاهروا علينا الأندلس وقعنا منهم بين لحيي أسد فاصطلمونا".[2]

ومحلّ الشاهد على أنّ العلاقة بين صنهاجة وزناتة غالبا ما كانت تحكمها المصلحة الشخصية الآنية، ما أخبر به الشاعر أبو الوليد بن زيدون ، الذي قال:

---

[1]- ابن بسّام الشنتريني، المصدر السابق، ج2، ص626.

[2]- ابن بسّام، المصدر نفسه، ج1، ص458-459./ R. Dozy, Recherches…, TI, Annexe XIII, XV, XVII.

" سأل حبوس يوما محمد بن عبد الله في بعض ال تقائمها عن سنّه بمعراض فقال : ابن كم كنت يوم قتل ابن الخير - فأجابه مسرعا: كنت يوم قتل زيري بن مناد يفعة، وشهدت وقعته مع قومي ابن كذا ، فتبسم حبوس وعجب من حضر من فطنتهما ، وإنما أراد حبوس تعيير ابن عبد الله بمقتل ابن الخير سلطان زناتة المصاب في وقعة صنهاجة، فعارضه ابن عبد الله بذكر وقعتهم بجد حبوس زيري بن مناد "[1].

وعلّق على ذلك ابن زيدون بقوله: فلو كانا في الرعيل الأول من أذكياء العرب ما زاد على ما أتيا به.

ويبدو أنّ الأمور ساءت بينهما إلى حدّ لا يمكن معه الإصلاح، ذلك أنّ البرزالي استطاع أن يجتذب إلى صفّه زهير الصقلي الذي والاه، فتحوّل بموالاته هذه إلى عدوّ لحبّوس، ويسوق لنا ابن حيّان هذا الخبر الذي حوّل الصّداقة إلى عداوة وفجّر الحلف الذي كان يجمعهم من الدّاخل بقوله: " كان سبب فساد صاحب صنهاجة على جارهم وحليفهم القديم الحلف والولاية زهير الصقلي، فتى المنصور بن أبي عامر، موالاته لكاشحه محمد بن عبد الله زعيم زناتة، ومضى على ذلك حبوس من عداوته، وخلقّها كلمة باقيةً في عقبه".[2]

ويذكر أنّ حبّوس بن ماكسن بنى مدينة غرناطة وقصبتها وأسوارها [3]، وكان يوصف بالحزم والدّهاء وسعة النّظر [4]، وزاد على ذلك ابن حيّان أنّه : " كان وقورا حليما، فظا مهيبا، نزر الكلام، قليل الضحك، كثير الفكر ، شديد الغضب، غليظ العقاب، شجاعا حسن الفروسية، جبارا متكبرا داهية، واسع الحيلة، كامل الرجولة، له في كل ذلك أخبار مأثورة "[5]، وكانت وفاته سنة 429هـ/1037م[6]، ودامت مدّة حكمه منذ تولّيه الإمارة إلى وفاته 18 سنة، ثبّت فيها حكم بني زيري في غرناطة.

---

[1]- ابن بسّام، المصدر السابق، ج1، ص461.
[2]- المصدر نفسه، ج2، ص656.
[3]- المقّري، المصدر السابق، ج 1، ص150./ ويذكر ابن خلدون أنّ باديس هو الذي مصّر غرناطة واختطّ قصبتها وشاد قصورها وشيّد حصونها. ينظر: العبر، ج6، ص240.
[4]- ابن الخطيب، الإحاطة ، المصدر السابق، ج1، ص40./ ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص31.
[5]- ابن بسّام، المصدر السابق، ج1، ص460-461.
[6]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص239./ القلقشندي أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق: يوسف علي طويل، دار الفكر- دمشق، ط1، 1987، ج5، ص242 و248./ Antonio Prieto y Vives,

ج- باديس بن حبّوس[1] (429- 465هـ/1038- 1073م):

لقّب بالحاجب المظفّر [2] أبو مسعود [3]، وقيل المظفّر بالله الناصر لدين الله [4]، وقيل أيضا المظفّر[5] فحسب. وقد انتقل الملك إليه بتسليم له من أخيه بُلُقِّين.[6]

ج.1- باديس في مواجهة الخطر الداخلي:

إذا كان شقيق باديس بلقّين رضي بتسليمه الملك، فإنّ ابن عمّه يدّير بن حباسة كان يتطلّع إلى الملك منذ عهد عمّه حبّوس، وقد وجد بعض المشجّعين له على تسوّر سلطان ابن عمّه، كان منهم الأديب أبو الفتوح ثابت بن محمد الجرجاني الأستراباذي، وهو أحد علماء المشرق الذين أجازوا للأندلس صدر الفتنة [7]، وانتهى به المقام بغرناطة، وكان صاحب علم وأدب وفروسية إلى جانب نزوعه إلى علم الأوائل من المنطق والنّجوم والحكمة.[8]

وقد تنبّأ ليدّير بأنّه سوف يظفر بحبّوس ويملك بلده 30 سنة[9]، وكان يحرّضه على باديس وصار في صفّ يدّير أزيد من مائتي رجل من أكابر صنهاجة [10]، وللإشارة فإنّ أبا العبّاس بن العريف وزير باديس كان له كاتب يهوديّ يدعى يوسف ابن إسماعيل بن نغرالة ويلقّب بأبي إبراهيم فلمّا توفّي أبو العبّاس، اختار باديس من أبنائه أكبرهم للوزارة[11]، فكان اليهودي يحضر كلّما احتاج باديس إلى مشو رة، فإذا

op, cit, P.28.، وذكر ابن الخطيب ذلك في الإحاطة : ج1، ص40-41. وكذلك في: اللمحة البدرية، ص31، لكنّه ذكر في موضع أخر من إحاطته أنّه توفّي سنة 428هـ:. ينظر الإحاطة، ج1، ص268. وقد وردت سنة الوفاة هذه أيضا عند ابن عذاري، ينظر" البيان المغرب، ج3، ص191 وص264.

[1]- جلّ المصادر تسمّيه "حبّوس" ومنها: ابن بسّام، المصدر السابق، ج 2، ص656./ ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص239./ ابن عذاري، المصدر السابق، ج 3، ص167 وص169. إلاّ أنّ هناك مصادر أخرى سمّته تصحيفا: "حيوس" ومنها: الأزدي علي بن ظافر بن حسين، بدائع البدائه، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1970، ص366./ ابن الوردي زين الدين، تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1417هـ/ 1996م، ج1، ص320 وج2، ص3.

[2]- ابن الخطيب، اللّمحة البدرية، ص31./ Bilal Sarr, op,cit, Tableau n°2, p100.

[3]- النباهي أبو الحسن، تاريخ قضاة الأندلس أو المرقبة العليا فيمن يستحقّ القضاء والفتيا، تحقيق : مريم قاسم طويل، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1415هـ/ 1995م، ص121./ Bilal Sarr, op,cit.p86.

[4]- ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص240./ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص230..

[5]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص239./ القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص248.

[6]- ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص230.

[7]- ابن بسّام، المصدر السابق، ط1، 1979، ج7، ص124-125.

[8]- ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص253.

[9]- المصدر نفسه، ج1، ص254.

[10]- ابن بلقين، المصدر السابق، ص69.

[11]- Bilal Sarr, op,cit, tableau n° 3, p105.

سأله عن ولد أبي العبّاس، قال: "إنّه صبيّ يؤثر الرّاحة" وأنا أنوب عنه فمرني بم شئت، وما زال على ذلك حتّى تمكّن [1]. ويذهب دوزي إلى القول بأنّ أبا العبّاس عندما أشرف على الموت أشار على باديس أن يتخذ أبا إبراهيم (صمويل هاليفي)، وزيرا من بعده[2]، فانتقلت الوزارة إليه بعد وفاة أبي العبّاس.

فلمّا تآمر يدّيْر ومن معه على باديس حاولوا ضمّ اليهودي لصفّهم، فتظاهر بالقبول وأعلم على الفور باديس بتدبيرهم، وأحضره معه إلى بيته، واتّخذ له موضعا مرتفعا به، ثمّ دعا المتآمرين إلى اجتماع ببيته، فسمع كلّ ما دار بينهم، وصار اليهودي من يومها محلّ ثقة وأمانة، فاتّخذه وزيره وشاوره في أكثر رأيه.[3]

وما من شكّ أنّ أمر توزير هذا اليهودي من قبل باديس كان حديث العام والخاص من أهل غرناطة، وأنّ بربرها وعربها لم يكونوا راضين على هذا التعيين، وأنّهم تساءلوا عن سبب اختياره في هذا المنصب ا لسّامي بالدّولة، فكيف حدث هذا؟ ولعلّ من أهمّ الأسباب التي دفعت باديس إلى التشبّت بإسماعيل بن النغرالة واتخاذه وزيرا له: أنّه كشف خيوط المؤامرة التي حيكت ضدّ باديس وجعله يسمع ويرى بنفسه ما يدبّر له، ضف إلى ذلك ما عرف عنه من الكياسة والمداراة للنّاس، هذا فضلا عن كونه يهوديّ ذميّ لا تشره نفسه إلى الإمارة، ولحاجة باديس إلى الأموال التي يستميل بها بني عمّه، ويقوّي بها أمر الملك وما كان ذلك ليتمّ له لو لم يستعمل هذا اليهودي، ذلك أنّ الرعايا والعمّال بتلك البلدة إنّما كان أكثرهم يهودا، فكان يجبي منهم الأموال ويعط يه، ويأخذ منهم ما يملأ به بيت المال لإقامة أود المملكة.[4]

وأجمع الملأ من قوم باديس على قتله عند خروجه من نزهته بمُنْيَة الرّملة عبر أحد بابيها، وكان باديس قد اعتاد الخروج منه، وتسلّحوا بالدّروع من تحت الثّياب ينتظرونه لتنفيذ ما ائتمروا عليه، ولضمان نجاح خطّتهم قاموا بشراء الذّمم،

---

[1]- ابن بلقين، المصدر السابق، ص67-68.
[2]- دوزي، ملوك الطوائف ونظرات...، ص23-24.
[3]- ابن بلقين، المصدر السابق، ص68.
[4]- نفس المصدر والصفحة. وزاد دوزي على ذلك" أنّ باديس كان لا يستطيع أن يأمن على نفسه البربر والعرب، وكان لا بدّ له من وزير مضطلع على فنون الأدب لا نظير له عند جيرانه"، وقد اجتمعت هذه الشروط في شخص إسماعيل بن النغرالة. ينظر: ملوك الطوائف، ص25.

وكان ممّن رشوه لذلك شيخ من صنهاجة اسمه " فرْقان "، لكنّه أراد أن ينال الحظوة عند باديس فأفضى له بالأمر وحذّره من كيدهم، وأشار عليه بالخروج من الباب الثاني، فجدّ في السّير حتّى وصل إلى قصبته، فلمّا علم المتآمرون بافتضاح مؤامرتهم فرّوا إلى إشبيلية وعلى رأسهم يدّيْر والكاتب أبو الفتوح، أمّا أخوه بلقّين فقد جاءه وهو يسعى باكيا يطلب العفو، ممّا أوقعه فيه يدّيْر الذي صار في حيّز الأعداء فعفا عنه، وهمّ باديس بقتل جميع من سوّلت له نفسه المشاركة في هذه المؤامرة الدنيئة، وكانوا أزيد من مائتي رجل من شيوخ صنهاجة، فأشار عليه أبو إبراهيم اليهودي بالتظاهر بأنّه يجهل أمر الكتب التي وقعت بين يديه، ومداراة أعدائه وإفشاء العطايا فيهم، ومعاقبتهم بضرب هذا بذاك، فضرب الإبن بأبيه والأخ بأخيه، إلى أن أظفره الله بيدّير فحبسه، وقيل إنّه مات حتف أنفه، فاستتب الأمن لباديس من بعده، فلم يعد له منازع وصفا له الجوّ.[1]

أمّا ما كان من أمر الكاتب أبي الفتوح فقد بلغه أنّ باديس أمر بحبس زوجته – وكانت أندلسية فائقة الجمال- وأولاده في المنكّب، فلم يطق صبرا عنهم وطمع في صفح باديس فاستأمنه للرّجوع إلى غرناطة، ورمى بنفسه إلى باديس من غير توثّق بأمان أو مراسلة، فجعل باديس يشتمه ويبكّته ثمّ قتله بسيفه وأمر بحزّ رأسه.[2]

وشيئا فشيئا حتّى أمسك إسماعيل بن نغرالة بزمام الأمور في دولة بني زيري، التي خدم فيها وزيرا لحبّوس ثمّ لباديس من بعده فصار أثيرا على غيره من الوزراء، فلم يكن يقطع أمرا دونه، فاستغلّ مكانته تلك في تعيين معظم المتصرّفين والعمال من اليهود[3]، وظلّ على هذه الحال إلى أن توفّي سنة 448هـ/1056م[4]، فخلفه ابنه يوسف الذي أظهر باديس الاغتباط به، والاستعاضة بخدمته عن أبيه، فسلك مسلك أبيه مستعملا الحيل ومستغلاّ نفوذ المال حتى صار يعلم بكلّ صغيرة وكبيرة

---

[1]- المصدر نفسه، ص69-70.
[2]- ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص255.
[3]- عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني، ص133.
[4]- صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، تحقيق حياة العيد بوعلوان، دار الطليعة- بيروت، ط1، 1985، ص207.

تحدث داخل القصر لما زرع به من العيون [1]، ومن دخل غرناطة غريبا لا يعرف أميرها كان إذا رأى الوزير وأميره، لا يفرّق بين الرّئيس والمرؤوس.[2]

وكان لباديس ولد اسمه بلقّين يلقّب بسيف الدولة، حاول القضاء على اليهودي بسبب ما رأى من سطوته واستئثاره لليهود وتحكّمه في تسيير شؤون الدولة، فأظهر سخطه عليه وجاهر برغبته في قتله، وكان وزراء سيف الدولة يحرّضونه على ذلك، وأنّه قد أخمله وهو أحقّ بهذه السيطرة من اليهودي، ليتخلّصوا من الإثنين بموت اليهودي وبمعاقبة باديس لابنه بسبب فعلته، فيحصلوا على الدولة دون ملامة من السلطان. وكان يوسف من جهته على علم بما يدبّر له، وتظاهر لبلقّين بأنّه لا يعلم من الأمر شيئا، فجعله يواصل التردّد إلى بيته مطمئنّا ليشاطره الشراب، فوضع له ذات يوم السمّ في شرابه، فلم يخرج عنه حتى قذف ما في جوفه، ولم يصل إلى بيته إلاّ عن مشقّة، ثمّ مات بعد يومين، وغضب لذلك باديس غضبا أعماه، جعله يقتل بعض وزراء ابنه وفتيانه وجواريه، اتهمهم اليهودي بضلوعهم في قتله، وكانت وفاته سنة 456هـ/1064م.[3]

وبفقد ابنه انطوى باديس على نفسه، فتبرمك يوسف وزاد استئثارا بالسّلطة، ولم يجد من يقف في وجهه غير "النّاية"، وهو أحد عبيد المعتضد بن عبّاد فرّ من إشبيلية بعد اتّهامه بوقوفه إلى جانب إسماعيل بن المعتضد، ويبدو أنّه استطاع أن يتقرّب من باديس، فنال حظوة عنده جعلت اليهودي يحسده على منافسته له، ونجح النّاية في إقناع باديس بالتحبّب إلى المسلمين بإزاحته[4]، فلمّا تيقّن يوسف بتغيّر الأمير عليه، رمى بمداخلة ابن صمادح صاحب ألمرية في تصيير ملك باديس أليه[5]، وبدأ يخطّط للاتّصال به ليسهّل له دخول غرناطة والاستيلاء عليها، على أن يكون اليهودي في ألمرية.[6]

---

[1]- ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص243.
[2]- ابن بسّام، المصدر السابق، ج2، ص767.
[3]- ابن بلقين، التبيان، ص75-76. ابن عذاري، المصدر السابق، ج 3، ص265. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص231.
[4]- ابن بلقين، المصدر السابق، ص79.
[5]- ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص231.
[6]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص266.

ويرى ابن بسّام أنّ اليهودي " أراد أن يثلّ عرش الباديسي بالصمادحي، لما كان يعلم من كلاله، ويتيقن من قلة استقلاله ، وقد عزم ساعة يخلو له وجه ابن صمادح بعد باديس أن يتمرّ س بجانبه، ويلحقه بصاحبه "[1]، وظنّ أنّه بهذا المكر سيؤسّس بدون عناء كبير ملكا له بإقامة دولة لليهود بغرناطة، وشرع في التمهيد لذلك بتعيين كبار رجال صنهاجة في الولايات البعيدة، فأخرج يحي بن يفران إلى مدينة المنكّب، ومُسكَّن بن حبّوس المغرلي إلى جيان، ومن سواهم إلى غيرها من القواعد، ثمّ كتب إلى ابن صمادح يلحّ عليه في دخول المدينة، وأنّه متى جاءها فتح له الأبواب، وتمكّن رجال ابن صمادح من انتزاع وادي آش حتى صاروا على مقربة من غرناطة.[2]

وفي يوم السبت 10 صفر سنة 459هـ/30 ديسمبر 1066م، دعا عبيد المظفّر إلى شراب وأعلمهم بخطّته، ففرّ أحدهم وهو في حالة سكر، وكان يبغض اليهودي فصاح في النّاس، أنّ اليهودي قد غدر بالمظفّر، وهذا ابن صمادح داخل في البلدة، فأقبلت صنهاجة مع جملة من العامّة إلى دار اليهودي فدخلوها، فاختفى في بيت فحم وسوّد وجهه وتنكّر فعرفوه فقتلوه وصلبوه على باب المدينة[3]، وقتل من اليهود يومئذ نيف على أربعة آلاف[4] رجل ونهبت دورهم.

ويبدو أنّ أوضاع المسلمين في غرناطة كانت مزرية للغاية عندما أقدموا على تنفيذ هذه الملحمة كما يسمّيها ابن بسّام[5]، بسبب تحكّم وزير باديس يوسف بن نغرالة اليهودي، الذي أحكم قبضته على كلّ شيء بالمدينة وبالغ في إسائته وإهانته للمسلمين، وتسلّط اليهود بتسلّطه وتحكّموا في جمع الضرائب، فلم يعد لمسلمي غرناطة متنفّس إلاّ من خلال الشّعر الذي انتشر بينهم بشأن أحوا لهم وما هم فيه، يعزّون أنفسهم من هول ما أصابهم، وينتظرون الفرج لتغيير ما حلّ بهم، ومن جملة

---

[1]- الذخيرة، ج2، ص768.
[2]- ابن بلقين، المصدر السابق، ص85.
[3]- المصدر نفسه، ص86./ ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص266.
[4]- ابن بسّام، المصدر السابق، ج2، ص769./ وينقل لنا دوزي نصّا عن ابن الخطيب ذكر فيه أنّ عدد القتلى من اليهود بلغ حينئذ نيف على أربعة آلاف رجل . ينظر: R. Dozy, Recherches…, TI, Appendice LXII.، ينظر أيضا: دوزي، ملوك الطوائف، ص80.
[5]- ابن بسّام، المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة.

ما قيل في ذلك من الشّعر، قصيدة للشّاعر ابن الجدّ (ت515هـ/1121م) التي يرسم لنا فيها صورة لأوضاع مسلمي غرناطة حينئذ، إذ يقول في ذلك:

تحكمت اليهود على الفروج	وتـاهت بالبغال وبالسّـروج
وقامت دولة الأنذال فيـنا	وصـار الحكم فينا للعلـوج
فقل للأعـور الدجّال: هـذا	زمانك إن عزمت على الخروج[1]

وقال الفقيه الزّاهد أبو إسحاق الإلبيري قصيدة طويلة من 47 بيتا خاطب فيها باديس وحرّضه وقومه صنهاجة على ابن النغرالة اليهودي: [من المتقارب]

ألا قل لصنهاجةٍ أجمعينْ	بُدور الزمان وأسْد العرين
لقد زلّ سيّدكم زلّةً	تقرّ بها أعين الشّامتين
تخيّر كاتبه كافرًا	ولو شاء كان من المؤمنين
فعزّ اليهودُ به وانتَخَوْا	وتاهوا وكانوا من الأرذلين
ونالوا مُناهم وجازوا المدى	وقد جاز ذاك وما يشعرون
أباديس أنت امرءٌ حاذق	تصيب بظنّك مرمى اليقين
فكيف تحبّ فراخ الزّنا	وقد بغّضوك إلى ربّ العالمين
فلا تتخذ منهم خادما	وذرهم إلى لعنة اللاّعنين
وإنّي احتللت بغرناطة	فكنت أراهم بها عابثين
وقد قسموها وأعمالها	فمنهم بكلّ مكان لعين
وهم يقبضون جباياتها	وهم يخصمون وهم يقصمون
وهم يلبسون رفيع الكسا	وأنتم لأوضاعها لابسون
وهم أمناكم على سرّكم	وكيف يكون أمينا خؤون
ورخّم قردهم داره	وأجرى إليها غير العيون

[1]- المصدر نفسه، ج4، ص562./ إحسان عبّاس، تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين)، دار الثقافة، بيروت، ط5، 1978، ص146.

وصارت حوائجنا عنده	ونحن على بابه قائمون
ويضحك منّا ومن ديننا	فإنّا إلى ربّنا راجعون
فبادر إلى ذبحه قربة	وضحِّ به فهو كبش سمين
ولا ترفع الضغط عن رهطه	فقد كنزوا كلّ علق ثمين
وفرّق عُراهم وخذ مالهم	فأنتم أحقّ بما يجمعون
فلا ترض فينا بأفعالهم	فأنت رهين بما يفعلون
وراقب إلهك في حزبه	فحزب الإله هم المفلحون[1]

وعلى ما يبدو فإنّ هذه القصيدة أيقضت مشاعر صنهاجة، فاستشرت كالنّار في الهشيم، وحالت دون تحقيق اليهودي لأطماعه في الظفر بغرناطة وامتلاكها، خصوصا بعد أن فشى بين أهلها أمر تدبيره لإدخال ابن صمادح إلى المدينة، فانتهت هذه المهزلة بالقضاء على النفوذ اليهودي بغرناطة وعودة الأمور مجدّدا إلى ما كانت عليه قبل أن يهيمن عليها اليهود.

ويذكر أنّ باديس ارتاب بشأن ولده الأصغر ماكسن فنفاه عن غرناطة، فلجأ إلى جيان التي كان عليها ابن عمّه مُسكَّن بن حبّوس وتمكّن منها، فثارا على باديس لكنّ مسكن استبدّ بالرّأي دون ماكسن، فلم يكن بوسعه منافسته، فقنع بما هو فيه وتسلّح بالصّبر، ووسط هذه الظروف قام باديس باستمالة حامية قصبة المدينة بالمال والوعود، فثارت على ماكسن ومسكّن وأعلنت ولاءها لباديس، وتعالت الأصوات ليلا أن لا طاعة إلاّ للمظفّر، فنجا كلّ منهما بنفسه حيث قصد ماكسن ابن ذي النون في طليطلة وخدم في عسكره، وتقلّب مسكّن في البلاد يخدم الجندية[2]، وعادت جيان مجدّدا إلى كنف باديس.

وإذا كان باديس تخلّص من سطوة وزيره اليهودي يوسف بن نغرالة بعد أن انكشف أمره، فإنّ وزيره الجديد النّاية سرعان ما استأثر بالأمور فأصبح هو الحاكم

---

[1]- أبو إسحاق التُّجيبي الإلبيري، ديوان أبي إسحاق الإلبيري، تحقيق محمد رضوان الدّاية، دار قتيبة- دمشق، ط2، 1401هـ/1981م، صص89-92.

[2]- ابن بلقين، المصدر السابق، ص90-91.

دون السلطان، على نحو ما كان ابن نغرالة، فاستخصّ بني برزال وقرّبهم منه، وأخمل صنهاجة وأظهر حقده لهم، فاستاءوا منه وسخطوا عليه وفكّروا مليّا في التخلّص منه، وأجمعوا أمرهم على ذلك، وأراد النّاية أن يعظّم شأنه ويخلّد ذكره في الآخرين، فطلب من باديس وأصرّ عليه إصرارا لفتح مدينة بيّاسة التي كانت تابعة حينئذ لإقبال الدولة علي بن مجاهد العامري، فوافق باديس مكرها وتمكّن النّاية من ضمّ بياسة بعد أن أنفق من الأموال الشيء الكثير، لكنّ وزراء الدولة وولاّة البلاد اتّهموه بالطّمع في الرياسة والقيام مع بني برزال، فاتّفقوا على قتله مع العِلجُ واصل حاكم وادي آش، الذي كان النّاية يعتبره أقرب النّاس إليه، ووعدوه بالوزارة مكانه فوافق على عرضهم، فلمّا أرسل السلطان وزيره النّاية إلى مدينة وادي آش لتفقّد أحوالها وتحصيل أموالها، اهتبل واصل فرصة نزوله ضيفا عنده فقتله ليلا وهو سكران، وعندما بلغ الخبر باديس هاله ذلك وهدّد الجند، فلمّا أُ علم بأنّ قتل وزيره كان لخيره، أرسل إلى واصل بالأمان وجعله قائدا لجيشه.[1]

ج.2- باديس في مواجهة خصوم الخارج من ملوك الطوائف:

ج.1.2- القضاء على زهير العامري وضمّ القسم الغربي من مملكة ألمرية لغرناطة:

بعد وفاة خيران العامري صاحب ألمرية سنة 419هـ/1028م آل حكمها من بعده لزهير العامري، الذي جمعه حلف بحبّوس دعت إليه المصلحة المشتركة لمواجهة أطماع ابن عبّاد، فلمّا مات حبّوس استصغر زهير باديس ونهض لأخذ غرناطة من يده [2]، ويذكر ابن حيّان أنّ سبب سوء العلاقة بين باديس وزهير الصقلبي، يعود إلى تمسّك زهير بموالاته لعبد الله البرزالي عدوّ والده حبّوس، وإيفاده إليه المدد بقرمونة استخفافا بحقّ باديس، الذي لم يرد أن يخسر صداقة زهير

---

[1]- المصدر نفسه، صص91-94.
[2]- ابن سعيد المغربي، المغرب ، ج2، ص194.

حليف الأمس، فحاول أن يتقرّب إليه ليكسبه في صفّه، فأرسل إليه رسوله ملطفا في العتاب مستدعيا تجديد المحالفة.[1]

لكنّ زهيرا أصيب بجنون العظمة، فلم يعمل بما تقتضيه الحنكة والحكمة، بل إنّ عبد الله بن بلقين يذهب إلى حدّ وصفه " بأنّه لم يكن يصلح لشيء لجهله وغباوته"[2]، ودليل ذلك أنّه " ضيّع الحزم واغترّ بالعجب ووثق بالكثرة ... وأقبل ضاربا سوطه فاقتحم بلد باديس دون إذنه حتّى صار إلى باب غرناطة "[3]، وكأنّي بلسان حاله يقول ردّا على تجديد التحالف بينه وبين باديس، إنّ كلّ شيء تتمّ تسويته عند المقابلة [4]. وأمام هذا التحدّي السّافر وجد باديس نفسه مضطرّا للخروج في جمعه إلى زهير دفاعا عن ملكه ومملكته، وقد أنكر عليه اقتحامه وعدّه حاصلا في قبضته، لكنّه بادره بالجميل والمعروف وما يقتضيه حقّ الضّيافة، ووصله هو وقومه بصلات الإكرام والتعظيم، ليوقع في نفسه الاغترار ويثبّت طمأنينته.[5]

ثمّ لقيه ووقعت بينهما المناظرة، فاشتطّ زهير وأغلظ لباديس في القول، وكان كاتبه أحمد بن عبّاس هو من أشار عليه بهذا المسلك، فغادره باديس مقضبا وقد عوّل على الحرب ووافقه قومه شيوخ صنهاجة [6]، فنصّب كتائبه وعمل على قطع طريق الرّجعة على زهير، فهدم في الطريق خلف زهير قنطرة لا محيد له عنها، عند عودته إلى ألمرية، ووضع له الكمائن في المضايق، وقدّم على عساكره أخاه بلقّين.[7]

وفي بكرة صبيحة الغد نظّم باديس جيشه وأحكم تعبئته بقيادة شقيقه بلقّين، فوجد زهير نفسه محاطا والتحم الجيشان، ويبدو أنّ جيش صنهاجة اجتذب السّودان من رجّالة زهير للانضمام إليهم وكانوا يقاربون الخمسمائة رجلا فانقلبوا على

[1]- ابن بسّام، المصدر السابق، ج2، ص656./ ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص169.
[2]- التبيان، ص70.
[3]- ابن بسّام، المصدر السابق، ج 2، ص657./ ابن عذاري، المصدر السابق، ج 3، ص169./ ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص297.
[4]- دوزي، المرجع السابق، ص29.
[5]- ابن بسّام، المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة./ ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص169-170./ ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص297-298.
[6]- عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني، ص129.
[7]- مريم قاسم طويل، المرجع السابق، ص129.

زهير[1]، كما استغلّ عامل المفاجئة لكي لا يترك المبادرة لقوات زهير بقيادة هذيل أمام كثرتها، وشنّ بلقّين هجوما كاسحا أخلط به أوراق زهير، وفي ظرف وجيز قدّره صاحب التبيان بساعة من النهار [2]، انهزم الصقالبة وأسر قائدهم هذيل، فأمر باديس بضرب عنقه، وعندئذ دبّ الذّعر والهلع في صفوف قوّاته.

واستمرّت قوات بلقّين في مطاردتهم وهي تجتثّ رؤوسهم، ففرّ زهير مع من فرّ من أصحابه هائمين على وجوههم إلى رؤوس الجبال المجاورة للاحتماء بها من سيوف صنهاجة، التي تعقّبتهم في هذا اليوم المشهود، فمن نجا من القتل لم يسلم من الوقوع في الأسر، وقتل زهير بقرية الفنت على مقربة من غرناطة، يوم الجمعة 29 شوّال من سنة 429هـ[3]/3 أوت 1038م، ولم يعثر على جثّته.

وحاز رجال باديس من وافر الغنائم ما يعجز اللّسان عن وصفه وعّد كثرته، من المال والخزائن والأسلحة والحلية والعدّة والغلمان والخيام وسائر أنواع الأموال[4]، وأمر باديس بقتل من أسر من القواد والفرسان من وجوه القوم، وكان من من جملة الأسرى حملة الأقلام، فعفّ عن دمائهم وعفا عنهم فأطلق سراحهم ومنهم ابن الباجي صاحب الرّسائل، وابن حزم الظّاهري صاحب المؤلّفات الشهيرة، الذي لجأ إلى ألمرية في أوّل عام 404هـ/1103م بعد وفاة والده بسنتين.[5]

أمّا ابن عبّاس فكان الكاتب الوحيد الذي أمر باديس بحبسه، لعلمه بأنّ ه كان سبب إثارة هذه الحرب على غرناطة، ولن يشفي باديس غليله إلاّ بقتله، ومن ثمّ كان يرى بأنّ القتل فيه شيء قليل فأرجأه مع جماعة من الأسرى إلى حين ، وكان الرئيس أبو الحزم جهور بن جهور قد وجّه رسولاً إلى باديس شافعاً في جماعتهم، مؤكداً في شأن أحمد بن عبّ اس، فلم تنجح هذه الشفاعة في تخليصه من قدره

[1]- ابن بسّام، المصدر السابق، ج2، ص659./ ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص171.
[2]- ابن بلقين، المصدر السّابق، ص71.
[3]- ابن الدلآئي، نصوص عن الأندلس، ص83./ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص217./ ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص296-297./ ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص630.
[4]- ابن بسّام، المصدر السابق، ج2، ص659./ ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص171.
[5]- مريم قاسم طويل، المرجع السابق، ص133.

المحتوم، فحاول مرارا أن يفتدي نفسه بأموال ضخمة [1]، مترجّيا من باديس أن يريحه ممّا هو فيه، فأجابه: اليوم تستريح من هذا الألم وتنتقل إلى ما هو أشدّ ![2]، وبعد اثنين وخمسين يوما من أسره قتله باديس بيده تشفّيا منه، وأمر بفصل رأ سه عن جسده[3]، وعلى إثر هذا النّصر الذي أحرزه باديس اتّسعت حدود دولته باستيلائه على القسم الغربي من أراضي مملكة ألمرية المتاخمة لمملكته، وهي تشمل مدينة جيّان وأعمالها، وجزءا من أراضي قرطبة الجنوبية.[4]

ج.2.2- علاقة باديس ببني صمادح أصحاب ألمرية بعد مقتل زهير العامري:

بعد مقتل زهير الفتى صارت ألمرية إلى عبد العزيز بن أبي عامر صاحب بلنسية، الذي سعى - بإرسال وزيره أبي الأحوص معن بن صمادح- على دم ابن عبّاس وزير زهير عندما كان في السّجن لدى باديس، مخافة أن يطلق سراحه فيكدّر عليه ملك ألمرية فأكّد في قتله[5]، وبقتله استراح من منافس خطير وضمّ ألمرية إلى أملاكه وتلقّب بالمنصور، فحسده على ذلك ونافسه فيما صار إليه مجاهد العامري [6] صاحب دانية والجزائر الشرقية.

واستغلّ فرصة غيابه عن بلنسية فخرج إليه بجنوده يريد الظفر ببلنسية، فبلغت أخبار تحرّكه إلى المنصور، الذي بادر إلى مدينته لمواجهة خطر مجاهد، بعد أن ترك صهره ووزيره معن بن محمد بن صمادح أميرا على ألمرية، " فكان شر خليفة استخلف، إذ لم يكد عبد العزيز يواري وجهه عنه حتى عمل بالغدر به والتمهيد لنفسه عند رعيته، فخانه الأمانة، وطرده عن الإمارة، ونصب له الحرب، ... فتملّكها مدّته منذ سنة 433هـ/1041م، إلى أن هلك في رمضان سنة 443هـ/ يناير 1052م، وخلفها ميراثا في عقبه "[7]، وقد اجتمع أهل ألمرية على تولية معن على

[1]- "أشار دوزي إلى أنّه أراد افتداء نفسه بستّين ألف دوكا". ينظر: ملوك الطوائف، ص33.
[2]- ابن بسّام، المصدر السابق، ج2، ص663-664.
[3]- ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص127.
[4]- عنان، المرجع السابق، ص130.
[5]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص172.
[6]- ابن بسّام، المصدر السابق، ج2، ص731./ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص190.
[7]- ابن بسّام، المصدر السابق، ج 2، ص731./ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص 190./ ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص167.

أنفسهم، وأشركوا في ذلك باديس صاحب غرناطة، الذي كتب إليه واجتمع معه فجمع بينهما تحالف إلى أن توفّي معن.[1]

وكان أوّل عمل قام به المعتصم بن صمادح، بعد تولّيه ملك ألمرية، أن أرسل إلى باديس يسأله تجديد العهد الذي كان يجمعه بأبيه وأنّه يرغب في الاجتماع به، ليكون له في العضد والحماية بالمنزلة التي كان عليها لأبيه، وأكّد له أنّه أحسن طاعة وأشدّ انقيادا من أبيه، فأجابه باديس إلى ذلك واجتمع به وجدّد معه عقدا، ... وداما على ذلك دهرا طويلا، لا يُسمع فيها بفتنة، ولا يكابد معها تشغيب.[2]

وسيتأكّد هذا التحالف على أرض الواقع عندما يقوم ابن شبيب[3] عامل لورقة بالثورة على معن بقصد الاستقلال عن ألمرية، " فجهّز إليه المعتصم جيشا واستمد ابن شبيب المنصور بن أبي عامر صاحب بلنسية ومرسية بالعدوّ، واستمدّ المعتصم بباديس، ... فقاتلوا حصونا من حصون لورقة واستولوا عليها "[4]، لكنّهم أخفقوا في القضاء على ابن شبيب.[5]

وبعد وفاة المنصور عبد العزيز بن أبي عامر سنة 452هـ/1060م، خلفه ابنه عبد الملك على بلنسية، ففاتنه المعتصم محمد بن معن وهو ابن خاله بهجومه على حصن من حصون تدمير بمساعدة حليفه باديس، إلاّ أنّ صاحب الحصن ردّ هذا الهجوم بشجاعة واستبسال وصمود، وخاب سعي المعتصم فلم يظفر بطائل وانتهت الحملة بالفشل.[6]

---

[1]- ابن بلقين، المصدر السابق، ص77./ ابن الدلآئي، نصوص عن الأندلس، ص84.

[2]- ابن بلقين، المصدر السابق، ص78.

[3]- ابن شبيب: كان أحد قواد زهير الفتى، أسر في المعركة التي دارت بين زهير وباديس سنة 429هـ/ 1038م، وأطلق باديس سراحه. ينظر: ابن بسّام، المصدر السابق، ج2، ص661.

[4]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص208.

[5]- مريم قاسم طويل، المرجع السابق، ص135.

[6]- ابن بسّام، المصدر السابق، ج2، ص732./ محمد أحمد أبو الفضل، تاريخ مدينة ألمرية الأندلسية في العصر الإسلامي منذ إنشائها حتى استيلاء المرابطين عليها، 344- 484هـ/ 955- 1091م، تصدير السيّد عبد العزيز سالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مطبعة مصنع إسكندرية للكراس- الإسكندرية، 1981، ص126./ السيّد عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة ألمرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية، 1984، ص79./ محمد أحمد أبو الفضل، تاريخ مدينة ألمرية الأندلسية في العصر الإسلامي دراسة في التاريخ السياسي والحضاري، دار المعرفة الجامعية- الإسكندرية، 1996، ص108./

وسرعان ما تحوّل المعتصم من حليف إلى عدوّ لباديس، عندما جاءه يوسف بن نغرالة يعرض عليه ضمّ غرناطة إلى إمارته، فتحرّكت غريزة التملّك في نفسه، وأبان عن أطماعه المكبوتة، بعد أن زيّن له اليهودي دخولها بمساعدته، فزحف بجيشه على وادي آش واستولى عليها، وصارت حصونها لابن صمادح، حتى لم يبق منها في يد باديس غير حصن قبريرة.[1] (Gabrera)

وجزع المعتصم بن صمادح من الجسر على غرناطة رغم إلحاح ابن نغرالة عليه في الإقبال إليها [2]، واستفاق باديس من غفلته بعد قتل وزيره اليهودي الذي سعى في خراب ملكه، ونهض إلى ابن صمادح ليستردّ منه ما استولى عليه من حصون، و" أرسل إلى ابن ذي النون صاحب طليطلة يعلمه بما دهمه من الأمر، ويسأله صلة يده به وأنّه ما انصرف إليه من البلاد أعطاه منها ما أحبّ واختار "[3]، فأقبل ابن ذي النون بجنوده ولحق بباديس في وادي آش، فحاصرا معا قصبتها حتى اشتدّ الحصار بوزراء صاحب ألمرية وأكابر رجاله، فأرسلوا إلى ابن ذي النون ليشفع لهم عند باديس ع لى أن يصيّروا ألمرية مُلكه، فطمع في قولهم وكان من الطمع في غاية لم ينته إليها مَلك، فتوسّط لهم مع المظفّر فقبل خروجهم على سلامة.[4]

وبرّ باديس بوعده فأمر بإخلاء بَسْطة لابن ذي النون حسب ما اتّفق عليه، علما بأنّ غرناطة وطليطلة كانت حدودهما متلاصقة، وممّا تجدر الإشارة إليه في هذا المقام أنّ المأمون بن ذي النون حرص على أن لا يثير غضب باديس بحكم ما كان يتمتّع به من نفوذ بين سائر البربر الأفارقة في الأندلس، ولما كان عند هؤلاء من قدرات عسكرية تفوق كثيرا إمكانياته[5]، وستستمرّ علاقة باديس بذي النون على أساس التحالف والتعاون المشترك بين طليطلة وغرناطة، لدفع خطر الأعداء إلى

---

[1]- ابن بلقين، المصدر السابق، ص85. / مريم قاسم طويل، المرجع السابق، ص136.
[2]- ابن بلقين، المصدر السابق، نفس الصفحة.
[3]- المصدر نفسه، ص87.
[4]- نفسه، ص87-88.
[5]- عبد المجيد نعنعي، الإسلام في طليطلة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر- بيروت، (د.ت)، ص124.

عهد حفيذه القادر يحي، الذي كان يستدفع بباديس وقومه استطالة ابن عبّاد وأعوانه.[1]

ورغم أنّ باديس بذل من المال لاسترداد وادي آش ستّة بيوت من المال دراهم ثُلُثِيَّة، كان البيت منها ألفُ ألفِ دينار ثُلُثيَّة، فإنّه تفتّحت له بلاد كثيرة أربت على التي انصرفت إليه . وأرسل إليه ابن صمادح معتذرا ومعربا له عن ندمه، سائلا إيّاه العفو والإغضاء على ما كان منه، ملقيا باللّوم على اليهودي وأنّه ما كان ليقدم على ما فعله لولا وسوسته وإغراءاته، وجاء ابن صمادح بنفسه ليجتم ع معه ويجدّد له عقدا فقبل اعتذاره، واستمرّت العلاقات بينهما طيّبة إلى وفاة باديس.[2]

ج.3.2- علاقة باديس ببني حمّود حكّام مالقة والجزيرة الخضراء:

بعد وفاة المتأيّد إدريس بن علي بن حمّود يوم 16 محرّم سنة 431هـ/7 أكتوبر 1037م، بويع لابنه القائم يحي بن إدريس ع لى مالقة في نفس اليوم الذي توفّي فيه والده، فثار عليه عمّه حسن بن المعتلي يحي بن النّاصر علي بن حمّود الذي تلقّب بالمستنصر، فحاصره حتى أجهده الحصار فانخلع له وبايعه في جمادى الآخرة من السنة، ثمّ وردت إليه بيعة باديس وجملة من بلاد الأندلس[3]، شملت مالقة ونواحيها وغرناطة وجهاتها.[4]

ويذكر أنّ حسن بن المعتلي عندما عبر من سبتة إلى مالقة ثقّف أخاه إدريس في القصر[5]، فلم يزل في ملك مالقة إلى أن توفّي بها مسموما [6]، فأخرج قوم من برغواطة إدريس بن يحي - وكانوا أخوالا له - من محبسه، فبايعوه بمالقة هم ومن

---

[1]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص240.

[2]- محمد أحمد أبو الفضل، تاريخ مدينة المرية الأندلسية في العصر الإسلامي، ص 110./ السيّد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص80./ مريم قاسم طويل، المرجع السابق، ص137.

[3]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص289-290./ ابن حزم، رسائل ابن حزم، ج2، ص206./ أبو عبيد البكري، المسالك والممالك، ج 2، ص818./ القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، شرحه وعلّق عليه الأستاذ محمذ حسين شمس الدين والدكتور يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية- بيروت، 1987، ج5، ص238.

[4]- البكري، المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة.

[5]- ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص140-141.

[6]- المصدر نفسه، ص141./ القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص238./ المقّري، نفح الطيب، ج1، ص432.

فيها من رؤساء البربر ولقّبوه "العالي بالله "[1]، وخطبوا باسمه سنة 434هـ/1042م، وكان باديس فيمن بايعه في عموم من اعترف له بالخلافة في مالقة وغرناطة وقرمونة وأعمالها [2]، ثمّ إنّ باديس طلب منه حصونا من بلاده فمنحه إيّاها، ثمّ كتب إليه في أن يسلم إليه وزيره ومدبر أمره وصاحب أبيه وجده، موسى بن عفان السبتي، فلما أخبره بأن الصنهاجي طلبه منه، وأنه لا بد له من تسليمه إليه، قال له موسى بن عفان " افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين "، فبعث به إلى الصنهاجي فقتله.

ويفهم من هذا النّص أنّ العالي بالله كان رجلا في قمّة الضعف والاستسلام، لا يستطيع حماية بلده ولا رعيّته، وإلاّ فكيف نفسّر تجرّأ باديس على أن يطلب منه تسليم وزيره، فبغضّ النّظر عن السّبب الذي جعله يطلبه ليضرب عنقه، فإنّ رضوخ العالي بالله لطلب أمير صنهاجة يدلّ بوضوح على خشيته من باديس الذي كان طاغية[3]، ولم يكن يعني له الاعتراف بخلافة بني حمّود شيئا، سوى التبعية الاسمية التي يقتضيها التحالف مع بني جنسه من البربر - الذين كانوا يمثّلون السواد الأعظم في دولة بني حمود- للحفاظ على ما تحت أيديهم من البلاد.

ومن الطبيعي جدّا أنّ حاكما بهذه المواصفات لن يكون محلّ تقدير رعيته، فما إن خرج من مالقة متنزّها للصيد ذات يوم من شعبان سنة 438هـ/1046م، حتى أغلق أهل مالقة الباب في وجهه، وبايعوا ابن عمّه محمد بن المتأيّد إدريس بن علي بن حمّود بالخلافة، الذي تلقّب بالمهدي، فحاول العالي بالله أن يستعيد ملكه وجمع صفوف عبيده ومن تبعه من الجند في حصن ببشتر، مستعينا بباديس فغزا مالقة لكنّه لم يقدر على شيء، فعاد أدراجه إلى حصن ببشتر وأخرج عياله وجاز إلى سبتة،

[1]- الحميدي، المصدر السابق، ص40./ الضّبّي، المصدر السابق، ص34./ ابن حزم، رسائل ابن حزم، ج 2، ص207./ البكري، المصدر السابق، ج2، ص818./ المقّري، المصدر السابق، ج1، ص432.
[2]- البكري، المصدر السابق، ج2، ص818./ ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص291./ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص141.
[3]- دوزي، ملوك الطوائف، ص44.

فبقي عند سواجّات البرغواطي فترة ثمّ عاد إلى الأندلس، واستقرّ عند أبي نور بن أبي قرّة اليفرَني صاحب رندة شهورا، وبايعه بالخلافة.[1]

ولم يعترف أكثر زعماء البربر لمحمد المهدي بالخلافة، كما تجاهلوا العالي بالله فأقدموا على مبايعة محمد بن القاسم بن حمّود الحسني سنة 439هـ/1047م، وتسمّى من الألقاب الخلافية بالمهدي[2]، وقدّموه للخلافة بالجزيرة الخضراء، وهم أربعة أمراء: إسحاق بن محمد بن عبد الله البرزالي صاحب ق رمونة، ومحمد بن نوح الدّمّريّ صاحب مورور، وعبدون بن خزرون صاحب أَركُش، وكبيرهم باديس بن حبّوس صاحب غرناطة وأعمالها وإستجة وغيرها، وخُطِب له في بلادهم على المنابر.[3]

وأصبح هناك خليفتان حمّوديان لقبهما المهدي[4]، أحدهما بمالقة والآخر بالجزيرة الخضراء، من جملة أربعة خلفاء كلّهم يسمّى أمير المؤمنين في رقعة جغرافية ضيّقة، مقدارها ثلاثون فرسخا[5] في مثلها[6]، أي ما يعادل مسافة ثلاثة أيّام في مثلها حسب ما ذكره ابن حزم، ثمّ أورد لنا أسماء هؤلاء الذين تسمّوا بالخلافة وإمارة المؤمنين في صقع واحد، وهم: خلف الحصري بإشبيلية، على أنّه هشام من بعد إثنين وعشرين سنة من موت هشام، فخطب له على منابر الأندلس ...، والمهديان محمد بن القاسم خليفة بالجزيرة الخضراء، ومحمد بن إدريس خليفة بمالقة، وإدريس بن يحي ابن علي ببشتر.[7]

---

[1]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص217./ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص141.

[2]- الحميدي، المصدر السابق، ص41./ الضّبّي، المصدر السابق، ص36.

[3]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج 3، ص229-230./ ابن الخطيب، أعمال الأع لام، ص142./ دوزي، ملوك الطوائف، ص46.

[4]- خالد بن عبد الله بن حسن آل زايد الشريف، مدينة مالقة منذ عصر الطوائف حتى سقوطها (422- 492هـ) دراسة سياسية اقتصادية، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة أمّ القرى، مكّة المكرّمة، 1425- 1426هـ، ص48.

[5]- الفرسخ: ثلاثة أميال والميل أربعة آلاف ذراع، والذراع أربع وعشرون أصبعا، والإصبع ست حبّات شعير مصفوفة بطون بعضها إلى بعض، وقيل الفرسخ اثنا عشر ألف ذراع، وقال قوم سبعة آلاف خطوة. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ط2، دار صادر- بيروت، 1995، ج1،ص36.

[6]- الحميدي، المصدر السابق، ص 41./ الضّبّي، المصدر السابق، ص 36./ ابن حزم، رسائل ابن حزم، ج 2، ص208./ الذهبي، سير أعلام النبلاء، دار الحديث- القاهرة، 1427هـ/ 2006م، ج12، ص560.

[7]- رسائل ابن حزم، ج2، ص92-93./ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص142-143.

ويستنتج ممّا سبق أنّ بيعة زعماء البربر لمحمد بن القاسم وهي البيعة الثانية، تنمّ عن عدم قبولهم ببيعة أهل مالقة لمحمد بن إدريس بالخلافة وهي البيعة الأولى، ممّا يعني أنّهم نكثوا ببيعتهم الجماعية العامّة ببيعة أهل مالقة الخاصّة، وما تلقّب محمد بن القاسم بلقب المهدي إلاّ دليل على نقض بيعة محمد بن إدريس ونزع صفة الشرعية عنه بانتزاع لقب المهدي الذي تسمّى به صاحب الجزيرة الخضراء، ويفهم من ذلك أنّه لم يكن محلّ إجماع ولا ثقة، بسبب سفكه للدماء فأصبح يمثّل شخصية غير مرغوب فيها، ولعلّ باديس كان من أشدّ الحجّاب البربرمعارضة لخلافته، ففكّر في التخلّص منه بالحيلة، فوجّه إليه كأسا عراقية مع أحد الكتاميين، قال له: كأس جلبت للحاجب المظفّر باديس، فلم يره يصلح إلاّ للخلافة فاختصّك بها، فأعجب بذلك محمد بن إدريس وملأها خمرا، وضمّها إلى فيه فأحسّ في نفسه رَيْبة، فأمر الرّجل الذي أوصلها إليه، فشرب ما فيها فتهرّأ لحمه من حينه، وبقي محمد بن إدريس ثلاثة أيّام ومات في آخر سنة 444هـ/ أوائل عام 1053م.[1]

وقام بالأمر بعد وفاته ابن أخيه إدريس بن يحي بن إدريس بن علي ابن حمّود، ولقّب بالموفّق ولم يخطب له بالخلافة، في حين بويع للعالي إدريس بحصن قمارش، وكان عند بني يفرن بتاكرنا [2]، وزحف إلى الموفّق فدخل عليه ما لقة، وأطلق أيدي عبيده عليها لحقده عليهم، ففرّ كثير منهم، وتوفّي العالي سنة 46 أو 447هـ/54 أو 1055م، وبويع محمّد بن إدريس ولقّب بالمستعلي[3]، وكان غلاما صغيرا فقام بأمره وزير أبيه، فاستماله باديس رفقة بعض رجاله بالمال، وكان ذلك سببا في دخوله إلى مالقة سنة 449هـ[4]/1057م فملكها وولّى عليها ابنه المعزّ[5]، وسار

---

[1]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص218./ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص141-142.
[2]- ابن حزم، رسائل ابن حزم، ج2، ص208.
[3]- المقّري، المصدر السابق، ج1، ص435.
[4]- المقّري، المصدر نفسه، نفس الجزء و الصفحة./ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص199. وقيل إنّ دخول باديس لمالقة كان في يوم الثلاثاء 29 ربيع الآخر سنة 448هـ/ 15 جويلية 1056م. ينظر: النباهي، المصدر السابق، ص121./ ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص241.
[5]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص266.

وسار محمّد إلى المريّة مخلوعاً، ثم استدعاه أهل المغرب إلى مليلة فأجاز إليهم وبايعوه سنة 456هـ/1064م، وتوفّي سنة 460هـ/ 1068م.[1]

ومن أهمّ الأسباب التي حفّزت باديس على ضمّ مالقة إلى مملكته ذلك النزاع الداخلي بين أفراد الأسرة الحاكمة، وانقسامهم على أنفسهم وترك شؤون المملكة لمن هم دونهم من الوزراء والقواد واكتفائهم بلقب الخلافة [2]، كما أنّ باديس كان يعتبر نفسه الرئيس الحقيقي للبربر، ومن أجل ذلك عقد النّية على التخلّص من الحمّوديين وإدماج مالقة وأعمالها ضمن ولاياته، فقام بتنفيذ مشروعه دون أن يصادف عوائق كبيرة[3]، خصوصا وأنّ حاكم مالقة الأخير كان غلاما، فزاد ذلك من مخاوف باديس من ابن عبّاد، خشية أن يغير على مالقة وينتزعها منه، ويصبح مصيرها كمصير الجزيرة الخضراء، بعد أن أصبحت قواته في تنام مستمرّ.[4]

ج.4.2- الصراع بين باديس وبني عبّاد:

تعود جذور هذا الصراع إلى عهد تربّع القاضي محمد بن إسماعيل بن عبّاد على عرش مملكة إشبيلية سنة 414هـ/1023م، حيث ظهرت أطماعه في تثبيت ملكه من قاض إلى أمير على مدينته، وكبرت أحلامه في توسيع مملكته على حساب جيرانه، كبداية لتحقيق طموحه باعتلاء الخلافة التي كان يحلم بها، ويعمل على تحقيقها معتقدا أنّه الأحقّ بها بمنطق القوّة، وقد سعى إلى تجسيد ذلك بمحاولة بسط نفوذه على حصون البربر المتاخمة لمملكته، من أجل ضمّها إلى ممتلكاته، فبعث بابنه إسماعيل على رأس جيش أغار على قرمونة واستولى على أستجة وأشونة، وكانت تابعة لعبد الله البرزالي الزناتي، الذي استنجد بحبّوس وإدريس بن علي الحمّودي، فلقي إسماعيل بن عبّاد حتفه نتيجة غروره وانهزم جيشه سنة 431هـ/1039م.

---

[1]- المقّري، المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة.
[2]- خالد بن عبد الله، المرجع السابق، ص50.
[3]- دوزي، ملوك الطوائف، ص47.
[4]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص273./ Antonio Prieto y Vives, Los Reyes de Taifas, P28-29.

ولمّا آل الحكم إلى باديس لم يكن أمامه من خيار آخر إلاّ المواجهة، فدخل الصراع من أوسع الأبواب باعتباره كبير رؤ ساء البربر، واستمرّت الحروب والوقائع بينه وبين بني عبّاد إلى فترة حكم المعتمد، وما كانت لتنتهي لو لم يفرض عليهم خطر ألفونسو السادس الدّاهم الاتحاد للحيلولة دون ابتلاع أراضيهم التي باتت قاب قوسين أو أدنى من السقوط، الذي يعني زوال وضياع الأندلس بكاملها.

ولعلّ باديس أدرك أنّ أمن مملكته سيضلّ مهدّدا ما دام القاضي محمد بن إسماعيل بن عبّاد على قيد الحياة، فأراد أن يحسم الموقف لصالحه نهائيا بإزالة الخطر من مصدره، كون القاضي ابن عبّاد ما فتئ يخطّط لضمّ ممتلكات غيره من ملوك الطوائف، كلّما وجد الظروف المناسبة للظهور عليهم، واستطاع إلى ذلك سبيلا، وربّما كانت خسارته لابنه إسماعيل أمام حبّوس حافزا قويّا على التفكير مجدّدا في غزوه لغرناطة بعد أن يجمع أسباب القوّة، وتفاديا لردّ فعل خصمه بادره باديس بالهجوم عليه في عقر داره بجيش عظيم، فخرج إليه القاضي محمد بن إسماعيل بن عباد بنفسه، ودارت بينهما معركة كبيرة على مقربة من إشبيلية استحرّ القتل فيها، وانهزم العبّاديون وقتل فيها القاضي ابن عبّاد سنة 431هـ/1039م، ودخل باديس المدينة منتصرا، وعندما خرج منها تولّى عبّاد ابن القاضي محمد بن إسماعيل الحجابة، فحلّ محلّ أبيه ولقّب بالمعتضد.[1]

وباعتلاء المعتضد سدّة الحكم في إشبيلية بدأت المعطيات تتغيّر لصالحه، وبدا ذلك واضحا في الوقائع التي خاضها ضدّ خصومه، وكان أوّلها الحصار الذي ضربه على ابن عبد الله بقرمونة ، حيث سدّ مسالكه فاستصرخ باديس بن حبوس، فلمّا وصل قرمونة أخرج إليه المعتضد جيشه يقدّمه ابنه الظافر، وحمل فيهم عسكر إشبيلية حملة فرّقت صفوفهم، وتركتهم مضرجين بالدّماء في تلك البقاع، وانصرف الظافر ظافرا إلى إشبيلية، فهنّئ المعتضد بذلك، وقام ابن عمار بإنشاده قصيدة دالية من 37 بيتا بهذه المناسبة: [من الطويل]، مطلعها

[1]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص316.

ألا للمعالي ما تُعيد وما تُبْدي	وفي الله ما تُخفيه عنّا وما تُبْدي
نوالٌ كما اخضرَّ العِذارُ وفتكةٌ	كما خَجِلَتْ من دونه صفحةُ الخدِّ
جَنَيْتَ ثِمارَ النّصر طيّبةَ الجَنى	ولا شَجَرٌ غَيْرَ المُثقّفةِ المُلْدِ[1]

وعندما قام المعتضد بغزو مملكة لبلة استنجد صاحبها ا بن يحي اليحصبي بابن الأفطس صاحب بطليوس وباديس بن حبّوس، فاجتمعوا وعاثوا بنظر إشبيلية، وكثر القتل والهرج والسلب، فاضطرّ المعتضد إلى التراجع نحو مدينته.[2]

ونظرا لتجاسر المعتضد على نظرائه من ملوك البربر اتّفقوا على المسير إلى المعتضد صاحب إشبيلية سنة 439هـ/1037م، وهم: إسحاق بن محمد بن عبد الله البرزالي صاحب قرمونة، ومحمد بن نوح الدّمّريّ صاحب موررور، وعبدون بن خزرون صاحب أركش، وكبيرهم باديس بن حبّوس صاحب غرناطة وأعمالها وأستجة، وابن الأفطس صاحب بطليوس، وإمامهم محمد بن القاسم بن حمّود، ورغم اجتياحهم لأرضه لم يتمكّنوا من تحقيق ما كانوا يصبون إليه، فانصرفوا عائدين إلى ممالكهم، ولم يكن لهم بعد ذلك اجتماع ولا اتّفاق.[3]

ويذكر أنّ المعتضد قرّر افتكاك قرطبة من بني جهور، فبعث إليها بجيش يقوده ابنه إسماعيل سنة 450هـ/1058م، فداخله الخوف من الوقوع بين لحيي الوليد محمد بن ج هور صاحب قرطبة، وباديس بن حبّوس بسبب الحلف الذي كان يجمعهما، فأحجم عن الهجوم على قرطبة مخافة أن يحضر باديس لنجدة ابن جهور، فلمّا وقف بين يدي والده المعتضد استجبنه وأغلظ وعيده، فدبّر الفرار عنه وانتهى ذلك بقتله في نفس السنة، وقال ابن حيّان إنّ قتله كان سنة قبل ذلك.[4]

---

[1]- ابن خاقان، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، تحقيق وتعليق : حسين يوسف خريوش، مكتبة المنار للطباعة والنشر والتوزيع- الأردن، ط1، 1409هـ/ 1989م، ج1، ص263.
[2]- ابن بسّام، المصدر السابق، ج3، ص34./ ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص211.
[3]- ابن عذاري، المصدر نفسه، ج3، ص229-230./ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص142.
[4]- ابن بسّام، المصدر السابق، ج 5، ص145- 147 وص531./ ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص248-249.

ويبدو أنّ المعتضد كان بقسوته هذه لا يساوم ولا يقاوم، فكان من القوّة بمكان وهو ما جعل رؤساء البربر يتّحدون للقضاء عليه، إلاّ أنّ ذلك لم يثن من عزيمته وقد اكتسب بمرور الزمن ثقة بالنّفس جعلته يلحّ على مواجهتهم تارة بالقوّة وفي أخرى بالمكر والحيلة، فقد كان يتمتّع بقدرة خارقة في الخداع والإقناع في نفس الوقت[1]، فبعد أن اطمأنّوا إليه وتكرّرت زيارتهم له أفذاذا، جاءوا إليه مباهين في نحو مائتي فارس من رؤساء قبائلهم فغدر بهم وكبّلهم وسجنهم في مواضع شتّى لا يلتقي أحد منهم بغيره، ثمّ أخرجهم بعد مدّة وأمر بإدخالهم إلى الحمّام وسدّ عليهم باب الحمّام فهلكوا، فتخلّص من أبي نور بن أبي قرّة صاحب رندة، ومحمد بن نوح الدّمريّ صاحب موررور، وعبدون بن خزرون أمير بني يرنيان صاحب أركش وذواتها، ووجّه العسكر إلى بلادهم فاحتوى عليها.[2]

ولم يبق له معاند منهم غير بني يرنيان أصحاب شذونة وأركش حيث قام أميرهم محمد ابن خزرون مقام أخيه عبدون الهالك في الحمّام، فاتّصل بباديس بن حبّوس واتّفق معه على أن يسلّمه حصن أركش، على أن يعطيهم باديس بلدا يسكنونه تحت كنفه، فبعث معهم عسكرا ضخما لحمايتهم، وعلم المعتضد بذلك فكمن لهم كمينا بفحص شلب على بعد نحو عشرين ميلا من قلعتهم، بعد أن أخرجوا كلّ أموالهم وعيالهم، فأعمل فيهم السّيف وهزمهم، وأبيد أكثرهم وقتل محمد بن خزرون أميرهم وقائد باديس الذي كان معهم، في آخر يوم من سنة 458هـ/20 نوفمبر 1066م، وضمّ المعتضد قلعة أركش وسائر بلاد شذونة لمملكته وخطب له فيها.[3]

وبعد تمكّن المعتضد من هؤلاء الرؤساء وضمّ بلادهم إلى مملكته، تشيّع أهل مالقة إليه " تشيّعا لم يكن له أصل إلاّ شؤم الحميّة ولؤم العصبية "[4]، فآثروه على باديس لأنّه عربيّ على ما كان يعرف عنه من قبح آثاره وهول أخباره، رغم ما أصابهم من النّعم على يد باديس بعد ضمّ مالقة إلى غرناطة سنة 449هـ/1057م، إذ

[1]- امحمد بن عبود، المرجع السابق، ص63.
[2]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص270-271./ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص238-239.
[3]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص272-273./ ابن الخطيب، المصدر السابق، ص239-240.
[4]- ابن بسّام، المصدر السابق، ج3، ص49./ ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص273-274.

كانوا في عهد الحمّوديين " على أسوأ حالة فأصلح من أحوالهم كثيرا، وحمل فقهاءها ومقرئيها على المطايا، وأنزلهم على أفضل المراتب، وكانوا قبل ذلك في حال قلّة وعلى غير رتبة".[1]

ونزع أهل مالقة إلى استبدال النّعمة بالجحود، فأرسلوا رجالا منهم سرّا إلى المعتضد، يدعونه إلى افتتاح مدينتهم، للتخلّص من حكم البربر، فاستجاب المعتضد بدون تردّد لطلبهم، وبعث على الفور بكتيبة جعل قيادتها لولديه جابر ومحمد الظافر (المعتمد)، سرعان ما اكتسحت مالقة، لكنّها اصطدمت بمقاومة عنيفة من قبل فرقة من كفاة السودان المغاربة، بقيادة شيخهم مخلوف بن ملّول [2]، الذين احتموا بمناعة قصبتها، واستصرخوا باديس في غفلة من أمر غزاتها، الذين كانوا تحت تأثير نشوة وقوع المدينة في قبضتهم منغمسين في اللّهو واللّعب والعبث، ساعين في "ارتياد القيّنات وطراد اللّذات".[3]

وهبتّ كتيبة باديس - بقيادة وزيره وقائد جنده النّاية - إليهم كالعاصفة، فلم يستفق ابني عبّاد إلاّ على صهيل الجياد وصليل السيوف، فتفرّقت أجنادهم " فلم تر إلاّ أسيرا أو قتيلا، أو فازعا إلى الفرار ما وجد إليه سبيلا "[4]، ولاذ جابر والمعتمد ابني المعتضد بالفرار مع من نجا من فلّ جندهما إلى رندة، وسخط المعتضد على ولده المعتمد بتنفيسه لأهل قصبة مالقة، معتبرا قراره هذا سببا فيما ترتّب عن ذلك من الهزيمة، وأمره بالمقام مسجونا في رندة، فكتب إليه قصيدة طويلة من خمس وثلاثين بيتا يستلطفه ويعرّض بالبربر ويستعطفه فيها ويعزّيه من ه ول ما أصابه، وجاء في مطلعها [من البسيط]:

سكّنْ فؤادَك لا تذهبْ بكَ الفِكَرُ	مـاذا يُعيد عليك البَثّ والحــذَرُ؟
وازجُرْ جفونك لا ترْضَ البكاءَ لها	واصبرْ فقد كنت عند الخطب تصبِرُ

---

[1]- ابن بلقين، المصدر السابق، ص89.
[2]- ابن بلقين، المصدر نفسه، ص 89./ ابن بسّام، المصدر السابق، ج 3، ص50./ ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص274.
[3]- ابن خاقان، المصدر السابق، ج1، ص82.
[4]- ابن بسّام، المصدر السابق، ج3، ص50./ ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص274.

فإن يكن قـدرٌ قد عاق عن وطرٍ	فـلا مـردّ لما يـأتي بـه القـدرُ
وإن تكُن خيبةً في الدّهرِ واحدةٌ	فكم غزوت ومن أشياعك الظفرُ[1]

ثمّ كتب إليه يرجو عفوه عنهما [من منخلع البسيط]:

مولاي أشـكو إليك داءً	أصبح قلبي به جريـحَا
سُخْطُكَ قد زادني سَقَامًا	فابعثْ إليَّ الرّضَى مسيحَا
إن لم يزله رضاك عَنَيّ	فلـست أدري لـه مُريحَا[2]

فلمّا بلغت الأبيات والده عفا عنه وعن أخيه، واستدعاهما إلى حضرته وآيس من ملك مالقة [3]، وقد ذكر ابن عذاري هذه الواقعة كآخر خبر في أحداث سنة 458هـ/1066م، مع العلم أنّه أشار قبل ذلك إلى أنّ ابن عبّاد ملك أَركُش في آخر يوم من سنة 458هـ/1065م، عندما قال : " ... آخر يوم من سنة ثمان وخمسين وأربعمائة، وملك ابن عبّاد قلعة أركش ... إلى أن قطع دابر أمراء البرابرة "[4]، ثمّ أضاف قائلا : " ولم يبق منهم سوى باديس بن حبّوس، فجيّش الجيوش وعمّر الأسطول إلى مالقة، فحلّ بمرساها وجعجع بأهلها، وأقام عليها أيّاما برّا وبحرا "[5]. ويفهم من كلامه هذا أنّ خروجه إلى مالقة كان بعد ما ملك أركش، ممّا يعني أنّ أحداث مالقة التي انتهت بهزيمة ابني المعتضد كانت في بداية عام 459هـ/1066م.[6]

وعندما آل حكم إشبيلية إلى المعتمد بن عبّاد لم يكن لينسى أو يتناسى أمر هذه الهزيمة التي تكبّدها على يد جيش باديس، والتي سبّبت له غضب المعتضد إلى درجة أنّه أمر بسجنه . ومن ثمّ فمن الطبيعي جدّا أن تبقى العلاقات بين إشبيلية وغرناطة سيّئة يشوبها الحذر، ولم تعد إلى الصفاء بينهما إلاّ بعد وفاة باديس، بعد

[1]- ابن الأبّار، الحلّة، ج2، ص56./ ابن بسّام، المصدر السابق، ج3، ص48./ ابن خاقان، المصدر السابق، ج1، ص83./ ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص275.
[2]- ابن خاقان، المصدر السابق، ج1، ص83.
[3]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص275./ دوزي، ملوك الطوائف ونظرات، ص76.
[4]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص273.
[5]- نفس المصدر والجزء والصفحة.
[6]- مريم قاسم طويل، المرجع السابق، ص142.

عَقد الصلح بين عبد الله بن بلقّين والمعتمد بن عبّاد، ويؤكّد ذلك ما و رد على لسان عبد الله في مذكراته، حيث قال :" وجدّدنا العقد على ما ارتضيناه من معاوضات، سوى ما كان قديما بيده، ممّا خرج عنّا في أيّام المظفّر، وأخذت الفتنة عليه حقّها".[1]

ج.5.2- علاقات باديس بنصارى الشمال (قشتالة وليون):

استغلّت إسبانيا النصرانية انقسامات م لوك الطوائف وخلافاتهم، فضمّت مملكة ليون إلى قشتالة في دولة واحدة على يد فرديناند الأول[2] بن غرسية بن شانجه (فردلند) أو فرناندو (Fernando)، الذي حكم من سنة 427 إلى 458هـ/1035-1065م)، وقد تجسّدت هذه الوحدة في شهر رمضان سنة 428هـ/ جويلية سنة 1037م ، وكان من نتائج هذه الوحدة أن شنّت إسبانيا حربا متواصلة على المسلمين أصطلح على تسميتها بحرب الاسترداد (Reconquista)، حيث تكالب النصارى على الأندلس فقاموا بغارات وحروب ما بين سنوات 446 و455هـ/1054 و1063م، مكّنتهم من الانتصار على ممالك سرقسطة وشنتمرية وبطليوس ثمّ طليطلة وبلنسية ووادي الحجارة وإشبيلية، وقبل ملوكها مرغمين بتبعيتهم لفرناندو الأول، إلى جانب التزامهم بدفع ضريبة سنوية تؤكّد فروض التبعية والولاء لملك قشتالة وليون[3]، على أنّ النصارى تلقّوا هزيمة نكراء على يد باديس عندما شنّوا غارة على ناحية غرناطة، فخرج في إثرهم برابرها فهزموهم، واحتووا على مضربهم.[4]

وبعد وفاة فردلند الأول حدث صراع بين ابنيه : سانشو (Sancho) وألفونسو السادس (Alffonso VI)، الذي تمكّن من قتل سانشو لينفرد بالحكم بمساعدة من أخته أوراكا (Urraca)، واستمرّ في عدائه لباديس وأراد إخضاع غرناطة لتبعيته، فتدخّل المأمون بن ذي النون الذي كان على علاقة بألفونسو، حيث لجأ إليه أيّام صراعه مع أخيه سانشو[5]، فأنزله المأمون في قصر فخم، إلى أن قتل أخوه سانشو

[1]- ابن بلقين، المصدر السّابق، ص106.
[2]- يوسف أشباخ، المرجع السابق، ج1، ص11.
[3]- ابن الكردبوس التوزري، المصدر السابق، ج1، ص 393./ عبد المجيد نعنعي، المرجع السابق، صص149-154./ يوسف أشباخ، ج1، ص20-21./ دوزي، ملوك الطوائف، ص81.
[4]- ابن الكردبوس، المصدر السابق، ج1، ص392./ مريم قاسم طويل، المرجع السابق، ص145-146.
[5]- بطرس البستاني، معارك العرب في الأندلس، دار مارون عبّود- بيروت، 1978، ص11.

في حصاره لأخته أوراكا بمدينة سمورة [1] (Zamora)، التي أرسلت في طلبه لتسلّم عرشه، فخرج المأمون إلى توديعه، ويذكر رئي س الأساقفة دون رودريك (Don Rodrigo) أنّ كلّ واحد منهما ودّع الآخر بكلّ مظاهر الحبّ[2]. وبموجب هذه العلاقة حال المأمون دون حدوث صدام بين ألفونسو وباديس [3]، على أنّ باديس أصبح مثل غيره من ملوك الطوائف " يطلبون سلمه ويعملون في مرضاته، ويدارونه ويتّقونه بالجِزَى"[4]. وقد تباينت التواريخ التي ساقها إلينا المؤرّخون بشأن وفاة باديس بن حبّوس، فمنهم من ذكر أنّه توفّي ليلة الأحد الموفي 20 من شوال سنة 465هـ[5]/28 جوان 1075م، ومنهم من قال بوفاته سنة 467هـ[6]/1075م.

والرّاجح عندي أنّ التّاريخ الأوّل أوثق لعدّة اعتبارات أهمّها: أنّ ابن الخطيب كان غرناطيا ونقل خبره عن غرناطي، فهو يذكر لنا مصدر خبره بقوله : " قال أبو القاسم بن خلف"، في حين اكتفى غيره من المؤرّخين بذكر سنة الوفاة فحسب دون ذكر مصدر خبرهم، بينما يحدّد لنا المصدر الذي نقل عنه ابن الخطيب تاريخ وفاة باديس باليوم والشهر والسنة، ممّا يعني أنهّ كان واثقا ممّا يقوله لكونه كان معاصرا للحدث وربّما كان شاهدا عليه، وهو ما يعطي أكثر مصداقية لخبره، الذي أعتقد شخصيا أنّه عن مصدر موثوق، ذلك أنّ ابن الخطيب نقل عنه في إحاطته في أزيد من ستّة مواطن، وفيها ما يشير إلى أنّ الرّجل كان من علما ء المدينة، ومن ذلك ــ

---

[1]- أشباخ، المرجع السابق، ج1، ص25. ومدينة سمورة (زامورا) هي دار مملكة الجلالقة، على ضفّة نهر كبير وبينها والبحر ستون ميلا . الحميري، المصدر السابق، ص 324./ وهي تقع اليوم في شمال البرتغال . ينظر: أشباخ، المرجع السابق، ج1، ص15.

[2]- Ramón Menéndez Pidal, Primera crónica general estoria de España que mandó componer Alfonso El Sabio y se continuaba bajo Sancho IV en1289, Bailly-Bailliere é Hijos Editores, 1906, Madrid, Tomo I, P414-415.

[3]- عبد المجيد نعنعي، المرجع السابق، ص144 وص170.

[4]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص203./ المقّري، المصدر السابق، ج1، ص439.

[5]- ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص245./ ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص 31./ محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص139./ محمد شيت خطاب، قادة فتح الأندلس، مؤسسة علوم القرآن- منار للنشر والتوزيع، بيروت، ط1 ، 1424هـ/2003م، ج2، ص101./ Amin Taibi, The ncyclopaedia of Islam (New Edition), Leiden- Brill, 2002, Volume XI, P.515./ Bilal Sarr, op, cit, p93.

[6]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص240./ محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العهد الرّا بع، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط4، 1417هـ/1997م، ص28./ مريم قاسم طويل ، المرجع السابق، ص169.

على سبيل المثال لا الحصر- ترجمة ابن الخطيب لعلي بن عمر بن محمد بن مشرف بن محمد بن أضحى، الذي قال عنه : قال أبو القاسم بن خلف الغافقي : "حدّثني عنه الفقيه أبو خالد بن يزيد بن محمد وغيره بتواليف منها " كتاب قوت النفوس وأنس الجليل"، وهو كتاب حسن، ضمّن فيه كثيرا من شمائل النبيّ صلى الله عليه وسلم[1]. وخلاصة القول إنّه إذا كان ابن خلدون حجّة في تاريخ البربر، فإنّ ابن الخطيب ابن غرناطة وهو حجّة في تاريخها بدون منازع.

د- عبد الله بن بلقّين بن باديس[2]: (465- 483هـ/1073- 1090م)

هو أبو محمد عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس بن ماكسن ابن زيري بن منّاد الصنهاجي، لقّب بالمظفّر بالله [3]، والناصر لدين الله [4]، ولد سنة 447هـ/1055م، وقد سمّى باديس حفيده عبد الله وليّا لعهده بعد وفاة أبيه بلقّين [5]، وبعد وفاة باديس اتفق شيوخ صنهاجة ورجال الدولة على تولية حفيده عبد الله بن بُلُقِّين أميرا مكانه، وكان صبياً حدثاً، بينما كان أخوه الأكبر تميماً يتولى حكم مالقة منذ أيام جدّه.[6]

وإذا كانت ولادة عبد الله بن بلقين سنة 447هـ، وأنّه خلف جدّه على عرش غرناطة في نفس السنة التي توفّي فيها باديس أي سنة 465هـ، فإنّ سنّه عندئذ كان ثمانية عشر عاما، ممّا يعني أنّه لم يكن صبيّا صغيرا[7] حسب قول ابن الخطيب، وما وما ذهب إليه ابن عمّار وزير المعتمد في تزيينه لألفونسو السادس بالإغارة على غرناطة واصفا إيّاه بالضّعف وسنّ الصبا[8]، ويفترض بمن هو في الثامنة عشر من عمره أن يكون فتى يافعا أقرب إلى الرّشد منه إلى الصّبى، اللهمّ إلاّ إذا كان يقصد

---

[1]- ابن الخطيب، الإحاطة، ج4، ص66.

[2]- المصدر نفسه، ج 3، 289- 291./ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص 233./ ابن الخطيب، اللمحة البدرية ، ص31./ ابن سعيد المغربي، المغرب ، ج2، ص108./ المقّري، المصدر السابق، ج 3، ص568./ النباهي ، المصدر السابق، ص113.

[3]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج4، ص142-143./ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص 233./ ابن سماك العاملي ، المصدر السابق، ص109.

[4]- ابن الخطيب، الإحاطة، ج 36، ص289./ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص 233./ Bilal Sarr, op, cit, p100.

[5]- أمين توفيق الطيبي، مقدّمة تحقيق كتاب التبيان، ص38.

[6]- عبد الله عنان، المرجع السابق، ج2، ص142.

[7]- أعمال الأعلام، ص234.

[8]- ابن بلقين، المصدر السابق، ص99.

بقوله " لم يقارب الحُلم "، أنّه كان لا يزال صغيرا عن فقه السياسة وتدبير شؤون الدولة، وإقناع الرّعيّة بأحقّيته في الولاية، وفرض الاحترام والهيبة على الأعداء، ولا تتأتّى هذه الأمور إلاّ باكتساب صفات الرّجولة كاملة و بدون نقصان وعلى رأسها الحِلم والعلم والشجاعة. ولعلّ هذ ما جعل ابن الصيرفي يصفه بقوله : " كان جبانا مغمد السيف، قلقا لا يثبت على الظّهر، لا أرب له في النساء، هيّابة مفرط الجزع، يخلد إلى الرّاحات"[1]، ومن أجل ذلك احتاج إلى وزير في مستوى سِماجة، لمساعدته على تدبير أحوال المملكة، فصحبه سماجة الصنهاجي تسع سنين[2]، إلى أن أن بلغ عبد الله وأراد الاستبداد بحاله.[3]

د.1- الأمير عبد الله بن بلقّين في مواجهة الأطماع الخارجية:

د.1.1- بين مطرقة ألفونسو السادس وسندان المعتمد بن عبّاد:

كان أوّل ما ابتدأ به عهده مجيء رسول ألفُونْشُ (ألفونسو السادس) إلى غرناطة طمعا في الحصول على الضريبة، في وقت كان أمراء آخرون يؤدّونها بانتظام، كما هو حال إشبيلية التي التزمت بدفعها منذ عهد فرناندو بحيث تعهد المعتضد بن عباد بأداء الجزية لفرناندو ملك قشتالة منذ سنة 455هـ/1063م، فكان يؤديها إليه سنويا حتى وفاته في سنة 1065م، ثم بعد ذلك إلى ولده سانشو ملك جلِّيقية، ولمّا استطاع ألفونسو التغلب على أخويه، وأضحى ملكاً لقشتالة، كان المعتمد بن عباد يؤدي إليه الجزية التي كان يدفعها أبوه ، وكان ألفونسو يرسل في كل عام رسله لقبضها من المعتمد ، وهكذا فإن المعتمد، على الرغم من ضخامة ملكه، واتساع موارده، لم يستطع أن ينجو من ذلك النير المرهق، الذي استطاع ألفونسو السادس أن يفرضه على سائر ملوك الطوائف.[4]

وأراد ألفونسو أن يخضع الأمير عبد الله إلى تبعيته، حتى لا يكون استثناء في دفع الضريبة إلى ملك قشتالة، قياسا بباقي ملوك الطوائف التي كانت تدفعها

1- ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص288-289.
2- المصدر نفسه، ج3، ص289.
3- ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص234-235.
4- عبد الله عنان، المرجع السابق، ج2، ص72.

صاغرة، وقد بدا له أنّ زمن عزّة غرناطة ولّى بوفاة باديس، وأطمعته حداثة سنّ عبد الله أكثر، وعندئذ أرسل رسوله باطرو شُولِش (Pedro Solos) يطلب تحصيل ضريبة قدرها عشرون ألف دينار، وكانت هذه أول مداخلة نشأت بين الطرفين، فلمّا نظر عبد الله في الأمر وقدّر، تصوّر بأنّ خطر ألفونسو لا يُخشى لبعد الشقّة ووجود ممالك إسلامية تحول بينهما أولها طليطلة، فأبى وامتنع عن دفع الضريبة، وعاد باطرو إلى سيّده فارغ اليدين.[1]

وكان للمعتمد عين على غرناطة وأكبر حلمه أن يضمّها إلى مملكته، فانتظر ما ستسفر عنه زيارة باطرو، فلمّا علم بنتائج المحادثات وما آلت إليه، بعث وزيره ابن عمّار إلى ألفونسو ملك قشتالة، وعرض عليه تقديم خمسين ألف دينار، مقابل اتّفاق بينهما يقضي باحتلال غرناطة، على أن تكون المدينة للمعتمد، وأموالها وذخائرها لألفونسو، فاتّفقا على ذلك.[2]

وشرع ابن عمّار في تجسيد مشروع المعتمد ببناء معقل للجند في حصن بَلِيلُّش (Velillos)، الذي كان على بعد ستّة فراسخ من غرناطة [3]، وشحنه بعسكر المعتمد وألفونسو، الذين شكّلوا حامية ضيّقت على أهل غرناطة معيشتهم بحصارها، ورغم محاولتهم فكّ الخناق لم يفلحوا، إلاّ أنّ الأمير ع بد الله بعث لابن ذي النّون ليتوسّط له عند ألفونسو، بشأن دفع الضريبة التي كان قد امتنع عن دفعها من قبل، ليتّقي بها شرّ وعداوة المعتمد، الذي فشل في ردّ ابن ذي النون عن قرطبة، حيث مني بهزيمة نكراء خسر فيها المعتمد ابنه عبّاد (سراج الدولة) وقائده ابن مَرْتين سنة 468هـ/1075م[4]، وطارت أخبار هذه الأحداث إلى من هم بحصن بليلّش، فأخلوه على الفور والتحقوا بإشبيلية، وعلى الفور دخله جنود عبد الله وملكوه، ثمّ عمل على تحصينه ليكون على قدر المساواة من المنعة التي تحتلّها قصبة غرناطة.[5]

---

[1]- ابن بلقين، المصدر السابق، ص97.
[2]- نفس المصدر والصفحة./ محمد سهيل طقّوش، المرجع السابق، ص472.
[3]- ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص234.
[4]- ابن بلقين، المصدر السابق، ص98./ بطرس البستاني، المرجع السابق، ص12-13.
[5]- ابن بلقين، المصدر السابق، ص98.

ولم يقطع ابن عمّار الأمل في الحصول على مبتغاه، فعاد ثانية يدعو ألفونسو ويزيّن له ويمنّيه بغرناطة، ويصوّر له حال صاحبها بالضّعف لحداثة سنّه، ويغريه بسائر أموالها على أن يعاقده إذا تمكّن من المدينة بأن يجعل مُلكها للمعتمد، مقابل خمسين ألف مثقال من الذّهب زيادة على ما يجد فيها، ورغم تحمّس ألفونس و للعرض إلاّ أنّ طمعه لم يعميه، ففكّر مليّا وقدّر برويّة، واستقرّ رأيه على أن القتال يهلك رجاله ويبدّد ماله، ويخسر أكثر ممّا يربح وإن صارت إليه المدينة، ورأى أنّه من الحكمة أن يضرب بعضهم ببعض، ويأخذ أموالهم على الدوام، حتى إذا أصابهم الفقر وتشتّت أمرهم ضعف سلطانهم، وأتته المدينة بلا عناء ولا مشقّة.[1]

وتحرّك ألفونسو بجيشه ومعهم ابن عمّار في عسكره صوب غرناطة، فلمّا أتاها بعث إلى صاحبها يأمره بالمجيء إليه، لتجديد العهد لكنّ عبد الله داخله الشكّ بأنّه إنّما جاء للتقبّض عليه، فاستشار أولي الرأي في الأمر، فنصحوه بالخروج إليه ومخاطبته باللّين من الكلام، فاجتمع به على مقربة من غرناطة في زمرة من رجال دولته وبالغ في إكرامه، فبسط عليه وجه الرّضى، ووعده بأن يدافع عن غرناطة كما يدافع عن بلده، شريطة أن يدفع له خمسين ألف دينار، وبعد أخذ وردّ تعاقدا على أن يدفع له حالا ثلاثين ألفا، بينما يسدّد له ما تبقّى لاحقا لتعذّر جمع هذا المبلغ على أهل المدينة، فرضي بذلك ورجع إلى ابن عمّار يلومه ويتّهمه بالكذب عليه بضعف غرناطة وضعف عقل صاحبها بسبب صغر سنّه، وأنّه رأى من رتبها وأحوالها ما خالف قوله.[2]

ويذكر ابن بلقّين أنّه لم يكن أمامه من خيار عندما عقد العقد مع ألفونسو بأن لا يتعدّى أحد على صاحبه، ورضي بأن يعطي كلّ عام عشرة آلاف مثقال مرغما، ليدفع بها مضرّته خيرا من هلاك المسلمين وفساد البلاد، إذ لم يكن لأهل غرناطة قبل به، ولم يجدوا من سلاطين الأندلس عونا عليه، إلاّ من يسوقه إل يهم لهلاكهم على حدّ تعبيره.[3]

---

[1]- المصدر نفسه، ص99-100.
[2]- نفسه، ص100-102.
[3]- نفسه، ص102.

وبعد أن هدأت الأمور واستقرّت الأحوال بين عبد الله وألفونسو، قرّر صاحب غرناطة أن يبعث حملة تأديبية إلى المعتمد في جمادى الآخرة من سنة 472هـ/ أواخر 1079م، فقامت بغزو إشبيلية مدعّمة بفرقة بعث بها ألفونسو لنصرة عبد الله بن بلقّين على المعتمد، كانت تتكوّن من فرسان النصارى بقيادة الكونت غرسية أوردونه، بعد أن رأى تمدّد حدود دولته على حساب ملوك الطوائف وطمعه في التوسّع أكثر، وصادف هذا الهجوم تواجد السِّيْد الكمبيطور موفدا من قبل ألفونسو لجمع الجزية السنوية، وكان غرسية عدوّا وم نافسا له، فحارب السِّيْد إلى جانب قوات المعتمد، بدعوى الحلف الذي يجمع بين مليكه ألفونسو والمعتمد، فأوقع الهزيمة بالغرناطيين وأسر جماعة من النصارى فيهم غرسية، ولم يطلق سراحهم إلاّ بعد ثلاثة أيّام، فعادوا أدراجهم إلى بلادهم منكّسي الرؤوس، وأخذ السِّيد الجزية من ابن عبّاد وحملها إلى ألفونسو في مطلع سنة 1080م[1]/ رجب 472هـ.

على أنّ العلاقة بين المعتمد وعبد الله عادت إلى الصّلح بتجديد العقد بينهما بعد تخلّص المعتمد من وزيره ابن عمّار، وكان مصرعه في أواخر سنة 477هـ/ أوائل 1085م[2]، وقد كان سببا في الفتنة بين الأميرين، فقرّت الأحوال قرارها وتهنّى كلّ واحد منهما بملكه، إلاّ ما كان من سيف برّانيّ يعترض بلادهما من الرّوم.[3]

د.2.1- علاقة الأمير عبد الله بالمعتصم بن صمادح صاحب ألمريّة:

كان ابن صمادح على حلف بباديس، فلمّا توفّي المظفّر وخلفه حفيده عبد الله استمرّت الحال على ذلك إلى حين، علما بأنّ ابن صمادح بدأ كغيره من ملوك الطوائف يتحيّن الفرصة السّانحة، لإلغاء هذا الحلف والسّطو على ممتلكات عبد الله مقلّلا من شأنه بسبب صغر سنّه، وكان عامل بسطة منذ عهد جدّه باديس بن مَلْحان، رجلا معجبابنفسه ويتطلّع إلى المراتب الملوكية، فاصطدم إعجابه بشراهة وزراء عبد الله، حيث كان كلّ واحد منهم يلحّ عليه في طلب المال ويسأله متاحفات، وكان

1- بطرس البستاني، المرجع السابق، ص50./ مريم قاسم طويل، المرجع السابق، ص181.
2- ابن الأبّار، الحلّة، ج2، ص158-160./ عنان، المرجع السابق، ج2، ص69.
3- ابن بلقين، المصدر السابق، ص106-107.

عليه أن يستجيب لطلباتهم أو يتعرّض للأذى، وعندما لم يجد لمن يشتكي ولا من يدفع عنه ذلك، لجأ إلى ابن صمادح مستغلاّ فرصة خروج مليكه لمواجهة المعتمد، فطلب منه المساعدة فكان رهن إشارته، مبديا عداءه القديم لبني زيري، ونتج عن ذلك استيلاء ابن صمادح بمعيّة ابن مَلْحان على حصن شِيْلَشْ.[1]

فلمّا علم عبد الله بالأمر قام بالهجوم والاستيلاء على أحد معاقل ألمريّة يعرف بحصن شَنُت أَقْلَج، وعلى ضوء ذلك تمكّن من إرغام ابن ص مادح على القبول بإعادة حصن شيلش للأمير عبد الله، مقابل تخلّيه عن شنت أقلج، فاتّفق الطرفان وتراضيا على المبادلة، ويقول الأمير عبد الله:" وصالحناه مهادنة وانجرارا للحال، حتى نرى ما نصنع مع ابن عبّاد".[2]

ويذكر أنّ الأمير عبد الله عزل وزيره سماجة، بعد طمعه فـي السيطرة عليه والتمكّن من دولته، فنفاه إلى ألمرية لكنّ سماجة ندم على مكانته في غرناطة وعن عدم تحقيق مشروعه، غير أنّه لم يفقد الأمل في السيطرة على المدينة، فعمل على ضرب الأمير عبد الله بالمعتصم ابن صمادح صاحب ألمرية، فأغراه وزيّن له وأطمعه في غرناطة، وتناه ى إلى علم ابن بلقّين ما أجمع عليه ابن صمادح وسماجة[3]، فأمر ببناء حصن المُنْتَوْري [4] (Muntawri)، الذي يشرف على مجموعة من القرى مصاقبة له وشحنه بالجند.

ولتشديد الخناق على ألمرية وتطويقها، وحسم الموقف لصالحه أمر ببناء سبعة حصون أخرى، فعندما تحرّكت عساكر ابن صما دح نحو بلاد عبد الله هُزمت في كلّ مواجهاتها، وأُسر كبار رجاله على طُرَّلْبَشْ، ونظرا لخطر الرّوم الدّاهم الذي بات يهدّد كلّ ملوك الطوائف، رأى الأمير عبد الله أنّ الضرورة والحكمة تقتضي إصلاح الأمر مع الجار، فصالح ابن صمادح وأمر بهدم الحصون التي بنيت

[1]- المصدر نفسه، ص99.

[2]- نفس المصدر والصفحة.

[3]- نفسه، ص112.

[4]- Félix Hernández Jiménez, Estudios de Geografía histórica española, III. Munturi o Muntawri = Montaire, in Al-Andalus: revista de las Escuelas de Estudios Árabes de Madrid y Granada, Vol. 6, Nº 1, 1941, págs. 129-134./وهو يبعد 9 كلم عن فِنيانة (Finana). ينظر: مريم قاسم طويل، المرجع السابق، ص179.

للتضييق عليه، وصفا الجوّ بينهما وداما على تعاقدهما في الحلو والمرّ إلى انصرام الأجل.[1]

د.3.1- مواجهة عبد الله لتميم بن بلقّين صاحب مالقة:

كان باديس ولّى على مالقة - عندما انتزعها من الحمّوديين- ابنه الأكبر بلقّين (المعزّ) سنة 449هـ/1057م، فحكمها حتى سنة 456هـ/1064م، وهي السنة التي سقاه وزير أبيه اليهودي يوسف بن نغرالة سمّا أرداه قتيلا[2]، فلمّا مات عادت المدينة إلى حكم والده المظفّر[3]، فولّى باديس عليها حفيده تميما[4]، ولمّا وافت باديس منيته حكم غرناطة حفيده عبد الله بن بلقين، فلم يرض تميم بالقسمة التي آلت إليها مملكة جدّه، ولم يقنع بما بين يديه، فرأى أنّه أولى بمملكة غرناطة من أخيه عبد الله، باعتبار أنّه الأكبر سنّا.

ولمّا رأى إقبال سلاطين الأندلس على مصالحة أخيه وظهور أمره، أرسل تميم قوّاته فأغارت على المُنكّب (Almunecar) وشاط (Jete)، فشكا أهل هذه الجهات أمرهم إلى عبد الله، وعندئذ قرّر تأديب أخيه حتّى يلزم حدوده ولا يتمادى في شرّه، وانتهز فرصة انشغال المعتمد بأمر ألفونسو الذي خرج إلى إشبيلية، فقاد عبد الله بنفسه جيش غرناطة، وشرع في مواجهة المعاقل التي خرجت عن طاعته، فتمكّن من دخول بعضها صلحا بعد أن أمّن أهلها، بي نما كان عليه أن يدخل في مواجهات دموية مع غيرها، حتى انقادت له جميعها وكان عددها عشرون معقلا أهمّها: حصن القصر، الحمّة، صخرة دومس، حصن أشتنير، ومريَّة بَلِّش، حصن مُنت ماس، أيرش، وصخرة حبيب، وحصنا ريَّينة وجُطرون وهما قصبتا مالقة، وتمّ هدم بعض الحصون التي يمكن الاستغناء عنها بغيرها فأمّنت الجهة.[5]

---

[1]- ابن بلقين، المصدر السابق، ص112-113.

[2]- ابن بلقين، المصدر نفسه، ص 75-76./ ابن عذاري، المصدر السابق، ج 3، ص265./ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص231.

[3]- النباهي، المصدر السابق، ص122./ مريم قاسم طويل، المرجع السابق، ص 162./ خالد بن عبد الله بن حسن ، المرجع السابق، ص54.

[4]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص206./ ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص291.

[5]- ابن بلقين، المصدر السابق، صص113-115./ مريم قاسم طويل، ص178.

وعندما التحم الجيشان تعرّض موكب مقدّمة جيش الأمير عبد الله إلى حملة عنيفة، أسر فيها بعض رجاله وفرّ آخرون، ونتيجة لثباته في المعركة ورفع معنويات جنده، كانت لهم الكرّة على عدوّهم، وانحاز إليهم أكثر من كانوا في صفّ تميم من جند البربر، وبقي عبد الله وجيشه في الموضع الذي التحمت فيه الخيل يومين، يبرّزون لنظرائهم وينتظرون بروزهم إليهم، فلم يخرجوا إليهم وعندها أقلعوا بعزّة عائدين إلى غرناطة.[1]

وضاقت الأرض على تميم بما رحبت، فأرسل إلى أخيه عبد الله يستعطفه ويسأله العفو وإقالة العثرة، وتدخلت الأمّ بين ولديها فعفا عنه صلة للرّحم وتأديبا لما يخشى عاقبته، كأن يتحالف أخوه تميم مع أحد ملوك الطوائف، مع إمكانية تصيير مالقة له، فخفّف الخناق عليه وأخلى له حصني رُيَّيْنَة وجطرون، وأبقى بيده الحصون الغربية مثل قرْطَمة وميشيش وحُ مارش وأعطاه قامرة بلد الزرع، ورغم ذلك كانت تصل أقوال سيّئة عنه، فكان عبد الله يقول : " إضراره بالقول خير من إضراره بالفعل".[2]

د.2- الأمير عبد الله بن بلقين في مواجهة المشاكل الداخلية:

د.2.1- نفي الوزير سِماجة وعزل العمّال المتواطئين معه:

بعد أن استقرّت أح وال البلاد نتيجة لمصالحة المعتمد، وعقد الهدنة مع ألفونسو السادس، التفت عبد الله إلى ما يجري داخل مملكته، لإصلاح حال الرّعية ورفع الظلم عنها، فشرع في مساءلة عمّاله وخدَمته، والتحقيق فيما خفي عنه زمن الفتنة من فساد واستبداد، وكان سِماجة أوّل ضحايا هذه المتاب عة، وهو الذي كان يطمع بالتحكّم على رئيسه، والتمكّن من دولته في أوّل عهدها، فأشير عليه بمداراة أميره، وإشغاله بالنّساء وابتياع الرّقيق له، وكان سماجة جعل على الحصون عمّالا من بني عمّه، حتّى إذا احتاج إليهم وجدهم إلى جنبه، وعلم عبد الله بما يدبّره سماجة بالقياس والميز مع ما كان يصله من أخبار.[3]

---

[1]- ابن بلقين، المصدر السابق، ص115-116.

[2]- المصدر نفسه، ص116.

[3]- نفسه، ص109-110.

فلمّا وصل إلى وادي آش عزل ابن أبي جوش وأمر بثقافه، بعد أن شكته الرّعية، وكان هذا العامل من رجال سماجة، كما عزل عامل المنكّب وكلّ العمّال الذين ثبتت في حقّهم الخيانة، وفرّ بعضهم عن حصونهم وتركوها لمّا سمعوا بالمحاسبة، وعيّن بدل من عزلهم عمّالا يعتقد فيهم الصلاح والعدل، واغتبط الرّعايا بعزل الظلمة عنهم، وجرّد سماجة من نفوده وأمره بالتزام ما يخصّه، وسوّى بينه وبين سائر الوزراء، وأن لا يُتّخذ بينه وبينهم وسيطا، واشترط على سماجة أن يلزم مجلسه من دون خدمة، فاستجاب من غير عصي ان إلى ذلك، إلى أن رأى أنّه من الصّواب أن يرتحل عنه إلى ألمرية، وسمح له بحمل جميع ماله وممتلكاته، إلاّ ما أخذه من بيت المال من الذّهب والفضّة عند تولّيه الوزارة أوّل الأمر [1]، وقد دامت خدمته للأمير عبد الله تسع سنين.[2]

د.2.2- القضاء على تمرّد كبّاب بن تميت وابني تاقْنَوْت:

أضمر كبّاب قائد معقلي أَرْجذونَة (Archidona) وأَنْتَقَيْرَة (Antequera) نفاقا وطاعة في معصية، وحدا حدوه في مسلكه هذا ابني تاقنوت وكان أحدهما صاحب المدينة بغرناطة، بينما كان الثاني صاحب حصن جريشة والمالك لإقليم نيمَش، فلمّا رأى هؤلاء ظهور الأمير عبد الله بن بلقّين على أخيه تميم صاحب مالقة، وطاعة الرّعية له وتحسّن علاقته بالمعتمد، وقد كانوا من صنائع سِماجة فأدركوا أنّ الأمر منجرّ إليهم لا محالة.[3]

وبعد موازنته للخطر المحدق به، رأى الأمير عبد الله أنّه من باب أولى أن يبادر إلى ابن تاقنوت، صاحب المدينة بغرناطة لاستخلاصها من يده فتمكّن من ثقافه من غير عناء، إلاّ أنّ الأمر لم يكن بنفس السهولة بالنسبة لأخيه صاحب حصن جريشة، الذي طال مكثه فيه سبعة أعوام، فلم يجد بدّا من التعاون مع المعتمد

[1]- نفسه، ص111-112.
[2]- ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص289.
[3]- ابن بلقين، المصدر السابق، ص117-118.

للقضاء على خطره، خصوصا بعد أن تحالف مع كبّاب على أن لا ي نعزل أحدهما إلاّ بعزل الآخر.[1]

فتوسّط المعتمد بينهما وأرسل إليه رسوله "الأصبحي"، فأتى حصنه وأعطاه الأمان والإحسان باسم الأمير عبد الله مقابل تسليم الحصن لصاحبه، فإن لم يكن يثق بصاحبه، فإنّ المعتمد يعاهده على أن لا يسلّمه إليه أبدا، إلاّ أنّه أبى أن يتن ازل عن الحصن لصاحبه وازداد في طغيانه، فبعث المعتمد بابن الأصبحي محذّرا الأمير عبد الله من شرّه، وأن لا خيار أمامه إلاّ مناجزته والإضرار به، فنهض إليه عبد الله وحاصره ستة أشهر، حتى اقتحم عليه الحصن فشاور كبار الفقهاء في أمرهم، فخيّروه بين الصّلب والنّفي، فسأل في ذلك عامّة النّاس وخاصّتهم، فما من أحد إلاّ وقد تأذّى بشرّهم فصلبهم، وكان قتلهم يوم عيد كبير لدى جميع النّاس، الذين ابتهجوا واستراحوا من شرّهم.[2]

وأمّا كبّاب فإنّه كان أوّل الصّلح بين المعتمد وعبد الله يسعى لإفساده، فكانت كتب المعتمد ترد بالشكوى منه، فلمّا تمادى في ذلك اتّفق عبد الله مع المعتمد على عزله، على أن لا يقبله عنده إن هو ترامى عليه، فعندما رأى إلحاحه في طلب نزوله عن المعقلين، وبلغه ما لحق بابني تاقنوت، زاد في حماقته واستيحاشه وخاطب المعتمد يرغب في تصيير الحصون إليه، فأبى المعتمد أن يخ لّ بصلحه مع الأمير عبد الله، وأرسل إليه بكتاب يحضّه فيه على تشديد الخناق عليه، فجمع عبد الله أجناده ونهض لقتاله، فلمّا أحسّ من نفسه بالضّعف، ولم يجد ملجأ ولا معينا له من السلاطين ، سأل العفو وطلب الأمان قبل الغلبة، خوفا أن يحلّ به ما حلّ بابني تاقنوت، فأوسع الأمير عبد الله كبّابا حِلما، وأبقاه في جملة الجند تحت إحسان وإجمال، إلاّ أنّه لم يستعمله بعدها في معقل ولا حصن.[3]

---

[1]- المصدر نفسه، ص118.

[2]- نفسه، ص118-119.

[3]- نفسه، صص117-120.

د.3.2- ترويض عصيان يهود اليُسَّانة (Lucena):

عندما انصرف الأمير عبد الله من حصار ليّيط (Aledo)، فرض - على غير العادة - على أهل اليُسَّانة ضرائب كبيرة بدعوى تقوية جيشه وبناء السور المتّصل بالحمراء، فنفرت أنفسهم لذلك ووجد ابن ميمون الذي قدّمه عبد الله على يهود اليُسّانة بوجه الأمانة، السبيل إلى إغرائهم وحملهم على النّفاق فأجابوه، ودعاهم إلى حماية أموالهم فحملوا السّلاح، ويذكر أنّ هذه الثورة قامت في ربيع سنة 482هـ/1089م، عقب المفاوضات التي أجراها عبد الله مع القائد ألبرهانس والملك ألفونسو.[1]

وافتضح أمر ابن ميمون بعد قتله لعامل غرناطة، الذي جاء لاستخلاص الضريبة، فامتنعت اليُسّانة بالجملة، ووجد الأمير عبد الله نفسه مضطرا لمداراة الأمر، ثمّ قرّر الخروج بنفسه إلى ابن ميمون، لكنّ الوزير مؤمّل - وهو أحد عبيد جدّه[2] - ردّه عن ذلك، وقال إنّه أصلح الأمر مع ابن ميمون، وأنّ النهوض إليه لا يزيد القوم إلاّ نفورا، وقد يستعينوا بجند المعتمد، فقرّر عبد الله رفع ما كان أمر به من الأموال عنهم، لكنّ نفسه لم تطمئنّ لإعلان ابن ميمون الخلاف عليه، فدبّ إلى المداخلة من اليهود المخمولين في زمانه ووعدهم بالإحسان، وكان ابن ميمون غافلا عن ذلك لا عصبة له، فأمر عبد الله بثقافه مع ابنه، وأن لا يتزعّم فيهم بعد ذلك أحد، فشكروه ورضوا بالأمر وتهدّنت الأحوال وقرّت.[3]

د.4.2- قضاء عبد الله على ثورة وزيره مؤمّل بلوشة (Loja):

أُستخدمت في هذه الثورة زناتة، حيث أفسد كبارها صغارها عن خدمة الأمير، فأمر بإخراج ثلاثة منهم متّهمين بالتحريض، وعندها استغلّ صاحب المدينة لبيب الخصيّ الموقف فأرسل إليهم، يطلب منهم التعصّب على الأمير وترويعه وأنّه معهم في ذلك، وكان مؤمّل وزير عبد الله على اتّفاق مع لبيب، فتظاهرا أنّهما أبرياء

---

[1]- Ambrosio Huici Miranda, El sitio de Aledo, Miscelánea de Estudios Árabes *y* Hebraicos, Sección Árabe-Islam, Vol 3 (1954), revistas electrónicas de la Universidad de Granada, P.46.

[2]- ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص252./ Bilal Sarr, op, cit, p105.

[3]- ابن بلقين، المصدر السابق، صص143-145.

أمام رؤوس الجند من زناتة، وأبديا الشفقة من أمرهم، وطعنا في الأمير، فلمّا تأكّد ممّا يُدبَّر له خرج إلى عرضهم بنفسه ليكشف أمرهم، فلمّا كلّم زناتة انطاعت وجعلوا يعتذرون ويتنصّلون.[1]

ولمّا قرّ أمرهم قراره ونظر إليهم الأمير عبد الله بعين الثّقة، جاءه مؤمّل ليقول له: " إنّهم يدارونك حتّى يحصلوا على فائد إنزالاتهم ... ولا رجال بقوا معك"، فتوجّس الأمير من كلامه خيفة حرمت النّوم عن عينيه، فأمر بإخراج كلّ من يشكّ في ولائه، حتى بلغ عددهم نحو المائة فارس فخرجوا من المدينة، بينما أوصل المستشرق هويسي ميراندا عددهم إلى ثلاثمائة فارس، يقودهم مقاتل بن عطية[2]، وعلى رأسهم إثنين من شيوخ العبيد، الذين عوّجوا زناتة بإشعال نار هذه الفتنة، بخروجهم إلى الأسواق يأمرون الناس بالقيام على الأمير فلم يلتفتوا إلي هم، فثقّف الأمير لبيبا، ووافق إخراج رؤوس الفتنة مؤمّل خارج المدينة، فخرج معهم إلى لوشة مع من اتّفق معه مثل ابن البراء الكاتب وغيره.[3]

وقد حدثت هذه الثورة في ربيع سنة 482هـ/ مارس 1089م، بدخول مؤمّل ومن كان معه إلى قصبة مدينة لوشة، وافتعل البكاء كاذبا بأنّه جاء طالبا مساعدتهم على النصارى لتخليص غرناطة من بين أيديهم، وأرسل إلى كلّ رئيس من ملوك الطوائف بالأندلس بمن فيهم تميم صاحب مالقة، فبعثوا إلى غرناطة مستفهمين جلية الحال، فعلموا أنّه منافق مخالف، فبادر الكلّ إلى منازلته، فلمّا يئس منهم أرسل إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين يزوّر الأمر عنده ويكذب، فقال له: لم نوّت إلاّ من إنكاري أمر النصارى والقيام بدعوتك"، ولمّا أرسل إليهم الأمير عبد الله كتبه ورسله يؤمّنوهم ويحذّروهم من عاقبة الفتنة وسوء المنقلب، ازدادوا طغيانا فأرسل إليهم عسكره بقيادة صهره وزوج أخته يوسف بن حجّاج، فدخل عليهم قصبة المدينة وتمكّن منهم، فأسر كلّ من فيها وثقّفهم وساقهم إلى غرناطة، وأُستفتى في أمرهم

---

[1]- ابن بلقين، المصدر نفسه، صص145-147.

[2]- Huici Miranda, op. cit, P.46.

[3]- ابن بلقين، المصدر السابق، ص147-148.

كبار الفقهاء فأفتى بعضهم بقتلهم وأفتى آخرون بعدم جواز ذلك، فعفا عنهم عبد الله لكنّه أوجب تثقيفهم والشدّة عليهم.[1]

ويذكر ابن الصيرفي أنّ خروج مؤمّل على عبد الله، كان عند قدوم يوسف بن تاشفين لخلعه، فلمّا أشار على أميره بالخروج إلى أمير المسلمين والتطارح عليه والاستجداء له لعدم إمكانية مدافعته وحربه، غضب منه عبد الله فخرج ليلا إلى لوشة، ومنها أعلن الثورة وخاطب أمير المسلمين فاهتزّ إليه، فلمّا دخلت جنود عبد الله لوشة وتمكّنت منهم وعادت بهم موثّقين إلى غرناطة، أنفذ إليه يوسف بن تاشفين في حلّ اعتقالهم، فلم تسعه مخالفته وأطلقهم.[2]

ويبدو أنّ رواية الأمير عبد الله أكثر تقبّلا من رواية ابن الصيرفي، بما حوته من تفاصيل وحيثيات الأحداث المتعلّقة بهذه الثورة التي كانت في ربيع سنة 482هـ، بما في ذلك محاولة مؤمّل تغطية عصيانه بإنكاره أمر النصارى والقيام بدعوة ابن تاشفين، إلى جانب عدم ذكره خبر إنفاذ أمير المسلمين في حلّ اعتقال مؤمّل ومن ثار معه لعدم حدوث ذلك، إلاّ أن يكون الأمير عبد الله أخفى هذا الخبر أو سكت عن ذكره. في حين اكتفت رواية ابن الصيرفي بذكر سبب خروج مؤمّل على عبد الله ومخاطبته ليوسف بن تاشفين وما انجرّ عن ذلك من تبعات، كما ربطت هذه الثورة بمجيء أمير المسلمين لخلع الأمير عبد الله، الذي لن يكون بالتاريخ المشار إليه أعلاه، بل سيكون لاحقا خلال سنة 483هـ/1090م.

د.5.2- خروج النعمان قائد حصون غرناطة الغربية عن صاحبه:

يحاول ابن بلقّين أن يقنعنا بأنّ القائد النعمان تنكّر لجميله معه وإحسانه إليه، وأنّه انقلب عليه مع أهل الحصون المذكورة، بأن يصيروا في طاعة المرابطين متى دُعُوا إلى ذلك، ويذكر لنا أنّه زعم بأنّ له بالعُدوة ميراثا ومالا يريد اقتضاءه، فطلب من الأمير تسريحه فسمح له بالنهوض لحاجته، وإذا به يدّعي بهتانا بأنّه نفي من

---

[1]- المصدر نفسه، ص148-149.
[2]- ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص252-253.

بلده بسبب نصيحته ومحبّته لدولة المرابطين، فعملت هذه الأخبار الكاذبة في نفس أمير المسلمين.[1]

ويبدو أنّ أهل الأندلس رعية وفقهاء ساءهم الحال التي أصبحت عليها بلادهم بسبب ملوكهم، فأجمعوا رأيهم ورأوا بأنّ خلاصهم ممّا هم فيه من تكالب النصارى على بلادهم وتقاعس سلاطينهم عن جهادهم، حتّى أصبح همّهم إرضاء ألفونسو ولو كان ذلك على حساب رعيتهم، فكان ما قام به النعمان يندرج في هذا الإطار، وليس كما حاول ابن بلقّين أن ينقله إلينا عبر مذكراته.

د.6.2- ثورة أيّوب بن مطروح بغرناطة:

لم يتعرّض لها صاحب التبيان لا بالقليل ولا بالكثير من الأخبار، بل إنّه لم يشر حتّى عرضا إلى خروج صاحبها عنه، فهل كان يعتبر هذه الثورة لا حدث مقارنة مع الخطر الحقيقي الدّاهم، المتمثّل في قدوم يوسف بن تاشفين باعتباره الحدث الأكبر، الذي سيفضي إلى إزاحته عن ملكه وربّما الحكم عليه بالقتل في حالة ما لم يستجب لأوامره. ويمكن اعتبار ما قام به ابن مطروح ضدّ الأمير عبد الله آخر ثورة وقعت على صاحب غرناطة، قبل خلعه من قبل أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، وقد انفرد بذكرها ابن سعيد نقلا عن الحجاري الذي قال : " ثار فيها على عبد الله بن بلقين صاحب المملكة الغرناطية أَيُّوب بن مطروح ، ولما أن أخذها منه يوسف بن تاشفين أَدخل رأسه تحتَه وحُرّك فَوُجدَ قد مات كمدا".[2]

والجذير بالذّكر أنّ الأمور سارت في غير صالح الأمير عبد الله، بعد الجواز الثاني لأمير المسلمين يوسف بن تاشفين، وسيكون أوّل المخلوعين من ملوك الطوائف في الأندلس، على ما سيأتي ذكره في حينه لاحقا.

---

[1]- ابن بلقين، المصدر السابق، ص149.

[2]- ابن سعيد المغربي، المغرب، ج2، ص154./ المقّري، المصدر السابق، ج3، ص568.

5- الصنهاجيون بالأندلس على عهد المرابطين (479-541هـ/1086-1146م):

1.5- تمهيد:

ينتمي المرابطون إلى قبيلة "لمتونة"، إحدى بطون قبيلة صنهاجة وأعظم القبائل البربرية وأكبرها، التي اشتهرت باسم دولة الملثّمين لاتخاذهم اللثام، وعدم مفارقتهم له في حال من الأحوال [1]، وقد استقرّوا بأعماق الصحراء من نول لمطة إلى قبلة القيروان ما بين بلاد البربر والسودان [2]، وكانوا على المجوسية ف أسلمت بعض طوائفهم منذ منتصف القرن الأول للهجرة، في فتوحات عقبة بن نافع إلى ديار الملثمين التي بلغت بلاد نول (خلفتها اليوم مدينة تندوف)، ووصلت أقصاها إلى مدينة ماسّة (في السوس الأقصى جنوب أغادير)[3]، حيث بنى مسجدا على وادي نفيس غير بعيد عن ساحل البحر المحيط.[4]

وتمسّكت طوائف أخرى من الملثّمين بمجوسيتها، فلم تعتنق الإسلام إلاّ بعد أن خرج الأمير يحيى بن إبراهيم الجدالي سنة 427هـ/1035م من ديار المُلَثَّمين لأداء فريضة الحج، وفي طريق عودته من البقاع المقدّسة مرّ بحاضرة القيروان فسمع من عالمها أبي عمران الفاسي شيخ المذهب المالكي[5]، وشكا له الأمير جهل قومه في الصحراء لأصول الإسلام، وطلب منه أن يبعث بمعيته أحد تلاميذه ليفقّههم في الدين، فأحاله أبو عمران على تلميذه الفقيه وجّاج بن زلّو اللمطي، الذي كان بمدينة نفيس في إقليم السوس الأقصى، فلنتدب بدوره تلميذا له يدعى الفقيه عبد الله بن ياسين الجزولي، الذي كان يتميّز بالذّكاء والفطنة لصحبة الأمير، بغرض القيام بمهمّة تعليم أهل الصّحراء تعاليم دينهم على المذهب السنّي المالكي، فدخل عبدُ الله بن ياسين صحبة الأمير يحي في مساكن الملثّمين من قبيلة جدّالة في عام

[1]- أبو عبيد البكري، المسالك والممالك، ج 2، ص865./ ابن الأبّار، الحلّة، ج 2، ص52./ الناصري السلاوي ، الاستقصا، ج2، ص4./ يوسف أشباخ، المرجع السابق، ج1، ص68.

[2]- ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص120./ ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص241.

[3]- عصمت عبد اللطيف دندش، دور المرابطين في نشر الإسلام، ص37.

[4]- المالكي، رياض النفوس، ص39.

[5]- عبد الحميد سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، المرابطون : صنهاجة الصحراء الملثمون في المغرب والسودان والأندلس، ج4 ، منشأة المعارف- الإسكندرية، ط1، 1995، ص161.

430هـ/1038م.[1]

وقام عبد الله بن ياسين بمحاربة ما تفشّى في أهل اللّثام من الجهل والبدع والخرافات والخزعبلات، والتقاليد الوثنية مثل الزواج بأكثر من أربع نساء، وبنى رباطه في قبيلة لمتونة على مصب نهر السينغال [2]، ويرى العبّادي أنّ بناء الرباط كان في قبيلة جدّالة، التي كانت على مقربة من نهري السينغال والنيجر وساحل المحيط[3]، فتسامع النّاس به وتجمّعوا حوله يأخذون عنه العلم والخلق القويم، حتى بلغ عددهم الألف فسمّاهم المرابطين للزومهم رابطته [4]، وقيل لما رأى من شدّة صبرهم وحسن بلائهم [5]. وتعني كلمة رباط أيضا ملازمة ثغر العدو، والمحافظة على أوقات الصلاة.[6]

ووزّع رجاله على مختلف قبائل صنهاجة لدعوتها إلى نبذ الشّرك، وأن يمهلوها سبعة أيّام للعودة إلى جادّة الإسلام فامتنعت واستمرّ شيوخها في غيّهم، وعندئذ دعا المرابطين لقتالهم - بعد أن أقام الحجّة عليهم - فأطاعوه، فخرج بهم من رباطهم باتجاه الشمال سنة 434هـ/1042م، فقاتل جدّالة بجيش تعداده ثلاثة آلاف رجل إلى أن رجعوا إلى الكتاب والسنّة، ونهض بعدها إلى لمتونة ومسّوفة فأخضعهما ثمّ جاء الدور على باقي قبائل صنهاجة، فبسط نفوذه على كلّ القبائل

---

[1]- ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، صص 122- 123./ ابن سماك العاملي، الحلل الموشية، صص 63-65./ ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، صص242- 243./ النّاصري السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر النّاصري ومحمد النّاصري، دار الكتاب- الدار البيضاء، 1954، ج2، صص5- 7.

[2]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص243./ حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين، صص 126-127./ سعد زغلول، المرجع السابق، ص 188. ويحدّد العبادي الإطار الجغرافي لبداية تاريخ المرابطين في الصحراء الغربية صحراء شنجيط أو ما يعرف اليوم بموريتانيا، الممتدّة إلى حدود مملكة غانة من بلاد السودان جنوبا، إلى واحات سجلماسة (تافيلالت) شمالا، ومن المحيط الأطلسي غربا إلى نهر النيجر شرقا عندما يلتوي شمالا إلى جهة تمبكتو. ينظر كتابه: في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية- بيروت،(د.ت)، ص268.

[3]- العبّادي، المرجع نفسه، ص268 وص272.

[4]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 125./ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص243./ حمدي عبد المنعم محمد حسين، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عهد المرابطين، دار المعرفة الجامعية- الإسكندرية ، 1997، صص40-41.

[5]- ابن سماك العاملي، المصدر السابق، ص66.

[6]- دندش، المرجع السابق، ص69.

الصحراوية حتى وادي درعة[1]. فلمّا توفّي الأمير يحي بن إبراهيم، أسند ابن ياسين السلطة السياسية للأمير يحي بن عمر بن تلاكاكين اللمتوني، فكان له الفضل في افتتاح عدة جهات من بلاد السودان كان آخرها أودغست حاضرة ملك غانة سنة 446ه ـ/1054م[2].

2.5- توحيد المرابطين للمغرب الأقصى:

اتّفق عبد الله بن ياسين مع شيوخ صنهاجة على نجدة أهالي سجلماسة ودرعة بعد أن وصله كتاب من فقهاء وصلحاء المدينتين سنة 447هـ/1055م لإنقاذ بلادهم من جور الأمير مسعود بن وانودين الزناتي المغراوي، فخرج إليهم في جيش كثيف من المرابطين في 20 صفر سنة 447هـ/21 جيلية 1055م، فتمكّن من هزيمة المغراويين وقتل أميرهم مسع ود وتفريق جيشه والدخول إلى درعة، ثمّ سجلماسة وقدّم عليها عاملاً من لمتونة ثم رجع إلى الصحراء.[3]

وشهدت سنة 448هـ/1056م وفاة الأمير يحيى بن عمر اللمتوني فَعيَّن عبد الله بن ياسين أخاه أبا بكر بن عمر مكانه للقيادة ، ففي ربيع الثاني من هذه السنة اتّجه المرابطون نحو بلاد السوس، واختار أبو بكر بن عمر ابن عمه يوسف بن تاشفين على رأس جيشه، فكان ذلك أول ظهور له، فغزوا بلاد جزولة وفتحوا مدينة ماسة، ثمّ تارودانت قاعدة إقليم السوس الأقصى، وقضوا على طائفة البجلية الشيعية الرّافضية بها، وعلى الوثنيين من عبدة الكبش، كما قاتلوا اليهود المنتشرين في تلك النواحي وأعادوها إلى مذهب أهل السنّة والجماعة. وواصل المرابطون زحفهم نحو بلاد المصامدة، حتى بلغوا جبال دَرَن، ففتحوا رودة وشرشاوة ونفيس، وسائر بلاد كدميوه، وبايعتهم قبائل رجراجة وحاحة، ثم ساروا إلى مدينة أغمات فحاصروها حصارا شديدا، فلمّا رأى أميرها لقوط بن يوسف بن علي المغراوى، عدم قدرته

---

[1]- ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص 126-127./ ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص243-244./ ابن سماك العاملي، المصدر السابق، ص67-69.

[2]- البكري، المسالك والممالك، ج2، ص862./ عنان، دولة الإسلام، المرجع السابق، ج2، ص305.

[3]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 127-128./ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 243-244./ النّاصري السلاوي، الاستقصا، ج2، صص12- 13.

على مقاومة المرابطين فرّ عن مدينته في أهله وحشمه تحت جنح الظلام، ولجأ إلى حماية بني يفرن أمراء سلا وتادلا، فدخل عبد الله بن ياسين وجيشه أغمات في سنة 449هـ/1057م، ثمّ تتبّعوا فلول المَ غراويين حتى قضوا عليهم، وقتلوا أميرهم لقوط بتادلا[1]، وتزوّج أبو بكر بن عمر من زينب النّفزاوية أرملة لقّوط المغراوي.

ثم نهض أبو بكر بن عمر إلى بلاد تامسنا لمحاربة برغواطة، التي كان يقودها الأمير المرابطي أبو حفص بن عبد الله بن أبى غفير بن محمد بن معاذ، وبعد معارك طاحنة بينهما أصيب عبد الله بن ياسين بجراح خطيرة، فأوصى رؤساء المرابطين بالثبات في القتال، و دعاهم إلى التمسّك بالوحدة، ثمّ ما لبث أن فارق الحياة في 24 جمادى الأولى من سنة 451هـ/7 جويلية 1059م، ودفن بواد كرفيلة قرب تامسنا بحوز الرباط.[2]

اجتمع رأي المرابطين للرياسة بعد وفاة ابن ياسين على أبي بكر بن عمر اللمتوني، فبايعه شيوخ المرابطين ، فقادهم على الفور لقتال البرغواطيين فأثخنوا فيهم حتى عادوا إلى الطاعة والولاء، وعاد أبو بكر إلى أغمات فاستراح بها إلى صفر سنة 452هـ/1060م، ثم واصل زحفه ففتح فازاز وسائر بلاد زناتة ومكناسة، وحاصر لواتة ودخلها عنوة في 29 ربيع الثَّانِي من 452هـ/2 جوان 1060م، وقفل راجعا إلى أغمات التي اتخذها قاعدة عسكرية للمرابطين.[3]

وبلغه إغارة جدالة على لمتونة، فاستخلف ابن عمّه يوسف بن تاشفين ، وأسرع للإصلاح بين القبيلتين، وقسَّم الجيش إلى فريقين، وترك نصفه مع يوسف الذي اختار أربعة من القوَّاد هم : محمد بن تميم الجدالي، وعمر بن سليمان المسوفي ، ومدرك التلكاني، وسير بن أبى بكر اللمتوني، وعقد لكل منهم على خمسة آلاف من

---

[1]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص132./ ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص244./ النّاصري السلاوي، الاستقصا، ج2، صص14- 15./ عنان، المرجع السابق، ص305.

[2]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 128-129./ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص244./ النّاصري السلاوي، الاستقصا، ج2، صص18- 19.

[3]- ابن أبي زرع، المصدر الس ابق، ص133-134./ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص244./ النّاصري السلاوي، الاستقصا، ج2، ص19.

قبيلته، وسيّرهم لتأديب القبائل المتمرّدة من مغراوة وزناتة وبني يفرن، وسار في أثرهم فلم تمض بضعة شهور حتى دان له المغرب الأقصى، وعاد إلى أغمات سنة 454هـ/1062م وتزوّج زينب بنت إسحاق الهواري، التي فارقها ابن عمّه أبو بكر بن عمر فكانت عنوان سعادته.[1]

وبعد الانتصارات التي حقّقها قرّر ابن تاشفين بناء حاضرة جديدة تكون قاعدة لجيشه، فاشترى لهذا الغرض ملكا شمال أغمات اختطّ به مسجدا وقصبة عام 454هـ/1062م، فكان نواة مدينة مراكش وسط بلاد المصامدة. وكوّن فرقا من عبيد السودان، واشترى من العلوج والأرقّاء النصارى بالأندلس عددا، فألّف منهم فرقة خاصّة اتخذها لحراسته، وقام إلى فاس ففتحها صلحا عام 455هـ/1063م وعيّن عليها واليا لمتونيا، ثمّ غزا بلاد غمارة حتى اقترب من مدينة طنجة.[2]

أما أبو بكر فقد تمكّن من إصلاح ذات البين ما بين لمتونة وجدالة، واستطاع نشر الإسلام في ربوع الصحراء وغزا بِه بلاد السودان فاستولى منها على نحو تسعين مرحلة، فخضعت له عديد القبائل الوثنية، وترتّب عن ذلك دخول أعداد كبيرة من الزنوج في الإسلام. وبعد نجاح مهمّته عاد بجيشه إلى المغرب الأقصى، فبالغ يوسف بن تاشفين في إكرامه بما يليق بمقامه، فجمع أبو بكر أعيان المرابطين وأشهدهم على نفسه بالتنازل عن الإمارة لابن تاشفين نظرا لخصاله الحميدة، وجلس إلى ابن عمه وأوصاه بالعمل الصالح وأمره بالعدل والرّفق بالرّعية، ثم ودّعه وعاد إلى الصحراء فأتحفه يوسف بهدايا جليلة، واستأنف هناك الجهاد والغزو حتى قُتل في إحدى غزواته سنة 480هـ/1087م.[3]

واستطاع ابن تاشفين فتح بلاد غمارة الممتدّة ما بين الريف إلى طنجة عام

---

[1]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 138./ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص244-245./ النّاصري السلاوي، الاستقصا، ج2، ص23.

[2]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، صص 139-140./ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص245-246./ النّاصري السلاوي، الاستقصا، ج2، صص27-28.

[3]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، صص 135-136./ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص245-246./ النّاصري السلاوي، الاستقصا، ج2، صص21-22.

460هـ/1067م، ودخل فاس صلحا، إلاّ أنّ أهلها تمرّدوا على المرابطين، فـأعاد ابن تاشفين فتحها للمرّة الثالثة عام 462هـ/1069م، وبعد أن نظّم المساجد وبنى الفنادق والحمّامات والأرحاء وأصلح الأسواق[1]، خرج منها عام 463هـ/1070م إلى بلاد ملوية ففتحها واستولى بنواحيها على حصون وطاط.[2]

وتمكّن سنة 467هـ/1074م من إحكام قبضته على شمال المغرب الأقصى باستثناء سبتة وطنجة، التي فتحها قائده صالح بن عمران سنة 470هـ/1077م، بجيش من اثني عشر ألف فارس من المرابطين وعشرين ألفًا من سائر القبائل، بعد أن هزم جيش حاجبها المسنّ سكوت البرغواطي وقتله بظاهرها.[3]

3.5- غزو المغرب الأوسط:

بعد فتح طنجة واصل الأمير يوسف توسُّعَه نحو الشرق لملاحقة من فرّ إلى أحواز تلمسان من قبائل زناتة أثناء استيلائه على فاس سنة 462هـ/1069م عنوة بالسيف[4]، فدخل تلمسان لمحاربة ملوك مغراوة قائده مزدلي بن تبلكان في عشرين ألفا من المرابطين سنة 473هـ/1080م، وظفر بقائد جيوشها ابن الأمير معلى بن يعلى المغراوي فقتله[5]، وانصرف عن تلمسان نحو بلاد الرّيف فأخضعها، ثمّ عاد إلى المغرب الأوسط ففتح وجدة وبني يزناسن وأخيرا تلمسان رغم استلحام مغراوة في الدفاع عنها، وقتل أميرها العبّاس بن يحي وهو من بني خزر، وعيّن محمد بن تنعمر واليا عليها، واختطّ بها محلّة تاكرارت غير بعيد عن أقادير القديمة، ثم فتح

[1]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص141./ ابن القاضي المكناسي، جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة- الرباط، 1973، ص50.

[2]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 141-142./ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص246-247./ ابن عذاري، البيان المغرب، المصدر السابق، ج4، ص22./ الناصري السلاوي، المرجع السابق، ج 1، ص280-281.

[3]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص142-143./ ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص247.

[4]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص141./ ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص246.

[5]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 143./ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص247./ ويذكر ابن عذاري أنّ دخولها كان في مهلة وحال هدنة . ينظر: البيان المغرب، ج 4، ص29. بينما يذكر ابن سماك العاملي أنّه استفتح مدينة تلمسان، دون الإشارة إلى نوع الفتح عنوة أو هدنة؟! ينظر: الحلل الموشية، ص84.

بعدها وهران وتنس وجبال وانشريس وأعمال شلف و مدينة الجزائر[1]، وبنى فيها جامعًا لا يزال قائما إلى يومنا هذا يُعرف بالجامع الكبير[2]، ثمّ عاد إلى مراكش عام 475هـ/1081م.

وفي العام الموالي وجّه ابنه المُعزّ على رأس جيش إلى سبتة، وكان يحكُمُها بعد وفاة الحاجب سكوت ابنه ضياء الدولة يحيى ، فحاصرها المعزّ برّا وأحاطت بها أساطيل ابن عبّاد بحرًا، فتمكّن من فتحها عنوة في ربيع الآخر سنة 476هـ/ أوت 1083م، وقتل ضياء الدولة بعد أن ألقي القبض عليه[3]. وتمّ له بذلك توحيد جميع بلاد المغرب الأقصى.

4.5- أوضاع الأندلس قبل دخولها تحت راية المرابطين:

تحوّلت خارطة الأندلس بعد زوال دولة الخلافة سنة 422هـ/1031م إلى فسيفساء سياسية من الدويلات قضت على وحدتها، واحتدم الصراع على أديم ساحتها بين ملوك لا يملكون من نُظُمِ الملك إلاّ تلك الألقاب البرّاقة التي أطلقوها على أنفسهم، وحاول كلّ منهم أن يكون الوريث الشّرعي للخلافة، التي كان له يد في سقوطها، والغريب في الأمر أنّ صراع الإخوة الأعداء أنساهم التفكير في عدوّهم الحقيقي المتمثّل في نصارى الشمال، فأصبح هذا الخطر يتهدّدهم ويوشك أن يكتسحهم، وهم يغطّون في النوم العميق منغمسين في شهواتهم بين ملذّات العيش ورفاهية الحياة، والأغرب من ذلك أنّ كلّا منهم – على ضعفه - كان يمنّي النّفس بحكم الأندلس، فاعتمد هؤلاء جميعا وبدون استثناء على تحصيل الضرائب الباهضة التي أثقلوا بها كاهل رعيّتهم، معتقدين أنّ مداهنة ملوك النّصارى بهذه الأموال ستمكّنهم من كسب ودّهم واتّقاء شرّهم والظفر بحلفهم في حربهم على بعضهم

واستغلّ ألفونسو السّادس (Alfonso VI) أو " ألفونش" حالة التفرّقة السياسية

---

[1]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص143./ ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص247.
[2]- علي محمد الصلابي، فقه التمكين عند دولة المرابطين، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة- القاهرة، ط1، 1427هـ/2006م، ص64.
[3]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص248./ السلاوي، المرجع السابق، ج2، ص34.

التي كانت تعرفها الأندلس في إنشاء دولة واحدة موحّدة جمع فيها بين مملكة ليون وكونتية قشتالة، وغاليسيا ونافار[1]، ولقّب نفسه بلقب لاتيني وهو: Imprateur Totius Hispaniae أي الإمبراطور على جميع إسبانيا، وبلقب آخر عربي وهو الإمبراطور ذو الملّتين أي الإسلام والمسيحية[2]، وسعى إلى توسيع نطاق حدود دولته فمدّها إلى الوادي الكبير، ولم يستفق ملوك الطوائف من لغطهم السياسي وصراعهم العسكري إلاّ بعد سقوط طليطلة في محرّم سنة 478هـ/1085م بين يديه[3]. وقد عبّر عن ذلك الشّاعر عبد الله بن فرج اليحصبي المشهور بابن العسال الطليطلي بقوله:

يَا أَهْلَ أَنْدَلُسٍ حُثُّوا مَطِيَّكُمُ	فَمَا الْمَقَامُ بِهَا إِلاَّ مِنَ الْغَلَطِ
الثَّوْبُ يُنْسَلُ مِنْ أَطْرَافِهِ وَأَرَى	ثَوْبَ الْجَزِيرَةِ مَنْسُولاً مِنَ الْوَسَطِ
وَنَحْنُ بَيْنَ عَدُوٍّ لاَ يُفَارِقُنَا	كَيْفَ الْحَيَاةُ مَعَ الْحَيَّاتِ فِي سَفَطٍ[4]

ويذكر أنّ ألفونش بعث رسوله اليهودي ابن شالب إلى المعتمد بن عبّاد ليتسلّم الجزية السنوية، وألحّ على أن لا يأخذ إلاّ ما كان مشحّرا أي ذهبا خالصا وأساء الأدب مع وزراء ابن عبّاد، الذي أمر عبيده وبعض جنوده بالخروج لقتل اليهودي، وأسر من كان معه من النصارى ففعلوا ما أمروا به.[5]

فلمّا بلغ الخبر للأذفونش (ألفونش) وكان حينئذ متوجها بجيشه لحصار

---

[1]- دوزي، ملوك الطوائف، ص123./ بطرس البستاني، المرجع السابق، ص20.

[2]- ابن سماك، المصدر السابق، ص90 وص92 وص97./ ابن الكردبوس، المصدر السابق، تحقيق أحمد مختار العبادي، ص88، الهامش 3.

[3]- ابن الكردبوس، تحقيق بوباية، ج 1، ص400./ ابن بسّام، المصدر السابق، ج 3، ص249./ ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق، ج 4، ص232./ المقّري، نفح الطيب، ج 1، ص441./ ابن خلّكان، المصدر السابق، ج5، ص27./ ابن الأثير، المصدر السابق،، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ج 8، ص298./ وقد دخلها في 27 من محرم سنة 478هـ/ 25 ماي 1085م. ينظر: يوسف أشباخ، المرجع السابق، ج1، ص64.

[4]- المقّري، نفح الطيب، ج 4، ص352./ نفس المؤلّف، أزهار الرياض أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق مصطفى السقّا، إبراهيم الأبياري، عبد العظيم شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة، 1358هـ/ 1939م،ج1، ص46./ ابن بسّام، المصدر السابق، ج 3، ص250./ ابن خلّكان، المصدر السابق، ج5، ص27-28./ ابن سعيد المغربي الأندلسي، المقتطف من أزاهر الطرف، تحقيق سيد حنفي حسنين، شركة أمل- القاهرة، 1425هـ/ 2004م، مقدّمة التحقيق ص10.

[5]- ابن سماك العاملي، المصدر السابق، صص93-95./ ابن الخطيب، الإحاطة، تحقيق يوسف علي طويل، ج2، ص62.

قرطبة، رجع إلى طليطلة لأخذ آلات الحصار[1]، فأيقن المعتمد أنّ الدّائرة قادمة عليه لا محالة، وأدرك أن لا قبل له بلقائه أمام ضعف ملوك الطوائف، وبعد استشارة خاصّته أسقط خيار الاستعانة بهم، وتشبّث برأيه في طلب المساعدة من أمير المرابطين ببلاد المغرب، وعندما حاولت حاشيته التأثير على قراره هذا بقولهم : " المُلك عقيم والسّيفان لا يجتمعان في غمد " ردّ عليهم بقوله: " رعي الجمال خير من رعي الخنازير"[2].

ولمّا خلا بابنه الرّشيد أظهر له النّصح وهو يريد أن يثنيه عن عزيمته بقوله: " يا أبت أتدخل علينا في بلادنا من يسلبنا ملكنا ويبدّد شملنا "، فأجابه المعتمد بحكمة ورويّة قائلا له: " أي بنيّ والله لا يسمع عنّي أبدا أنّي أعدت الأندلس دار كفر، ولا تركتها للنصارى، فتقوم عليّ اللّعنة في منابر الإسلام مثلما قامت على غيري" وزاد على ذلك قوله: " إنّ الله لم يلهمني لهذا إلاّ وفيه خير وصلاح لنا ولكافّة المسلمين".[3]

ورغم حكمه على دول الطوائف بالضعف، إلاّ أنّه لم يشأ الانفراد بهذا القرار الحاسم، فبعد أن حسم الأمر مع أشياخ قرطبة وفقهائها بشأن الاستنجاد بيوسف بن تاشفين، أرسل إلى المتوكّل بن الأفطس صاحب بطليوس، وعبد الله بن زيري صاحب غرناطة، يطلب منهما إيفاد قاضيي حضرتهما إلى حضرته، فجاءه من بطليوس القاضي أبو إسحاق بن مقانا، ومن غرناطة القاضي أبو جعفر القليعي، فاتّصلا بقاضي إشبيلية أبو بكر بن أدهم، الذي كان في نفس الوقت قاضيا للجماعة بقرطبة، وانضمّ إليهم الوزير أبو بكر بن زيدون، وبعد التحاور والتشاور أجمعوا أمرهم على مقابلة ابن تاشفين لطلب النّصرة للإسلام بالأندلس.[4]

وانطلق الوفد من إشبيلية باتّجاه مراكش حضرة المرابطين، حاملا معه رسالة مكتوبة من المعتمد إلى أمير المسلمين وناصر الدين أبي يعقوب يوسف بن

---

[1]- ابن خلّكان، المصدر السابق، ج5، ص28.

[2]- ابن سماك العاملي، المصدر السابق، ص 100./ ابن عذاري، المصدر السابق، ج 4، ص 132./ محمود مقديش، المرجع السابق، ج1، ص435.

[3]- ابن سماك العاملي، المصدر السابق، ص100./ الحميري، المصدر السابق، ص288.

[4]- ابن الأبّار، الحلّة، ج2، ص99./ ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص132./ ابن خلّكان، المصدر السابق، ج5، ص28./ الحميري، المصدر السابق، ص 288./ امحمّد بن عبّود، التاريخ السياسي والاجتماعي لإشبيلية، ص257.

تاشفين، بتاريخ غرّة جمادى الأولى سنة 479هـ/24 أوت 1085م[1]، ولمّا انتهى الوفد إلى ابن تاشفين أقبل عليهم وأكرم مثواهم، وجرت بينه وبينهم مراوضات [2]، وينفرد ابن أبي زرع برواية مفادها أنّ ابن عبّاد لمّا رأى ألفونسو السادس قد استولى ع لى طليطلة وأحوازها وشدّد الحصار على سرقسطة، سار إلى العدوة حيث التقى بيوسف بن تاشفين بموضع يعرف ببلطة على بعد ثلاثة مراحل من سبتة، فأخبره عن حال الأندلس وأنّ ألفونسو السادس عزم على دخول سرقسطة، فطمأنه وأمره بالعودة إلى بلده والأخذ في أمره فإنّه قادم عليه في أثره.[3]

5.5-المرابطون في الأندلس:

نتيجة للمستجدّات الحاصلة على السّاحة الأندلسية، وما كان من أمر استغاثة أهلها المسلمين بإخوانهم المرابطين، فقد عرض الأمير يوسف بن تاشفين هذا الأمر على أهل الحلّ والعقد، يريد رأيهم ومشورتهم، فأجمعوا أمرهم على واجب نصرتهم، وقالوا له:" إنّه لا يحلّ لنا أن يكون جارنا، وبيننا وبينه ساقية ماء فنفرده طعمة للعدوّ، فهذا ما نراه والأمر لله تعالى ولأمير المسلمين".[4]

ويذكر أنّه خلا بكاتبه عبد الرحمن بن أسباط، وكان أندلسيا من أهل المرية فاستشاره، فقال له :" أيّد الله أمير المسلمين، تعل م أنّ الأندلس جزيرة منقطعة في البحر... وهي ضيّقة حرجة، سجن لمن دخلها، لا يخرج منها إلاّ تحت حكم صاحبها... فاكتب إليه (المعتمد) بأنّه لا يمكنك الجواز إليه إلاّ أن يعطيك الجزيرة الخضراء، فنجعل فيها ثقاتك وأجنادك، ويكون الجواز إليه بيدك ما شئت، فقال له : صدقت يا عبد الرحمن، لقد نبّهتني على شيء لم يخطر ببالي أكتب له بذلك، فكتب له رسالة بقبول جواز أمير المسلمين لنصرته على أن يسلّم له الجزيرة الخضراء، ليتخذها قاعدة له ينطلق منها متى شاء، وأن يشهد على نفسه بذلك ويبعث بعقد

[1]- ينظر تفاصيل هذه الرّسالة التي كانت من إنشائه، ومنها ما ينسب إلى وزيره الكاتب أبي القاسم بن الجد. لدى ابن سماك العاملي، المصدر السابق، صص101-104.
[2]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج4، ص133.
[3]- القرطاس، ص144.
[4]- ابن سماك العاملي، المصدر السابق، ص104.

امتلاكها لأمير المسلمين، فكتب له عقد هبتها، وأمر ابنه يزيد الرّاضي صاحب الجزيرة بإخلائها والانتقال عنها.[1]

ولمّا وصله كتاب المعتمد وهو بسبتة تأهّب ابن تاشفين للجواز، وبدأ يعدّ العدّة مستنفرا جميع جنوده، فلحق به ما لايحصى كثرة [2]، وقدّر صاحب المعجب عددهم بنحو سبعة آلاف فارس [3]، ثمّ عبر البحر عبورا هنيئا ، حتى أتى الجزيرة الخضراء[4]، وكان جوازه في يوم الخميس عند الزوال في منتصف ربيع الأول سنة 479هـ/ 30 جوان 1086م[5]، وشرع في تحصينها وشحنها بالأطعمة والأسلحة، وترك بها حامية من خيرة رجاله تحرسها، لتكون ملاذا آمنا يلتجئ إليه إذا منيت الحملة – لا قدّر الله – بالفشل[6]، فلا تسدّ عليه طريق العودة إلى بلاد المغرب [7]. وفي طريقه إلى إشبيلية استقبله ابن عبّاد على مرحلة [8] من الجزيرة، في مائة فارس ووجوه أصحابه، وهنّأه وأكرم ضيافته ثمّ شخصت العساكر نحو إشبيلية حتّى وصلوها وأقاموا بها ثلاثة أيّام ، ثمّ ارتحلوا إلى مدينة بطليوس.[9]

واستنفر يوسف بن تاشفين من محلّته أمراء الأندلس للجهاد، فأبى عليه المعتصم بن صمادح صاحب المرية وبقي متربّصا ليرى كيفية الأمر ومخرجه مع الرّوم، واعتذر بكبر السنّ مع الضعف وأرسل ابنه [10]، وقيل إنّه اعتذر له بسبب

---

[1]- المصدر نفسه، صص105-107./ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص246.

[2]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص144.

[3]- المراكشي عبد الواحد، المصدر السابق، ص98.

[4]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج4، ص133.

[5]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص145.

[6]- أشباخ، المرجع السابق، ج1، ص83./ شوقي أبو خليل، الزلاّقة بقيادة يوسف بن تاشفين، دار الفكر المعاصر- بيروت، دار الفكر- دمشق، تصوير 1413هـ/1993م، عن ط2، 1980، ص40.

[7]- بطرس البستاني، المرجع السابق، ص23.

[8]- عند المقدسي البشاري: المرحلة بريدين والبريد 6 أميال. العزيزي الحسن بن أحمد المهلّبي (ت380)، الكتاب العزيزي أو المسالك والممالك، جمع وتعليق ووضع الحواشي : تيسير خلف، دمشق، 1426هـ/2005م، ص20./ وقيل إنّ البريد كمقياس طول ثابت في الشريعة حدّد باثني عشر ميلا . محمد صبحي بن حسن حلاّق أبو مصعب، الإيضاحات العصرية للمقاييس والمكاييل والأوزان والنقود الشرعية، مكتبة الجيل الجديد- صنعاء، ط1، 1428هـ/ 2007م، ص47./ وقال العمري شهاب الدين أحمد بن يحي: "المرحلة ستة فراسخ ". ينظر كتابه: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجمّع الثقافي- أبو ظبي، ط1، 1423هـ/2002م، ج4، ص31.

[9]- ابن سماك العاملي، المصدر السابق، ص108-109.

[10]- ابن بلقين، كتاب التبيان، تحقيق أمين توفيق الطيبي، ص123.

العدو الملاصق له بحصن لبيط، فلحق عبد الله بن بل قين صاحب غرناطة وأخوه تميم صاحب مالقة، ولقيهم المتوكّل بن الأفطس على ثلاثة مراحل من بطليوس.[1]

وبينما كان جيش المسلمين بقيادة يوسف بن تاشفين يتقدّم نحو عدوّه، وصلت أخباره إلى ألفونسو السادس، الذي كان يحاصر سرقسطة فرفع الحصار عنها خوفا على حاضرته طليطلة، وبع ث إلى ابن رذمير وهو سانشو راميرث " Sancho Ramírez " (1063- 1094م) ملك أراغون ونافار، الذي كان محاصرا لطرطوشة، وإلى ألبرهانس[2] (Alvar Fáňez) القائد القشتالي وكان يتأهّب لغزو بلنسية، وتذكر المراجع الأجنبية الكونت برينجار رامون (Ramón Berenguer) أمير برشلونة بدل ألبرهانس[3]، وتخلّى كلّ منهما عن مشروعه وانضمّا بقواتهما إلى ألفونسو، الذي حشد قوات عظيمة من جليقية وليون وبسكونية واشتوريش وقشتالة، ومن الأراضي الإسلامية التي استعادها أخيرا، وجاءته سريات من فرسان ولايات فرنسا الجنوبية، من لانجدوك وجويانه وبرجونيه وبروفانس، لتحصيل الغنائم العظيمة والتخلّص من أعدائهم المسلمين.[4]

واختلفت الروايات في تقديرها لقوات المسلمين والنصارى، ومن ذلك أنّه اجتمع لألفونسو من الجلالقة والإفرنجة وما يليهم ما لا يحصى عدده، استجابة لنداء الكنيسة الذي دعا إليه القساوسة والرهبان والأساقفة، بر فعهم للصليب ونشرهم للأناجيل[5] شعارا للحرب المقدّسة التي سيشنّونها ضدّ المسلمين، وذكر ابن سماك العاملي أنّ جيش النصارى بلغ ثمانين ألف فارس، منهم أربعين ألفا لابسين الدروع، بينما ناهز عسكر المسلمين خمسين ألف فارس : أربعة وعشرون ألفا من الفرسان الأندلسيين ما بين دارع وحاسر، ومن المرابطين وأهل المغرب ما ينيف على أربعة وعشرين ألفا.[6]

---

[1]- ابن سماك العاملي، المصدر نفسه، ص109-110.
[2]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص145.
[3]- أشباخ، المرجع السابق، ج 1، ص48./ بطرس البستاني، المرجع السابق، ص 26./ ابن الكردبوس، تحقيق العبادي، الهامش 1، ص100.
[4]- أشباخ، المرجع نفسه، ج1، ص48./ شوقي أبو خليل، المرجع السابق، ص42.
[5]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج4، ص134.
[6]- الحلل الموشية، ص113.

وتلتزم الرواية النصرانية الصّمت إزاء عدد النصارى، وبالمقابل تقول عن جيش المسلمين إنّه كان لا يحصى عديده، وأنّه كان كالجراد المنتشر [1]، وشدّ دوزي عن هذه الرواية بقوله: " كانت جيوش القشتاليين أوفر عددا إذ كانت تتراوح على ما يظن بين خمسين ألفا إلى ستّين ألفا، بينما جيوش خصومهم المسلمين لا تعدو عشرين ألفا[2]، والرأي الذي يميل إليه العاقل بعد اضطلاعه على كلّ هذه الروايات أنّ العبرة ليست بالأرقام التي تقدّمها لنا- لأنّها بكلّ بساطة بعيدة عن الدّقّة والصواب بسبب ما يشوبها من التفخيم والتقزيم - وإنّما العبرة بالكثرة العددية للنصارى على إطلاقها دون تحديد، ذلك أنّ بلادهم مفتوحة على ممالكهم ومتّصلة بأهل ملّتهم، وبحكم هذا التقارب في المكان ووحدة الملّة، استقطبت إليها أعدادا هائلة، بينما كان المسلمون في الأندلس رغم اجتماعهم متفرّقون، وما جمعه المرابطون في جوازهم إلى الأندلس، الذي يتطلّب ركوب البحر، لا يمكن أن يساوي تعداد عدوّهم بسبب هذا العائق الجغرافي، وربّما كان هذا الذي عناه ابن عذاري بعد عرضه للروايات المتداولة بهذا الشأن، حين قال بالمختصر المفيد : " واتّفق الكلّ على أنّ عدّة المسلمين كانت أقلّ من عدّة المشركين"[3] في هذه المواجهة.

وعسكر جيش ألفونسو السادس على بعد أربعة فراسخ[4] من بطليوس بفحص بفحص الزلاّقة[5]، الذي تسمّيه الروايات النصرانية "سكرالياس" (Sacralias) أو (Sagrajas)[6]، في حين احتلّت عساكر يوسف بن تاشفين بظاهر بطليوس بين جبلين[7]، بينما نزل المعتمد وأمراء الأندلس في مكان آخر تفصل بينهما ربوة أو في

---

[1]- أشباخ، المرجع السابق، ص84./ بطرس البستاني، المرجع السابق، ص27.
[2]- ملوك الطوائف، ص131.
[3]- البيان المغرب، ج4، ص135.
[4]- الفرسخ 3 أميال. العزيزي، المصدر السابق، ص19.
[5]- ابن سماك العاملي، المصدر السابق، ص114.
[6]- دوزي، المرجع السابق، ص131./ هنري بيريس، الشعر الأندلسي في عصر الطوائف، ترجمة الطاهر أحمد مكّي، دار المعارف- القاهرة، ط1، 1408هـ/1988م، ص94./ شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، 1983، ج 2، ص 114./ Anwar G.Chegne,Historia de Espana, segunda edicion, ediciones catedra, S.A. Madrid, 1980, p72./ Pedro Aguado Bleye, Manual de Historia de Espana, vol.I, Madrid, 1963, p586.
[7]- ابن الكردبوس، تحقيق بوباية، ج1، ص406.

سفح جبل، أمّا ألفونسو فقد نزل بقوّاته في لحف جبل [1]، قبالة جيش المسلمين على نحو ثلاثة أميال [2]، وكان يفصل بينهما نهر بطليوس [3] يشرب منه هؤلاء وأولئك، وأقاموا ثلاثة أيّام والرّسل تختلف بينهم، وكتب إليه الأمير يوسف كتابا يدعوه فيه إلى الإسلام أو الجزية أو الحرب، فاستشاط غضب ألفونسو عندما قرئ عليه وتوعّد بالحرب[4]، واتّفق الطرفان على تحديد يوم اللّقاء بتاريخ الإثنين 14 رجب من سنة 479هـ/ 26 أكتوبر 1086م[5].

ويذكر أنّ ألفونسو كتب إلى يوسف بن تاشفين مكرا منه يقول: " إنّ غدا يوم الجمعة عيدكم، ولا نحبّ مقاتلتكم فيه، وبعده السبت عيد اليهود، وهم كثيرون في محلّتنا ونحن نفتقر إليهم، وبعده الأحد عيدنا، فنحترم هذه الأعياد، ويكون اللّقاء يوم الإثنين، فقال أمير المسلمين: أتركوا اللّعين وما أحبّ".[6] وبعد حصول الاتّفاق بينهما بينهما بعث المعتمد إلى الأمير يوسف بن تاشفين محذّرا إيّاه من مكر العدوّ، وأعلمه بأن يكون على أهبة واستعداد للحرب، لتجنّب مكر وخديعة ألفونسو.[7]

وصدقت توقّعات المعتمد الذي لم يكن يطمئنّ لألاعيب ألفونسو السياسية، التي خبرها من قبل بحكم التعامل معه عندما كان حليفا له، فقد علمت عيونه فجر الجمعة بزحف العدوّ نحوهم [8]، فأطلعت المعتمد بالخبر، الذي أخطر على الفور

[1]- ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص447.
[2]- ابن بلقّين، التبيان، تحقيق أمين توفيق الطيبي، ص124.
[3]- عنان، دولة الإسلام، العصر الثاني، وفيه: يفصل بينهما وبين المسلمين فرع وادي يانة الممتد شمالا في اتجاه نهر "التاجه"، والذي يسمّى اليوم "Guerrero". ينظر: ص322./ ابن الكردبوس، تحقيق العبادي، ص 93، الهامش1.
[4]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 146./ ابن سماك العاملي، المصدر السابق، ص 114-115./ الحميري، المصدر السابق، ص290.
[5]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص147.
[6]- ابن سماك العاملي، المصدر السابق، ص115.
[7]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص147./ ابن عذاري، المصدر السابق، ج4، ص136.
[8]- وقعت هذه المعركة يوم 23 أكتوبر 1086م الموافق لـ 12 رجب 479هـ. ينظر: ابن سماك العاملي، المصدر السابق، ص123./ أشباخ، المرجع السابق، ج 1، ص90./ ج.س.كولان، الأندلس، لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية، إبراهيم خورشيد وآخرون، دار الكتاب اللبناني- بيروت، دار الكتاب المصري- القاهرة، ط1، 1980، ص132-133./ D. Francisco Codera, Decadencia y Desaparicion de los Almoravides en Espana, Zaragoza, TIP de Comas Hermanos, PUAR, 1899, p1.

يوسف بن تاشفين بالأمر، فوجده يقظا لم يغمض له جفنا [1]، واعتمد ألفونسو في خطّته على تقسيم جيشه إلى قسمين : وجعل على رأس القسم الأول الكونت غارسيا خمينس (Garcia Giménez) والكونت رودريك[2]، فأغار هذا الجيش بمنتهى العنف على محلّة المعتمد وأمراء الأندلس، وكان المعتمد في قلب المقدّمة، والمتوكّل بن الأفطس في يمينه، وأهل شرق الأندلس في ميسرته، وسائر أهل الأندلس في الساقة[3]، ورغم بسالة وإقدام ابن ع بّاد في القتال كادت تدور عليهم الدائرة، وكان الأمير يوسف بعث قائده داوود بن عائشة على رأس جيش عظيم [4]، من زعماء لمتونة وكبار صنهاجة، فتدخّل في الوقت المناسب واستطاع إرغام النصارى رغم كثرتهم على التراجع مؤقّتا إلى خط دفاعهم الثاني[5]، إلاّ أنّ قتالهم المستميت لفرسان لفرسان النصارى في دروعهم الحديدية لم يمنع من وقوع خسارة بشرية جسيمة في صفوف المسلمين.

وأخطأ ألفونسو التقدير حينما اعتقد أنّ الجيش الإسلامي الذي يحاربه هو كلّ الجيش، فلمّا رآه يندحر ويتراجع أمام ضربات القسم الأول من جيشه، أقحم القسم الثاني من جيشه في المعركة بقيادة جناحيه سانشو راميراز صاحب أراغون والكونت برينجار رامون، بينما تولّى ألفونسو قيادة القلب بنفسه، فقام بزحف مروّع تعالت فيه صيحات الحرب وقرع الطبول، وانهالت سيوفهم على الأندلسيين تحصد

---

[1]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 147. ويخالف هذا ما ذكره صاحب الحلل الذي قال: كان أمير المسلمين يوسف على حين غفلة ولم يكن عنده علم بما وقع . ينظر: ص119. والرّاجح ما ذهب إليه ابن أبي زرع، إذ لا يعقل أن يغفل أو ينام من كان في مواجهة الموت.

[2]- أشباخ، المرجع السابق، ج1، ص87. ولعلّ المقصود به (Rodrigo Diaz de vivar) الذي سيعرف لاحقا بالسّيد الكمبيادور (EL Cid Campeador)، أي البطل أو المبارز . Stanley Lane-Poole, The Moors in Spain, with the collaboration of Arthur Gilman, N.A, T.Fisher UNWIN, London, eighth edition, 1888, p.191. /. ينظر أيضا: ستانلي لين بول، قصّة العرب في إسبانيا، ترجمة علي الجارم بك، كلمات عربية للترجمة والنشر- القاهرة، 2012، ص125.

[3]- ابن سماك العاملي، المصدر السابق، ص118.

[4]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 147./ وقدّر أشباخ جيش داوود بن عائشة بعشرة آلاف فارس . ينظر: تاريخ الأندلس..، ج1، ص87.

[5]- أشباخ، المرجع نفسه، ج 1، ص87./ سعدون عبّاس نصر الله، دولة المرابطين في المغرب والأندلس عهد يوسف بن تاشفين أمير المرابطين، دار النهضة العربية- بيروت، ط1، 1405هـ/ 1985م، ص88./ شوقي أبو خليل، المرجع السابق، ص50.

أرواحهم بغير رحمة، فهال الأندلسيين والمرابطين هذا المنظر فلاذوا بالفرار، ومن ورائهم قوات النصارى تطاردهم حتى أسوار بطليوس.[1]

وعندما رأى يوسف بن تاشفين التحام جيش ألفونسو بالأندلسيين، شرع في تنفيذ خطّته الحربية بمباغتة النصارى من الخلف، فزحف بأكبر تعداد من جيشه على معسكر ألفونسو حيث بعث قائده سير بن أبي بكر في سائر قبائل البربر الذين كانوا في محلّته، لمساندة جيش الأندلسيين المتراجع نحو الخلف باتّجاه بطليوس، بينما سار هو في جيش لمتونة وقبائل المرابطين من صنهاجة [2]، فالتفّ بحركة سريعة حول العدوّ من الخلف، حتّى وصل إلى محلّة ألفونسو فأحرقها وقضى على نحو عشرة آلاف بين راجل وفارس كانوا يحرسونها [3]، وملأت دقّات طبول المرابطين ساحة المعركة، وارتفع رغاء الجمال إلى عنان السماء، يبثّ الذّعر في خيل النصارى التي كانت تحجم عنها.[4]

وبينما كان ألفونسو يدفع بكامل جيشه متعقّبا جيش الأندلسيين، إذ به يتلقّى خبر استيلاء المرابطين على معسكره، فأحجم عن الملاحقة ليدرك معسكره، فلاحظ المعتمد وداوود بن عائشة هذا التراجع فاشتدّت عزائمهما، فطفقا يعملان على لمّ شتات المنهزمين من أمراء الأندلس، الذين نظّموا صفوفهم وارتدّوا جميعا يطاردون عدوّهم، الذي أصبح محصورا بين قوات المرابطين والأندلسيين، واستمرّت الحرب سجالا بين الفريقين إلى غروب الشمس، وقاتل كلّ منهما قتالا مستميتا، وكان الأمير يوسف بن تاشفين يشقّ صفوف جيشه على صهوة جواده يبثّ الحماس في نفوس مقاتليه ويحرّضهم على القتال قائلا لهم:" يا معشر المسلمين اصبروا لجهاد أعدائكم، أعداء الله الكافرين، فمن رزق منكم الشهادة فله الجنّة، ومن سلم فقد فاز بالأجر العظيم والغنيمة".[5]

[1]- أشباخ، المرجع السابق، ج 1، ص87-88./ بطرس البستاني، المرجع السابق، ص31-32./ سعدون عبّاس، المرجع السابق، ص88-89./ عنان، المرجع السابق، ص324.
[2]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص147-148.
[3]- ابن الكردبوس، تحقيق بوباية، ج1، ص407.
[4]- ابن خلّكان، المصدر السابق، ج7، ص116.
[5]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص148.

وقاتل المسلمون قتال من يطلب الشهادة، وأقحم الأمير يوسف حشمه من السودان في هذه المواجهة لحسم المعركة، وكانوا حوالي أربعة آلاف فدخلوها بدرقهم اللمطية وسيوفهم الهندية ومزاريق الزّان، فطعنوا الخيل فر محت بفرسانها، وأجمحت عن أقرانها [1]، وفي هذه الأثناء وجد ألفونسو نفسه وجها لوجه مع غلام أسود بيده خنجر يدعى بالأفطس، قطع جزر درعه، وطعنه في فخذه مع مدار سرجه[2]، وعندما رأى ألفونسو قتل أكثر جنوده، فرّ على وجهه مهزوما في نحو الخمسمائة فارس على غير طريق، إلى ربوة اعتصم بها لتعذّر مرتقاها، فلمّا جنّ الليل فرّوا، وأصبح يوم السبت فلم يوجد لهم أثر.[3]

وأسفرت المعركة عن انتصار المسلمين أنتصارا باهرا، بعد أن امتلأ سهل الزلاّقة بالجثث، وخسر النّصارى أكثر جيشهم كما كانت خسارة المسلمين جسيمة، إلاّ أنّها كانت أقلّ بكثير من خس ائر النصارى، ولم يدخل مع ألفونسو إلى طليطلة سوى مئة فارس من حماته ورجاله [4]، وفي الوقت الذي كان أهل الأندلس يحتفلون بهذا النصر، ورد على الأمير يوسف نبأ وفاة ابنه أبي بكر سير فتعجّل إيابه إلى العدوة[5]، بعد أن أوصى رؤساء الأندلس بالاتّفاق والائتلاف وجمع الكلمة وترك الفُرقة[6]، ثمّ قفل راجعا إلى المغرب، تاركا ثلاثة آلاف فارس بقيادة أبي عبد الله محمد بن الحاج عند المعتمد.[7]

ومن أهمّ نتائج موقعة الزلاّقة أنّها أعادت الثقة إلى المسلمين، الذين اهتزّت نفوسهم لهذا النّصر مشرقا ومغربا، كما أنّها قضت ولو آنيا على التشتّت والاختلاف بين ملوك الطوائف، ورفعت لواء الجهاد والمجاهدين في سبيل الله مجدّدا على أرض الأندلس، فأوقفت حركة الاسترداد التي تبنّتها ممالك النصارى الشمالية،

[1]- المقّري، نفح الطيب، ج4، ص368./ ابن خلّكان، المصدر السابق، ج7، ص118.
[2]- ابن سماك العاملي، المصدر السابق، ص120.
[3]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص148-149./ ابن سماك العاملي، ص120-121.
[4]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص149.
[5]- المصدر نفسه، ص152./ ابن سماك العاملي،المصدر السابق، ص125./ ابن الكردبوس، تحقيق بوباية، ج1، ص408-409.
[6]- ابن بلقين، المصدر السابق، ص125.
[7]- ابن الكردبوس، المصدر السابق، ج1، ص409./ عنان، المرجع السابق، ص329./ دوزي، المرجع السابق، ص133.

ومدّت عمر دولة الإسلام في الأندلس لأربعة قرون أخرى، حتى سقوط غرناطة سنة 897هـ/1492م.

وما إن جاوز الأ مير يوسف البحر عائدا إلى المغرب، حتّى عاد أمراء الأندلس إلى ما كانوا عليه من اختلاف الكلمة، فاستغلّ النصارى ذلك وقاموا بشنّ حملات متتالية على شرق الأندلس حتى ساءت أحوال النّاس بها، واستنصر المستعين ابن أخ القادر صاحب بلنسية بالقنبيطور [1]، فدخلت المدينة في ط اعته وأصبح القادر بن ذي النون مجرّد عامل له بها [2]، كما استحكم النزاع بين ابن عبّاد وابن رشيق الذي أصبح حينئذ الحاكم الفعلي لمرسية، بعد أن أراد المعتمد تعويض ابنه الرّاضي عن الجزيرة بمرسية، فأظهر ابن رشيق معصيته على ابن عبّاد، ولم يسلّم له بما أراد[3]، فخرج إليه في حملة لكنه عاد إلى إشبيلية بعد فشل الحصار الذي الذي ضربه على مرسية.[4]

وممّا زاد الطّين بلّة ذلك الحصن الضخم، الذي أنشأه القشتاليون بأمر من ألفونسو السادس في وقت سابق، بين مرسية ولورقة المعروف بحصن لييط (Aledo) الذي كان تحت قيادة غرسية خمينس، ومعه حامية تتأ لّف من ثلاثة عشر ألف مقاتل فيهم ألف فارس، كانت تقوم بالهجوم في شكل سرايا على بلاد المسلمين في بلنسية ومرسية ولورقة وبسطة، فلمّا اشتدّ ضررهم بأهلها بعثوا إلى أمير المسلمين بوجوه هذه المدن يشكون ما أصابهم إلى أمير المسلمين، ثمّ عبر إليه ابن

---

[1]- الكنبيطور أو القنبيطور، : هو الكونت رودريغو دياز دي بيفار (Rodrigo Diaz de vivar) المعروف بالسّيد الكمبيادور (EL Cid Campeador) أي المبارز أو (EL Cid) اختصارا، وكان فارس قشتالة الذي تمكّن من الاستيلاء على بلنسية سنة 488هـ/1095م وقيل في التي قبلها، بعد حصار طويل أرّق أهلها، فاستأمنوه على أنفسهم، لكنّه لم يحفظ عهده بدخولها فقتل صاحبه ا القاضي ابن جحّاف . وتوفّي سة 492هـ/1099م. ابن بسّام، المصدر السابق، ج 5، ص 91./ ابن الأبّار، الحلّة السيراء، ج 2، ص 125 وص126./ ابن عذاري، المصدر السابق، ج4، الملحق 4، ص148./ المقّري، المصدر السابق، ج4، ص455-456. وكانت وفاة الكمبيطور على مقربة من بلنسية سنة 492هـ/ 1099م. أشباخ، المرجع السابق، ج1، صص111-115./ ابن الكردبوس، تحقيق العبادي، ص99 وص109./ Ramón Menéndez Pidal, Poema de Mio Cid, Edición y Notas de Ramón Menéndez Pidal de la Real Academia Espaňola, Ediciónes de « la Lectura », Madrid, 1913, pp.7-9 y p.17.

[2]- ابن الكردبوس، تحقيق بوباية، ج1، ص409-411.

[3]- ابن بلقين، المصدر السابق، ص126 وص128.

[4] -Mariano Gaspar Remiro, Historia de Murcia Musulmana, Edicion de la Academia Alfonso x el Sabio. Murcia reproduccion por el sistema offset de la 1.ª edicion impresa en Zaragoza en 1905, impreso en Sucesores de Nogués, Murcia, 1980, p.134. / سعدون نصر الله، المرجع السابق، ص104.

عبّاد فأكّد له ضرر النصارى المستولين على حصن لييط، فوعده بالحركة والجواز ثمّ شرع في الإعداد للجواز الثاني الذي كان في ربيع الأول سنة 481هـ/ جويلية سنة 1088م، فتلقّاه ابن عبّاد بالجزيرة الخضراء بألف دابّة تحمل الميرة والضيافة.[1]

وكتب الأمير يوسف إلى أمراء الأندلس يدعوهم إلى الجهاد، وأنّ الموعد بينهم حصن لييط، فمرّ بمالقة فانضمّ إليه صاحبها تميم بن بلقين، ثم التحق بهم أخوه عبد الله صاحب غرناطة، والمعتصم بن صمادح من المرية، فضلا عن رؤساء الأندلس من شقورة وبسطة وجيان[2]. وانطلق الأمير يوسف بقواته نحو حصن لييط، وحاصره أربعة أشهر لا يفتر عنه القتال ليلا ولا نهارا إلى أن دخل فصل الشتاء [3]، وكان النصارى داخل الحصن يتساقطون من الجوع وشدّة البأس[4]، ولم يثن ذلك من عزمهم وضلّوا صامدين، وأثناء الحصار عادت الخلافات الشخصية بين أمراء الأندلس إلى الظهور بحدّة، ورأى الأمير يوسف بأمّ عينيه الخلاف وأضغان سلاطين الأندلس، فقام كلّ منهم يشكو صاحبه، كما حدث في مشاجرات المعتمد والمعتصم صاحب المرية، وما جرى بين تميم وأخيه عبد الله بشأن الأحقّية في ميراث أبيهما.[5]

ويبدو أنّ الخلاف بين المعتمد وابن رشيق صاحب مرسية، كان نقطة التحوّل في الجواز الثاني للأمير يوسف، الذي جاء برسم الجهاد للتوسعة على المسلمين من الضّيق الذي وضعهم فيه النصارى، فوجد نفسه حكما في الصراعات والخصومات الهامشية التي فُتح بابها على مصراعيه، بين أمراء الأندلس الذين لم يتعلّموا من الزلاقة كيف يحافظون على وحدتهم، أمام عدوّ جريح لا زال يتربّص بهم ويتحيّن الفرص للانتقام منهم، ومنتهى أمله إجلاؤهم جميعا عن أرض أجداده.

[1]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 152./ ابن سماك العاملي، المصدر السابق، صص 126-128./ عنان، المرجع السابق، ص334-335.
[2]- ابن سماك، المصدر السابق، ص128./ ابن بلقين، المصدر السابق، ص127.
[3]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص153.
[4]- عنان، المرجع السابق، ص336.
[5]- ابن بلقين، المصدر السابق، ص130.

فقد " شكا المعتمد بابن رشيق للأمير يوسف، وذكر انتزاءه عليه، وأنّه دفع جبايته مصانعة للطاغية الفنش "[1]، و" أنّ معونته للرّوم بحصن لييط لم تخف على أحد، يعتقد أنّ ببقائها يثبت في مرسية فكان أبدا يميرهم ويقوّيهم بما يعجزون عنه، إبقاء لرمقهم وخوفا من المداخلة عليه بفقدهم "[2]. وأمام هذه الاتهامات الخطيرة التي نسبت لابن رشيق، لم يكن لأمير المسلمين من بدّ سوى العمل بما تقتضيه أحكام الشّرع، فاستفتى الفقهاء بشأنه فأفتوا بإزاحته عن المسلمين وإسلامه لسلطانه، وعندئذ أمر يوسف قائده سير بن أبي بكر بالقبض عليه وتسليمه لابن عبّاد [3]، ونهاه عن قتله، فقبض عليه وسلّمه إليه، فثقّفه ابن عبّاد لكنّ رجاله وقرابته غضبوا لأمره فهربوا من المعسكر وامتنعوا عن تزويده بالمؤونة، فوقع الغلاء الفاحش بها واضطربت أحوال النّاس، وفشلت كلّ الوسائط التي بعث بها الأمير يوسف لإرجاع أهل مرسية إلى صاحبهم والطاعة له.[4]

وسط هذه الظروف استغاث أهل لييط بألفونسو السادس، فحشد حشوده وقصد الحصن في أعداد لا تحصى، فرأى الأمير يوسف أنّه من الحكمة والحنكة عدم مواجهة ملك قشتالة، الذي جاء لتخليص قومه وإخلاء الحصن، لطول مكثهم وفشلهم، فإن هو فعل ذلك زال ضرره على المسلمين في المنطقة، كما قدّر يوسف أنّ الدخول في معركة غير مأمونة الجانب أمام جيش عرمرم من النصارى بعنويات منحطّة، بعد الذي خبره من أمر ملوك الطوائف، وما كان من خلاف مرسية [5]، أمر في غاية الخطورة فقرّر رفع الحصار عن الحصن وإخلاء الطريق لألفونسو، وكان ذلك عين العقل ذلك أنّ ألفونسو لمّا وصل إلى الحصن، الذي " كان فيه من النصارى نحو اثني عشر ألف مقاتل دون العيال والذرّية، فني جميعهم بالقتل والجوع، ولم يبق فيه غير مئة من الرّجال فأخرجهم".[6]

---

[1]- ابن سماك، المصدر السابق، ص130.
[2]- ابن بلقين، المصدر السابق، ص129.
[3]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص153.
[4]- ابن بلقين، المصدر السابق، ص129./ ابن أبي زرع المصدر نفسه، ص 153./ ابن سماك، المصدر السابق، ص130.
[5]- ابن بلقين، المصدر السابق، ص130.
[6]- ابن أبي زرع، نفس المصدر والصفحة.

واتّضح لألفونسو فشل خطّته بالاعتماد على حامية حصن لييط، للقيام بزرع الرّعب في أراضي المسلمين، بحكم تواجده في قلب شرق مدن الأندلس، فلم يفكّر مجدّدا في إقحامه بحامية أخرى تحلّ محلّ الأولى، مخافة أن يصيبها ما أصاب سابقتها، وحينئذ أسقط فكرة الاحتفاظ بالحصن وقام بتدميره و إحراقه[1]، وبالمقابل جهّز الأمير يوسف جيشا فاق أربعة آلاف فارس وجّهه صوب بلنسية، ثمّ ألحق بهم عسكرا عظيما جعل قيادته لمحمّد بن تاشفين لحماية المدينة، وانصرف منها عائدا إلى العدوة[2]، وهو يحمل معه صورة سوداوية وانطباعا سيئا عن ملوك الطوائف.

لقد كشف حصار حصن لي يط للأمير يوسف المستور من تعسّف أمراء الطوائف مع رعيّتهم، فكانوا يأتون إليه أفواجا يتقدّمهم فقهاؤهم شاكين سوء حالهم من أمرائهم، الذين أثقلوا كاهلهم بمغارم الإقطاع [3]، فأنكر الأمير يوسف عليهم ذلك في نفسه، ولم يبد لهم ما كان يخفيه، وتجاوز الخوض في هذه المسألة احتياطا إلى ما بعد الانتهاء من الأمر الذي جاء من أجله، لكنّه " وعدهم برفع المكوس وتحرّي المعدلة... وتوافق ملوك الطوائف - بعد رجوعه إلى المغرب - على قطع المدد عن عساكره ومحلاّته التي تركها بالأندلس فساء نظره"[4].

ولم يستفد أمراء الطوائف من أخطاء الماضي القريب ، فعادوا مجدّدا إلى مصادقة ألفونسو السادس ومعاقدته بتقديم ما يطلبه من الجزية، حيث دفع الأمير عبد الله إلى وكيله على غرناطة والمريّة ألبرهانش جزية ثلاثة أعوام، وكانت حصيلتها ثلاثين ألفا، مقابل عدم تعرّضه إلى بلده [5]، وتبعه في ذلك المعتمد الذي بعث إلى ألفونسو يستغيثه به ويستصرخه على لمتونة ويعده بإعطاء البلاد وبذل الطارف والتلاد، إن كشف عنه ماهو فيه من الحصار[6].

ولا شكّ أنّ العاقل يمجّ ما أقدم عليه ملوك الطوائف من ممالأة لألفونسو، حتى بعد هزيمته في وقعة الزلاّقة، التي كان من المفروض أن تكون حافزا لهم على

---

[1]- ابن سماك، المصدر السابق، ص131.
[2]- المصدر نفسه، ص131.
[3]- ابن بلقين، المصدر السابق، ص127.
[4]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص249.
[5]- ابن بلقين، المصدر السابق، صص137-139.
[6]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص155.

مواصلة الجهاد ضدّ النصارى لدفع الضّرر عن أنفسهم، وبالتالي كان هذا العمل اللاّأخلاقي سببا في " إفتاء الفقهاء وأهل الشورى من المغرب والأندلس بخلعهم وانتزاع الأمر من أيديهم "[1]، والتمسوا منه أن يبادر إلى خلعهم جميعا بقولهم : " فبادرهم بخلعهم بجمعهم ... فإنّك إن تركتهم وأنت قادر عليهم أعادوا بقية بلاد الإسلام إلى الرّوم، وكنت أنت المحاسب بين يدي الله تعالى... فاتّق الله حقّ تقاته في المسلمين"[2]، كما وردته فتاوى بعض أعلام المشرق كأبي حامد الغزالي وأبي بكر الطرطوشي بجواز تنحية ملوك الطوائف عن حكمهم مؤيّدة بذلك ومعزّزة فتاوى علماء المغرب.[3]

ومن المؤرّخين من أضاف إلى العوامل التي حفّزت الأمير يوسف على التخلّص من ملوك الطوائف، أنّه راقه حسن ما بالأندلس من البلاد، فقال : " كنت أظن أني قد ملكت شيئًا، فلمّا رأيت تلك البلاد، صغرت في عيني مملكتي".[4]

وبناء على ما تقدّم قرّر يوسف بن تاشفين العبور إلى الأندلس، فكان جوازه الثالث إليها سنة 483هـ/1090م، واتّجه مباشرة صوب طليطلة فحاصرها وألفونسو بها، وخرّب أحوازها ودمّر عمرانها، وانتسف زروعها، وملوك الطوائف في ذلك يرقبون ما يحدث، ولم يأته أحد منهم لمساعدته فغاظه ذلك [5]، وكان هذا الحصار بمثابة رسالة إنذار لزرع الرّعب في عقر دار ألفونسو، وللتأكيد على أنّه ما زال ضمن حساباته، لكنّه فضّل البدء بتأديب أولئك الأمراء المداخلين لألفونسو، فرفع الحصار عن طليطلة.

وكان عبد الله بن بلقّين أوّل المغضوب عليهم من أمراء الأندلس، نتيجة لما وصله عنه من أخبار تحالفه سرّا مع ألفونسو، وعلما منه بسوء عاقبة ما أقدم عليه

---

[1]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص249.

[2]- ابن الكردبوس، تحقيق بوباية، ج1، ص417-418.

[3]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص249./ ابن العربي أبو بكر محمد بن عبدالله، شواهد الجلة والأعيان في مشاهد الإسلام والبلدان، تحقيق محمد يعلى، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي- مدريد 1996، صص 302-303 وصص329-332./ أحمد مختار العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة- الإسكندرية، (د.ت)، صص 481-484، ضميمة رقم 2. / Anwar G.Chegne,op, cit, p73.

[4]- المراكشي عبد الواحد، المصدر السابق، ص103./ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص163.

[5]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص153./ السلاوي، المرجع السابق، ج2، ص52-53.

حاول عبد الله تحصين غرناطة لتفادي المرابطين، وقلّل من شأنهم بقوله :" وكم يستطيع الجيش القادم على أن يعمّ جميع البلاد؟ ومحاولة معقل واحد منها يطول، ويحدث في خلاله أحوال "[1]، ظنّا منه أنّ ألفونسو سيكون إلى جانبه. وشقّ الأمير يوسف طريقه نحو غرناطة، فقدّم عسكرا إليها لحراسة حصونها تحسّبا لأيّ طارئ قد يحدث، بسبب العقد الذي كان بين عبد الله وألفونسو، الذي تعهّد بمساعدته عند مجيء المرابطين، وأرسل يوسف القواد إلى عبد الله ليبيح لهم القوت والعلف بالمدينة فأجابهم إلى ذلك[2]، وحاصره الأمير يوسف مدّة شهرين.[3]

ولمّا خشي عبد الله سوء المنقلب بخروج أهل حضرته وسائر بلاده عن طاعته، ورأى هياج النّاس وجزعهم، وتيقّن أنّ مساعدة ألفونسو لن تأتيه، أرسل إلى الأمير يوسف يطلب الأمان، فبعث إليه بكتاب مع الفقيه ابن سعدون فقال له : " لا طاعة ولا صلح إلاّ بالخروج، وأمّنه في النّفس والأهل دون المال"[4]، فأدرك عبد الله أنّه لا حيلة له غير الخروج والترامي عليه عملا برأي من نصحوه بالأمر، فخرج إليه فسرّ بذلك وأقسم له مجدّدا على الأمان في النفس والأهل، ثمّ أتاه الفقيه ابن سعدون من قبل الأمير يقول له: أحضر الأموال والأزمّة بها! فإنّ مؤمّلا مولى جدّه باديس قد أخبره أنّه ليس عند عبد الله درهم إلاّ بزمام وذكر "، وسيق مع عائلته إلى مكناسة[5]، ثمّ نقل إلى أغمات[6] حيث قضّى بقية حياته.[7]

فاستصفى الأمير يوسف جميع أموال عبد الله المكدّسة ودخل غرناطة، فبايعه الفقهاء والأعيان، وطمأن النّاس أنّه سيقيم فيهم العدل، ولا يكلّفهم إلاّ ما أباحه الشّرع، وكان خلع عبد الله بن بلقّين يوم الأحد 10 رجب سنة 483هـ/ 7 سبتمبر

---

[1]- ابن بلقّين، المصدر السابق، ص135.
[2]- المصدر نفسه، ص156.
[3]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص154.
[4]- ابن بلقّين، المصدر السابق، ص156.
[5]- المصدر نفسه، صص158-161 وص165-166.
[6]- هي مدينة صغيرة قريبة من جبال الأطلس، تقع جنوب شرق مراكش بنحو أربعين كيلومترا . ابن الخطيب، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة، 1423هـ/2002م، ص164./ البغدادي صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت739هـ)، مراصد الاطّلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجيل- بيروت، ط1، 1412هـ/1992م، ج1، ص98./ الحميري، المصدر السابق، ص46.
[7]- ابن سماك، المصدر السابق، ص132.

1090م[1]. أمّا تميم صاحب مالقة فقد أخذه بالحيلة، بعد أن أنّسه بأنّه ليس كأخيه بإظهاره لطاعته وإجمال معاشرته وضربه الدراهم المرابطية، فلمّا همّ به أخذه فجأة واستولى على حضرته وناله ما نال أخاه من الهوان على يد قرور، وكبّل بالحديد ثمّ أمر به إلى السوس، ووصّى به إلى بزلف ومن بعده إلى ولاّة السوس، فكان في رغد من العيش.[2]

وعندما تملّك الأمير يوسف غرناطة، قدم عليه المعتمد بن عبّاد والمتوكّل بن الأفطس يهنّئانه بالنّصر، فاستقبلهما بجفاء يوحي بتغيّره عليهما، فأدرك المعتمد النّدم لاستدعائه إلى الأندلس، وقال لحليفه المتوكّل : " والله لا بدّ له أن يسقينا من الكأس التي سقى بها عبد الله بن بلقين"[3]. ولحق المعتمد بإشبيلية وشرع في تعزيز أسوارها أسوارها وتحصيناتها، فأرسل إليه الأمير يوسف ليجتمع به، فأبى وردّ عليه بقوله: " إنّ ذلك كان وقت كنت ضيفا وتريد الغزو، فلزمتني معونتك بنفسي وجميع أموالي، والآن إنّما أنت لي جار مثل باديس وحفيده، وأنت أقدر منّي على الشرّ بجنودك! فلا يمكنني التغرير بنفسي، عسى أنّك تريد أخذ بلدي، إذ لا تصحّ لك غرناطة إلاّ بما ينضاف إليها من الأندلس !"[4]، وشرط عليه أن يلتزم الرباط، ويسقط المغارم الجائرة، فامتنع ابن عبّاد ونوى على الشرّ.

وفي شهر رمضان سنة 483هـ/ نوفمبر 1090م عاد الأمير يوسف إلى سبتة، وترك قيادة شؤون الأندلس إلى قائده سير بن أبي بكر، وسارع بإرسال أربعة جيوش في وقت واحد لقتال أمراء الأندلس، لتحول دون اجتماع قواهم في أيّ مكان، ولتقضي على سلطانهم بأسرع وقت [5]، فأوعز إلى سير بن أبي بكر بمحاصرة ابن عبّاد بإشبيلية حتّى يدخلها، ثمّ يتقدّم بعدها إلى بلاد المتوكّل بن الأفطس. وسيّر أبا عبد الله بن الحاج إلى قرطبة على رأس جيش آخر كلّفه بمنازلة واليها الفتح الملقب

---

[1]- ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص336./ عنان، المرجع السابق، ص342.

[2]- ابن بلقين، المصدر السابق، ص166.

[3]- ابن سماك، المصدر السابق، ص132.

[4]- ابن بلقين، المصدر السابق، ص170.

[5]- أشباخ، المرجع السابق، ج1، ص99.

بالمأمون ولد المعتمد، وقدّم على الجيش الثالث أبا زكريا بن واسينو، ليتولّى مهمّة حصار المعتصم بن صمادح بالمرية، وجعل قيادة الجيش الرابع لجرور الحشمي، وعهد إليه بمهاجمة يزيد الراضي ولد المعتمد بروندة[1]، وبقي الأمير يوسف بسبتة على رأس جيش احتياطي يترقّب أخبار جيوشه، ليتأكّد من نجاح الخطّة التي رسمها، وللتدخّل إذا دعت الضرورة لإنجاد الجيش الذي يحتاج إلى مساعدة.[2]

وبدأ سير بن أبي بكر مهمّته بالاستيلاء على جزيرة طريف في شوال من سنة 483هـ/ ديسمبر 1090م، ونادى فيها بدعوة أمير المسلمين[3]، ثمّ تابع سيره إلى إشبيلية، في الوقت الذي كانت الجيوش الأخرى تكتسح الأهداف المسطّرة في خطّتها الحربية، فتساقطت المعاقل الجنوبية لدولة المعتمد الواحدة تلو الأخرى، حيث بعث سير بن أبي بكر قائده بطّي بن إسماعيل إلى جيان فحاصرها حتى دخلها صلحا، فكتب سير إلى يوسف يخبره بفتحها، ثمّ أمر بطّي بأن يجدّ في السّير إلى قرطبة[4].

وكان المعتمد يرى في صمود قرطبة ثبات ملكه، ويخشى ضياعه بسقوطها، فبعث إلى ابنه المأمون يوصيه بالصّبر، " وأن لا يجزع! فالموت أهون من الذلّ، وليس السلطان إلاّ من القصر إلى القبر !"[5]. ويبدو أنّ أهل قرطبة كانوا مستائين من سياسة المعتمد وابنه، ذلك أنّ جيش المرابطين حاصر المدينة طويلا، فلم يتمكّن من دخولها إلاّ بمداخلة من أهلها للمرابطين بتسنّم في أسوارها[6]، انتهى بفتح أبوابها فلم يجد المرابطون بعدها عناء كبيرا في الدخول إلى قرطبة، ورغم استبسال المأمون في الدفاع عنها في عدد قليل من رجاله، بعد أن نقل أهله وماله إلى حصن المدوّر، فإنّه لقي حتفه رفقة وزيريه ابن زيدون وابن بكر، وكان دخول المرابطين

1- ابن سماك، المصدر السابق، ص133-135.
2- أشباخ، المرجع السابق، ج1، ص99.
3- المراكشي عبد الواحد، المصدر السابق، ص103.
4- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص154.
5- ابن بلقين، المصدر السابق، ص171.
6- ابن خاقان، المصدر السابق، ج1، ص84.

لقرطبة يوم الأحد 22 رجب سنة 484هـ/ 8 سبتمبر 1091م[1]، ثمّ فتح بياسة وأبّذة وحصن البلاط والمدوّر والصخيرة وشقورة في مدّة وجيزة . ولمّا ضبط أحوال قرطبة بعث بطّي إلى قلعة رباح في قاصية مملكة المعتمد، قائدا من لمتونة في ألف فارس من المرابطين ليضبطها ويسدّ ثغورها.[2]

ولم يبق من معاقل مملكة المعتمد بن عبّاد سوى قرم ونة وإشبيلية ورندة، فرأى سير بن أبي بكر أنّه من باب أولى الانتهاء من أمر قرمونة المنيعة، للضغط على المعتمد وخلط أوراق حساباته، فجدّ في طلبها حتّى تمكّن من دخولها، يوم السبت زوالا بتاريخ 17 ربيع الأول من سنة 484هـ/ 10 ماي 1091م[3]، فلمّا بلغ المعتمد خبر سقوطها اشتدّ عليه ذلك، وعلى جناح السّرعة تقدّمت جحافل جيوش المرابطين يقودها سير بن أبي بكر نحو إشبيلية، فضربت طوقا بشريا حولها حتّى طال حصارها، فضاقت على المعتمد السّبل، وبلغت قلوب من بالمدينة الحناجر من الخوف.

وأمام هذه المستجدّات أرسل المعتمد إلى ألفونسو السادس يستنجده، وقد برّر استغاثته بملك قشتالة على المرابطين بقوله :" اضطرّتني الضرورة إلى ذلك للمدافعة، ولو يوما واحدا!"[4]، فوعده بإعطائه البلاد وبذل الطارف والتليد، لقاء رفع الحصار عنه، وعالج ألفونسو الأمر من منظور عدوّ مشترك يستوجب دفع شرّه، بعد أن أدرك أنّه أمام خطر حقيقي زاحف، فبعث إليه بجيش من عشرين ألف فارس وأربعين ألف راجل يقوده الكونت جومز، وسبقت أنباء تحرّك هذا الجيش إلى سير بن أبي بكر، فاختار عشرة آلاف فارس من خيرة فرسانه بقيادة إبراهيم بن إسحاق اللّمتوني، ليقطع الطريق عليهم فلقيهم بالمدوّر، أين جرت بينهما وقعة كبيرة استشهد

---

[1]- ابن بلقين، المصدر السابق، ص 171-172. ويرى ابن أبي زرع أنّ دخولها كان يوم الأربعاء 3 صفر سنة 484هـ/ 26 مارس 1091م. ينظر: القرطاس، ص154.

[2]- ابن أبي زرع، المصدر نفسه، ص154-155./ سعدون نصر الله، المرجع السابق، ص126.

[3]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 155. في حين يرى ابن بلقين أنّ دخول قرمونة كان قبل دخول قرطبة، لكنّه لا يحدّد لنا التاريخ الذي دخلت فيه. ينظر كتاب التبيان، ص172.

[4]- ابن بلقين، المصدر نفسه، ص171.

فيها نصف جيش المرابطين، انتهت بانتصارهم على جيش الخصم، الذي لم يسلم من القتل إلاّ القليل من أفراده.[1]

ولم يزل القائد سير يحاصر إشبيلية، حتّى ضاق أهلها ذرعا بسوء أحوالهم، فتمكّنت زمرة من المرابطين من الدخول عبر فتحة بأحد الأبواب، ف لقيهم المعتمد بسيفه حتى تراجعوا، وأمر بسدّ الباب وإصلاح ما هدم منه، لكنّ المرابطين تمكّنوا – بعد ذلك- من دخول إشبيلية عبر واديها بمساعدة أهلها [2]، فخرج ابن عبّاد رفقة ابنه مالك، فقتل ابنه بين يديه، وصمد المعتمد بقصره يوما وليلة، ثمّ أيقن أن لا سبيل إلى تغيير ما جرّه القدر فأرسل ابنه الأكبر الرشيد إلى الأمير ليكلّمه في أمر تسليم نفسه، لكنه حجب عنه [3]، وتملّك المرابطون إشبيلية يوم الأحد 22 رجب سنة 484هـ/7 سبتمبر 1091م[4]، وجُمِع المعتمد وأهله، وحملتهم السّفن عبر الوادي، وغرّب إلى العدوة واستقرّ بأغمات، إلى أن وافاه أجله بها في ذي الحجّة من عام 488هـ/ ديسمبر 1095م.[5]

وتجدر الإشارة إلى أنّ القائد سير بن أبي بكر أمّن المعتمد بعد تملّكه لحضرته، لكنّه حمله على مخاطبة ولديه يزيد الرّاضي بالله والمعتدّ بالله بالاستسلام، وكان الأول بحصن رندة، في منعة من حصار ال قائد جرور له، أمّا الثاني فكان بحصن ما رتُلَة جنوب البرتغال، فكتبت أمّهما اعتماد الرّميكية تستعطفهما، بأنّ دم الأسرة مرهون بثبوتهما، فنزلا عن الحصنين بعد عهود مبرمة، فنال الأوّل القتل من جرور بعد أن سطا على أمواله، كما قتل كلّ الأحرار والجند المقاتلة، وتمسّ ك بالعبيد فصيّرهم إلى السلطان . أمّا الثاني فإنّ القائد الواصل إليه قبض عند نزوله

[1]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص155./ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص163.
[2]- ابن خاقان، المصدر السابق، ج1، ص87-88./ المراكشي عبد الواحد، المصدر السابق، ص104.
[3]- ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص164./ ابن الخطيب، الإحاطة، تحقيق يوسف علي طويل، ج2، ص67.
[4]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 155./ ابن بلقين، المصدر السابق، ص 172./ المراكشي، المصدر السابق، ص105 وفيه أنّ دخول المرابطين إلى إشبيلية كان في 21 من رجب.
[5]- ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص164./ ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص69.

على كلّ ماله لكنّه أبقى على حياته [1]، كما تملّك المرابطون عقب إشبيلية مدينة نبرة في شهر شعبان من نفس السّنة.[2]

أمّا المتوكّل بن الأفطس صاحب بطليوس، الذي خرج لتهنئة أمير المسلمين رفقة المعتمد بن عبّاد بعد خلعه لعبد الله بن بلقّين، فقد هاله ما رأى من أمر صاحب غرناطة، وأدرك وهو في طريق عودته إلى حاضرته أنّه عليه أن ينجو بنفسه كما نصحه بذلك المعتمد [3]، فاستوحش من المرابطين وداخل ألفونسو السادس فوصلت أنباؤه إلى أمير المسلمين، فضيّق الأمير سير بن أبي بكر بطليوس بالسرايا والغارات، فلمّا عجز عن مقاومتهم راسل ملك قشتالة، وعرض عليه أن يسلّمه شنترين لقاء مساعدته، وعندما مكّنه من هذه المدينة، شقّت الرعيّة ببطليوس عصا الطاعة، وراسلت المرابطين ووقع الاتّفاق معهم على فتح أبوابها ليلا ليدخلوها، فدخل القوم عنوة وقبض على المتوكّل وابنيه الفضل والعبّاس، واستخرج ما كان له من أموال جسيمة، وأمر سير بقتله مع ولديه بسبب استعانته بالنصارى على المسلمين، بمنحهم معاقل من بلده وكان ذلك في أخريات سنة 488هـ/1095م.[4]

ويخبرنا ابن بلقّين عن ابن ثالث للمتوكّل اسمه المنصور، نصح أباه بترك بطليوس للمرابطين والنجاة بنفسه فسفّه والده رأيه، بينما خرج هو عنها ونجا بأهله وماله[5]، وامتنع بحصن منتانجش على مقربة من حدود قشتالة، فلمّا علم بما حلّ بوالده وأخويه، اتّصل بألفونسو ولجأ إلى حمايته، وأقام عنده وقيل إنّه اعتنق النصرانية، وانتهت بذلك إمارة بطليوس بعد خمسة وسبعين عاما من حكم بني الأفطس، فملك المرابطون بضمّها إلى دولتهم غرب الأندلس.[6]

ويذكر أيضا أنّه بعد سقوط إشبيلية بزمن يسير جاء الدّور على المرية، وتختلف الرواية بشأن القائد الذي ضرب الحصار على المدينة، حيث قيل إنّه كان

---

[1]- المراكشي، المصدر السابق، ص 106./ ابن خاقان، المصدر السابق، ج 1، ص85./ ابن بلقين، المصدر السابق، ص172.
[2]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص155.
[3]- التبيان، ص170.
[4]- ابن بلقين، المصدر نفسه، ص174./ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص185-186.
[5]- ابن بلقين، المصدر السابق، ص173.
[6]- ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص186./ عنان، المرجع السابق، ص369.

يحاصرها القائد الأمير يحي بن واسينو [1]، وقيل القائد محمد بن عائشة [2]، ويبدو أنّ بداية الحصار كانت من قبل القائد الأول، ذلك أنّ انطلاق الجيوش الأربعة التي كلّفها أمير المسلمين يوسف بن تاشفين لتنفيذ مهامها بخلع ملوك الطوائف كان في وقت واحد، وعندئذ حاصر ابن واسينو المرية لكنّه لم يدخلها، فلمّا انتهى المرابطون من أمر إشبيلية، الذي كان في شهر رجب، بعثوا بقوات إضافية إلى المرية يقودها محمد بن عائشة، لحمل صاحبها معزّ الدولة على تسليمها بدون عناء، وكان ذلك في شهر شوّال من عام 488هـ[3]/ أكتوبر 1095م.

وصمدت المرية المعتصم بن صمادح للحصار، حتى شرع أهلها في الفرار، فاعتلّ صاحبها غمّا ونزل به الموت أثناء حصارها في ربيع الآخر من سنة 484هـ/ جوان 1091م، وكان قد أوصى ولده المعزّ بأن يمتسك في قصبة المرية طول مقام ابن عبّاد في ملكه بإشبيلية ما استطاع إلى ذلك سبيلا، فإن رأى خروجه عنها فلينجو بنفسه بحرا بما يقدرعليه من ذخائره، وقد جرى تطوّر الأحداث وفق ما توقّعه ابن صمادح، فتظاهر المعزّ بالخروج إلى أمير المسلمين بهديّة لمصالحتهم بقصد التخفيف من حدّة الحصار الذي تجاوز ستة أشهر، وركب البحر بأهله وولده إلى جزائر بني مزغنّة، وكان راسل صاحب بجاية المنصور بن النّاصر بن عَلَنّاس الحمّادي، فوصل إليه وهو يومئذ بالقلعة، فتلقّاه بالرّحب والسّعة، وخيّره في أقطار بلاده، فاختار تدلّس لوقوعها على البحر، وأقام بها إلى أن وفاه أجله [4]. وهكذا تملّك المرابطون في شوال المذكور المرية . كما تمكّن القائد يو سف بن داوود بن عائشة

[1]- ابن سماك، المصدر السابق، ص134./ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص191.
[2]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص155.
[3]- نفس المصدر والصفحة.
[4]- ابن بلقين، المصدر السابق، ص 169-170./ ابن خاقان، المصدر السابق، ج 1، صص147-149./ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص 191-192./ ابن بسّام، المصدر السابق، ج 2، ص735./ ابن الأبّار، الحلّة، ج 2، ص89-90 وفيه أنّ المدينة التي أسكن فيها هي تَنَس./ ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص168. / محمد أحمد أبو الفضل، تاريخ مدينة المرية الأندلسية في العصر الإسلامي منذ إنشائها ...، صص160-163./ مريم قاسم طويل، مملكة ألمرية في عهد المعتصم بن صمادح (443- 484هـ/1051- 1091م)، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1414هـ/1994م، صص48-51./ Conde , op. cit, p.399.

في نفس الشهر من الدخول إلى مرسية وأعمالها وخلع صاحبها ابن رشيق، وكتب بالفتح إلى أمير المسلمين يوسف[1].

ولمّا علم المستعين بن هود صاحب سرقسطة بأمر سقوط مرسية تملّكه الخوف، فاستغاث بالسّيد الكنبيطور وعاقده الصّلح والحلف مجدّدا، لدفع خطر المرابطين الذي بات قاب قوسين أو أدنى من بلده، وقد وصف ابن بسّام حاله هذه بقوله:" ولمّا أحسّ... بعساكر أمير المسلمين تقبل من كل حدب، وتطلع على أطرافه من كل مرقب، آسد كلبا من أكلب الجلالقة يسمّى برذريق ويدعى بالكنبيطور، وكان عقالا وداء عضالا، له في الجزيرة وقائع، وعلى طوائفها بضروب المكروه اطلاعات ومطالع"[2]، واستطاع الكنبيطور أن يتحوّل في غضون سنوات من قائد جيش للمرتزقة إلى سيّد حقيقي على بلنسية، التي كان يعدّها له طاعة والقادر بن ذي النون بها عامله، بعد أن استنصر به المستعين أوّل مرّة ردّا لطمع عمّه الحاجب منذر بن أحمد بن هود صاحب لاردة[3] في أخذها من يد القادر، فحاصرها بأربعمائة فارس، والقنبيطور في ثلاثة آلاف فارس، على أنّ للقنبيطور أموالها وللمستعين المدينة، فلم يزل محاصرا لها حتّى دخلها.[4]

وحدث أن قام ألفونسو السادس بالهجوم على بلنسية نكاية في القن بيطور، الذي لم يشاركه في رفع حصار المرابطين عن حصن لييط، فلمّا دخل ألفونسو بلنسية تدعمه من البحر أربعمائة قلاع من أهل جنوة وبيشة [5] نزلت في طرطوشة، خالفه القنبيطور إلى قشتالة فحرق وهدّم، فاضطرّ ألفونسو إلى ترك بلنسية ليدرك قشتالة، في حين كرّ القنبيطور راجعا إلى بلنسية، واتّفق مع القادر على مائة ألف مثقال جزية في كلّ عام لحمايتها [6]، وسرعان ما أدرك ألفونسو خطأه فعاد إلى مهادنة القنبيطور ليبقى في صفّه فتصالح على أن لا يتدخّل ألفونسو في ما تحت يدي

---

[1]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص155./ ابن الكردبوس، تحقيق بوباية، ج1، ص413./ Mariano Gaspar Remiro, op. cit, p.140.

[2]- الذخيرة، ج5، ص94-95.

[3]- هي بأرض جليقية وتقع بشرقي مدينة وشقة. الحميري، المصدر السابق، ص507.

[4]- ابن الكردبوس، تحقيق بوباية، ج1، ص410-411 وص414.

[5]- المقصود بها Pisa وهي مدينة وولاية إيطالية اشتهرت ببرجها المائل . أحمد مختار العبادي في تحقيقه لنصّ ابن الكردبوس، ص99.

[6]- ابن الكردبوس، تحقيق بوباية، ج1، ص411-412.

القنبيطور. وحدث بعد هذا التقارب بينهما أن استحكم طمع النصارى على شر ق الأندلس، فضيّق غرسية (Garcia Ordóňez) على المرية، والفانت (Alfana ó Alfano) على لورقة، وحاصر ألبرهانس مرسية والقنبيطور شاطبة.[1]

وواصل داود ابن عائشة فتوحاته في شرق الأندلس فدخل في سنة 485هـ/1092م دانية وشاطبة بعد أن فرّ عنها صاحبها ابن منقذ ثمّ تلا ذلك شقورة[2]، وشعر أهل بلنسية بالإهانة من التبعية للنّصارى بسبب تخاذل أميرهم القادر، وفي هذه الأثناء برزت شخصية قاضي المدينة جعفر بن عبد الله بن جحّاف المعافري، الذي انتهز فرصة دخول ابن عائشة إلى دانية فاتّصل به يستدعيه لإنقاذ المدينة من الظّلم المسلّط عليها، فأ نفذ معه عسكرا يقودهم أبو ناصر، ففرّ من كان بها من رجال القنبيطور وحاول القادر أن يفرّ فتُمُكّن منه، وحَصَل في يد ابن جحّاف فقتله في 23 رمضان سنة 485هـ/26 أكتوبر 1092م، واحتوى على ما كان عنده وتبوّأ رياسة بلنسية[3].

فلمّا بلغت الأخبار القنبيطور تخلّى عن حصار ه لسرقسطة، وعاد إلى بلنسية فحاصرها عشرين شهرا إلى أن دخلها قسرا، ولقي أهلها في تلك الفترة ما لم يلقه بشر من الجوع حتّى أكل الناس الفئران والكلاب والجياف، وكان من يقع منهم في أيدي القنبيطور ومن ارتدّ من شرار المسلمين عن دينه وتسمّوا بالدوائر، يباع أسيرا بخبزة وقدح خمر ورطل حوت، ومن لم يفد نفسه قطع لسانه وفقئت عينه وسلّطت عليه الكلاب الضّارية تنهش لحمه، فلمّا أجهدهم الحصار استأمنوه على أنفسهم وأموالهم وأهليهم، فاشترط على ابن جحّاف أن يعطيه جميع ذخائر القادر، فكان الصّلح بينهما على ذلك، وفتح الباب فدخل القنبيط ور البلد فتملّكه، وكان ذلك يوم

---

[1]- ابن الكردبوس، تحقيق بوباية، ج1، ص412./ .Mariano Gaspar Remiro, op. cit, p.141

[2]- ابن أبي زرع المصدر السابق، ص156.

[3]- ابن الكردبوس، المصدر السابق، ج1، ص414./ ابن عذاري، المصدر السابق، ج4، ص31-32./ Mariano Gaspar Remiro, op. cit, p.142

الخميس منسلخ جمادى الأولى من سنة 487هـ/ 16 جوان سنة 1094م[1]، وذكر أبو العبّاس أحمد بن العلقمة في تأريخه المفقود "البيان الواضح في الملم الفادح "[2] أنّ القنبيطور طلب من ابن جحّاف أن يخرج له الأموال، فأخرج له أسبابا وأثاثا كثيرة، فغضب منه بسبب ذخيرة نفيسة من ذخائر ابن ذي النون، كان رذريق قد سأله عنها، واستحلفه على البراءة منها، فأقسم له بذلك، وأشهد رذريق عليه أعلام الملّتين إن هو عثر عليها ليستحلنّ دمه، فلم يلبث أن وجدها، ولعلّها كانت منه حيلة أدارها، فأمر بتعذيبه ثمّ حرقه بالنّار حتى مات على هذه الحال.[3]

وهكذا أصبحت بلنسية بين أيدي النصارى، يسومون أهلها سوء العذاب، ولا يرقبون في مسلميها إلاّ ولا ذمّة، فكانوا يقتلون وينهبون ويستحيون النساء، ويستبيحون المحرّمات. وقد نزل خبر سقوط بلنسية وما حلّ بأهلها كالصّاعقة على يوسف بن تاشفين، الذي عزم على استرجاع المدينة فاختار لهذه المهمّة الشّاقة ابن أخيه محمّد بن تاشفين على رأس عساكر المرابطين المغربية والصحراوية، والتحق به جميع عساكر الأندلس بعد أن راسلهم، فضمّ هذا الجيش تأييد الدولة صاحب لاردة ، وسيّد الدولة من طرطوشة، وحسام الدولة من شنت بريّة، ونظام الدولة من البُونْت، والشنياطي من الثّغر، وابن ياسين صاحب حصن شبرب، وابن يملول صاحب حصن الأشرف وغيرهم.[4]

وبدأ تجمّع هذه الجيوش بمرسية في شهر شعبان، واكتمل النّصاب على مقربة من بلنسية في شهر رمضان، فلمّا علم القنبيطور بتقدّم حشود المرابطين نحو المدينة، قام بانتقاء أهلها فعزل الذين شكّ في نجدتهم للمرابطين، ولم يترك بها إلاّ

---

[1]- ابن عذاري في ج 4، ص34. ويتوافق هذا مع ما ذكره ابن الكردبوس، المصدر السابق، ج 1، ص414-415./ وعند صاحب الذخيرة أنّ ذلك كان سنة 488هـ/ 1095م. ابن بسّام، المصدر السابق، ج5، ص98. وأيضا ابن عذاري، المصدر السابق، ج 3، ص305-306. والرّاجح حسب عنان هو التاريخ الأول لأنّه يوافق الرواية القشتالية. ينظر دول الطوائف، ص244./ Stanley Lane-Poole, op. cit, p.208

[2]- ويسمّيه ابن الأبّار " البيان الواضح في علم الفادح ". ينظر: التكملة لكتاب الصّلة، ج1، ص335، ترجمة رقم 1186. والصواب ما أثبته Francisco Pons Boigues في كتابه : Ensayo bio-bibliográfico sobre los historiadores y geógrafos arábigo-españoles, obra premiada por la Biblioteca Nacional en el concurso público de 1893, ě impresa á expensas del estado, Madrid, Establecimiento Tipográfico de San Francisco de Sales, Pasaje de la Alhamhra, nüm. 1, 1898, p. 175-176.

[3]- ابن بسّام، المصدر السابق، ج5، ص98./ ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص306.

[4]- ابن عذاري، المصدر نفسه، ج4، ص40.

من تأكّد له ضعفه، ثمّ جرّدهم من السّلاح وأمر بإخراجهم من بلنسية وإزهاق أرواحهم، وبعد صلاة العيد ضرب المرابطون الحصار على المدينة، وفي 8 شوال 487هـ/ 20 أكتوبر 1094م، تظاهر بأنّه ع لى رأس جمع من جيشه خرج ليلا، فانشغل المرابطون بمناوشتهم، بينما تسلّل هو بفرقة من جيشه إلى محلّة المرابطين، فقتل وسلب ونهب ثمّ رجع مسرعا إلى معقله، بعد أن رأى كثرة جيش المرابطين، ودفعه حنقه عليهم إلى التمادي في إرهاق من بقي من أهل بلنسية بدفع سبعمائة ألف مثقال فداء لأرواحهم، وكلّف وزيره اليهودي بجمعها، فكان اليهود يسلّطون السّوط والعذاب على كلّ من لا يدفع ما أمروا به.[1]

وفي الفاتح جمادى الآخرة سنة 490هـ/15 ماي 1097م جرّد أمير المسلمين جيشا كبيرا قدّم عليه قائده محمد بن الحاج، التقى بألفونسو السادس في يوم السبت 5 رمضان سنة 490هـ/ 15 أوت 1097م بكنشرة (Consuegra) فكبّده هزيمة نكراء[2]، وقتل في هذه المواجهة ابن القنبيطور الوحيد وكان يدعى دييجو (Don Diego)، وفي هذه الأثناء لقي محمد بن عائشة ألبرهانس في كونكة (Cuenca) فهزمه واستأصل محلّته، ثمّ نهض إلى جزيرة شقر (Alcira) وهي من أعمال بلنسية، فلقي بها فرقة من جند القنبيطور، فقتلهم أشرّ قتلة ولم ينج منهم إلاّ من تمكّن من الفرار، فلمّا عاد القليل منهم إلى بلنسية، وكان القنبيطور قد أعياه المرض، وآلمه مقتل ولده فمات غمّا وهمّا في رجب من سنة 492هـ/ جوان 1099م.[3]

وبعد سنتين من الصمود استصرخت السيّدة خمينا (Doňa Jimena)- زوجة القنبيطور التي خلفته في حكم المدينة- ملك قشتالة ألفونسو السادس لرفع حصار المرابطين عن بلنسية، فأجابها إلى ذلك بعد أن جمع جيشا جرّارا، وكان الأمير مزدلي قد لحق بالمدينة ونزل على مقربة منها في شهر ذي القعدة، فلمّا رأى حشود الجيش القشتالي تقترب أفرج عن المدينة وانسحب إلى محلّته بقلبيرة، فأقام ألفونسو

---

[1]- المصدر نفسه، ج4، ص40-41.

[2]- ابن الكردبوس، تحقيق بوباية، ج1، ص418./ ابن الكردبوس، تحقيق العبادي، ص108، الهامش1.

[3]- ابن الكردبوس، تحقيق بوباية، ج 1، ص 418-419./ عنان، المرجع السابق، ص 247-248./ Mariano Gaspar Remiro, op. cit, p.144./ Stanley Lane-Poole, op. cit, p.213.

ببلنسية نحو شهر، ثمّ بدا له أن يخرج لقلبيرة، فلقيه الأمير مزدلي في معركة دامت النهار بكامله، فلمّا غربت الشمس رجع ألفونسو إلى بلنسية، وأدرك أنّ الدفاع عنها أمام كثافة الجيش المرابطي وإصراره على استرجاعها ضرب من المجازفة، فأمر بإخلائها وإضرام النّار فيها، فدخلها الأمير مزدلي في 16 رجب سنة 495هـ/ 5 ماي 1102م، بعد أن تملّكها النصارى ثمانية أعوام وشهرا ونصف، فعادت إلى حظيرة الإسلام من جديد، وولّي عليها في مستهل شهر ذي الحجّة/ 15 سبتمبر 1102م القائد أبو محمد عبد الله بن فاطمة.[1]

وواصلت جيوش المرابطين زحفها في الثغر الأعلى خلال سنة 496هـ/ 1102م فاستولت على حصون مربيطر والمنارة والسهلة، ثمّ تمكّنت من ضمّ إمارة ألبونت، وفي 8 رجب سنة 497هـ/ 5 أبريل 1104م دخلوا إمارة شنتمرية وخلعوا صاحبها عبد الملك بن رزين[2]، ولمّا كانت سنة 502هـ/ 1109م قام جيش المرابطين بقيادة والي غرناطة تميم بن يوسف بن تاشفين بحصار حصن أقليج (Uclés) من بلاد الرّوم، فبعث ألفونسو السادس ولده سانشو (El infante D. Sancho)، الذي لم يكن قد تجاوز خمس عشرة سنة، على رأس جيش جرّار ليستنقذها من المرابطين، فالتقى الجمعان في معركة شديدة أسفرت عن استشهاد أعداد كثيرة من المسلمين، بينما قتل من الجانب الآخر ثلاثة وعشرون ألفا ونيف من الروم فيهم الكونت غرسية أوردونيث (Garcia Ordóňez) وهو أحد الأقماط السبعة الذين قادوا جيش قشتالة، كما قتل ابن ألفونسو الوحيد من حظيته زايدة الأندلسية فأسف على قتله [3]،

---

[1]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج 4، ص41-42./ ابن الكردبوس، المصدر السابق، ج 1، ص420./ عنان، المرجع السابق، ص248./ Mariano Gaspar Remiro, op. cit, p.144

[2]- عنان، المرجع السابق، ص368./ سعدون نصر الله، المرجع السابق، ص141.

[3]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص159-160./ ابن الكردبوس، المصدر السابق، ج1، ص423-424./ Don José Antonio Conde, Historia de la dominación de los arabes en Espaňa, Paris. Baudry, Libreria Europea, 1840, Tomo XIX., p411./ Mariano Gaspar Remiro, op. cit, p.147-148 .

وأثّرت هذه الكارثة على صحّته فمرض، وتوفّي بعدها بنيف وعام (29 شوال 502هـ/ 3 جوان 1109م).[1]

ولم يبق في الأندلس حينئذ إلاّ ولاية سرقسطة حاضرة المستعين بن هود، الذي تخلّى عن ما كان يدفعه من الجزية لجيرانه الروم بعدما رأى ما حلّ بملوك الطوائف[2]، فحصّن بلاده وبعث بهدية سنية [3] مع ابنه عماد الدولة عبد الملك إلى أمير المسلمين سنة 497هـ/ 1103م، مستغلاّ مناسبة جوازه الرّابع إلى الأندلس، وكتب له يقول: " نحن بينكم وبين العدوّ سدّا لا يصل إليكم منه ضرر، ومنّا عين تطرف وقد قنعنا بمسالمتكم فاقنعوا منّا بها، إلى ما نعينكم به من نفيس الذخائر ... فأجابه يوسف إلى ما أراده،... فأقام ابن هود رضي البال يهدّد النصارى بالمسلمين، ويهدّد المسلمين بالروم، لكونه حائلا بينهم وبين بلاد الإفرنج والأردمانيين"[4].

وعندما أحسّ بالاطمئنان من جهة المرابطين تفرّغ المستعين لمواجه الأطماع التوسّعية لملك أراجون ونافار ألفونسو سونشيز (Alfonso Sánchez) الذي عرف فيما بعد بالمحارب (El-Batallador)، والذي تسمّيه المصادر الإسلامية بابن ردمير، وكان ألفونسو المحارب بعد تولّيه الحكم سنة 499هـ/ 1104م استولى على قواعد سرقسطة الهامّة وأبرزها وشقة، ثمّ تقدّم نحو مدينة تطيلة، فقطع المستعين طريقه إليها، ونشبت بينهما معركة كبيرة قرب بلد بلتيرة (Valtierra)، انهزمت فيها قوات المستعين ولقي حتفه فيها، وكان ذلك في 2 رجب سنة 503هـ/ 24 يناير 1110م.[5]

---

[1]- حسين مؤنس، الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين وسقوط سرقسطة في يد النصارى سنة 512هـ/1118م مع أربع وثائق جديدة، مكتبة الثقافة الدينية- بورسعيد، 1413هـ/1992م، ص20.

[2]- ابن الكردبوس، المصدر السابق، ج1، ص420.

[3]- أشار ابن الأبّار إلى محتويات هذه الهدية وذكر أنّها كانت سنة 496هـ/ 1102م، الحلّة، ج2، ص248-249.

[4]- ابن سماك العاملي، المصدر السابق، صص135-137./ Mariano Gaspar Remiro, op. cit, p.145

[5]- ابن الأبّار، الحلّة، ج2، ص248./ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص174./ عنان، المرجع السابق، ص291./ فايزة بنت عبد الله الحسّاني، تاريخ مدينة سرقسطة منذ عصر الخلافة الأموية حتى سقوطها (316-512هـ/ 928- 1118م)، دراسة سياسية وحضارية، مذكرة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة أمّ القرى- المملكة العربية السعودية، العام الجامعي 1429- 1430هـ، ص130./ Mariano Gaspar Remiro, op. cit, p.145

وتولّى أمر سرقسطة بعده ابنه عماد الدولة، فبايعه أهلها على أن يسحب من جيشه النصارى، وأن لا يعود إلى التحالف معهم، فوعدهم بذلك لكنّه لم يف بوعده، فأخلّ بالشروط التي قطعها على نفسه، وعندئذ استدعى السراقسطيون قائد الأمير علي بن يوسف على بلنسية محمد بن الحاج، فدخلها سنة 502هـ/1108م وأخرج منها بني هود وملكها الذي انحاز إلى فئة الروم وتحصّن بحصن روطة[1] (Rueda)، وقيل إنّ أهل سرقسطة أخرجوا عبد الملك من الحضرة، واستدعوا عامل الأمير علي بن يوسف، فدخلها يوم السبت 10 ذي القعدة سنة 503هـ/ 30 ماي 1110م،[2] وهكذا كانت سرقسطة آخر دولة من دول الطوائف تدخل تحت لواء المرابطين، كما استعادوا عاما بعد ذلك جميع بلاد الغرب بقيادة سير بن أبي بكر.[3]

وتمكّن المرابطون بعدها من استنقاذ الجزائر الشرقية، التي تكالب عليها النصارى من أهل بيشة وجنوة، فأغاروا على ميورقة بثلاثمائة مركب ، ودخلوها وعاثوا فيها فسادا، فاستصرخ حاكمها مبشّر بن سليمان ناصر الدولة أمير المسلمين علي بن يوسف بكتاب وجّهه إليه مع قائده أبي عبد الله بن ميمون، وأمر أمير المسلمين بتعمير ثلاثمائة قطعة، فلمّا سمع العدوّ بخروجهم أخلى الجزيرة بعد أن أحرقها، فعمرها قائد الأسطول ابن تافرطاس بمن معه من المرابطين والمجاهدين وأصناف النّاس وجلب إليها من كان فرّ عنها إلى الجبال، فاستوطنوها وعمروها [4]، وكان وصول الأسطول المرابطي إلى ميورقة لإنقاذها أواخر ذي القعدة 509هـ/ منتصف أبريل 1116م[5]، واستقرّ الحكم المرابطي في هذه الجزر بفضل الجهود التي التي بذلها ابن تافرطاس، واصبحت منذ ذلك الحين تحت حكمهم [6]. وسيكون

[1]- ابن الأبّار، الحلّة، ج2، ص249./ حسين مؤنس، الثغر الأعلى، ص24.
[2]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص160./ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص175.
[3]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص161./ حسين مؤنس، المرجع السابق، ص20-21.
[4]- ابن الكردبوس، المصدر السابق، ج 1، ص430-432./ ابن القطان المراكشي، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمود علي مكّي، دار الغرب الإسلامي- بيروت، 1410هـ/1990م، ص75.
[5]- عصام سالم سيسالم، جزر الأندلس المنسية (التاريخ الإسلامي لجزر البليار) 89-685هـ/ 708-1287م، دار العلم للملايين- بيروت، ط1، 1984، ص269.
[6]- المرجع نفسه، ص272.

لأسطولها المرابطي دور في الدفاع عنها وعن الساحل الشرقي للأندلس وبلاد المغرب، بالتصدّي لغارات إمارة قطلونية ومملكة أراغون وبيزة وجنوة، حتى أضحى نشاطها البحري في الحوض الغربي للبحر المتوسط لا يخفى على أحد.

وهكذا أذعنت الأندلس لسلطة المرابطين في بضع سنين، وشهدت سنة 500هـ/1106م حدث وفاة الأمير يوسف بن تاشفين، فخلفه ابنه علي (500-537هـ/1106-1142م)، الذي أخذ له البيعة بقرطبة سنة 496هـ/1102م أثناء عبوره الرّابع[1]، لتوطين الحكم المرابطي بالعدوة الأندلسية، واشترط عليه أن يجتهد في إنشاء جيش مرابطي ثابت، يتألّف من سبعة عشر ألف فارس، ينشره بين سائر القواعد، لحمايتها والذبّ عن ثغور المسلمين في الحصون المصاقبة لعدوّهم[2]

وقد تحمّل علي بن يوسف عبء المسؤولية بمواصلة الجهاد والرّباط، لاسيما في شرق الأندلس الذي وجّه إليه خيرة قواده، كسير بن أبي بكر ومحمد بن عائشة ومحمد بن الحاج وأبو بكر بن إبراهيم بن تافلويت، وتميم بن يوسف بن تاشفين ومحمد بن فاطمة ومحمد بن مزدلي وعبد الله بن مزدلي وغيرهم، للوقوف في أطماع ألفونسو السادس وألبرهانس والقنبيطور، فضلا عن أسطول جنوة وبيشة[3].

وفي أواخر عام 511هـ/ 1117م ولي عبد الله بن مزدلي بلنسية وسرقسطة فتحرّك من غرناطة نحو سرقسطة فوجد ألفونسو المحارب محاصرا لها، وقد أذاق أهلها شراّ فأرغمه على رفع الحصار عنها، ومكث مزدلي واليا عليها سنة كاملة إلى أن وافته منيته بها، فسارع ألفونسو إليها مستبقا تولية المرابطين لخلفه، وفي طريقه إليها حاصر لاردة، فبعث الأمير علي إلى أمراء لمتونة بغرب الأندلس للّحاق بأخيه تميم في بلنسية لاستنقاذ لاردة وسرقسطة، وفور وصولهم انطلقوا

[1]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص156./ ابن سماك ، المصدر السابق، ص140-141.
[2]- ابن سماك، المصدر نفسه، ص142-143.
[3]- يخلف حاج عبد القادر، المرجع السابق، ص118.

جميعا صوب لاردة، وبعد قتال مرير مع عدوّهم، أقلع عن المدينة بعد أن خسر ما يزيد عن عشرة آلاف فارس، وعاد بعدها تميم إلى بلنسية.[1]

ونظرا لاضطراب الأمور في المغرب أسرع تميم في العودة إلى بلنسية، ثمّ تركها وتحرّك نحو مراكش لتدارك الأمور فيها، وسدّا للفراغ انتقل أبو إسحاق إبراهيم أخو الأمير علي وعامله على مرسية إلى سرقسطة، فضبط أمورها إلى حين ثمّ قفل راجعا إلى مرسية، وهو ما سمح لألفونسو بالعودة إليها بعد أن أصبحت شبه خالية من الحماية [2]، وجمع في حملته هذه أمم كالنمل والجراد، فنزلوا معه بها وشرعوا في قتالها[3]، وقدّرهم الحميري بخمسين ألف راكب من الإفرنج وألفونسو المحارب في جملة أ خرى[4]، وقد صنعوا أبراجا من خشب تجري على بكرات وقرّبوها منها، ونصبوا عليها عشرين منجنيقا، فاستمرّ الحصار عليها حتى فنيت الأقوات وقتل الجوع أكثر أهلها، فكاتبوا ألفونسو ليرفع عنهم القتال إلى أجل، فإن لم تأتهم النصرة أخلوا البلاد وأسلموها له، فعاهدهم على ذلك ول مّا تمّ الأجل تركوا المدينة وخرجوا إلى مرسية وبلنسية، في يوم الأربعاء 4 رمضان سنة 512هـ/ 18 ديسمبر 1118م.[5]

ووصلها من العدوة جيش من عشرة آلاف فارس لاستنقاذها، فوجد العدو قد تملّكها، فلم يتمكّن من استرجاعها، ثمّ أعاد علي بن يوسف أخاه تميما للإشراف على كلّ الأندلس[6]، لكنّ صيحات أهالي شرق الأندلس تعالت عقب استيلاء ألفونسو على قلعة أيّوب، التي كانت من أحصن معاقل الثغر الأعلى، فاستنهض الأمير علي أخاه إبراهيم للوقوف في وجه ألفونسو، كما أرسل إلى رؤساء وقادة الأندلس لموافاته، وشاركهم عدد كبير من المطوّعين، وحدث أن التقى الجمعان في معركة عنيفة ببلدة

---

[1]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص162-163./ الناصري، المرجع السابق، ج2، ص67.
[2]- حسين مؤنس، المرجع السابق، ص27.
[3]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص163./ الناصري، المرجع السابق، ج2، ص67.
[4]- الروض المعطار، ص317.
[5]- ابن الأبّار، الحلّة، ج 2، ص248./ المقرّي، المصدر السابق، ج 4، ص472./ أشباخ، المرجع السابق، ج 1، ص152.
[6]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص163-164.

كُتندة (قُتندة) غير بعيد عن دورقة، يوم الخميس 25 ربيع الأول 514هـ/ 23 جوان 1120م، وانهزم المسلمون فيها شرّ هزيمة، وكان أكثر القتلى من المطّوعة، ومنهم القاضي أبو علي حسين بن محمد الصدفي [1]. ومن نتائج هذه الهزيمة أنّ ألفونسو أصبح يسيطر على الثغر الأعلى، فلم يعد باستطاعة المرابطين استرداد سرقسطة.

وفي هذه الأثناء كانت بلاد المغرب تشهد فتنة ابن تومرت التي بلغت ذروتها في سنة 519هـ/ 1125م، ودخل أتباعه في صراع عسكري مع المرابطين زعزع أركان دولتهم [2]، وممّا زاد الطين بلّة استغلال قضاة الأندلس ورؤسائها للوضع العصيب، الذي كانت تمرّ به الدولة المرابطية للقيام عليها في الأندلس [3]، سعيا منهم للوصول إلى سلطة أشبه ما تكون ببيت العنكبوت، في وقت كان يفترض فيه أن تتّحد جهود الجميع في الغرب الإسلامي، للوقوف حجر عثراء في وجه الحلف المقدّس، الذي دعت إليه الممالك الإسبانية وباركته الكنيسة بالفاتيكان، فانضمّت إليه جميع التنظيمات الصليبية والعسكرية بالغرب المسيحي.[4]

وظلّت الجيوش المرابطية تقاتل على مختلف الجبهات، ممّا جعلها تضعف شيئا فشيئا أمام أعدائها، وبوفاة تميم بن تاشفين سنة 520هـ[5]/1126م، الذي كان يسيّر يسيّر الأندلس المضطربة بذكاء ومقدرة أفل نجم الدولة الإسلامية في إسبانيا [6]، هذا إذا ما استثنينا الهزيمة النكراء التي ألحقها المرابطون بقيادة أمير شرق الأندلس يحي بن غانية في موقعة إفراغة التي أودت بحياة ألفونسو المحارب في سنة

---

[1]- ابن بشكوال، الصّلة، ج 1، صص131-134./ ابن الأبّار، المعجم في أصحاب القاضي الصدفي، ص 16./ المقّري، المصدر السابق، ج 4، ص460-461./ ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر- بيروت، ط2، 1995، ج4، ص310.

[2]- ابن لأبي زرع، المصدر السابق، ص171.

[3]- ابن الخطيب، أعمال الأعلام، صص 248-264./ José Angel Garcia de Cortazar, La Epoca Medieval, Historia de Espaňa Dirigida par Miguel Artola, Alianza Editorial, Primera Edición, 1998, Madrid, p.107.

[4]- محمد الأمين بلغيث، الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 1423-1424هـ/ 2002-2003م، ج1، ص92.

[5]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص164.

[6]- أشباخ، المرجع السابق، ج1، ص179.

529هـ[1]/1134م، ولم يستطع المرابطون مواجهة الثورة التي انتشرت كالنار في الهشيم على ثلاث جبهات، فعادت الأندلس إلى ما كانت عليه من فرقة وتجزئة أيّام الطوائف[2]، وكانت أقسى الطعنات التي تلقّاها المرابطون على يد الموحّدين الذين دخلوا تلمسان، ثمّ خرجوا إلى وهران في طلب تاشفين بن علي فحاصروه بها، فهرب ليلا يريد أن يركب البحر إلى الأندلس، فكبا به فرسه فسقط ميّتا من على حافة بإزاء البحر، ليلة 27 من رمضان سنة 539هـ/22 مارس 1145م[3]، ثمّ كانت الفاجعة التي أدّت إلى سقوط حاضرتهم مراكش بيد الموحدين في شوال سنة 541هـ/ مارس 1147م، في مذبحة رهيبة قتل فيها غالبية ساكنة المدينة، وكان بضمنهم إسحاق بن علي آخر أمراء المرابطين [4]، فانتهى بمقتله حكم المرابطين في بلاد المغرب.

وسرعان ما ظهرت تداعيات عداوة الإخْوَة إلى فُرقة، حوّلت وحدتهم إلى شتات وقوّتهم إلى ضعف متواصل على أرض الأندلس، ترتّب عنه استيلاء النصارى على ألمرية سنة 542هـ[5]/1147م، ثمّ جاء الدور على طرطوشة التي سقطت في يوم الخميس 16 شوال 543هـ[6]/26 فبراير 1148م، وتلتها لاردة في العام العام الموالي. ولم يبق بحوزة المرابطين الشيء الكثير في الأندلس، حيث أصبحت قرطبة وقرمونة مهدّدتان بالسقوط بين يدي ألفونسو السابع (ريمونديس)[7]، ولمّا

---

[1]- ابن الخطيب، الإحاطة، ج4، ص300./ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ج9، ص69-70.

[2]- يخلف حاج عبد القادر، المرجع السابق، ص119.

[3]- البيدق أبو بكر بن علي الصنهاجي، أخبار المهدي بن تومرت، تحقيق عبد الحميد حاجيات، عالم المعرفة للنشر والتوزيع- الجزائر، طبعة خاصّة في إطار تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية 2011، ص87./ ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 166./ ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب- قسم الموحدين، تحقيق محمد إبراهيم الكتّاني وآخرون، دار الغرب الإسلامي- بيروت، دار الثقافة- الدار البيضاء، ط1، 1406هـ/ 1985، ص21./ محمد ابن غازي العثماني المكناسي، الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية- الرباط، ط2، 1408هـ/ 1988م، ص25-26.

[4]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 189./ البيدق، المصدر السابق، ص 93./ ابن عذاري، البيان المغرب- قسم الموحدين، ص27-28.

[5]- المقّري، المصدر السابق، ج4، ص462./ عصام سالم سيسلام، المرجع السابق، ص311.

[6]- ابن الأبّار، التكملة، ج1، ص59.

[7]- هو حفيد ألفونسو السادس من ابنته أوراكا، بعد زواجها من ريموند الفرنجي، وكان جدّه أوصى له بمملكته إذا لم تخلّف ابنته، التي تزوّجت بعد وفاة ريموند من ألفونسو المقاتل م لك أراغون، فلم تعقّب منه وانفصلت عنه

عجز يحي بن غانية المسّوفي عن حمايتهما، قام بتسليمهما للموحدين في جمادى الثانية سنة 543هـ/ أكتوبر سنة 1148م بموجب تعهد بمنحه معقل جيان للحفاظ على غرناطة التي كانت لا تزال تحت سلطة المرابطين، وتم التعهّد والتسليم بينهما [1]، وقبل وفاته في هذه السنة أوصى المرابطين وهو على فراش الموت بالمحافظة على غرناطة ومعاقلها لتكون سندا للجزائر الشرقية (البليار) تحت حكم أخيه محمد ومنطلقا لإعادة حكم المرابطين مجدّدا على الأندلس والمغرب [2]، وممّا قاله لهم بهذ الشّأن:" الأندلس درقة وغرناطة قبضتها، فإذا جشّمتم يا معشر المرابطين القبضة، لم تخرج الدرقة من أيديكم".[3]

وشهدت هذه السنة أيضا استقلال محمد بن علي بن غانية بجزر البليار، التي أصبحت مملكة مستقلّة تحت حكم بني غانية المرابطين من مسّوفة، لكنّ الموحدين استطاعوا ضمّ غرناطة إلى دولتهم سنة 550هـ[4]/1155م بعد أن سلّمها لهم واليها ميمون بن يدّر اللمتوني، الذي أدرك أنّ قلّة المرابطين لا تسمح لهم بالاحتفاظ بها، لا سيما بعد حادثة قتل إسحاق لأبيه محمد ولأخيه الأكبر عبد الله بسبب عهد أبيه له من بعده بحكم البليار [5]، واستمرّ إسحاق في حكمه لهذه الجزر إلى أن هلك سنة 580هـ/1185م[6]، وبعد وفاته دخل ابنه محمدا في طا عة الخليفة يوسف بن عبد المؤمن، فقام إخوته عليه فاعتقلوه وقدّموا عليهم أخاهم عليّ ا وأعادوا حكمها لصالحهم ، وتأرجحت هذه الجزر بعد ذلك في التبعية بين الموحدين والمرابطين إلى

واشتبكت معه ومع ابنها ريموندس في حروب طاحنة، وبعد وفاتها في 11 صفر 520هـ/ 7 مارس 1126م أصبح ابنها ملكا على قشتالة وليون وجليقية واشتوريش، ثمّ توّج قيصرا لإسبانيا في سنة 530هـ/1135م، ودخل في صراع مع يحي بن غانية المرابط ي ثمّ الموحدين من بعده، إلى غاية وفاته في رجب من 552هـ/ أوت 1157م. أشباخ، المرجع السابق، ج1، ص139 و141 وصص163- 167.

[1]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 191./ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص253./ ابن عذاري، المصدر السابق، ص40-42./ ابن الخطيب، الإحاطة، ج4، ص301-302./ عبد الكريم خيطان حسن الياسري، "بنو غانية مصدر قلق كبير للموحدين، دراسة تاريخية "، في مجلة كربلاء، المجلد الثالث، العدد 13، ديسمبر 2005، البحوث الإنسانية، صص36-46.

[2]- عصام سالم سيسالم، المرجع السابق، ص316.

[3]- ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص16.

[4]- ابن عذاري، المصدر السابق، ص55.

[5]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص253./ عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص196.

[6]- ابن الأبّار، التكملة، ج2، ص275 ترجمة رقم 797.

أن خرج إليها الموحدون في 24 من ذي الحجّة سنة 599هـ[1]/2 سبتمبر 1203م، وظفروا بجهاتها الأربع بعد سبع ليال، أي بتاريخ 30 ذي الحجّة 599هـ/8 سبتمبر 1203م.[2]

وجملة القول شكّل المرابطون بجهادهم دفاعا عن الدولة الإسلامية بالمغرب والأندلس القوّة الإيجابية، ولم يسترجع ملوك النصارى روحهم المعنوية لاسترداد ما كان بحوزة المسلمين من أراضي بالأندلس، إلاّ بمساعدة من سيوف الإخوة الأعداء التي انهالت عليهم من الخلف فقضت على عاصمة ملكهم في بلاد المغرب، واستمرّت في ملاحقتهم على بسيطه وفوق أديم الأندلس، بينما كانوا منشغلين في مواجهة أمم الصليب، وممّا زاد الطين بلّة قيام أصحاب الأهواء والشِّيع بالأندلس بثورات انفصالية زادت في اتّساع الخرق على المرابطين[3].

---

[1]- الحميري، المصدر السابق، ص 567-568./ عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 201./ ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص258./ الناصري السلاوي، المرجع السابق، ج2، ص217.

[2]- مجموع رسائل موحدية، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية، الجزء العاشر، اعتنى بإصدارها إ . ليفي بروفنسال، الرسالة السادسة والثلاثون للكاتب أبي عبد الله عيّاش عن الأمير محمد النّاصر، المطبعة الاقتصادية لصاحبها مصطفى بن عبد الله، رباط الفتح، 1941، ص246-247.

[3]- ثورة ابن قسي سنة 539هـ/1144م، الذي حوّل التصوّف من الممارسة الروحية إلى ممارسة سياسية يحدوها الطموح والرّغبة في الحصول على السلطة، فبسط نفوذه خلال أشهر قليلة على غرب الأندلس، وتحالف مع الموحدين ظرفيا، فتخلّى عنه أتباعه بسبب ذلك، فأصبح في عزلة تامّة جعلته يتحالف مع ملك البرتغال هنريكيز، فانفضّ عنه من بقي من أتباعه وقاموا باغتياله . ينظر: البيدق، أخبار المهدي بن تومرت، ص 128. كما شهدت الأندلس في سنة 539هـ عددا من الثورات اصطلح على تسميتها بثورة الفقهاء ومنها: ثورة ابن حمدين التغلبي الذي استولى على قرطبة ودعي له على منابرها، وثورة ابن حسّون الكلبي على مالقة، وأبو مروان عبد الملك بن عبد العزيز ببلنسية، وغير ذلك من الثورات. ينظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، صص252- 256 وما بعدها.



الفصل الثاني:

الإسهام الفكري لصنهاجة بالأندلس

من القرن **4** إلى نهاية القرن **6هـ/10-12م**

المبحث الأول: الإسهام الفكري لصنهاجة خلال

1- عوامل تطوّر الحركة العلمية في الأندلس من عهد الحكم المستنصر إلى زوال الخلافة الأموية بها (350- 422هـ/961- 1031م)

2- إسهامات البربر العلمية بالأندلس وحظّ صنهاجة منها خلال الفترة (366- 422هـ/976- 1031م)

3- عوامل ازدهار الحركة العلمية ومظاهرها في عصر الطوائف (422- 484هـ/ 1031- 1091م)

4- إسهامات البربر العلمية في عهد الطوائف بالأندلس وحظّ صنهاجة منها.

5- دور الملثّمين في الحركة العلمية بالأندلس أثناء حكمهم لها إلى نهاية القرن 6هـ/12م.

6- إسهامات البربر العلمية بلأندلس المرابطية وحظّ صنهاجة من كلّ ذلك.

بعد استكمال الفتح الإسلامي لبلاد المغرب في سنة 90هـ/ 709م، توجّهت أنظار الفاتحين صوب الأندلس، وتمكّنت جيوش المسلمين بقيادة طارق بن زياد من فتح الأندلس، ثمّ التحق به أميره موسى بن نصير فاستكملا معا فتح هذا الصّقع، فيما بين سنة 92 إلى 95هـ/711 إلى 714م، ويمكن اعتبار هذه الفتوحات البذرة الأولى لترسيخ الثقافة المشرقية العربية الإسلامية في الجزيرة الأندلسية، كبداية لما سيعرف لاحقا بالحركة العلمية على أرضها، وتجدر الإشارة إلى أنّ الجيش الفاتح كان بضمنه حملة القرآن أو بعضه، وفيهم من كان على قدر من حفظ الأحاديث النّبوية، ضف إلى ذلك ما كان يجري على ألسنة بعضهم من الشّعر وأخبار الأدب وإن قلّ ذلك.[1]

وللعلم فإنّه دخل مع الفاتحين برسم الجهاد جماعة من التّابعين منهم : محمد بن أوس بن ثابت الأنصاري، وحنش بن عبد الله الصّنعاني، وعبد الرحمن بن عبد الله الغافقي، وزيد بن قاصد السّكسكي المصري، وموسى بن نصير وغيرهم، وكانوا يروون عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم [2]. وظلّت الثقافة خلال عهدي الولاّة والإمارة بالأندلس تتّسم بالتواضع والمحدودية إلى زمن عبد الرحمن الأوسط (206- 238هـ/822- 852م)، أين بدأت تشقّ طريقها نحو النمو والتطوّر الذي سيمهّد لحركة فكرية، بانتقال العلوم التجريبية من المشرق إلى الأندلس في إرهاصاتها الأولى، وسيؤدّي ذلك إلى نقلة نوعية تبرز معالمها بوضوح خلال عهد الخلافة زمني عبد الرحمن النّاصر (316- 350ه -/928- 961م) وابنه الحكم المستنصر (350- 366هـ/961- 976م) بإدخال كتب الطبّ والرياضيات والفلك وغيرها إلى قرطبة ومدن أندلسية أخرى [3]. وسيكون من نتائج ذلك مجاراة الإنتاج المشرقي كخطوة أولى، ثمّ الاتّجاه رويدا رويدا إلى محاولة تحقيق التفوّق والتميّزعن

---

[1]- محمد عبد الحميد عيسى ،" الحضارة الأندلسية: مرحلة التكوين"، في مجلّة ندوة التاريخ الإسلامي والوسيط، دار المعارف- القاهرة، المجلد الثاني، 1983، صص263-298 وخاصّة ص272.

[2]- الحميدي، المصدر السابق، ص21.

[3]- طه عبد المقصود عبد الحميد أبو عبيّة، الحضارة الإسلامية دراسة في تاريخ العلوم الإسلامية، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1424هـ/2004م، المجلد 2، صص633-636 وصص653- 655.

المشرق، بإنتاج أندلسي مستقلّ يثبت خصوصية الشخصية الأندلسية في مجال الثقافة والفكر.[1]

1 - عوامل تطوّر الحركة العلمية في الأندلس من عهد الحكم المستنصر إلى زوال الخلافة الأموية بها (350- 422هـ/961- 1031م):

بناء على ما تقدّم ذكره يمكن اعتبار وسط المائة الرّابعة فترة النّضج والازدهار التي أدركت فيها الأندلس الحركة العلمية الفعلية، كما يمكن اعتبار الحكم المستنصر أعظم حكّام الأندلس علما وأدبا وتأثيرا في مجرى الحركة العلمية بها، على امتداد عصورها فقد كان أبا للثقافة بالأندلس[2]، وسيكون لهذا الازدهار الذي لم يسبق للأندلس أن عرفتهمن قبل تأثيره الإيجابي على المراحل والعهود اللاّحقة.

فقد خدم الحكم المستنصر الحركة العلمية، عن طريق تشجيعه للعلماء على البحث والتّأليف، فمنح من تميّز منهم الامتيازات التي تمكّنهم من الحصول على مناصب إدارية تدنيهم من بلاط الأمويين، لكسب ثقتهم التي ينالون بها حظوتهم، كما حمل الحكم المستنصر على عاتقه مسؤولية توفير وسائل الثقافة والعلم في بلده من كتب ومكتبات، وتطوير صناعة الورق والورّاقين التي اختار لها أمهر الخطّاطين، ولم يسقط من مشروعه العلمي أبناء الفقراء والمساكين، الذين فتح أمامهم سبعة وعشرين مكتبا من مكاتب العلم، تأويهم مجّانا بكلّ ربض من أرباض قرطبة وأجرى عليهم المرتّبات، كما انتشرت مراكز التعليم بالمساجد والمجالس العلمية الخاصّة، وساعدت الرّحلات من وإلى الأندلس باتّجاه المغرب والمشرق في تمتين عرى الثقافة بين الحواضر الإسلامية، التي لم تحل دونها الحدود السياسية، فتواصل نسيج العلاقات الثقافية دون انقطاع بينها، واستمرّ معها ازدهار الحركة العلمية بالأندلس يوما بعد يوم.[3]

وقد سار المنصور محمد بن أبي عامر – بعد أن استبدّ بالأمر في الأندلس - بعد وفاة الحكم المستنصر على منواله، فحدا حدوه ولفّ لفّه في تقديره للعلم وأهله،

[1]- طه عبد المقصود، المرجع نفسه، صص681-694.

[2]- مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، دار العلم للملايين- بيروت، ط4، 1979، ص72 وص102.

[3]- لتفاصيل أكثر ينظر مذكرتي في الماجستير: يخلف حاج عبد القادر، المرجع السابق، صص3-13.

حتّى احتشد في بلاطه نوابغ العلماء وجهابذة الأدباء، واستمرّ الوضع القائم على ذلك إلى وفاته سنة 392هـ/1002م، فتولّى الحجابة عقبه ابنه المظفّر عبد الملك لمدّة سبع سنوات، كانت مرحلة انتقالية دخلت الأندلس بعدها في دوّامة فتنة حالكة أشعل فتيلها عبد الرحمن شنجول بن أبي عامر، باغتصابه لولاية العهد من هشام المؤيّد، فخرج عليه محمد بن هشام بن عبد الجبّار، وكان من نتائج ذلك إقحام الأندلس في فتنة نهاية القرن 4هـ/10م وبداية القرن 5هـ/11م، التي أتت على الأخضر واليابس وجعلت حليم أهلها حيرانا، وكانت لها عواقبها السلبية على الحركة العلمية بالأندلس، ومن ذلك ظاهرة إتلاف المكتبات والسّطو عليها وبيعها بأبخس الأثمان [1]، ومنها مكتبة الحكم المستنصر التي كانت تزخر بأربعمائة ألف مجلّد.[2]

وانقسم موقف العلماء من هذه الفتنة بين معتزل لها، ومنهم من أصابته – رغم ذلك- سهام المنية بخبط عشوائها فأردته قتيلا، كأبي عبد الله محمد بن عيسى المريني قاضي تطيلة، الذي قتل في وقعة البقر سنة 400هـ/1009م[3]، وأبي الوليد المعروف بابن الفرضي، الذي قتله البربر بقرطبة عند دخولها سنة 403هـ/1012م[4]، ومنهم من أخطأته سهامها فعاش حينا من الدّهر معمّرا إلى وفاته، كأبي عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد، الذي توفّي بقرطبة سنة 426هـ/1035م[5]، أمّا القسم الثاني من العلماء فإنّه أخذ بالحيطة وتسلّح بالحذر رافعا شعار سلّم تسلم، فغادر قرطبة مبتعدا عن بؤرة التوتّر كأبي العلاء صاعد البغدادي، الذي خرج منها إلى صقلية فمات بها قريبا من سنة 410هـ/1019م.[6]

وأمّا القسم الثالث فقد وجد نفسه في صفّ أحد طرفي الفتنة، ظنّا منه أنّ مواجهة الفتنة ستقضي على أسبابها والمتسبّبين فيها، فكانت الخسارة جسيمة، ففي " وقعة قنتيش وحدها أصيب من المؤدّبين نيف على الستّين فتعطّل تلاميذهم مدّة

---

[1]- يخلف حاج عبد القادر، المرجع نفسه، صص22-37.
[2]- ابن حزم الأندلسي، الجمهرة، ص100.
[3]- القاضي عياض اليحصبي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تحقيق سعيد أحمد أعراب، مطبعة فضالة- المحمدية، المغرب، 1981-1983، ج7، ص211.
[4]- ابن بشكوال، المصدر السابق، ج1، ص213./ أنخيل جنثالث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، نقله عن الإسبانية حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة، 1955، ص270-271.
[5]- الحميدي، المصدر السابق، ص136-137.
[6]- الحميدي، المصدر نفسه، ص236./ ابن بشكوال، المصدر السابق، ج1، ص201.

طويلة بسبب فقدهم"[1]، ومن العلماء الذين فقدوا في هذه الوقعة الأديب أبو عثمان بن القزّاز البربري الملقّب بلحية الذبل، الذي لم يعثر عليه حيّا ولا ميّتا بعدها (السبت منتصف ربيع الأول سنة 400هـ/ 8 نوفمبر 1009م[2]. غير أنّه ينبغي التأكيد على أنّ هذه الفتنة صاحبتها بعض الآثار الإيجابية سنقف على ذكرها في حينها لاحقا.

ومن أهمّ مظاهر الحركة العلمية بالأندلس خلال عهد الحكم المستنصر بروز العديد من المؤلّفات على يد طبقة متميّزة من العلماء، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر : مؤلّفات أبي علي القالي البغدادي (ت356هـ /967م) ومنها على وجه الخصوص كتاب " الأمالي والنوادر "، في علم الأدب الذي جمع فيه الكثير من أقوال العرب وأمثالهم، وعالج فيه موضوع اللغة والشعر . وفي فنّ التاريخ ذاع صيت مؤلّفات آل الرّازي، وقد عاصر ثالثهم وهو عيسى بن أحمد بن محمّد بن موسى الرّازي زمن الحكم المستنصر وأد رك زمن المنصور بن أبي عامر (ت379هـ /989م)، وكانت هذه المؤلّفات من الأهمّية بمكان غير أنّ أصولها ضاعت، ومن حسن الطّالع أنّ ابن حيّان القرطبي الذي جاء بعدهم (377-469هـ /987-1076م) حفظ لنا الكثير من نصوص آل الرّازي التي اقتبسها عن الأصول، بكلّ أمانة علمية ضمن لكتابه " المقتبس "[3]، ومن ثمّ فهو صاحب فضل كبير في حفظ التاريخ الأندلسي من الضياع، وأنّ كلّ المؤرّخين الذين جاءوا بعده مدينون له بالعرفان.

وفي مجال الرياضيات جلس للإقراء أبو بكر بن أبي عيسى على زمن الحكم المستنصر، وكان للرّجل باع كبير في الهندسة والعدد والنجو م[4]. أمّا صنعة الطبّ فقد نبغ فيها عريب بن سعيد صاحب مؤلّف " خلق الجنين وتدبير الحبالى

---

[1]- ابن بسّام، المصدر السابق، ج1، ص44.

[2]- ابن بشكوال، المصدر السابق، ج1، ص182./ يخلف حاج عبد القادر، المرجع السابق، ص40.

[3]- أنخل جنثالث بالنثيا، المرجع السابق، صص 197-198./ بويكا.ك، المصادر التاريخية العربية في الأندلس، نقله إلى العربية نايف أبو كرم، منشورات دار علاء الدين- دمشق، ط1، 1999، صص62-64 وصص101-104 وصص136-138.

[4]- صاعد الأندلسي، المصدر السابق، ص89.

والمولود "[1]، إلى جانب أبي عبد الله محمد بن تمليخ التميمي القرطبي (ت361هـ/971م)، الذي كان له في الطبّ تأليف حسن الأشكال[2].

وإذا كان المذهب المالكي بصفته مذهبا رسميا عرف ان تشارا كبيرا في الأندلس، مع نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث، بعد تراجع المذهب الأوزاعي فإنّ هذا لم يمنع من وجود مذاهب أخرى كالمذهب الشافعي والمذهب الظاهري ومذهب الاعتزال، التي كان لها أتباع ينتحلونها، وهو ما يؤكّد مستوى النضج الذي بلغته الأندلس حينئذ ، إلاّ أنّ هذا الانفتاح ما كان ليسمح للحكم بالتساهل مع أتباع محمد عبد الله بن مسرّة القرطبي [3] (269-319هـ /883-931م)، ومنهم طريف الرّوطي وأبان بن عثمان[4]، ممّا يؤكّد تطور موقف السلطة الأموية ومعها الفقهاء المالكية من الحركة المسرّية من استنكار مبادئها وآرائها إلى إدانة أصحابها.[5]

ولم تختلف مظاهر الحركة الفكرية في عهد المنصور بن أبي عامر عن فترة الحكم المستنصر بشكل عام، باستثناء الموقف الحازم الذي اتخذه ممّن علم أنّ عنده شيئا من الفلسفة والجدل في الاعتقاد، والتكلم في قضايا النجوم وأدلتها، والاستخفاف ولو بشيء من أمور الشريعة، حيث أمر باستخراج سائر كتب الفلسفة والدّهريين من مكتبة الحكم المستنصر، لتحرق على مرأى كبار العلماء، ومنهم أبو محمد الأصيلي، وأبو بكر الزبيدي، وأبو العبّاس بن ذكوان، واستولى على حرق جميعها

---

[1]- بالنثيا، المرجع السابق، ص207./ طه عبد المقصود، المرجع السابق، ج2، ص910.

[2]- صاعد، المصدر السابق، ص102./ ابن أبي أصيبعة أ بو العبّاس، عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1419هـ/1998م، ص451./ يخلف حاج عبد القادر، المرجع السابق، ص15.

[3]- متصوّف متفلسف أندلسي من دعاة الإسماعلية. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج6، ص223./ ويذكر أيضا أنّه كان على طريقة في الزُّهد والعبادة سَبق فيها ، ... وكانت له إشارات غامضة، وعبارات عن منازل المُلحدين غير داحضة ووجدت له مقالات رديّة، واستنباطات مُردِية، نسب بها إليه رهق وظهر له فيها مَزحل عن الرُّشد ومَزهق، فُتتُبعت مصنّفاته بالحَرق واتّسع في استباحتها الخَرق، وغدت مهجورة، على التالين محجورة، وكان له تنميق في البلاغة وتدقيق لمَعانيها، وتزويق لأغراضها، وتشييد لمبانيها . ينظر: الفتح بن خاقان، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس ، تحقيق محمد علي شوابكة، دار عمار - مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1403هـ/1983م، ص286-287.

[4]- ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 28./ أحمد هيكل، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، دار المعارف- القاهرة، ط12، 1997، ص191.

[5]- فاطمة الزهراء جدّو، السلطة والمتصوّفة في الأندلس على عهد المرابطين والموحدين (479-635هـ/1086-1238م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، تخصّص تاريخ وحضارة بلاد الأندلس، جامعة منتوري- قسنطينة، 1428-1429هـ/2007-2008م، ص29-30.

بيده[1]، وليؤكّد تغيّره وتشدّده مع كلّ من اشتغل بهذه العلوم فقد أمر بقطع لسان محمد بن أبي جمعة وقتله وصلبه، بعد أن بلغه انّه يشتغل بالتنجيم، وأنّه يهجس في تنبّؤاته بانقراض دولته، وبقتله خرست ألسن المنجّمين جميعا.[2]

أمّا ما عدا ذلك فقد أثر عن المنصور بن أبي عامر أنّه فتح باب قصره أمام النّخبة من الشعراء والأدباء، بسبب تذوّقه للأدب والشعر وعنايته بهما، ومن أبرز من اختصّ بمجلسه من هؤلاء: الأديب الشاعر أبو العلاء صاعد بن الحسن الرّبعي البغدادي، الذي وفد عليه من المشرق سنة 380هـ/990م، فأدناه منه وأذن له بتدريس كتابه " الفصوص" في الأدب والأشعار والأخبار"، وأثابه عليه بخمسة آلاف دينار دراهم في دفعة[3]، كما ألّف له كتابين في الأسمار هما : كتاب " الجوّاس بن قعطل المدحجي مع ابنة عمّه عفراء "، وكتاب " الهجفجف بن غيدقان بن يثربي مع الخنوت بنت محرمة بن أنيف"[4]، كما كان قاضي الجماعة أبو بكر محمد بن يبقى بن زرب القرطبي (ت387هـ/997م)، - وهو أحفظ أهل زمانه لمذهب مالك وله فيه تصانيف – من خاصّة جلساء المنصور الذي كان يجلّه ويعظّمه [5]، وفي الطبّ صنّف أبو داود بن حسّان المعروف بابن جلجل كتاب " طبقات الأطبّاء والحكماء"، وكتاب " تفسير أسماء الأدوية المفردة " من كتاب ديسقوريدس، وكان تأليفهما في سنة 372هـ/982م بقرطبة على عهد المنصور، وفي التاريخ برز اسم أبي مروان حيّان بن خلف، الذي خلّد العهد العامري بكتاب أسماه " أخبار الدولة العامرية المنسوخة بالفتنة البربرية وما جرى فيها من الأحاديث الشنيعة".[6]

---

[1]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص292-293./ بالنثيا، المرجع السابق، ص65.

[2]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص293.

[3]- ابن بشكوال، المصدر السابق، ج1، ص201./ ابن خير الإشبيلي، المصدر السابق، ص293./ عبد اللطيف بن محمد رياض زادة، أسماء الكتب، تحقيق محمد التونجي، دار الفكر- دمشق، ط3، 1403هـ/1983م، ص225.

[4]- الحميدي، المصدر السابق، ص 232./ الضبّي، المصدر السابق، ص 278./ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج4، ص1441.

[5]- الحميدي، المصدر السابق، ص 104./ الضبّي، المصدر السابق، ص 127./ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب...، ج4، ص429./ الذهبي، العبر في خبر من عبر، ج2، ص160.

[6]- ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص98./ محمد المنوني وآخرون، التاريخ الأندلسي من خلال النصوص، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار لبيضاء، ط1، 1412هـ/1991م، ص80.

2 - إسهامات البربر العلمية بالأندلس وحظّ صنهاجـة منها خلال الفترة من (366 إلى 422هـ/976- 1031م):

بادئ ذي بدء يجب الاعتراف إنّه لمن الصعوبة بمكان أن يقوم المرء بجرد أعلام البربر الذين أسهموا في إثراء الحركة العلمية بالأندلس خلال المراحل والعهود التي مرّت بها، ذلك أنّ كتب التراجم لا تقدّم إلينا في كثير من الحالات انتماء من تترجم لهم، وهو ما يفرض على الباحث اللّجوء إلى كتب التاريخ والاستعانة بكتب الأنساب والجغرافية، لعلّه يجد الحلقة المفقودة فيما يبحث عنه كخطوة أولى في عمله، ومن ثمّ فإنّ اعتماد جدولة لهؤلاء الأعلام قد تحلّ المشكلة من الناحية العلمية، بحيث تساعدنا على دراسة هؤلاء في الإطار العام لانتمائهم في البربر، وتفتح لنا الباب لمناقشة إسهام صنهاجة بالمقارنة مع غيرها من قبائل البربر، من أجل الوقوف على حجم المشاركة والملاحظات التي يمكن الخروج بها في مثل هكذا عمل.

وحتّى تكون هذه الدراسة أكثر واقعية، فإنّني حاولت أن أرصد فيها أعلام البربر بشكل عام وصنهاجة بشكل خاص، كلّ في إطار تخصّصه العلمي في مدّة نصف قرن، مبتدئا بذكر من وافاهم الأجل سنة 371هـ/981م، التي تعتبر البداية الحقيقية لاستبداد الأسرة العامرية بحكم الأندلس، كما أنّ من مات فيها يكون قد أدرك هذا العهد الجديد الذي عرفته الأندلس حينئذ، وواصلت الجرد بشكل تصاعدي إلى تاريخ زوال الخلافة الأموية بالأندلس سنة 422هـ/1031م، الذي يعتبر بداية عهد جديد لأندلس ما بعد الخلافة.

ولفهم ما سأعرضه في الجداول الموالية وجب توضيح الاختصارات المتعلّقة بالعلوم وما يندرج تحت كلّ علم منها فيما يلي:

* العلوم النقلية:

- فق: وهو اختصار كلمة فقه ويضمّ إلى جانب الفقهاء القضاة ومن ولي خطّة الصلاة.

- ع.ح: اختصار علوم الحديث، ويدخل فيه كلّ من كانت له رواية.

- ع.ق: اختصار علوم القرآن ويشمل علم القراءات ومن له دراية بعلوم القرآن (التفسير- الإعراب، الناسخ والمنسوخ...)

* الآداب و علوم اللغة:

- نث: والمقصود بها النثر، ويشمل كلّ من كان من أهل الكتابة والخطّ.

- شع: أي الشّعر، ويضمّ كلّ من عرف بنظمه، أو له شيء من ذلك.

- ع.ل: اختصار علوم اللغة ويندرج فيها أهل النحو والبلاغة.

* العلوم العقلية وعلوم أخرى:

- ع.ك: بمعنى علم الكلام، ويدخل فيه المتكلّمون وأهل النظر(مذهب الاعتزال)

- ريا: وهي اختصار كلمة رياضيات ويدخل ضمنها علم الحساب وعلم الفلك.

- تا/ج: وهي اختصار تاريخ وجغرافيا ويدخل ضمنهما الإخباريون والجغرافيون.

- فل: اختصار كلمة فلسفة ويدخل فيها من اشتغل بالفلسفة والمنطق.

- تص: اختصار كلمة تصوف ويشمل التصوّف بنوعيه : التصوّف السنّي المعتدل والتصوّف الفلسفي.

- الطب: ويضمّ من اشتغل بالتطبيب ممّن لهم معرفة بتحضير الأدوية.

- إشارة = وهي مرادفة لكلمة "المعروف".

ملاحظة: تنطبق هذه الاختصارات على الجداول في ه ذا العصر والعصور الموالية المعنية بالدّراسة لاحقا.

رقم	اسم العلم وتاريخ وفاته	الانتماء القبلي	مجال التخصّص(ع.نقلية- ع.عقلية- ع.أخرى)											
			فق	ع.ح	ع.ق	نث	شع	ع.ل	ع.ك	ريا	تا/ج	فل	تص	طب
01	أبو ع.الرحمن يصلتن بن داود الأغماتي[1] (ت371 أو 372هـ)	أغمات (مصمودة)	X											
02	جعفر بن عثمان المصحفي[2] (ت372هـ)	من البربر				X	X	X						
03	محمد بن محمد بن عبد الله بن أبي دليم	وزداجة	X	X	X									

[1]- الأغماتي: نسبة إلى أغمات وهي مدينتان إحداهما أغمات إيلان والأخرى أغمات وريكة ... وهو بلد واسع يسكنه قبائل مصمودة في قصور وديار . البكري، المسالك والمم الك، ج2، ص843. مع الملاحظة أنّ قبائل (الزناكة) قبائل صنهاجة الجنوبية تعود إلى الظهور في جبل درَن وفي إقليم سوس وما يجاوره شرقا من إقليم درعة وسجلماسة. عبد الوهاب بن منصور، قبائل المغرب، ج1، ص341.

[2]- جعفر بن عثمان بن نصر بن قوي بن عبد الله بن كسيلة من برابر بلنسية وكان قيسيا بال ولاء. ابن الأبّار، الحلّة، ج1، ص257./ ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص254.

	(ت372هـ)													
04	أبو بكر عبد الله بن عبد الله الزجّالي (ت375هـ)	مديونة	X					X						
05	أبو عمر أحمد بن خلف بن محمد بن فرتون (ت377هـ)	مديونة		X										
06	أبو ع.الله محمد بن أبي سليمان بن حارث المغيلي القسّام(ت377هـ)	مغيلة				X								
07	عبد الملك بن منذر بن سعيد(أعدمه المنصور عامر)	كزنة (نفزة)							X					
08	خلف بن سليمان بن عمرون البزّاز (ت378هـ)	صنهاجة	X			X		X						
09	أبو القاسم سهل بن إبراهيم بن سهل بن نوح = بابن عطّار(ت387هـ)	بربر موالين	X	X	X			X		X				
10	أبو سليمان عبد السلام بن السمح بن نابل الهواري(ت387هـ)	هوارة	X		X	X		X						
11	موسى بن يحي الصديني الفاسي(ت388هـ)	صدينة	X											
12	أبو محمد عبد الله بن شعيب بن أبي شعيب(ت389هـ)	أوربة				X		X						
13	أبو ثابت فرج بن عيشون بن إسحاق بن عيشون السطّي(ت389هـ)	سطة (صنهاجة)		X	X									
14	عبد الرحمن بن إسماعيل بن زيد الملقّب بالإقليدسي من بني ذكوان (توفي زمن المنصور)	بربر فحص البلوط											X	
15	أبو محمد سرواس بن حمّود الصنهاجي القرطبي(ت391هـ)	صنهاجة		X	X									
16	أبو محمد عبد الله بن إبراهيم بن محمد الأصيلي(ت392هـ)	أصيلا ؟	X	X					X					
17	أبو العبّاس الوليد بن بكر بن مخلد بن أبي زياد الغمري السرقسطي(ت392هـ بدينور)	غمرة[1] (زناتة)		X		X								
18	أبو جعفر أحمد بن خلوف المسيلي =	مسيلة[2] (صنهاجة)	X											

---

[1]- غمرة من شعوب زناتة. ابن خلدون، العبر، ج6، ص138.

[2]- الطبقة الأولى من صنهاجة كان أهلها بنو ملكان بن كرت وكانت مواطنهم بالمسيلة إلى حمزة إلى الجزائر ولمدية ومليانة وكانت أكبر حواضره م جزائر بني مزغنّة . ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص202./ عبد الوهاب بن منصور، قبائل المغرب، ج 1، ص341. مع الملاحظة أنّ مواطن بني برزال إحدى بطون دمّر التابعة لزناتة كانت بالجبال قبلة المسيلة ممّا يعني أنّها كانت قريبة من المسيلة . ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص19. وفي موضع آخر قال : إنّهم كانوا قبلة المسيلة بسالات . ابن خلدون، ج 7، ص69. وقال أيضا : كانت مواطنهم منها جبل سالات وما إليها من أعمال المسيلة . ابن خلدون، ج7، ص72. وذكر ابن عذاري أنّهم كانوا قاطنين بأرض المسيلة والزاب الأسفل مدينة سطيف وطبنة وميلة، ثمّ ت حدّث عن بناء المسيلة ومن تولّى قيادتها إلى أن قال :" وكان بنو برزال ساكنين حول هذا البلد يخدمون علي بن حمدون إلى أن مات ". ينظر: البيان المغرب، ج3، ص267.

	بالخيّاط(ت393هـ)													
19	أبو بكر خلف بن يوسف بن نصر المغيلي(ت396هـ)	مغيلة	X											
20	أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن أبي زمنين المري(ت399هـ)	نفزة	X	X	X	X		X			X			
21	أبو الحسين علي بن سعيد بن أحمدالهواري الفاسي(ت399هـ)	هوارة	X	X										
22	حكم بن منذر بن سعيد(من أعلام ½ الثاني من ق 4هـ)	كزنة (نفزة)	X						X					
23	فضل الله صهر منذر بن سعيد وابن عمّه(من أعلام ½ الثاني من ق 4هـ)	كزنة (نفزة)						X						
24	أبو سليمان يعيش بن زغلل بن سعيد بن ع.الله الكزني البلوطي القرطبي (من أعلام ½ الثاني من ق 4هـ)	كزنة (نفزة)		X										
25	أبو عمر أحمد بن ع. العزيز بن فرج بن أبي الحباب (ت400هـ)	مصمودة						X						
26	أبو عثمان سعيد بن عثمان بن أبي سعيد بن محمد بن سعيد بن ع الله بن يوسف البربري(ت400هـ)	من بربر قرطبة		X		X		X						
27	أبو الأصبغ عيسى بن محمد بن ع.الله بن أبي زمنين المري(ت بعد 400هـ)	نفزة	X											
28	أبو ع.الله محمد بن عيسى المريني(ت400هـ)	بنو مرين (زناتة)	X	X										
29	أبو سعيد خلف بن مسعود الجراوي المالقي = بابن أمينة(ت400هـ)	جراوة (زناتة)	X											
30	محمد بن ع.الله بن إبراهيم بن محمد بن ع.الله القرطبي الأصيلي(ت400هـ)	بربر أصيلا	X											
31	أبو العبّاس أحمد بن علي بن أحمد بن محمد بن ع.الله الرّبعي الباغاني(ت401هـ)	باغة (كتامة)	X		X									
32	أبو عبد الله مروان بن أحمد بن ع. العزيز بن أبي الحباب القرطبي(ت401هـ)	مصمودة						X						
33	أبو محمد ع.الله بن سلام الصنهاجي القرطبي(ت 402هـ)	صنهاجة		X										
34	أبو عثمان سعيد بن منذر بن سعيد(ت403هـ)	كزنة (نفزة)						X						
35	أبو حفص عمر بن ع.الله بن ذكوان القرطبي (ت403هـ)	من البربر	X											
36	أبو عمر أحمد بن محمد	جراوة			X									

	القيسي الجراوي(ت407هـ)	(زناتة)												
37	أبو الأصبغ ع.العزيز بن أحمد بن أبي الحباب(ت411هـ)	مصمودة						X						
38	أبو العبّاس أحمد بن ع.الله بن هرثمة بن ذكوان بن عبدوس بن ذكوان (ت396هـ)	من البربر	X											
39	أبو الوليد رفاعة بن الفرج بن أحمد القرشي المعروف بابن الصدّيني(ت413هـ)	صدينة		X										
40	أبو حاتم محمد بن ع.الله بن هرثمة بن ذكوان القرطبي (ت414هـ)	من البربر	X	X				X			X			
41	أبو العاصي حكم بن منذر بن سعيد البلوطي(ت420هـ)	كزنة (نفزة)					X	X	X					
42	أبو عمر أحمد بن درّاج القسطلي(ت421هـ)	صنهاجة				X	X							
43	أبو ع.الرحمن ع.الرحيم بن أحمد الكتامي= ابن العجوز(ت421هـ)	كتامة	X											
44	غالب بن محمد بن ع.الرحمن بن نهيك الهواري الأشوني(ت422هـ)	هوارة								X				
45	أبو بكر محمد بن هشام بن محمد بن عثمان المصحفي(من أعلام مطلع ق5هـ)	من البربر					X							
46	أبو عبد الله محمد بن فضل الله بن منذر سعيد = ابن أخيه(من أعلام ½ 1 من ق5هـ)	كزنة (نفزة)						X						
47	أبو عمر أحمد بن الليث الأنسري القرطبي(من أعلام ½ 1 من ق5هـ)	من البربر	X											
48	أبو الحكم هشام بن جعفر بن عثمان المصحفي القرطبيس(من أعلام ½ 1 من ق5هـ)	من البربر		X										

ولتبسيط فهم الجداول التي اعتمدتها في عملي ارتأيت الاستعانة بجدول آخر يسمح لي وللقارئ بالوقوف على أهمّ الملاحظات التي يمكن استخراجها من استنطاق الأرقام بعد التمعّن.

قبائل البربرالواردة في هذه الفترة	الأعلام المنتمون إليها (علامة **X**)	العدد	النسبة **%**
أوربة	**X**	**01**	**02,08**
وزداجة	**X**	**01**	**02,08**

كتامة	X X	02	04,16
مديونة	X X	02	04,16
مغيلة	X X	02	04,16
صدينة (ضريسة)	X X	02	04,16
هوارة	X X X	03	06,25
زناتة	X X X X	04	08,33
مصمودة	X X X X	04	08,33
صنهاجة	X X X X X X	06	12,5
نفزة	X X X X X X X X X	09	18,75
بربر يجهل انتماؤهم	X X X X X X X X X X X X	12	25
مـجمــوع عـــــدد الأعـــــلام		48	100

ومن خلال الرّؤ ية المتفحّصة والمقارنة الدقيقة بين مختلف القبائل، وما أسهمت به صنهاجة باعتبارها أساس هذه الدراسة، فقد توصّلت إلى الملاحظات التالية:

- شارك 48 علما من أعلام البربر في الحركة العلمية بالأندلس خلال الفترة الممتدّة من 371هـ/981م إلى 422هـ/1031م (51 سنة)، وإذا أردنا أن نفهم ماذا يمثّل هذا الرّقم من العدد الإجمالي للمترجم لهم في الأندلس خلال نفس الفترة، وجب علينا العودة لصلة ابن بشكوال – وهي خير ما ينطبق على هذا المثال- حيث ترجم فيها لـ1541 علما، وابتدأها حيث انتهى ابن الفرضي، فكانت وفاة أول من ترجم له بعد 350هـ[1]/961م، وانتهى وأتمّ كتابه في سنة 550هـ[2]/1155م، ومعنى ذلك أنّه جمع فيه أعلام الأندلس ومن دخل إليها في مدّة قرنين من الزّمن (من 350هـ إلى 550هـ)، وهو ما يمثّل 385 علما لكلّ 50 سنة أي ¼ من 200 سنة. وإذا اتّخذنا الرّقم المذكور الذي يقابل نصف قرن وحسبنا النّسبة المئوية خلال نفس الفترة من العدد 48، فإنّ هذا العدد يمثّل ما نسبته 12,46٪ من العدد الإجمالي المفترض (385)، أمّا نسبة صنهاجة

[1]- ابن بشكوال، ج1، ص21.
[2] - المصدر نفسه، ج2، ص535.

من ذلك فلا تمثّل سوى 1,55٪، وهو رقم متواضع إذا ما قورن بالمشاركة العربية، ويكفي المرء أن يتصفّح كتب التراجم ليتأكّد من صحّة ذلك، إلاّ أنّ هذه المشاركة إذا ما قورنت مع مختلف عناصر مجتمع الأندلس من الأجناس الأخرى (فرس- صقالبة - يهود- مستعربين)، يتبيّن أنّ حجم المشاركة البربرية جدّ محترمة بالقياس إلى هؤلاء.

- إنّ أكبر عدد من أعلام البربر يجهل انتماؤهم القبلي، حتّى هذه الفترة المتقدّمة من تاريخ الأندلس، في حين احتلّت قبيلة نفزة قمّة المشاركة البربرية متبوعة بصنهاجة، بينما كانت مشاركة باقي القبائل جدّ ضئيلة.

- جلّ انشغالات المهتمّين بالعلم من النّاس عامّة والبربر بخاصّة انصبّت حول التفقّه في الدين، ويمكن ملاحظة ذلك بوضوح من خلال عدد أعلام ا لبربر في الفقه ، الذي يحتلّ الصدارة بالنّسبة للعلوم الشرعية، كما يسجّل الإقبال على تعلّم علوم اللغة بالنسبة للبربر المرتبة الثانية، ذلك أنّها كانت تعتبر لغة القرآن قبل كلّ شيء ثمّ لغة الخطابة والكتابة التي كانت تسيّر بها الإدارة في بلاطات الأمراء والوزر اء والقضاة.

- وعلى النقيض من العلوم الشرعية واللغة وآدابها فقد كانت إسهامات البربر متواضعة للغاية في العلوم العقلية كالرياضيات والطبّ الذي لم يسجّل فيه أيّ حضور للبربر خلال هذه الفترة التي نحن بصدد الحديث عنها، أمّا علم الكلام والدراسات الفلسفية فمن الطبيعي جدّا أن تكون فيهما المشاركة شبه منعدمة نظرا لموقف الفقهاء والأمراء منهما.

ومن أهمّ أعلام صنهاجة الذين تمكّنت من ثبتهم خلال هذه الفترة، كلّ بحسب تخصّصه العلمي الشخصيات التالية:

العلوم الشرعية:

* إنّ أوّل من ذكرته كتب التراجم في هذا المجال هو أبو القاس م خلف بن سليمان بن عمرون البزّار ويقال له بُقَيْل (ت378هـ/988م)، الذي كان مولى إنعام لبني أميّة، وأصله صنهاجي من أهل إستجة وسكن قرطبة، وولّي قضاء شذّونة

والجزيرة[1] ، ممّا يعطي صورة واضحة بأنّه كان من الفقهاء الذين لهم علم بالأحكام، ولا يمكن لمن يجهل الأحكام أن يولّى أمور الناس، وإلاّ فكيف يصنع في فضّ الخلافات وردّ الأمور إلى أصحابها بالعدل والقسطاس المستقيم.

* أبو ثابت فرج بن عيشون بن إسحاق بن عيشون السطّي[2] (ت389هـ/999م) ، سكن بمدينة إستجة وتولّى الإمامة بها لعلمه وصلاحه، وكان لابن الفرضي سماع كثير لما حدّث به من سنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولم يزل بخطّة الصّلاة على إستجة إلى أن وافته منيّته[3].

* كما كان أبو محمد سِرْواس بن حمّود الصنهاجي (ت391هـ/1001م)، الذي سكن طليطلة معلّما للقرآن، وحدّث بها عن أبي ميمونة درّاس بن إسماعيل، وحدّث عنه الصاحبان[4].

* وإلى هؤلاء يضاف أبو محمد عبد الله بن سلاّم الصنهاجي القرطبي(ت402هـ/1012م)، الذي كان من الرّواة، فقد روى عن أبي إبراهيم إسحاق بن إبراهيم وغيره، وسمع منه وحدّث عنه قاسم بن إبراهيم الخزرجي، وكان إلى جانب ذلك رجلا صالحا زاهدا.[5]

الآداب وعلوم اللغة:

اهتمّ البربر بالآداب العربية وعلوم اللغة، التي فرضها عليهم ظرف التعايش داخل نسيج المجتمع الأندلسي المتعدّد الأعراق كضرورة من الضرورات، ذلك أنّ اللغة العربية أصبحت لغة جميع هذه الأعراق، ومن ثمّ حرص البربر على تعلّمها وإتقانها لسببين: أوّلهما لكون تعلّمها ضرورة شرعيّة، فلا يمكن فهم الدّين الإسلامي الذي اعتنقوه وأحبّوه إلاّ من خلالها وبإتقانها يحصل لهم هذا الطلب، وثانيهما أنّ اللغة العربية صارت لغة الإدارة وكلّ الوظائف السّامية تعتمد على من يتحكّم في

[1]- ابن الفرضي، المصدر السابق، ص118.
[2]- سطة: قبيلة شهيرة بشمال إقليم فاس، وهي من شعب صنهاجة. عبد الوهاب بن منصور، المرجع السابق، ج1، ص316و334.
[3]- ابن الفرضي، المصدر السابق، ص276./ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج27، ص187.
[4]- ابن بشكوال، المصدر السابق، ج1، ص196. والصّاحبان هما: أبو جعفر بن ميمون وأبو إسحاق بن شنظير، وكانا معا كفرسي رهان في العناية الكاملة بالعلم والبحث على الرواية والتقييد لها، والضبط لمشكلها . المصدر نفسه، ج1، ص33-35 وج1، ص88-89.
[5]- نفسه، ج1، ص212.

ناصية العربية، ويمتلك خطّا يمنحه حظا يقرّبه من إحدى الوظائف السامية بالدّولة، كخطّة الكتابة في بلاط الخلافة أو الكتابة لدى الوزراء والقضاة والعلماء، وبطبيعة الحال كان الرّاتب الذي يحصل عليه الكاتب مغريا، وأكثر من ذلك القيمة المعنوية التي أصبح ينعم بها في نظر العامّة والخاصّة من النّاس، وما زال البربر يتعلّمون حتى كان من بين بعض البربر البلديين من أبدعوا في فنّ اللغة وصنعة الأدب، فأضحوا يزاحمون العرب في مجال تخصّصهم، وظهرت بوادر هذه المنافسة عند الذين استقام لسانهم حتى أصبح لسانا عربيا لا عوج فيه، منذ بداية إسهامهم في الحركة العلمية التي كانت تعيشها الأندلس في منتصف القرن 2هـ/8م.

وإذا كان مذهب أهل الأندلس في التعليم أنّهم يقدّمون تعليم العربية والشعر على سائر العلوم، وهذا ما أكّده القاضي أبو بكر بن العربي في كتاب رحلته، معلّلا ومبرّرا هذه الرؤية ومحاولا إقناع غير الأندلسيين، بأنّ أهل بلده جروا على ذلك لأنّ الشعر ديوان العرب [1]، وكثيرا ما كان الاستشهاد به في التفسير وفهم معاني السنّة، أي أنّ الشعر كان ممّا يستعان به على فهم العلوم الشرعية، ويذكر في هذا الباب أنّ السّلف ورغم أنّ القرآن نزل بلغتهم كانوا إذا أشكل عليهم لفظ من ألفاظ القرآن، " رجعوا إلى ديوانهم فالتمسوا معرفة ذلك ، ثمّ إن كان ما تضمّنه ألفاظها يوجب العملَ دون العلم ، كفى فيه الاستشهاد بالبيت والبيتين ، وإن كان ما يوجب العلم لم يكف ذلك ، بل لا بدّ من أن يستفيض ذلك اللفظ وتكثر شواهده من الشّعر ، وينبغي العناية بتدبّرِ ا لألفاظ كي لا يقع الخطأ "[2]. كما تمّ الاستدلال بالشعر على النّسب والتّاريخ وأيّام العرب.[3]

ومن بين الصنهاجيين الذين حُفظت أسماؤهم في اللغة والأدب والشعر ضمن ثنايا كتب التراجم والطبقات في الفترة ما بين 371هـ و422هـ الأسماء التالية:

---

[1]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص742./ وقال ابن عبّاس في ذلك : " الشعر ديوان العرب، هو أول علم العرب، فعليكم بشعر أهل الحجاز ". ينظر: الهندي علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين، كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق محمود عمر الدمياطي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1419هـ/1998م، ج3، ص347.

[2]- الزركشي أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة- بيروت، 1391هـ، ص294.

[3]- المقدسي ابن قدامة عبد الله بن أحمد، المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، دار الفكر- بيروت، ط1، 1405هـ/1985م، ج10، ص176.

* خلف بن سليمان بن عمرون البزار الصنهاجي الاستجي، الذي قال عنه ابن الفرضي إنّه كان نحويا لغويا شاعرا، وإلى جانب ذلك كان حسن الخطّ[1].

* أمّا الشخصية الثانية فهي جديرة بالتوقّف عندها في دراسة تأمّلية خاصّة، نظرا لشهرتها في مجال الأدب والشعر، ألا وهي شخصية الأديب الشاعر أبو عمر أحمد بن محمد بن العاصي بن أحمد بن سليمان بن عيسى بن درّاج القسطلي الصنهاجي البربري[2]، الذي تربّى ونشأ في قسطلة درّاج بين أحضان أسرة تداولت الرّياسة عليها من لدن جدّه الأعلى درّاج إلى بنيه من بعده [3]. ومن حسن الحظّ أنّ ابن حزم احتفظ لنا بانتماء بني درّاج فعلمنا أنّهم من صنهاجة، ولو لم يشر إلى ذلك لعدّ ابن درّاج عربيّا قحّا لا جدال في ذلك بين العام والخاص. وربّما رجع السبب في عدم ردّه – من قبل جلّ الذين ترجموا له إذا ما استثنينا ابن حزم- لقبيلته وانتمائه في البربر، إلى كون رهطه من الداخلين الأوائل مع طارق بن زياد زمن الفتح سنة 92هـ/711م، وأنّ هؤلاء ذابوا واندمجوا في المجتمع الأندلسي وصاروا من البلديين، الذين ينعتون بأندلسيتهم قبل كلّ شيء.

والغريب في الأمر أنّه هو نفسه اقتنع بأندلسيته – رغم كونه بربريا خالصا- فلا نجده يتحدّث عن بربريته في نثره ولا في شعره، بل إنّه لا يتحدّث عن نسبه إطلاقا[4]، ويوحي لنا هذا بأنّ ابن درّاج ولد ونشأ وتأثّر بمحيطه فصار أندلسيا خالصا، لذلك لم يقحم نفسه في الفتنة التي ضربت الأندلس في صميمها في نهاية القرن 4هـ وبداية القرن 5هـ/10-11م، ولو شاء يومئذ لمال إلى عصبيته، بل إنّ من المثير للدّهشة أنّه لم يقصد أيّا من أمراء الطوائف البربر، ولا حتّى أكبر مملكة

---

[1]- ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 118./ السيوطي جلال الدين، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر- بيروت، ط2، 1399هـ/1979م، ج1، ص554.

[2]- ابن حزم الأندلسي، الجمهرة، ص 501-502./ ابن بشكوال، المصدر السابق، ج1، ص48-49./ ابن خلّكان، المصدر السابق، ج 1، ص135./ ابن تغري برد ي الأتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تقديم وتعليق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1413هـ/1992م، ج4، ص274.

[3]- ابن سعيد المغربي، المغرب، ج2، ص60.

[4]- محمود علي مكّي، ديوان ابن درّاج القسطلي، ص24.

بربرية في عصره، ألا وهي مملكة بني زيري الصنهاجية في غرناطة، رغم القرابة المباشرة التي كانت تربطه بهم.[1]

واختلف في تحديد قسطلة درّاج التي ولد بها شاعرنا، فقال ابن سعيد : " مدينة من أعمال جيان "[2]، بينما قال الحميري : " قرية في غرب الأندلس "[3]، هي اليوم في حدود البرتغال، واسمها Cacella من أعمال منطقة Algarve المأخوذة من كلمة الغرب العربية، وهي تقع على ساحل المحيط الأطلسي، بين الحدود الأسبانية ومدينة طبيرة Tavira، وانساق وراء هذا الرّأي عدد من الباحثين المحدثين منهم ليفي بروفنسال، والأستاذ بلاشير في بحثه عن ابن درّاج، والمستشرق نيكل في كتابه " الشعر الأندلسي " والأستاذ غرسية غومز وبالنثيا في كتابه "تاريخ الفكر الأندلسي".[4]

ويرى الأستاذ محمود علي مكّي أنّ كلّ الذين نقلوا عن الحميري أخطأوا، لأنّ ابن سعيد فرّق بين ثلاثة مواضع تحمل اسم "قسطلة" في جغرافية الأندلس، أولها قسطلة الواقعة في غرب الأندلس، وثانيها قسطلة التّابعة لجيان وثالتها قسطلة من قرى "الجزيرة الخضراء " في أقصى جنوب الأندلس على مضيق جبل طارق، ويرجّح محمود علي مكّي أنّ "قسطلة درّاج" موضع الشاعر ابن دراج هي التي من عمل جيّان، وحجّته في ذلك أنّ ابن سعيد كان يعرف هذه المواضع الثلاثة، ويفرّق بينها بوضوح تامّ، بينما لم يكن الحميري يعرف من هذه المواضع إلاّ "قسطلة الغرب" التي ذكرها، ويضيف مكّي إلى ذلك أنّ ابن سعيد كان عارفا بجغرافية الأندلس وأنّه أسبق من الحميري، وعين المنطق أنّه لا يمكن أن يجهل بلد ه وموطن أسرته قلعة يحصب أو قلعة بني سعيد، التي تقع بين جيّان وغرناطة، ومن ثمّ فإنّه أعرف النّاس بجغرافية إقليم جيّان، من غيره من الجغرافيين والمؤرّخين.[5]

---

[1]- نفسه، ص28.
[2]- ابن سعيد المغربي، المغرب، ج2، ص60./ ابن سعيد، رايات المبرّزين وغايات المميّزين، تحقيق وتعليق محمد رضوان الدّاية، طلاس للدراسات والترجمة والنشر- دمشق، ط1، 1987، ص186.
[3]- الروض المعطار، ص479.
[4]- آنخل جنثالث بالنثيا، المرجع السابق، ص65./ محمود علي مكّي، ديوان ابن درّاج، ص30.
[5]- نفسه، ص30-32.

أمّا ولادة ابن درّاج فكانت في شهر محرّم من سنة 347هـ[1]/ أبريل 958م، ولا يعلم شيء عن حياته قبل اتّصاله بالمنصور بن أبي عامر، الذي كان سنة 382هـ/992م، وقد بدأت هذه الصّلة بقصيدة شكّك حسّاده ومنافسوه أن تكون من نظمه، فاستدعاه المنصور إليه عشي يوم الخميس 3 شوال سنة 382هـ/1 ديسمبر 992م، واختبره بموضوع قصيدة طلب منه أن ينشدها في حضرته ارتجالا، فبرّز وسبق وزالت التهمة عنه، فوصله بمائة دينار وأجرى عليه الرّزق وأثبته في ديوان الندماء[2]، وأصبح بذلك شاعرا رسميا له ترتيبه في زمام شعراء البلاط.

وبعد أن دفع ابن درّاج التهمة التي رمي بها عن نفسه، أتبعها بقصيدة بائية طويلة عدد أبياتها 64 بيتا وهي [من البسيط] مطلعها:

حَسْبِي رِضَاكَ مِنَ الدَّهْرِ الذِّي عَتَبَا	وَجُودُ كَفَّيكَ للحَظَ الذِي اِنْقَلَبَا

ثمّ كرّر السّبب الذي من أجله استحضر، وكذّب الدعوى التي قذف بها، وأشار إلى الامتحان الذي عقد له، مفتخرا بظفره فيه على حسّاده، بقوله:

ودَسَّسُوا لي في مثنى حبائِلِهِمْ	شنعاءَ بِتَّ بها حرَّانَّ مُكتئِبَا
حتّى هُزِزْتُ فلاَ زَنْدُ القريضِ كبَا	فيما لديَّ ولا سيفُ البديهِ نبَا

إلى أن يقول:

ولسْتُ أوّلَ من أعْيَتْ بَدَائِعُـهُ	فَاسْتَدْعَتِ القَوْلَ مِمّنْ ظَنَّ أوْ حَسِبَا
إنّ "امْرَأ القيسِ" في بعضٍ لَمُتَّهَمٌ	وفي يديْهِ لِواءُ الشِّعرِ "إنْ رَكِبَا"
والشّعرُ قدْ أسَرَ "الأعْشَى" وقَيّدَهُ	خُبْرًا وقَد قيلَ "والأعشى إذا شَرِبَا"
وكيفَ أظْمَا- وبحري زاخِرٌ فَطِنًا-	إلى خيالٍ منَ الضَّحْضَاحِ[3] قدْ نَضَبَ

---

[1] - ابن بشكوال، المصدر السابق، ج1، ص49.

[2] - الحميدي، المصدر السابق، ص113-114./ الضبّي، المصدر السابق، ص136.

[3] - الضحضاح: هو الماء اليسير . قيل: هو ما لا غرق فيه ولا له غمر . ابن سيّدة المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، د ار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1421هـ/2000م، ج2، ص490./ ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، دار صادر- بيروت، ط3، 1414هـ/1994م، ج2، ص525.

ثمّ يعرض للمنصور قدرته في مجالات الأدب المختلفة من نثر وكتابة وخطابة قدرته على الشّعر في قوله:

إنْ شئتَ أمْلَى بَدِيعَ الشّعرِ أو كَتَبَا	أو شئتَ خاطبَ بالمَنثورِ أو خَطبَا[1]

فلمّا أدرك المنصور حقيقة مقاله وصدق إنشاده وغزارة أدبه، اتّخذه من كتّاب الرسائل في ديوان إنشائه، فصارت له من يومها مكانة في بلاط المنصور. على أنّ شهرته طارت مشرقا ومغربا بقصيدته الرّائية التي أمره المنصور أن يعارض بها قصيدة أبي نواس في مدح الخصيب بن عبد الحميد صاحب ديوان خراج مصر[2]، وهي قصيدة رائية عدد أبياتها 40 بيتا أوّلها:

أجَارَةَ بَيْتَيْنَا أبوكِ غَيورُ	ومَيسورُ ما يُرْجَى لديكِ عَسيرُ[3]

فلمّا أحرج المنصور صاعدا بأمر معارضتها وأصرّ عليه أن يفعل، جاءه من الغد فأنشده قصيدته:

خَدالُ البرَى أني بكنّ بصيرُ	طَوتكُنّ عنّي خِلسةً وقتيرُ

وعلّق ابن بسّام على قصيدته هذه بقوله : " وصاعد على تتايعه في الكذب، ولجاجته بين الامتهان وسوء الأدب، قد أخذ بطرف من الترفيق، وخلا بجانب من لقم الطريق، ألا تراه كيف صرّح باليأس، عن شقّ غبار أبي نواس ولكنّ ابن أبي عامر حمله على الغرر، وعرّضه لسوء الخبر"[4].

وطلب المنصور من ابن درّاج مثل ما فعل مع صاعد، فنظم له قصيدته الرّائية المكوّنة من 65 بيتا [من الطويل]، التي مطلعها:

---

[1]- ديوان ابن درّاج القسطلي، صص363-366.
[2]- ابن خلّكان، المصدر السابق، ج1، ص61 وج1، ص187.
[3]- أبو نواس الحسن بن هانئ، ديوان أبي نواس، تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي- بيروت، ط1، 1900، صص480-483.
[4]- الذخيرة، ج7، ص23.

دَعي عَزَمـاتِ المُستضامِ تَسيرُ	فَتُنْجِدُ في عُرْضِ الفَلا وتَغُورُ
لعلّ بما أَشْجَاكِ من لوْعَةِ النّوى	يُعَـزّ ذَليلٌ أو يُفَكّ أسيـرُ
ألمْ تعلَمي أنّ الثّواءَ هو التّوى	وأنّ بيوتَ العاجزينَ قبورُ

ثمّ يواصل قصيدته مادحا المنصور بن أبي عامر:

تخوّفني طولَ السِّفارِ وإنّهُ	لِتقبيلِ كفِّ العامريِّ سَفِيرُ
دعيني أرِدُ ماءَ المَفاوِزِ آجناً	إلى حيثُ ماءَ المَكرُماتِ نَميرُ[1]

وترسّخت بهذه القصيدة – التي لا تكاد تخلو كتب المنتخبات الأدبية من بعض أبياتها[2]- قدم ابن درّاج في ديوان العطاء، وعلا نجمه وتوطّدت مكانته في دولة المنصور. وقد قضّى ابن درّاج نحوا من ستة عشر عاما في كنف الدولة العامرية (382-399هـ/992-1008م)، واحتفظ لنا ديوانه باثنتين وثلاثين ما بين قطعة وقصيدة، سجّل فيها كثيرا ممّا مرّ على الدولة من أحداث، واختصّ في أكثرها بمدح المنصور من منطلق إعجابه بشخصيته، التي كانت محلّ إعجاب سائر الشعب الأندلسي المسلم، حتّى أضحى يمثّل رمزا لمجد الإسلام في تلك البلاد، وقد اكتسب هذا المجد بجهاده المتواصل على مرّ عشرين سنة لم تهزم له فيها راية.[3]

وكان من نتائج ذلك أن أذعن له ثالث ملوك ا لبشكونس (إمارة نبارة) شانجه الثاني بن غرسية بن شانجه الأول (Sancho Garcés II)- وهو الذي ينبز في المراجع المسيحية بلقب Abarca- بعد أن أظفره الله عليه في مناسبات عدّة، فاعترف له بالغلبة وأهداه ابنة له، أعتقها المنصور وتزوّجها فأنجبت له ابنه عبد

---

[1]- ديوان ابن درّاج، صص297-304./

[2]- الثعالبي عبد الملك ذكر 38 بيتا. يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق مفيد محمد قمحية، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1403هـ/1983م، ج2، صص129-131./ ابن بسّام، ذكر منه 29 بيتا. الذخيرة، ج1، صص82-84./ وذكر ابن خلّكان 25 بيتا، وفيات الأعيان، ج 1، صص135-137./ ابن العماد الحنبلي (25 بيتا)، شذرات الذهب، ج 5، صص104-106./ ابن عذاري، (بيتان)، البيان المغرب، ج 2، ص274./ الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك، (بيتان)،الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث- بيروت، 1420هـ/2000م، ج13، ص200./ اليوسي أبو علي نور الدين، (بيتان)، زهر الأكم في الأمثال والحكم، تحقيق محمد حجي ومحمد الأخضر، الشركة الجديدة- دار الثقافة، ا لدار البيضاء، 1401هـ/1981م، ج1، ص350.

[3]- محمود علي مكّي، في تقديمه لديوان ابن درّاج، ص49.

الرحمن "شنجول" (Sanchol) أو (Sanchuelo) وهو تصغير اسم شانجه جدّه لأمّه، ومن أروع مظاهر عزّة الإسلام في الأندلس يوم قدوم شانجه إلى قرطبة في 3 رجب سنة 382هـ/4 سبتمبر 992م، حيث قصد صهره محكّما له في نفسه، ولعلّه جاءه زائرا مستصرخا.[1]

ويذكر أنّ مراسيم استقباله الفخمة قام بها حفيده عبد الرحمن، متقدّما الجيوش في أحلى أبّهة، وقد افتتن ابن درّاج بهول ما رآه فاغتنم المناسبة ولم يفوّت الفرصة على نفسه فأنشد قصيدته الميمية من 50 بيتا التي مطلعها: [من الطويل]

ألا هكذا فليسم للمجد من سما	ويحم ذمار الملك والدين من حمى

إلى قوله:

فهنِّيتَ يا "منصورُ" سعدًا مجدّدًا	وإقْبالَ صُنْعٍ بالبقاءِ متمّمَا
ومُلِّيتَ من أسباطِ مَجدكَ حاجباً	يباشرُ منهُ المجدُ والفخرُ مَقْدِماَ
رميتَ بهِ بحرَ الضّلالةِ فانتهى	وجشّمْتَهُ [عِبْءَ] العُلا فتجشّما[2]

وستتواصل أيّام سعد ابن درّاج بتواصل فنون السّعد ومؤاتاة الأيّام العامرية في الأندلس، إلى أن كانت الفتنة الحالكة التي أشعل فتيلها عبد الرحمن شنجول بغروره، فاكتوت الأندلس بنارها وكانت تلك بداية دمارها وخراب الإسلام بدارها، وبقي ابن درّاج في حيرة من أمره إلى أن انتصر سليمان المستعين ومن معه من البربر على المهدي بن عبد الجبّار والحزب الأندلسي، فمدح المستعين بثلاث قصائد فلم يلق منه ما يبلّ صداه ويسدّ خلّته، واضطرّته الفتنة إلى النّجعة فترك سليمان وقصد وزيره القاسم بن حمود العلوي سنة 404هـ/1014م فمدحه وشكا إليه حاله فلم يكن عنده بأحسن حال من سابقه.[3]

[1]- ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص66./ محمود علي مكي، ص50.
[2]- ديوان ابن درّاج، صص395-399.
[3]- محمود علي مكّي، مقدمة ديوان ابن درّاج، ص65.

واضطرّ ابن درّاج حينئذ إلى مغادرة قرطبة نحو سبتة، عند علي بن حمود فأنشده لاميته المشهورة وهي من 71 بيتا، اعتبرها ابن بسّام من الهاشميات الغرّ مفضّلا لها على هاشميات الكميت بن زيد الأسدي وكُثَيّر عزّة الخزاعي وشيعيات دعبل بن علي الخزاعي والسيّد الحميري، وافتتحها بقوله: [من المتقارب]

لعلّكِ يا شمسُ عند الأصيلِ	شَجيتِ لِشَجْوِ الغريبِ الذليلِ
فكوني شفيعي إلى ابنِ الشفيعِ	وكوني رسولي إلى ابنِ الرسولِ
فإمَّا شَهِدْتِ فأزكى شهيدٍ	وإمّا دَلَلْتِ فأهْدَى دَليلِ
على سابقٍ في قيودِ الخطوبِ	ونجمِ سَنَاً في غُيَابِ السُّهولِ
[ينادي النّدَى لِسِقامِ الضَّيَاعِ	ويشكو إلى المُلكِ داءَ الخُمولِ][1]

لكنّ رجاءه انقطع من الحموديين ودولتهم فعاد مسرعا إلى الأندلس، فاستقرى ملوك دولة العامريين الصقالبة، الذين استقلّوا بشرق الأندلس في عهد الطوائف، فتردّد بين سنة 404 و408هـ/ 1014 و1018م بين إماراتهم في المرية وبلنسية وشاطبة وطرطوشة مادحا أمراءها دون أن يجد عندهم ما كان يبتغيه، وأول من مدحه منهم "خيران" الذي استقلّ بالمرية سنة 405هـ/1015م، بقصيدة طارت شهرتها مشرقا ومغربا، وهي النونية التي أوّلها:

لك الخيرُ قد أوفى بعهدك خيرانُ	وبشراك قد وافاك عزّ وسلطانُ[2]

ورغم قوّة وقيمة هذه القصيدة فإنّ ابن درّاج لم يجد الاستقرار الذي كان يبحث عنه، ولا من يحسّ بأشجانه وحال أسرته، ولم يلق في تردّده على هؤلاء الموالي العامريين أذنا صاغية أو يدا رفيقة[3]، وعندها لجأ إلى منذر بن يحي التجيبي صاحب سرقسطة سنة 408هـ/1018م، فوجد عنده جوّا من الاستقرار تمتّع فيه ببعض الهدوء والنعمة في بلاطه، فقضّى عشر سنوات عنده وعند ابنه يحي من

[1]- ابن بسّام، المصدر السابق، ج1، ص88./ ديوان ابن درّاج، ص75-76.
[2]- المصدر نفسه، ص86./ ابن بسّام، المصدر السابق، ج1، ص92.
[3]- محمود علي مكّي، مقدمة ديوان ابن درّاج، ص70-71.

بعده، وهناك أنتج ابن درّاج نحو ثلث من إنتاجه الشّعري، ومن جملة ما قاله في منذر بن يحي قصيدة رائية طويلة من 88 بيتا، [من الكامل] ويبدو أنّه أراد في مطلعها معارضة إحدى قصائد المتنبّي في سيف الدولة التي يقول في أوّلها : [من الطويل]

على قدْرِ أهلِ العزمِ تأتي العزائِمُ	وتأتي على قدْر الكِرام المَكارمُ
وتَعظُمُ في عينِ الصغيرِ صِغارُها	وتَصْغُر في عينِ العظيمِ العَظائمُ[1]

فعارضه بالبيت التالي:

عَمُرَتْ بِطولِ بَقائِكَ الأعْمَارُ	وجَرَتْ بِرِفْعَةِ قَدْرِكَ الأقْدارُ
وَدَنَتْ لكَ الدُّنيَا بِقاصيةِ المُنَى	وَتَخَيَّرَتْ لكَ فوقَ ما تَخْتارُ[2]

ولعلّ من أحسن وأجود ما مدح به المنذر بن يحي تلك القصيدة الميمية الطويلة، وعدد أبياتها 111 بيتا التي استفتحها بقوله: [من الطويل]

لَعَلَّ سَنَا البَرْقِ الّذِي أنا شائِمُ	يهيمُ منَ الدُّنيا بِمَنْ أنا هائِمُ
أمَا فِي حَشَاهُ مِن جوايَ مخايِلٌ	أما فِي ذَرَاهُ من جُفُوني مَيَاسِمُ[3]

إلاّ أنّ هذا الاستقرار الذي وجده عند المنذر لم يد م بعد وفاته طويلا، حيث ساءت علاقته بولده يحي، الذي ضيّق عليه فاضطرّ وهو في 70 من عمره إلى الهجرة مجدّدا نحو مجاهد العامري صاحب دانية سنة 419هـ/1028م، فقصده ومدحه وعاش بدانية الأيّام الأخيرة من عمره، إلى أن وافته منيّته ليلة الأحد لأربع عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة 421هـ[4]/ 19 جوان سنة 1030م.

1- المتنبّي أبو الطيّب، ديوان المتنبّي، دار بيروت للطباعة والنشر- بيروت، 1403هـ/1983م، ص385.
2- ديوان ابن درّاج، ص151-152.
3- المصدر نفسه، ص158.
4- ابن خلّكان، المصدر السابق، ج 1، ص138./ الذهبي، سير أعلام، ج 17، ص365./ ابن بشكوال، المصدر السابق، ج1، ص49.

وقد ترك لنا ابن درّاج القسطلي ديوانا من الشّعر، يحتوي على 170 قصيدة، من أحسن ما جادت به قريحته، صوّر لنا من خلالها الأحداث التّاريخية التي عاشها، كشاهد عيان على عصره في الأندلس الإسلامية، وما جرى فيها من حلو العيش ومرّه، ومهما قلنا عن الرّجل فلن نوفّيه حقّه أكثر من أهل صنعته، الذين عدّوه في المتقدّمين من الشعراء، والمذكورين من البلغاء [1]، بل أصبح عندهم عمدة شعراء عصره في الأندلس بلا منازع، ومن الطبيعي جدّا أن يكون صاحب الصدارة في ديوان الندماء بعد أن ذاع صيته وسطع نجمه في الأفق.

وهذا ابن حزم وهو من أعرف أهل الأندلس برجالاتها، ومن أوسعهم علما يقول عن ابن درّاج : " لو قلت إنّه لم يكن بالأندلس أشعر من ابن درّاج لم أبعد "، بمعنى أنّه لا يبالغ إذ يقول ذلك، لأنّ الأمر حقيقة لا تحتاج إلى دليل، ويصرّ على مقولته الأولى ويؤكّده ا بقوله: " لو لم يكن لنا من فحول الشعراء إلاّ أحمد بن درّاج لما تأخّر عن شأو حبيب والمتنبّي "[2]، فهو يفاخر به أهل المشرق ويضعه في نفس المرتبة والمكانة مع أبي تمّام حبيب بن أوس الطّائي الشاعر المشهور صاحب ديوان الحماسة (ت231هـ/846م)، والمتنبّي أبي الطيّب أحمد بن الحسين الجعفي (ت354هـ/965م)[3]، أفضل شعراء العرب قولا وأجودهم معنى، وأعلمهم بأوابد اللغة وشواردها، حتى أنّه لم يسأل عن شيء إلاّ استشهد له بكلام العرب نظما ونثرا[4].

وقد يقول قائل إنّ النّعوت التي وصفه بها ابن حزم لا تخرج عن نطاق المفاخرة بين أهل بلده الأندلس والمشرق، بينما أرض الواقع لا تشهد بهذه المقارنة ولا تعترف بها، إلاّ أنّنا عندما نجد الثعالبي وهو من أهل الاختصاص يشهد له بذلك مع كونه مشرقيا، فعندئذ يزول الشكّ الذي قد يراود بعض النّفوس، ولا تملك بعد ذلك إلاّ التّسليم والتصديق برأي أهل الصّنعة، فقد أثر عنه قوله: " كان بصقع

---

[1]- ابن دحية الكلبي، المصدر السابق، ص 156./ الذهبي، تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام ، تحقيق بشّار عوّاد معروف، ج9، ص359.
[2]- الحميدي، المصدر السابق، ص116.
[3]- عبد عون الروضان، موسوعة شعراء العصر العبّاسي، دار أسامة للنشر والتوزيع- عمان، ط1، 2001، ج1، صص33-37 وج2، صص223-228.
[4]- مقدمة ديوان المتنبّي، ص5.

الأندلس كالمتنبّي بصقع الشّام، وهو من الشعراء الفحول، وكان يجيد ما ينظم ويقول، ثمّ ساق له بعض أشعاره".[1]

وإلى جانب نبوغه في النّظم فقد برز ابن درّاج في كتابة النثر من النّوع الخالص، الذي تمثّل في قطع وصفية وبعض الرّسائل والوصايا على طريقة ابن العميد، التي انتقلت إلى الأندلس أثناء عهد الخلافة، وتجلّت بوضوح على نطاق أوسع في فترة الحجابة، بعد أن صار أدباء الأندلس ينسجون على منوالها ويتمثّلونها، ومن أمثلة ذلك ما قاله ابن درّاج في إحدى رسائل الخليفة سليمان بن الحكم: " حاشا لله أن أستشفّ الحِسيَ[2] قبل جُمومِه[3]، وأستكره الدَّرَّ[4] قبل حُفُولِه، أو أتعامى عن سراج المعذرة، وأرغب عن أدب الله في نَظِرةٍ إلى مَيْسَرَة . ولكن: [من البسيط]

[مـاذا تقـولُ لأفــراخٍ بذي مَرَخٍ	حُمْرُ الحَوَاصلِ لا ماءٌ ولا شجَرُ[5]]
ما أوضحَ العُذْرَ لي لوْ أنّهُمْ عَذرُوا	وأجْمَلَ الصّبرَ بي لوْ أنّهمْ صَبَرُوا
لكنّهُمْ صَغُرُوا عنْ أزْمَةٍ كَبُرَتْ	فمَا اعْتِذارِي عَمّنْ عُذْرُهُ الصِّغَرُ

وقد قلّبْتُ لهم ظهر الأمور، وميّزت بين المعسور والميسور، فما وجدت أحسن بدءا، ولا أحمد عودا، ممّا أذن الله فيه لعباده، الذين أعمرهم أرضه، وسخّر لهم برّه وبحره، أن يمشوا في مناكبها ويأكلوا من رزقه، وحيث نتقلّب ففي كرمك، وأين نأمن ففي حرمك، وحيث لا توحشنا دعوتك، ولا تفوتنا نعمتك، من ملكك إلى ملكك، ومن يمينك إلى شمالك".[6]

---

[1]- يتيمة الدهر، ج2، ص119.

[2]- الحِسْيُ: السّهل من الأرض يستنقع فيه الماء. ابن سيّدة المرسي، المصدر السابق، ج3، ص433.

[3]- الجَموم: البئر الكثيرة الماء، والجموم والجمّة وهو الاجتماع والكثرة . ابن منظور الإفريقي، المصدر السابق، ج12، ص105 وص109.

[4]- الدَّرُّ: اللّبن. المصدر نفسه، ج4، ص279. وفي الحديث: " أنّه نهى عن ذبح ذوات الدّ رّ وعن السّوم بالسّلعة قبل طلوع الشّمس ". ينظر: ابن البيع أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1411هـ/1990م، ج4، ص261.

[5]- البيت الأوّل للحطيئة جرول بن أوس العبسي وقد تمثّله. الإصفهاني أبو الفرج علي بن الحسين، كتاب الأغاني، تحقيق إحسان عبّاس، إبراهيم السعّافين وبكر عبّاس، دار صادر- بيروت، ط3، 1429هـ/2008م، المجلد الثاني، ص121./ ابن عبد ربّه الأندلسي، العِقد الفريد، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1404هـ/ 1984م، ج6، ص144 وص167.

[6]- ابن بسّام، المصدر السابق، ج1، ص63.

والمتأمّل إلى نثره بعين فكر يدرك أنّ ابن درّاج كان على قدر كبير من التحكّم في ناصية اللغة، دون تكلّف منه في البحث عن المرادفات، لأنّه تمكّن من لغة العرب فصارت طيّعة على لسانه، يسترسل في التعبير بها دون عنت، والذي ينبغي الإشارة إليه أنّ البحر الزاخر الذي كان يستخرج ابن درّاج منه مكنونات ألفاظه وتعابيره - ويبدو ذلك بوضوح في كلّ قطعة من نثره- هو كتاب الله، الذي تحدّى أبلغ العرب أن يأتوا ولو بآية من مثله، فأعجز وأخرس الألسن التي استسلمت لسحر بيانه.

واقتضب ابن بسّام جملة من فصول كلامه مخافة التطويل، ومن أحسن ما احتفظ لنا به في ذخيرته من نثر ابن درّاج من رقعة له إلى منذر بن يحي يقول فيها: " حيّاكَ بتحيةِ المُلكِ، مَنْ أحْيَابك دعوةَ الحَقِّ، وردَّاكَ رِداء الإعْظامِ، من أعلى بك لواءَ الإسلامِ، مُجْرِيَ الأقدارِ بإعلاءِ قدْرِكَ، ومُصرِّفَ الليْلِ والنّهارِ بإعزازِ نصركَ، ومُظْهِرَ من أطاعكَ على من عصاكَ، ومُدَمِّرَ من عاداكَ بسيوفِ من والاكَ. قد جعلَ اللهُ أوَّلَ أسمائِكَ أوْلىَ بأَعْدَائِكَ، وأقْرَبَ اِعْتِزَائِكَ صِفَةً لأَوْلِيائِكَ؛ ثم سَمَا بك حَاجِبُ الشَّمسِ، نوراً وأُنْساً لهذا الإنْسِ، ونَفَسَ حياةٍ لكلِّ نَفْسٍ"[1].

ومن بين قصائده الرّائعة خارج المدح و وصف الوقائع الحربية ما ساقه له الشّيخ أبو عبد الله محمد بن الحسن بن الحسين بن الكتّاني في باب الدولة والعلم والصحيفة في وصفه للقلم قوله: [من الطويل]

وأسمرَ داني القَدِّ لو شَهِدَ الوَغَى	لَبَانَ على سُمْرِ الرِّماحِ اخْتيـالُهُ
يُبَلِّغُ شرقَ الأرضِ أنبـاءَ غَربِها	ولم يُـرَ عن فِتْرِ البنـانِ انتقـالُهُ
إذا يَدُكَ العُلْـيا استقلّتْ بحَمْلِهِ	فأمْعَنَ في الخَمْسِ اللِّطَافِ انْغِلالُهُ
رأيْتُ هِلالَ الأُفُقِ قَـوَّمَ عَطْفَهُ	فَوُسِّطَ من نجمِ الثُـرَيَّا احتـلالُهُ[2]

[1]- المصدر نفسه، ج1، ص64.
[2]- كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تحقيق إحسان عبّاس، دار الشروق- بيروت، ط2 مزيدة ومنقّحة، 1401هـ/1981م، ص229. ولا وجود لهذه الأبيات في ديوانه.

3 - عوامل ازدهار الحركة العلمية ومظاهرها في عصر الطوائف : (422-484هـ/1031-1091م)

لا يختلف عاقلان حول النتائج السلبية التي أفرزتها الفتنة الحالقة، وانعكاساتها القريبة والبعيدة المدى على مسلمي الأندلس، غير أنّه ينبغي التنويه بأنّ نفس الفتنة صاحبتها بعض الآثار الإيجابية على حدّ قول العرب في المثل السّائر: " ربّ ضارّة نافعة "[1]، فمن الآثار الإيجابية التي ترتّبت عن فتنة القرن 5هـ/11م ظاهرتي تفرّق كتب قرطبة وعلمائها وأدبائها نحو باقي مدن الأندلس، حيث تنافس حولهم ملوك الطوائف لاجتذابهم إلى بلاطاتهم، فكان من نتائج ذلك تعدّد المراكز الثقافيۃ في الأندلس بتشجيع من الأسر الحاكمة للعلم والمعرفة: إشبيلية وقرطبة تحت حكم بني عبّاد- سرقسطة "بنو هود"- طليطلة " بنو ذي النون "- بطليوس "بنو الأفطس"- المرية "بنو صمادح" وابنه مجاهد العامري- غرناطة "بنو زيري بن منّاد"[2]، وصاحب هاتين الظاهرتين زوال الحجر عن ا لعلوم القديمة من فلسفة ومنطق، وسيسمح هذا بازدهار الدراسات الفلسفية في عصر ملوك الطوائف، الذي شهد انفتاحا على كلّ العلوم والمعارف لم يسبق للأندلس أن شهدته من قبل[3].

فعلى النقيض من التفكّك السياسي الذي عرفته الأندلس خلال هذا العصر، نشطت الحركة العلمية أيّما نشاط فانبثق عنها غزارة الانتاج الفكري في كلّ صنوف العلم، وفضلا عن ما ذكر آنفا فقد تجلّت عوامل ازدهار الحركة العلمية في عصر الطوائف في التأسيس الفعلي لحركة فكرية أندلسية محلّية، حتّى سمّى ذلك بعض العلماء المشارقة بالتعصّب الأندلسي [4]، وقد تميّزت محلّيتها بخصوصياتها المستقلّة عن الميراث الثقافي المشرقي من دون التنكّر له، بحيث وصل علماء هذا العصر إلى قناعة إثبات الذّات بعد أن أصبحوا مؤهّلين لترك التقليد المعرفي المشرقي،

---

[1]- حمزة محمد قاسم، منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، راجعه الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، عني بتصحيحه ونشره بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان- دمشق، مكتبة المؤيّد- الطائف، 1410هـ/1990م، ج2، ص19./ أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل، المرجع السابق، ج2، ص842.

[2]- يخلف حاج عبد القادر، المرجع السابق، صص72-74 وصص82-89.

[3]- المرجع نفسه، صص41-43.

[4]- امحمّد بن عبّود، جوانب من الواقع الأندلسي ص220./ M'hammed Benaboud, l'Historiographie d'Al-Andalus durant la période des Etats- Taifas, in Revue de l'Oxident Musulman et de la Méditerranée, Numéro 40, 1985, pp123-141.

فقاموا بثورة فكرية جماعية في شكل حركة شمولية، تمثلت في جملة من المؤلّفات كذخيرة ابن بسّام، و مسالك وممالك البكري، والرسائل التي تحدثت عن تفوّقهم كرسالة ابن حزم ورسالة الشقندي[1].

ولا يمكن تجاهل العوامل التقليدية وأثرها على الحركة الفكرية بالأندلس في هذا العهد، التي باتت تقليدا متّبعا ينتقل من عصر لآخر، والمقصود بذلك طبعا انتشار المكتبات، وشيوع الرّ حلات العلمية إلى الأندلس ومنها نحو المشرق، إلى جانب استمرار اهتمام أهل الأندلس بالتعليم، الذي كان منتشرا في كلّ صقع منه.[2]

وتجدر الإشارة إلى أنّ تعدّد المراكز الثقافية في الأندلس، وتشجيع الأسر الحاكمة للعلم والمعرفة، كانتا خاصية من خاصيات ملوك الطوائف بص فة عامّة، وقد أسهبت بعض الدراسات الحديثة في تركيز اهتماماتها على مملكة بني عبّاد بالدّرجة الأولى[3]، التي احتضنت في بلاطها أهل العلم والأدب، وساهمت في تنشيط الحركة العلمية، ودارست الأدب والشعر مع أهله، وسعت دوما إلى اجتذاب الشعراء والبلغاء، الذين كانوا يحظون عندهم بكلّ مظاهر الحفاوة والرعاية، وغالبا ما كانت تجمعهم مجالس العلم والمذاكرة، التي تزيّنت بها دولتهم وفاخرت بها بقيّة ملوك الطوائف الأخرى.[4]

ولعلّ من أهمّ ما يلاحظ على دراسة سعد الله البشراوي أنّها سلّطت الضّوء أكثر على مملكة بني عبّاد بإشبيلية التي نال ت حظ الأسد من الكلام، ويفهم من ذلك أنّ هؤلاء كانوا فوق جميع ممالك الطوائف من حيث الاهتمام بسوق العلم وأهله، ثمّ تتناقص بعد مملكة إشبيلية وقرطبة بشكل تنازلي نسبة ودرجة الاهتمام بالحركة العلمية، من مملكة إلى أخرى حيث تصل إلى مستوى يكاد يكون منعدما كما هو

[1]- المقّري، المصدر السابق، ج3، صص156-179 وج3، صص186-222.
[2]- يخلف حاج عبد القادر، المرجع السابق، صص74-82.
[3]- بهاء مصطفى عبد الغني الرواشدة، الحياة العلمية والثقافية في إشبيلية في عهد بني عبّاد (414-484هـ/1023-1091م)، رسالة مقدّمة للحصو ل على الماجستير في التاريخ، جامعة مؤتة، 2003، صص22-92.
[4]- سعد الله البشراوي، الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس (422-488هـ/1030-1095م)، رسالة مقدّمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، جامعة أمّ القرى بمكّة المكرّمة، 1405-1406هـ/1985-1986م، صص134-145.

الحال مع بني حمود في مالقة وبني القاسم في البونت وبني طاهر في مرسية وكذا بني زيري في غرناطة[1].

وحكم على بني زيري أنّهم لم يقدّموا شيئا مهمّا للحركة العلمية والأدبية في مملكتهم، ووصفت أسرتهم بأنّها كانت تفتقد إلى رهافة الحسّ الأدبي والذّوق الرّفيع بالإضافة إلى البخل والتقتير، ويمكن قبول هذين الوصفين الأخيرين بدون نقاش، ذلك أنّ بني زيري أثر عنهم حبّهم لتجميع الأموال واكتنازها، أمّا الوصف الأول فأنا اعتقد شخصيا أنّ فيه شيئا من المبالغة، وأدلّة الرّدّ على ذلك كثيرة، فهذا ابن حيّان في وصفه لحبّوس بن ماكسن بن زيري يقول عنه: " وكان على قسوته يصغي إلى الأدب، وينتمي في العرب، للأثر المقفو في قومه صنهاجة، وكان يؤثر لذلك (كتاب التيجان) لابن دريد في ذكر مناقبهم، ولا يغب عن سماعه ومطالعته ".[2]

فمن الرّجال الذين تزيّن بهم بلاطه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عامر البِزِلْياني المالقي، الذي كان من كتّابه، بل إنّه كان يعدّ من شيوخ الكتّاب وجهابذة الأدب، ويكفي أن نشير في هذا المقام إلى الرّسالة التي ردّ بها على ابن عبد الله أمير قرمونة" الزناتي، الذي بعث إلى حبّوس بكتاب أغلظ له فيه شتما وسبابا، فردّ عليه حبّوس ردّ عاقل من خلال هذه الرقعة مترفّعا عن معاملته بالمثل، لكنّه قرّعه ولامه لوما شديدا، وقد جاءت الرسالة بأسلوب أدبي رفيع [3]، تضمّن نثرا رائقا، وفيه استشهاد بديوان العرب، ومنه قول القائل:

ونَجهلُ أيدينا ويَحلُمُ رأيُنا	ونشْتِمُ بالأفعالِ لا بالتكلّمِ[4]

وردّ على تخويفه بقول الكُمَيْت:

---

[1]- خصّ المرجع نفسه كلّ مملكة من الممالك الثلاث بصفحة واحدة فقط : مالقة (ص175)- البونت (ص179)- مرسية (ص180) وغرناطة بصفحتين (ص176-178)

[2]- ابن بسّام، المصدر السابق، ج1، ص460./ ابن سعيد المغربي، المغرب، ج2، ص107.

[3]- ينظر الرسالة كاملة في ذخيرة بن ابن بسّام، ج2، ص625-627.

[4]- والبيت لمعبد بن علقمة (ت نحو 70هـ/690م) صاحب الحماسية، الزركلي خير الدين، المرجع السابق، ج 7، ص624./ المرزوقي الأصفهاني أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن، شرح ديوان الحماسة، تحقيق غريب الشيخ، وضع الفهارس العامّة إبراهيم شمس الدّين، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1424هـ/2003م، ج1، ص534.

أبرِقْ وأرْعِدْ يا يزي	دُ فما وعيدُكَ لي بضائِرْ[1]

ثمّ ذكّره بأنّه – حبّوس- أحد البرابرة لا يخرج عن جماعتهم مستشهدا بقول دُرَيد بن الصِمّة:

وما أنا إلاّ من غَزِيَّةَ إنْ غَوَتْ	غَوَيْتُ وَإنْ ترْشُدْ غَزِيَّةُ أرْشُدُ[2]

وأعتقد أنّ أديبا بهذا الوزن ما كان ليستقرّ عند حبّوس، الذي تخيّره كاتبا له، لو لم يكن يغدق عليه من النّعم، ثمّ إنّ اختياره له يدلّ دلالة واضحة على ما وصفه به ابن حيّان من أنّه كان يصغي للأدب، ولا يصغي للأدب إلاّ من كان يتذوّق طعمه، ويعرف معانيه، ويطرب لسماعه.

ويذكر لنا المقّري أنّ أبا محمّد غانم بن وليد - وهو من رجال الذخيرة [3] - دخل مجلس باديس بن حبّوس فوسّع له على ضيق كان في المجلس، فقال:

صيّر فؤادك للمحبوب منزلةً	سمّ الخياط مجالٌ للمحبيّن
ولا تسامح بغيضاً في معاشرةٍ	فقلّما تسعُ الدنيا بغيضين[4]

وهو القائل فيه بعد وفاته:

وقد كنت أغدو نحو قطرك فارحاً	فها أنا أغدو نحو قبرك ثاكلا
وقد كنت في مدحيك سبحان وائل	فها أنا من فرط التأسّف باقلا[5]

[1]- الجاحظ عمرو بن بحر بن محبوب الكناني أبو عثمان، رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي- القاهرة، 1384هـ/1964م، ج 1، ص 368./ نفس المؤلف، الرسائل الأدبية، دار ومكتبة الهلال- بيروت، ط2، 1423هـ، ص388./ ابن وكيع الحسن بن علي التنيسي أبو محمد، المنصف للسارق والمسروق منه، حققه وقدّم له عمر خليفة بن إدريس، جامعة قات يونس- بنغازي، ط1، 1994، ص430./ أبو عبيد البكري الأندلسي، سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، نسخه وصححه وحقق ما فيه وخرجه وأضاف إليه عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، ج1، ص300.

[2]- الأصمعي أبو سعيد عبد الملك بن قريب، الأصمعيات اختيار الأصمعي، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف- مصر، ط7، 1993، ص107./ الأخفش الأصغر علي بن سليمان بن الفضل أبو المحاسن، الاختيارين، تحقيق فخر الدين قباوة، دار الفكر المعاصر- بيروت، دار الفكر- دمشق، ط 1، 1420هـ/1999م، ص410./ بهاء الدين البغدادي محمد بن الحسن أبو المعالي، التذكرة الحمدونية، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1404هـ، ج6، ص33.

[3]- ابن بسّام، المصدر السابق، ج1، ص24 وج2، ص853-854.

[4]- نفح الطيب، ج3، ص595-596.

[5]- المصدر نفسه، ج3، ص398.

والجدير بالملاحظة أنّ أبا محمد غانم الإمام العالم الفقيه كان أيضا من أهل الأدب، وأنّه كان أثيرا عند باديس بن حبّوس، ويدلّ هذا السّلوك على أنّ باديس كان يكنّ الاحترام والتقدير لأهل العلم، ولا شكّ أنّ رثاءه من بعد موته من قبل أبي محمد غانم يمثّل رسالة واضحة ومعبّرة أنّ ما كان يجمع بينهما من الصداقة والمحبّة أكبر بكثير من مصالح الدنيا، فما كان لله دام واتّصل وما كان لغير الله انقطع حبله وانفصل. ومن العلماء الذين حفلت بهم غرناطة مدّة ابن حبّوس الأستاذ أبو عبد الله الكفيف المالقي، الذي استقرّ بحاضرة بني زيري وأقرأ فيها.[1]

وذكر صاحب المسهب أنّ أبا إسحاق إبراهيم بن حكم، كان ناظما ناثرا، حسن المحادثة، لائقا بخدمة الملوك، وترقّى إلى أن استكتب ه واستوزره باديس بن حبوّس[2]، وأنّ أبا محمد عبد الله بن خليفة القرطبي المعروف بالمصري لطول إقامته بمصر، " كان شيخ الفتيان، وآبدة الزمان، وخاتمة أصحاب السلطان، وكان رحل إلى مصر واسمه خامل، وسماؤه عاطل، فلم ينشب أن طرأ على الأندلس وقد نشأ خلقاً جديداً، وأجرى إلى النباهة طلقاً بعيداً، فتهادته الدول، وانتهت إليه التفصيلات والجمل، وكلما طرأ على ملك فكأنه معه ولد وإياه قصد، فجرى مع كل أحد، وتجوّل في كل بلد، وتلوّن في العلوم تلوّن الزّمان، من طبّ وأدب وتلاعب بالملوك بأفقنا تلاعب الرياح بالأغصان، حتّى ظفر به المأمون بن ذي النون، فلمّا انصرفت الدولة الذنونية تحيّز إلى إشبيلية، فكان حظيّا عند المعتمد إلى أن توفّي منتصف رجب سنة 496هـ/ 23 أبريل 1103م".[3]

ومن بين الذين قصد ممالكهم ومدحهم : بلقين بن حمّاد صاحب القلعة، وباديس بن حبّوس صاحب غرناطة بقصيدة منها:

رسخت أصُول علاكم تَحت الثرى	وَلكم على خطّ المجرة دَار

[1]- ابن عطية الأندلسي، المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1422هـ/2001م، ج3، ص89./ القرطبي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي، الجامع لأحكام القرآن أو تفسير القرطبي، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية- القاهرة، ط2، 1383هـ/1964م، ج8، ص272.
[2]- ابن سعيد المغربي، المغرب، ج2، ص223.
[3]- ابن بسّام، المصدر السابق، ج7، ص342-343.

تبدو شموسُ الدّجنِ منْ أطواقِكُم	وَتفِيضُ من بَـيِـن البنـانِ بحارُ
إنّ المكارمَ صـُورَةٌ مَعْلُومَـةٌ	أنْتُم لَهَا الأسمـاعُ والأبـصارُ
ذلِكتْ لكُم قِمَمُ الْخَلائقِ مِثلَّمَا	ذلَتْ لشِعْرِي فِيكُمُ الأشعَارُ
فَمَتَى مدحتُ ولا مدحتُ سِوالكُم	فمَديحُكُمْ فِي مدحِهِ إضْمَـارُ[1]

ومن العلماء الذين خرجوا زمن الفتنة من قرطبة أصبغ بن محمد بن أصبغ بن السمح المهري القرطبي، الذي ترك بلده واستقرّ بغرناطة في كنف حبّوس بن ماكسن الصنهاجي، والد باديس وتأثل نعْمَة وَاسِعَة وَحَالا جميلَة [2]، ذكره صاعد القَاضِي فقال: " كان متحقّقا بعلم العدد والهندسة متقدّما في علم هيئة الأفلاك وحركات النجوم، وكانت له مع ذلك عناية بالطبّ، وله تواليف حسان مِنْهَا كتاب المدْخل إِلَى الهندسة في تفسير كتاب إقليدس، وَمِنْهَا كتاب ثمار الْ عدَد المَعْرُوف بالمعاملات، وكتاب طبيعة العدد، وكتابه الكبير في الهندسة، وكتابان في الآلة المسمّاة بالإسطرلاب، وَقَالَ تُوُفّي بغرناطة لَيْلَة 18 من رجب سنة 426هـ/ 28 ماي 1035م، وَهُوَ ابْن ستٍّ وَخمسين سنة وَذكره ابْن حَيَّان أَيْضا وَأثْنى عَلَيْهِ".[3]

ومن الشخصيات العلمية التي تركت بصمتها في غرناطة على عهد الأسرة الزيرية، إسماعيل بن نغرالة اليهودي الذي برع في لغة العرب أدبا وشعرا، إلى جانب مهارته في الكتابة، فضلا عن معرفته الواسعة في علوم الأوائل كالهندسة والمنطق، وحبّه للكتب التي كان جمّاعا لها، وعقب وفاته خلفه على الوزارة ابنه يوسف[4]، الذي تسلّط على مقاليد الحكم بدهائه، ومن خلاله تسلّط اليهود على المسلمين بغرناطة، وأخذوا يخطّطون للقضاء على حكم بني زيري، إلى أن انكشفت نواياهم وظهرت للعيان خطّتهم، فثار عليهم أهل البلد وعلى رأسهم الشاعر أبو إسحاق الإلبيري الذي كشف حبائلهم في قصيدة من 47 بيتا مطلعها: [من المتقارب]

---

[1]- ابن بسّام، المصدر نفسه، ج7، ص350./ ابن سعيد، المغرب، ج1، ص130.
[2]- ابن الأبّار، التكملة، ج1، ص171.
[3]- صاعد الأندلسي، المصدر السابق، ص169-170./ ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص444-445.
[4]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص264./ ابن الخطيب، الإحاطة، ح1، ص242-243.

ألا قـل لصنهاجةٍ أجمـعين	بدورِ الزمان وأسد العريـن
لقد زلَّ سيّدُكــم زلّــةً	تقـرُّ بها أعيـنُ الشّامـتين
تخيّرَ كاتــبَه كـافـرًا	ولـوْ شاءَ كان من المؤمنين
فعـزّ اليهـودُ به وانتخوا	وتـاهوا وكانوا من الأرذلين

فألهب بقصيدته هذه حماس المسلمين وحميّتهم، فأوقعوا باليهود وقتلوا كبيرهم وزير باديس بن حبّوس، وقضوا على نفوذ اليهود في تلك الدولة.[1]

والمتأمّل فيما سبق ذكره من أسماء لشخصيات علمية أقامت بغرناطة، يدرك أنّ المملكة الزيرية كان ل ها حظّها - هي الأخرى - من التطور الحاصل عموما في الأندلس خلال هذه الفترة، وإن كان هذا القياس مع الفارق مقارنة ببني عبّاد وبني صمادح مثلا، كما أنّ وصف الأسرة الزيرية على العموم بالافتقار إلى الحسّ الأدبي فيه من العسف وغمط الحقّ الذي لا يجب أن يقول به عاقل، ذلك أنّ مؤسّس هذه الدولة زاوي بن زيري لم يكن داهية بالمفهوم السياسي والعسكري فقط، بل لو تأمّلنا بعين فكر في محاورته لأهل إلبيرة بشأن الخطر المحدق بهم من قبل جيش قرطبة، عندما علم أنّهم يريدون بقاء صنهاجة معهم للدفاع عنهم، حيث قال لهم: " إذا كان هذا رأيكم فـأرى من الصواب أن نرتحل عن هذه المدينة، ونختار لأنفسنا فيما يقرب منها معقلا نأوي إليه بأهلينا وأموالنا ... والحرب سجال ... يصيب عندها ولا يصاب، فقد يظنّ عجزا ! وقد أمر النبيّ صلى الله عليه وسلم عند احتشاد المشركين على المدينة أن يخندق حواليها، وسنّ الحزم مع م دّ الوحي له، فكيف نحن؟!"[2]. ويدلّ هذا النّص على اطّلاع زاوي ومعرفته بالسّيرة النبوية.

ثمّ تأمّل معي في أجوبته التي كان يردّ بها على المرتضى حفيد النّاصر عندما طالبه بالخضوع، فكتب إليه على ظهر كتابه بسورة " الكافرون"، فلمّا ردّ عليه المرتضى

---

[1]- ديوان أبي إسحاق الإلبيري، 89./ Rachel Arie, Aperçus sur les royaumes Berbères d'Al-Andalus aux Ve/XIe siècle, in Revista del Instituto Egipcio de Estudios Islamicos, volumen XXIII, Madrid, 1985-1986, p168.

[2]- ابن بلقين، التبيان، تحقيق أمين توفيق الطيبي، ص60.

يتوعّده، أمر كاتبه أن يكتب إليه بسورة " التكاثر"[1]، ويستنتج من هذه المراسلات أنّه اختار أن يردّ على عدوّه بالقرآن، وتخيّر من القرآن ما يتناسب مع ظرف كلّ مراسلة، وكأنّي به يريد أن يقول للمرتضى كفى بالقرآن واعظا . ويفهم من ذلك أيضا أنّه كان على قدر من الثقافة الدينية، ولو أنّ مجال تخصّصه الذي عرف به هو فنّ الحرب وإعداد الخطط ومقارعة العدوّ في الميادين.

كما وُصف حبّوس بن ماكسن بإصغائه إلى الأدب، وذكر عن باديس بن حبّوس مجالسته لأهل العلم في بلاطه، وحفل عهده بأسماء علماء وأدباء سبق ذكرهم، أمّا الأمير عبد الله فقد حاز حظّا وافرا م ن البلاغة والمعرفة، وكان إلى جانب ذلك شاعرا جيّد الشعر مطبوعه، حسن الخطّ، وكانت بغرناطة ربعة مصحف بخطّه في نهاية الصّنعة والإتقان.[2]

وجملة القول ممّا تقدّم إنّ الأسرة الزيرية لم تكن فارغة من محتوى العلم، وإذا لم يزدحم ببلاطها الشعراء، فذلك راجع لعدم سخاء م لوكها، أو بعبارة أخرى لعدم تبذير المال والإغداق على الشعراء والندماء كما كان حال عبد الله بن بلقين [3]، لكنّ هذا لم يمنع على العموم من تواجد علماء وأدباء عاشوا في كنف دولتهم، ويبدو أنّ الذين رموهم بعقم الثقافة إنّما أخذوا عليهم تلك السياسة التي جعلتهم يتخيّرو ن وزراءهم من اليهود، الذين صاروا يتحكّمون في رقاب المسلمين، ولا يمكن أن يوصف هذا العمل الذي قاموا به بالانفتاح على جميع الأجناس التي كانت تقاسمهم البلد، وأيّا كان سبب هذا الاختيار فهو خطأ من وجهة نظر الشّرع ارتكبوه وأكّد التاريخ سوء هذا القرار، كما أنّ ذلك حمل بعض مسلمي غرناطة ومنهم الشاعر خلف بن فرج الإلبيري المنبوز بالسميسر المشهور بالهجاء - والذي كان يمثّل على ما يبدو صوت المعارضة - على أخذ موقف سلبي من باديس، عبّر عنه بثلاث أبيات وكتب بها نسخا عدّة ورماها في شوارع البلد والطرقات، وسار من ساعته إلى المريّة معتصما بالمعتصم بن صمادح، وطارت الأبيات في أقطار الأندلس،

---

[1]- المصدر نفسه، ص62.
[2]- ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص289.
[3]- أمين توفيق الطيبي في تحقيقه للتبيان، ص41.

ولمّا وقف باديس عليها أرسل وراءه أصحاب الخيل ففاتهم ولم يلحقوه، والأبيات هي:[من الخفيف]

كُلَّ يــومٍ إلى وَرَا	بُــدِّلَ البَـوْلُ بِالخَرَا
فَزَمـانًا تهَــوُّدًا	وزمــانًا تَنصّـُرَا
وسَيَصْبُو إلى المَجُو	سِ إنْ الشّـيْخُ عُمِّرَا[1]

وتعبّر هذه الأبيات عن نقمة السميسر على باديس بسبب استوزاره نصرانيا بعد أن هلك الوزير اليهودي، وكأنّه يريد أن ينقل إلينا بأن باديس هذا لا ملّة له، وستتحوّل نقمته من شخص بعينه إلى كره للبربر ككلّ بعد أن غادر غرناطة فقال في ذلك: [من البسيط]

رأيتُ آدمَ في نومي فقلتُ لَهُ	أبا البريةِ إنّ النّاسَ قدْ حكمُوا
أنَّ البرابرَ نسْلٌ منكَ قالَ إذَا	حوّاءُ طالقةٌ إنْ صحَّ ما زعمُوا[2]

---

[1]- السّلفي أبو طاهر، معجم السّفر، ص262.

[2]- المقّري، المصدر السابق، ج3، ص412./ ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر- بيروت، ط2، 1995م، م1، ص369.

4 - إسهامات البربر العلمية في عصر الطوائف بالأندلس وحظّ صنهاجة منها:

بادئ ذي بدء أشير إلى أنّ عملية جرد أعلام البربر خلال عصر الطوائف مكّنتني من إحصاء 38 علما في الفترة الممتدّة ما بين سنة 422 إلى 484هـ/1031-1091م، مع الملاحظة أنّ بعض الحالات تجاوزت عتبة سنة 484هـ، على اعتبار أنّ أصحابها وإن كانوا مخضرمين فإنّ جلّ حياتهم تدخل في هذا العصر.

رقم	اسم العلم وتاريخ وفاته	الانتماء القبلي	مجال التخصّص(ع.نقلية- ع.عقلية- ع.أخرى)											
			فق	ع.ح	ع.ق	نث	شع	ع.ل	ع.ك	ريا	تا/ج	فل	تص	طب
01	أحمد بن إبراهيم بن أبي زيد اللواتي المرسي (كان حيّا سنة 423هـ)	لواتة	X											
02	أبو الحسين يحي بن إبراهيم بن أبي زيد (نال الإجازة رفقة أخيه بمصر سنة 423هـ)	لواتة	X											
03	أبو عمران موسى بن عيسى بن أبي حاج واسمه يحج الغفجومي الفاسي(368-430هـ)	غفجومة (زناتة)	X	X	X									
04	أبو علي حسين بن محمد بن سلمون المسيلي(ت431هـ)	مسيلة من عمل بجاية (صنهاجة)	X											
05	أبو عمر عثمان بن ع.الله بن إسماعيل بن دليم البجاني(مات قريبا من 434هـ)	وزداجة	X	X	X									
06	أبو بكر محمد بن أحمد بن ع.الله بن هرثمة بن ذكوان (395-435هـ)	من برب فحص البلوط	X	X										
07	أبو محمد عبد الله بن أبي دليم البلنسي(سمع منه الرواية سنة 436هـ)	وزداجة		X										
08	أبو عمر أحمد بن إسماعيل بن دليم القاضي الجزيري(كان حيّا سنة 440هـ)	وزداجة	X	X	X									
09	الفضل بن أحمد بن محمد بن درّاج القسطلي(كان حيّا سنة 440هـ)	صنهاجة				X	X							
10	أبو محمد ع.الله بن خلوف بن موسى الزواغي = ابن أبي العظام(ت443هـ)	زواغة (سمكان)	X		X									
11	أبو الربيع سليمان بن مُنَحل النفزي الشاطبي(ت456هـ)	نفزة	X		X									
12	أبو ع.الله محمد بن ع.الله بن أبي زمنين الإلبيري"الأب" (ت460هـ)	نفزة	X											
13	أحمد بن محمد بن عبد الله بن عيسى بن أبي زمنين المري	نفزة	X											

	الإلبيري"الابن"(من أعلام ½ 2 من ق5هـ)														
14	المظفر أبو بكر محمد بن ع.الله بن مسلمة=ابن الأفطس(ت461هـ)	مكناسة				X	X				X				
15	منخل بن محمد بن زيد النفزي الشاطبي(من أعلام ق5هـ) صاحب ابن ع.البرّ(ت463هـ)	نفزة		X											
16	أبو القاسم خلفة بن تامصّلت بن يحي البرغواطي(دخل قرطبة سنة 463هـ)	برغواطة (مصمودة)			X										
17	أبو محمد ع.الله بن إبراهيم بن جماح الكتامي السبتي(ت470هـ)	كتامة	X												
18	أبو محمد ع.الله بن أحمد بن الحاج الهواري = ابن حفّاظ(ت474هـ)	هوارة	X												
19	أبو القاسم خلف بن أحمد بن جعفر الجراوي المري(ت475هـ)	جراوة (زناتة)	X	X											
20	عبد الرحمن بن محمد بن أحمد الصنهاجي القرطبي=ابن اللبّان(ت نحو 480هـ)	صنهاجة		X		X									
21	المتوكّل عل الله أبو محمد عمر بن المظفّر بن الأفطس(ت487هـ)	مكناسة				X	X	X							
22	ع.الله بن بلقين الصنهاجي الغرناطي(ت بعد 487هـ)	صنهاجة				X	X	X			X				
23	أبو الطيب ع.المنعم بن منّ الله بن أبي بحر الهواري القيرواني(ت493هـ)	هوارة					X								
24	أبو عمران موسى بن سليمان اللخمي الدّاموسي[1] المري(ت494هـ)	صنهاجة			X										
25	أبو مروان ع.الملك بن رزين الهواري الحاجب ذو الرياستين(ت496هـ)	هوارة				X	X								
26	أبو الحسين يحي بن إبراهيم بن أبي زيد اللواتي=ابن البيّان المرسي(406-496هـ)	لواتة	X		X										
27	أبو ع.الله محمد بن ع.الأعلى بن هاشم=ابن الغليظ القرطبي(من أعلام ½ 2 من ق5هـ)	بنو الغليظ (صنهاجة)	X			X									
28	أبو مروان عبيد الله بن محمد بن قاسم الكزني(من أعلام ق5هـ)	كزنة (نفزة)	X												
29	أمّ العلاء بنت يوسف الحجاريةالبربرية (من	من البربر					X								

[1]- داموس بلد بالمغرب من بلاد البربر من البر الأعظم قرب جزائر بني مزغنّاي (صنهاجة). ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص434.

	أعلام ق5هـ)													
30	إسماعيل الظافر عبد الرحمن بن سليمان بن ذي النون(من أعلام ½ 2 من ق5هـ)	بنوذي النون (هوارة)				X	X							
31	أرقم بن ع.الرحمن بن إسماعيل بن ع.الرحمن بن إسماعيل بن عامر بن مطرّف بن موسى بن ذي النون=المضراس	(هوارة)				X	X							
32	أبو المعلّى يَدَّيْر بن حباسة بن ماكسن الصنهاجي الغرناطي(من أعلام ½ 2 من ق5هـ)	صنهاجة				X								
33	أبو إسحاق إبراهيم بن وزمّر الصنهاجي الحجاري(جد صاحب المسهب) من أعلام ½ 1 من ق5هـ.	صنهاجة				X	X				X			
34	إبراهيم بن وزمّر الحجاري والد ع.الله الحجاري الصنهاجي(من أعلام ½ 2 من ق5هـ)	صنهاجة				X	X	X			X			
35	أبو خالد ع.الله بم محمد بن ع.الرحمن بن أبي زمنين المري الغرناطي والد القاضي أبي بكر"(من أعلام ق5هـ)	نفزة	X											
36	أبو بكر محمد بن ع.الله بن عيسى بن أبي زمنين المري الإلبيري(من أعلام½ 2 من ق5هـ)	نفزة	X											
37	محمد بن ع.الله بن عيسى بن أبي زمنين الإلبيري"أخو ع.الله الفقيه(من أعلام ق5هـ)	نفزة	X											
38	ع.الوهاب بن محمد بن ع.القدّوس بن يوسف بن أحمد(من أعلام½ 2 من ق5هـ)	بنو ع.الوهاب[1] (صنهاجة)	X	X	X									

من أهمّ الملاحظات التي يمكن تسجيلها عن الجدول أعلاه ما يلي:

- بلغ عدد أعلام البربر الذين تمكّنت من جرد أسمائهم وتخصّصاتهم العلمية، والذين ثبت إسهامهم في الحركة العلمية خلال عصر الطوائف بدءا من سنة 422 إلى 484هـ/1031-1091م (في مدّة تجاوزت 60 سنة بقليل) 38 عَلَما، أي بانخفاض قدّر بـ10 أعلام مقارنة بالفترة السّابقة أي من بداية العهد العامري إلى زوال الخلافة الأموية بالأندلس (371 إلى 422هـ/981 إلى 1031م)، وهو ما يعني أنّ هناك فارقا زمنيا بين الفترتين يقدّر بعشرية كاملة، وكان من المفروض أن يصبّ هذا الفارق

[1]- ابن حزم، جمهرة الأنساب، ص502.

في فترة الطوائف باعتبارها أطول من سابقتها، إلاّ أنّ العكس هو الذي حصل، وربّما يعزى تفسير ذلك إلى ما ألقت به الفتنة من آثار سلبية، فمن المعلوم أنّ عددا من العلماء لقوا حتفهم فيها، وكان من الضروري أن تمرّ الأندلس بمرحلة انتقالية بين نهاية عصر الخلافة وبداية عصر الطوائف لتتعافى من جراح وآثار تلك الفتنة المريبة.

- مرّة أخرى نجد العلوم الشرعية تحتل صدارة العلوم من حيث المنتسبين إليها والمحسوبين في عداد هذا التخصّص، ويبقى الفقه على رأسها مع أفضلية بسيطة للقرآن على الحديث. ومن اللاّفت للنظر أنّه بعد الفقه مباشرة انصبّ اهتمام البربر على الآداب نثرا وشعرا، في حين تضاءل الانتماء إلى اللغة والتاريخ، بينما لم تسجّل أيّة مشاركة للبربر في الرياضيات والفلسفة والتصوّف والطّب، ويعود ذلك إلى نظرة المجتمع إلى هذه العلوم، أو إلى تعقيداتها وصعوبتها، أمّا العلوم الشرعية والآداب فقد حافظت على قيمتها وتواجدها من منطلق ما كانت تحقّقه لأصحابها من مكاسب وحظوة في نظر الخاص والعام حينئذ.

قبائل البربرالواردة في عصر الطوائف	الأعلام المنتمون إليها (علامة X)	العدد	النسبة %
كتامة	X	01	02,63
زواغة (سمكان)	X	01	02,63
مصمودة	X	01	02,63
زناتة	X X	02	05,26
مكناسة	X X	02	05,26
بربر يجهل انتماؤهم ؟	X X	02	05,26
لواتة	X X X	03	07,89
وزداجة	X X X	03	07,89
هوارة	X X X X X	05	13,15
نفزة	X X X X X X X X	08	21,05
صنهاجة	X X X X X X X X X X	10	26,31
مجمــوع عـــــدد الأعـــــلام		38	100

ويلاحظ أيضا على الجدول التبسيطي لعدد أع لام كلّ قبيلة من قبائل البربر التي سجّلت حضورها خلال هذه الفترة ما يلي:

- إسهامات ضئيلة بصفة عامّة في الإطار العام للحركة العلمية بالأندلس، الذي تبقى السيطرة عليه للعنصر العربي ويمكن التأكّد من ذلك بالعودة إلى كتب التراجم التي أرّخت وترجمت لأعلام هذه الفترة.

- تبادل الصدارة بين صنهاجة ونفزة بارتفاع عدد العلماء المنتمين إلى الأولى وتقلّص عدد المنتمين إلى الثانية خلال عهد الطوائف، مقارنة بالفترة السّابقة التي كانت فيها الأسبقية لنفزة . كما يلاحظ أيضا في هذا الإطار انخفاض نسبة البربر الذين يجهل انتماؤهم القبلي من 12 علما إلى علمين اثنين فقط، في حين بقيت دار لقمان على حالها لبعض القبائل التي سجّلت حضورها باحتشام لا يتعدّى علما واحدا.

ومن أعلام صنهاجة الذين تمّ جرد أسمائهم أثناء هذه الفترة الممتدّة ما بين تاريخ سقوط الخلافة الأموية بالأندلس إلى نهاية القرن الخامس - حسب تخصّصاتهم التي برزوا فيها:

العلوم الشرعية: برز في هذا الفنّ جملة من الأسماء نذكرها فيما يلي:

* أبو علي حسين بن محمد بن سلمون المسيلي (ت431هـ/1039م)، الذي ولّي الشّورى بقرطبة، وكان حسن التفقّه، وقد نوظر عليه في المسائل وكان لا يحسن سواها.[1]

* عبد الوهّاب بن محمد بن عبد القدّوس بن يوسف بن أحمد، وهو من أعلام النصف الثاني من القرن 5هـ/11م، وانتماؤه في بني عبد الوهّاب أحد فروع صنهاجة بأشونة، الذين انفرد ابن حزم بذكرهم عرضا في جمهرته، فلم يزد عن الإشارة البسيطة التي يقتضيها موضوع مؤلّفه، الذي كان في ا لنّسب فعرفنا منه وأخذنا عنه ما لم تزوّدنا به المصادر الإسلامية التي سبقته ولا حتى التي جاءت بعده، " بأنّ بني عبد الوهّاب خملوا، فما بقي منهم من يعرف، إلاّ رجل له رحلة حجّ

[1]- ابن بشكوال، المصدر السابق، ج1، ص151.

وطلب العلم، وكانت الرواية ممّا جمعه في رحلته هذه، وهو اليوم إلى جانب الإقراء خطيب جامع قرطبة ثمّ ذكر اسمه".[1]

* أبو عبد الله محمد بن عبد الأعلى بن عبد الأعلى بن هاشم، المعروف بابن الغليظ [2]، وهو الآخر من أعلام النصف الثاني من القرن 5هـ/11م، الذي اعتبر من أهل العلم والأدب والرّواية، فحاز بسبب ذلك مرتبة القضاء بمدينة مالقة.[3]

* عبد الرحمن بن محمد بن أحمد الصنهاجي القرطبي المعروف بابن اللّبّان (ت نحو 480هـ/1087م)، الذي اختصّ بالفقيه العالم أبي عبد الله محمد بن عتّاب، وكان بصيرا بالحديث وطرقه، ويرفع بذكره كثيرا، وهو ما جعل ابن بشكوال يصفه بالنباهة والمعرفة واليقظة وكمال الأدوات، ثمّ ذكر أنّه روى عن ابن عتّاب وغيره.[4]

* أبو عمران موسى بن سليمان اللخمي الدّاموسي المري (ت494هـ /1100م)، الذي وصفته كتب التراجم بأنّه كان مقرئا فاضلا، عالما بالقراءات، وأنّه أخذ هذا العلم عن أبي العبّاس أحمد بن أبي الرّبيع المقرئ وأقرأ النّاس بالحمل عنه.[5]

ﮧ **الآداب وعلوم اللغة** : برز في هذ ا الفنّ جماعة من الصنهاجيين، هم على التوالي:

* الفضل بن أحمد بن محمد بن درّاج القسطلي (كان حيّا بعيد 440هـ/1048م)، وصفه الحميدي بصفات من يمتلكون مفاتيح هذه الصّنعة فقال عنه:" أديب شاعر، وله حظّ من البلاغة، يجري في الشّعر والرّسائل على طريقة أبيه"، ومن شعره الذي نقله إلينا مدحه لإقبال الدّولة علي بن مجاهد العامري، الذي حكم دانية والجزائر الشرقية سنة 436هـ/1044م، وممّا قاله فيه: [من الخفيف]

---

[1]- جمهرة أنساب العرب ، تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف- القاهرة، ط5، 1982، ص502.

[2]- بنو الغليظ ينتمون في صنهاجة، المصدر نفسه، ص501.

[3]- الحميدي، المصدر السابق، ص76./ الضبّي، المصدر السابق، ص90./ ابن بشكوال، المصدر السابق، ج2، ص423.

[4]- الصلة، ج2، ص281.

[5]- ابن بشكوال، المصدر السابق، ج2، ص476./ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص284.

وإذا ما خُطُوبُ دَهْرٍ أنافَتْ	وأطافَتْ كأنّها الجِنُّ تَسعَى
كلأتْنَا مِنْ لَسْعِهِنَّ أيادي	مَلِكٍ يَكْلأ الأنامَ ويَرْعَى
مَلِكٍ إنْ دَعَاهُ لِلنّصْرِ يَوْمًا	مُسْتَضَامٌ كفَاهُ نَصْرًا وَمَنْعَا
أوْ عَرَاهُ السَّلِيبُ صِفْرًا يَدَاهُ	جَمَعَ الرّزْقَ مِنْ نَدَاهُ وَأوْعَى[1]

* أبو المعلّى يَدَّيْر بن حُباسة بن ماكسن بن حَبّوس بن زيري بن منّاد الصنهاجي الغرناطي، ابن أخي حبّوس بن ماكسن (من أعلام النصف الثاني من القرن 5هـ/11م)، الذي أثر عنه إقباله على قراءة الكتب ومجالسة الفقهاء [2]، وقد روى عن أبي الفتوح ثابت بن محمد الجرجاني[3]، كما كان يدّير رئيسا محبّا في العلم وأهله، ذا حظّ صالح من الأدب واستمالة منتحليه.[4]

* عبد الرحمن بن محمد بن أحمد الصنهاجي القرطبي المعروف بابن اللبّان، الذي كان حسن الخطّ، وقد كتب للقاضي أبي بكر بن أدهم.[5]

* الأمير عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبُّوس بن ماكسن بن زيري بن منّاد الصنهاجي الغرناطي (447- توفّي بعد 487هـ/1055- بعد 1094م)، الذي أوتي من البلاغة حظّا وافرا، وسعة من المعرفة، نستشفّها من إلمامه بلغة العرب وآدابها، في مذكّراته التي تركها لنا، حيث يقتبس عددا كبيرا من الآيات والأحاديث النّبوية، ويستشهد بالأمثال والأشعار والحكم في مجالات شتّى، وقد أخبر ابن الخطيب أنّه أثناء زيارته التي قادته إلى أغمات سنة 761هـ/1360م وَقَفَه خطيب مسجدها على

1- الحميدي، المصدر السابق، ص 320./ الضبّي، المصدر السابق، ص 387./ ابن بشكوال، المصدر السابق، ج2، ص369.

2- ابن بلقين، التبيان، تحقيق أمين توفيق الطيبي، ص65.

3- كان إماما في العربية، متمكّنا في علم الأدب . الحميدي، المصدر السابق، ص 182./ ابن بشكوال، المصدر السابق، ج1، ص114-115./ عمر رضا كحالة، معجم المؤلّفين تراجم مصنّفي الكتب العربية، مؤسسة الرسالة-دمشق، ط1، 1376هـ/1957م ج1، ص467.

4- ابن عبد الملك المراكشي أبو عبد الله، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصّلة، تقديم وتحقيق وتعليق محمد بن شريفة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، 1984، السّفر الثامن، القسم الثاني، ص421-422.

5- ابن بشكوال، المصدر السابق، ج2، ص281.

تاريخ صدر عن أبي محمد عبد الله بن بلقين أمير غرناطة أيّام اعتقاله، يشرح الحادثة على ملكه في أسلوب بليغ، ختمه بمقطوعات من شعره تشهد بفضله.[1]

وذكر ابن بلقين نفسه بعد إتمام حديثه عن أسرته ودولته ونهايتها وما آل إليه حاله، أنّه سينتقل إلى الحديث عن بعض الشّعر الذي نظمه، وقت فراغ البال وجَمام النفس، مع ما أعان على ذلك من النظر إلى كلّ مستحسن، والسّرور بطيب كلّ خبر، ويخبرنا أنّه كان يفعل ذلك على سبيل الاستظراف والإطناب في وصف شيء بأن ينعته، وأنّه ربما صنع في البيت أو البيتين أيّاما [2]. ويرى أمين توفيق الطيبي محقّق كتابه التبيان، أنّه ربّما كان يقصد نفسه حينما روى أنّه قيل لرجل: " من أين لك هذا العلم؟" فقال له: " قلبا عقولا ولسانا سؤولا"[3].

إنّ هذه الانطباعات التي قيلت بشأنه تجعلنا نضعه في مصاف أمراء الطوائف الذين خدموا الحركة العلمية في الأندلس، بتميّزه في اختصاص الأدب أثناء هذا العصر، ووصف خطّه بالحسن، بالنّظر إلى الرّقعة التي وُجدت بغرناطة، وهي ربعة مصحف في نهاية الصّنعة والإتقان[4]، كانت ببصمة أنامله.

* أبو إسحاق إبراهيم بن وزمّر الصنهاجي الحجاري، (من أعلام النصف الأول من القرن 5هـ/11م)، وهو جدّ صاحب المسهب، عرف بولعه للأدب، وقد خدم به المأمون بن ذي النون، ومن شعره:

لَئِنْ كَرِهُوا يَوْمَ الوَدَاعِ فإنّني	أهيمُ بِهِ وَجْداً لأجْلِ عِنَاقِهِ
أصَافِحُ مَنْ أهْواهُ غَيْرَ مُسَاتِرٍ	وسِرُّ التلاقي مُودَعٌ فِي فِرَاقِهِ

وقوله: [من الطويل]

ألا إنّها وَالله إِحدى الكَبَـائرِ	تَعُقّونَ أسْـلاَفاً لَكُمْ بالمَـآثِرِ

[1]- نُفاضةُ الجراب في عُلالةِ الاغتراب، نشر وتعليق أحمد مختار العبادي، مراجعة عبد العزيز الأهواني، دار النشر المغربية- الدار البيضاء، (د.ت)، ص56.
[2]- التبيان، ص177.
[3]- ابن بلقين، المصدر السابق، مقدّمة التحقيق، ص42 وص177.
[4]- ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص289.

مَتَى كانَ مِنْكُمْ مَنْ يَجُودُ لِقَاصِدٍ	مَتَى كانَ مِنْكُمْ مَنْ يَهَشُّ لِشَاعِرِ[1]

* إبراهيم بن وزمّر الحجاري (من أعلام ½ الثاني من القرن 5هـ/11م)، وهو والد عبد الله الحجاري، الذي كان أديبا شاعرا، وإن لم يؤثر عنه قول الشعر في ثنايا المصادر التي بين أيدينا، وليس ثمّة شكّ أنّه كان من الشّعراء، وهو الرّأي الذي نميل إليه، ومحلّ الشّاهد على ذلك أنّ كتابه " مغناطيس الأفكار فيما تحتوي عليه مدينة الفرج من النظم والنثر والأخبار "[2]، الذي ألّفه لصاحب طليطلة المأمون بن ذي النون، جمع فيه مادّة شعرية كثيرة، تجعلنا لا نستبعد أنّ بعضا منها كان من نظم صاحبه، ذلك أنّه لا يعقل أن يكتب في القريض لو لم يكن على بيّنة من صنعة الشّعر، التي كانت تربطه بها علاقة حميمية، على أنّ الإجابة الشّافية التي تزيل الشّكّ باليقين، تبقى حبيسة بين دفّتي مؤلّفه، الذي لم يصل إلينا سوى اسمه.

العلوم العقلية وعلوم أخرى:

الحديث عن هذه العلوم على مرّ العصور التي شهدتها الأندلس الإسلامية، كان لا يشغل حيّزا كبيرا في المصادر التي أرّخت للبلد، وبالتالي فإنّ عدد علماء البربر المنتمين إلى هذا التخصّص يعدّون على الأصابع، ومن ثمّ لا يتصوّر أن نجد نسبة معتبرة من علماء صنهاجة المنتمين إلى هذا التخصّص، وبخاصّة عصر الطوائف الذي نحن بصدد الحديث عنه، ويتمثّل نصيب صنهاجة في هذا المجال في الأ سماء التّالية:

* أبو إسحاق بن وزمّر الصنهاجي الحجاري، الذي كام مولعا بعلوم التواريخ[3] ، وولده إبراهيم بن وزمّر الذي استفاد من تجربته، فخصّص جانبا معتبرا من الآثار والأخبار في كتابه مغناطيس الأفكار، الذي أهداه إلى المأمون بن ذي النون[4]، ويضاف إلى هذين العلـمين شخصية عبد الله بن بلقين،الذي سنخصّه بالدّراسة التالية:

---

[1]- ابن سعيد المغربي، المغرب، ج2، ص33-34.
[2]- ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص328-329.
[3]- ابن سعيد، المغرب، ج2، ص33.
[4]- ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص328-329.

*** شخصية الأمير عبد الله بن بلقين الغرناطي[1] و كتابه التبيان:**

- تحقيق المخطوط وإخراجه إلى النّور وما يتعلّق بعنوانه:

ظلّ مخطوط " التبيان " حبيس مكتبة جامع القرويين بفاس مدّة أزيد من 6 قرون، إلى أن عثر عليه المؤرّخ المستشرق الفرنسي إ . ليفي بروفنسال في أوائل الثلاثينات من القرن الماضي، وقد نشره باللغة الفرنسية على فترتين في مجلّة الأندلس الصّادرة في مدريد[2]، وأخرج النّصّ كاملا في كتاب مستقلّ من مجموعة ذخائر العرب عام 1955 قبل وفاته بقليل [3]، ثمّ نقله إلى الإنجليزية الدكتور أمين توفيق الطيبي سنة 1971[4]، وأعقب ذلك ترجمته إلى الإسبانية من قبل الأستاذ غارسيا غومث تحت عنوان " القرن الحادي عشر بضمير المتكلم، مذكرات عبد الله آخر أمراء بني زيري في غرناطة المخلوع من قبل المرابطين(1090م)".[5]

وهكذا اكتشف العالم هذا العمل التاريخي بعد ترجمته إلى ثلاث لغات أجنبية فضلا عن نسخته الأمّ بالعربية، ليستغلّ لاحقا من لدن المؤرّخين المهتمّين بدولة غرناطة الزيرية الطائفية [6]، ولعلّ أحسن دراسة لـ " كتاب التبيان " هي تلك التي أنجزها الدكتور أمين توفيق الطيبي بعنوان "دراسة حول الأمير عبد الله آخر ملوك بني زيري في غرناطة"[7]، الذي تعامل مع مادّة المخطوط باحترافية كبيرة وفق ما يتطلّبه فنّ التحقيق، وعالج موضوعه بشكل علمي دقيق، من خلال الإحاطة بكلّ

---

[1]- سبق التعريف به في الفصل الأول من هذه الدراسة.

[2]- Abd- Allah b. Buluggin, Les (Mémoires) de Abd- Allah b. Buluggin, dernier roi ziride de Grenade, traduit au francais par Évariste Lévi-Provencal, in Al-Andalus N°3 (1935), pp233-344 et N°4 (1935-39), pp29-145.

[3]- أحمد مختار العبادي، في تحقيقه لنُفاضة الجراب، الهامش 5، صص55-56.

[4]- The Tibyan: memoirs of `Abd Allah B. Buluggin, last Zirid amir of Granada / translated from the emended Arabic text and provided with introduction, notes and comments by Amin T. Tibi, 2 vols. Ph. Thesis, 1971 (published in Leiden: Brill, 1986). مع العلم أنّ هذا العمل سيترجم إلى العربية ويرى النّور على يد منشورات عكاظ- الرباط، 1995.

[5]- Evariste Lévi-Provençal, Emilio GarcÍa Gómez, El siglo XI en primera persona : las "Memorias" de 'Abd Allah , último Rey Zirí de Granada destronado por los Almorávides (1090), Madrid: Alianza Editorial, 1980.

[6]- امحمّد بن عبّود، جوانب من الواقع الأندلسي، ص245.

[7]- نشرت هذه الدراسة في مجلّة كلّية التربية، جامعة الفاتح، رقم 7، (1976-1977)، صص114-115 وما بعدها./ امحمد بن عبّوذ، المرجع السابق، الهامش 39، ص269.

جانب من جوانبه، التي تستدعي إماطة اللّثام عنها، سواء ما تعلّق بالمخطوط أو بصاحبه.

ويذكر إ.ليفي بروفنسال أنّ صاحب الحلل الموشية نبّهه إلى أنّ الأمير عبد الله بن بلقين استوفى الكلام في أمر دول الطوائف وخلع ملوكها، في الكتاب الذي ألّفه في دولة قومه[1] بني زيري، والتي كان هو آخر ممثّليها، وأثناء نشر بروفنسال لكتاب أعمال الأعلام، يذكر أنّه جلب انتباهه وهو يقرأ عن دولة عبد الله بن بلقين ما صرّح به ابن الخطيب، بقوله : " وقفت على ديوان بخطّه ألّفه بعد خلعه بمدينة آغمات، وقرّر فيه أحواله والحادثة عليه، ممّا يستظرف من مثله: أتحفني به خطيب المسجد بآغمات رحمه الله"[2]. إلاّ أنّ عنوان الكتاب ظلّ مجهولا إلى أن اكتشفه عن طريق الصّدفة بالمطالعة في ثنايا كتاب المرقبة العليا، أين أشار صاحبه إلى " ما حكاه الأمير عبد الله بن بلقين في كتابه المسمّى بـ" التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة"[3]، وللإشارة فإنّ جميع من حقّقوا هذا المخطوط بداية بليفي بروفنسال إلى أمين توفيق الطيبي، لم يسمّوا عملهم المحقّق بالعنوان الكامل المشار إليه في المرقبة العليا، غير أنّه ينبغي التنويه بآخر ما صدر بهذا الشّأن من قبل الدكتور علي عمر، الذي أعاد طبع ما نشره من سبقوه تحت عنوان كتاب التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة، معلّلا اختياره لهذا العنوان بقوله : " أمّا نحن في طبعتنا هذه فقد آثرنا التسمية الصحيحة والحقيقية لهذا الكتاب، وهي ما صرّح به المؤرّخون القدامى والنّاقلون عن كتاب الأمير عبد الله "[4]، والجديد في هذه الطبعة أنّها تتميّز بإخراج جيّد، ومقاس خط كبير مقارنة مع طبعة عكاظ لتوفيق الطيبي ذات الخطّ الصغير الذي يصعب قراءته، وتتمثّل إضافة الدكتور علي عمر في هذا العمل في تشكيل كلمات النّصّ ليسهل على القارئ فهمها، مع تصحيحه في مواطن مختلفة من التحقيق لبعض الكلمات الواردة في المتن تصحيفا بالكلمة الصواب، أو شرح غامض الكلمات في الهامش.

---

[1]- ابن سماك العاملي، المصدر السابق، ص132.
[2]- أعمال الأعلام، ص235./ نفاضة الجراب، ص56.
[3]- النباهي، المصدر السابق، ص123.
[4]- كتاب التبيان ...، مقدّمة الطبعة، ص6.

- مضمون كتاب التبيان:

يرجح توفيق الطيبي تاريخ تأليف عبد الله بن بلقين للتبيان إلى ما بين جمادى الأولى سنة 487هـ /جوان 1094م ونهاية السنة التّالية 488هـ /1095م على أكثر تقدير، ومحلّ الشاهد عنده أنّ الأمير عبد الله يختتم كتابه بالحديث عن الجهود التي بذلها المرابطون لتخليص بلنسية من استيلاء الكنبيطور عليها في 30 جمادى الأولى سنة 487هـ /17 جوان 1094م، كما أنّ مجمل الأحداث الهامّة التي حدثت سنة 488هـ/1095م ومنها حدث وفاة أخيه تميم ووفاة المعتمد بن عبّاد ما كان ليغفل عنها لو أنّه كتب عن هذه السنة.[1]

ويعتبر كتاب التبيان مذكّرات ترجم فيها المؤلّف حياته، وحياة الأسرة الزيرية التي حكمت غرناطة قبله، بداية من تاريخ قدومها إلى الأندلس، وما تعرّضت إليه من أحداث كالفتنة التي كانت سببا في سقوط الخلافة الأموية، وظهور تلك الكيانات الصغيرة التي أصبح يطلق عليها إمارات الطوائف، وما كان بينها من حروب، وما ترتّب عنها من تسلّط مملكة قشتالة بقيادة ملكها ألفونسو السادس، الذي أصبح يسيطر ويتحكّم في هذه الفسيفساء من الممالك، التي وقفت ضدّ بعضها وقفة الندّ للندّ، ووضعت يدها في يد عدوّها، حتّى كلّفها ذلك سقوط طليطلة سنة 478هـ/1085م، التي أيقظتهم من أحلامهم الزّائفة.

وكان وقع الصّدمة جسيما عليهم، فأرادوا أن يتداركوا أنفسهم قبل فوات الأوان، ولم يكن أمامهم من حلّ سوى الاستنجاد بالمرابطين في بلاد المغرب، وبعد ترتيب كلّ الإجراءات تدخّل المرابطون في شئون الأندلس وفق ما يمليه عليهم الشرع فلنتصروا على ألفونسو، لكنّ ملوك الطوائف سرعان ما عادوا إلى ما كانوا عليه من الفرقة موسّعين الهوّة بينهم وبين العامّة، واشتكى هؤلاء وأيّدهم العلماء، ووقع الاتّفاق على التخلّص من الجميع، فهبّت عاصفة المرابطين فاجتثّتهم، ووجد الأمير عبد الله نفسه في أغمات على مقربة من مراكش، فوقف وقفة تأمّل مع نفسه، فيما مضى وما بقي من العمر، فكتب لنا مؤلّفه للذكرى والاعتبار.

---

[1]- نفسه، ص21-22.

ومن المهمّ جدّا أن نشير إلى أنّه بدأ تأليفه بالإشارة إلى قواعد وضوابط التأليف التي يجب أن يراعيها ويخضع لها كلّ من يروم التأليف (أخلاقيات الكتابة التاريخية)، ثمّ تطرّق بعدها إلى مسائل في العقيدة والتوحيد تحت عنوان حقيقة الإسلام والردّ على من لايؤمن به عقلا، على أنّ العقل (استعمال القياس) قاصر في إدراك الأمور الغيبية دون عون من الوحي (تكليف الرّسل بتبليغ الرّسالات)، وفي هذه الحالة فإنّ النّصّ (القرآن والسنّة) هو السبيل الوحيد إلى إدراك الحقيقة والإيمان بها، كما أشار إلى ضرورة الأخذ بأسباب العلم واكتساب التجربة في الحياة [1]، ثمّ تحدّث عن الشقّ التّاريخي الذي شغل الحيّز الأكبر من مؤلّفه.

وعاد ابن بلقين في نهاية مؤلّفه إلى الحديث عن تأمّلاته في تقلّبات الدّهر فساق لنا أقوال الفلاسفة وتحدّث عن مسألة الطّالع وآراءه في التنجيم (الكواكب) ونسبة الزّندقة إلى أهلها، ونقلنا بعدها إلى آراء الأطبّاء وأقوال أهل الطبيعة، وما قيل في شأن الخمر، وردّه على من ينكر أنّ الجنّ تتكلّم، بقوله: " لا يؤمن بالرّسالة من يتمذهب بهذا المذهب"، وكلامه عن هموم الهوى والشباب، كما ضرب لنا مثلا من قصّة حياته عن الطّموح وزوال خيرات الدّنيا (الميل إلى الزّهد)، وقبل أن يختم تأليفه مدافعا عن مسلكه أميرا، توجّه بالحديث إلى قرّائه راضين أو ساخطين عنه.[2]

- أهمّية الكتاب:

يكتسي مؤلّف عبد الله بن بلقين أهمّية بالغة، ذلك أنّه يمثّل أوّل تأليف من نوعه، كتب بقلم أمير بربري الأصل يقدّم فيه وجهة نظره الفاحصة عن دولة قومه ودولته، وسط عصر الطوائف المليء بالتناقضات . فلم يسبق لتاريخ المشرق الإسلامي ولا غربه أن قامت شخصية ملوكية بكتابة هذا النوع من التأريخ ، الذي سيصبح أنموذجا لنوع جديد من الكتابة التاريخية لم تظهر في التاريخ الأوربي إلاّ بعد تلك الحقبة بقرون[3] (المذكرات).

---

[1]- نفسه، صص47-53.
[2]- نفسه، صص177-195.
[3]- امحمّد بن عبّود، جوانب من الواقع الأندلسي، ص260.

وممّا يضفي على هذا العمل قيمة مضافة أنّ صاحب التأليف كان طرفا فاعلا في الأحداث، باعتباره شاهد عيان على العصر ولكونه أحد صانعي أحداثه، فهو ينقل إلينا من واقع المعايشة شهادة حيّة على ما كان يجري في الأندلس خلال عصر الطوائف، من وجهة نظره الخاصّة ووجهة نظر من عاصرهم من ملوك هذه الحقبة. وإذا كان " التبيان" لابن حيّان يعدّ مصدرا مهمّا أرّخ للأندلس في النصف الأول من القرن 5هـ/11م، وأنّ المؤرّخين الذين جاءوا بعد ابن بلقين تناولوا ما حدث في الأندلس خلال هذا القرن، فإنّه لا أحد منهم وصف لنا بدقّة ما حدث في موقعة الزلاّقة وحصار حصن لييط، لأنّه كما يقال ليس من رأى كمن لم يرى[1]، ولا ينبّؤك مثل خبير [2] شارك بنفسه في الحملتين . ومن ثمّ فإنّ التبيان هو المصدر الرّئيس الذي لا غنى عنه في التأريخ للعصر الذي تنتهي فيه مؤلّفات ابن حيّان، أي لأحداث العشرين سنة الأخيرة من عصر الطوائف بالأندلس.

ومن الأحداث التي انفرد بتصويرها صاحب التبيان زوال إلبيرة بعد أن جسّد زاوي مشروع بناء مدينة غرناطة التي ولدت في نفس الوقت الذي خربت فيه إلبيرة، وحدث سقوط طليطلة سنة 478هـ/1085م في قبضة ألفونسو السادس ملك قشتالة، كبداية لما سيعرف بحرب الاسترداد، والذي شكّل القوّة المتنامية التي فرضت منطقها على ملوك الطوائف، وتلاعبت بهم مستغلّة غفلتهم، حتّى صارت الخصم والحكم في كلّ ما يحدث على أديم الأندلس.

وكان من حتميات هذه الظروف استجابة المرابطين لاستغاثة أهل الأندلس لحماية بيضة المسلمين، وتبيان الدور الذي لعبه العلماء والفقهاء في القرارات التي سيأخذها يوسف بن تاشفين في مستجدات السّاحة بداية من الجواز الأول الذي سيحيي الأمل في نفوس المسلمين بعد وقعة الزلاّقة، إلى القضاء بخلع ملوك الطوائف ومواصلة الجهاد في الأندلس.

---

[1]- الذهبي، تاريخ الإسلام، ج3، ص615.

[2]- النويري شهاب الدين، نهاية الأرب، ج 30، ص122./ أحمد بن عبد اللطيف بن أحمد البَرْبِير الحسني، أبو الفيض، المفاخرة بين الماء و الهواء (مطبوع ضمن كتاب المفاخرات والمناظرات)، عُني بها : الدكتور محمَّد حسَّان الطَّيَّان، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1421هـ/2000م، ص31.

وفي الأخير يعتبر التبيان وثيقة حيّة تصوّر لنا ذلك الانحطاط السياسي الذي كانت عليه الأندلس قبل وبعد الزلاّقة، فكان من نتائجه اتّساع شرخ الهوّة بين الحاكم والمحكوم، بسبب اتّساع الطلب في تح صيل الضرائب على العامّة، الذي آل إلى تفكّك اجتماعي كتحصيل حاصل للوضع الاقتصادي المزري، الذي زاد في تأزيم الحال وتغيّر أهل الأندلس على ملوكهم، ووقوفهم إلى جانب المرابطين من أجل تغيير أوضاعهم المتأزّمة إلى استقرار ينعمون فيه بالأمن والأمان على دينهم وحياتهم وأموالهم.

- أسلوب المؤلّف ولغته:

خلافا لما نجده عند ابن بسّام الشنتريني في " ذخيرته" وابن خاقان في " قلائده" و"مطمحه"، وابن الخطيب في مقاماته ورسائله السلطانية من تقعّر وسجع وتقفية، وزخرفة الكلمات والتكلّف والصّنعة، فإنّ أسلوب عبد الله بن بلقين ن ثري مرسل جزل غير مسجّع، وعباراته سهلة ميسورة لا تكلّف فيها، وقد صرّح " أنّه لو كان غرضه نظم الكلام وسجع اللّفظ، كان ذلك ضارّا بالمعنى، وإن أتى به فإنّما يسوقه بعد تحليق عليه، ... ثمّ قال وأرى أنّ مساق الحديث في التأليف بعضه لبعض أحسن خرطا، وأفضل نظما من تقطيعه، ... فيتّفق إيراده دفعة واحدة ونصُّه على أكمل ما يمكن"[1].

ولا نجده يلجأ إلى السّجع إلاّ في بعض الحالات، التي تفرض عليه الإيجاز، مع عدم التمادي والاسترسال فيه في النّصّ الواحد، ومثال ذلك وصفه للكلام : " والكلام إذا خرج من القلب وقع في القلب، ولا خير في رامٍ رَعِشٍ ولا متكلّم هائب، فإنّ الهيبة فرع من المخافة، والمخافة فرع من الحذر، ومَنْ حذَرَ فقَدَ عقلَه، ومن خافَ تكدَّرَ عيشُه، ولا تصحّ مع هذا قريحة ينطِقُ عنها اللّسان، ويُذكى بها الجَنان، فالنّفسُ إذا مُنِعَت ما تشتهي تُرَى مُخْتلِطة، وتصيرُ كأنّها بطوارق الخَبْلِ مختبطة".[2]

وكحديثه عن تكوينه السياسي، الذي قال بشأنه: " .. وأنّه (المظفّر جدّ عبد الله) من آكد ما يجب له النّظر فيه ترشيح أحد بنيه للولاية بعده، وأنّ ذلك لا يتمّ إلاّ

[1]- التبيان، تحقيق علي عمر، ص17.
[2]- المصدر نفسه، ص15.

بتمرينه وإعماله في جميع خدمته، كي يتدرّب ولا يخفى عليه من أمور الدولة ما يحتاج إليه في نفسه، كنتُ من وفّقَه الله لبرِّه والانصياع لوصيّتِه، فأمر بإخراج من المكتب إلى التصرّف بين يديه ..."[1]، وكحديثه عن العقل : " ولا خير في عقل لا يتصرّف تارات، والمذهب السّرمديّ راكب طريقة الجهل واقع في الورطات، ومن الحقّ ما يسمح فلا تقوم حلاوتُه وفرضُهُ بما يعقُبُ من المشقّة، والعاقل يتخيّر الأمور، فيتجنّبُ معسورها، ويتوخّى ميسورها".[2]

ويدعم المؤلّف أسلوبه ليكون ذا أثر على القارئ مستشهدا أو مقتبسا من القرآن أو السنّة النّبوية، وفي أخرى مستشهدا بديوان العرب أو بما قاله العقلاء من الحكم والأمثال، وممّا مكّنه من الإجادة والتبريز في عرض أسلوب مادّته الخبرية، كونه أديبا اعترف له أدباء عرفوا في صنعة الأدب كالغافقي وابن الخطيب اللّذ ي شهدا له بالحظ الوافر من البلاغة[3].

وأكثر ما طغى على أسلوبه الاستشهاد بالقرآن الكريم، بداية من أوّل مناسبة ذكّر فيها بضرورة اتّباع الحقّ، فيما يتلقّفه الإنسان من قول، لأنّ الحقّ أحقّ أن يتّبع ثمّ ذكر قوله تعالى : (الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ)[4]، ودرج على هذا المنوال في مناسبات عدّة ومواطن كثيرة من تأليفه هذا، كان آخرها مخاطبته للمنصفين للحقّ بشأن دولته معترفا بجميلهم، وردّ على الحاسدين الحاقدين عليه بأن يموتوا بغيظهم، وخير ما يجب أن يخاطب به هؤلاء قوله تعالى : (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ)[5]. وهناك بعض المواطن التي اقتبس فيها من القرآن ومن ذلك حادثة تدبير مقتل حبّوس من قبل يَدّيْر التي باءت بالفشل، حيث

---

[1]- نفسه، ص24-25.
[2]- نفسه، ص175.
[3]- الإحاطة، ج3، ص289./ أعمال الأعلام، ص235.
[4]- سورة الزّمر، (رقم 39)، الآية 18وقد وردت في التبيان ص17.
[5]- سورة الأعراف، (رقم 7)، الآية 199. وردت في ص235 ينظر أيضا التبيان، المصدر السابق : صص17-20 وصص22-23 وص25 وصص36-37 وصص76-77 وصص123-124 وص176 صص181-182 وص206 وص217 صص225-226 صص228-229 صص232-233.

دخل عليه شيخ من صنهاجة فحذّره، فقال عبد الله بلسانه متحدّثا عن تحذير الشّيخ: " انج بنفسك واخرج من الباب الآخر! فـ (إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ)".[1]

وجاء الحديث النبوي في كثير من استشهادات المؤلّف، وإن كان ذلك بدرجة أقلّ مع ما ساقه إلينا من آيات فيما سبق ذكره، ومن أمثلة ما أورده لنا في " تبيانه " من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنّه قال: سئل النبيّ - عليه السّلام – عن علامة انشراح القلب للإسلام: فقال: { هو التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد بالموت قبل لقاء الفوت }[2]. وقول النبيّ صلّى الله صلى الله عليه وسلم: { أنا سيّد ولد آدم ولا فخر، وأنا أفصح العرب ولا فخر}[3]، وقوله صلى الله عليه وسلم: {دع ما يريبك إلى ما لا يريبك}.[4]

وإلى جانب هذا وذاك برز الأمير عبد الله في الشّعر الذي كان له باع فيه، وممّا يدلّ على ذلك ما استشهد به من أبيات شعرية في ما يتناسب مع موضوع حديثه، بداية من أوّل موطن حيث أنشد متمثّلا: [من الطويل]

---

[1]- التبيان ص49. وهذه الجملة المقتبسة جزء من الآية الكريمة : (وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى، قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ، فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ). سورة القصص، (رقم 28)، الآية 20.

[2]- التبيان ص211. وليس في الحديث عبارة "لقاء الفوت"، فعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: تَلَا رسول الله صلى الله عليه وسلم : {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ } [الأنعام: 125] فَقَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ النُّورَ إِذَا دَخَلَ الصَّدْرَ انْفَسَحَ» فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ لِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ يُعْرَفُ؟ قَالَ: «نَعَمْ، التَّجَافِي عَنْ دَارِ الْغُرُورِ، وَالْإِنَابَةُ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ، وَالِاسْتِعْدَادِ لِلْمَوْتِ قَبْلَ نُزُولِهِ». ابن الرّبيع أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله، المستدرك على الصحيحين، ج 4، ص346./ البيهقي أبو بكر، شعب الإيمان، تحقيق ومراجعة النصوص وإخراج الأحاديث: عبد العلي عبد الحميد حامد، وأشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه : مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي- الهند، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع- الرياض بالتعاون مع الدار السلفية- بومباي، ط1، 1423هـ/2003م، ج13، ص133.

[3]- التبيان، ص235. ولا اجتماع لهاتين الجملتين في حديث واحد لرسول صلى الله عليه وسلم، والجملة الأولى وردت من دون لفظ "يوم القيامة" في حديث: حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: رسول الله صلى الله عليه وسلم: { أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ}.ابن حنبل أبو عبد الله أحمد بن محمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد وآخرون، إشراف عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط1، 1421هـ/2001م، ج17، ص10-11. أمّا الجملة الثانية فقد وردت من دون عبارة "ولا فخر"، مع زيادة لم يذكرها صاحب التبيان، والحديث هو : {أَنَا أَفْصَحُ الْعَرَبِ بَيْدَ أَنِّي مِنْ قُرَيْشٍ، وَنَشَأْتُ فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ}، الجاحظ، رسائل الجاحظ، ج4، ص117 وص238./ البغوي أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي، شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، ط2، 1403هـ - 1983م، ج4، ص202. ولا يعرف راوي الحديث ولا سنده.

[4]- التبيان، ص22. والحديث عَنْ أَبِي الْحَوْرَاءِ السَّعْدِيِّ، قَالَ: قُلْتُ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : مَا حَفِظْتَ مِنْ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قَالَ: حَفِظْتُ مِنْهُ: {دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ }، صحّحه الألباني . النسائي أبو عبد الرح من أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، ط2، 1406هـ/1986م، ج8، ص327.

ولا خَيرَ في حِلْمٍ إذا لم تَكُنْ لَهُ	بَوادِرُ تَحْمي صفْوَهُ أنْ يُكَدَّرا[1]

وفي حديثه عن الأندلس كيف تهيّأت للمرابطين بلا مشقّة غير إشبيلية، قال : هذا نصّ ما كان ولا نعلم ما يكون، كما قال بعض الشعراء:

وأَعْلَمُ عِلْمَ الْيَوْمِ وَالأَمْسِ قَبْلَهُ	وَلَكِنَّنِي عَنْ عِلْمِ مَا فِي غَدٍ عَمِ[2]

ووصف جمال اللّسان بالنّطق بالصّواب، فيما قاله الشعراء عن رجل عرف بكثرة صمته وقلّة كلامه، الذي لا يكون إلاّ في محلّه، فقال:

لَقَدْ وَارَى الْمَقَابِرُ مِنْ شَـرِيكٍ	كَثِيـرَ تَحَلُّمٍ وَقَلِيلَ عَــابِ
صَمُوتاً في المَجَالِسِ غَيْرَ عَيٍّ	جَدِيراً حِينَ يَنْطِقُ بالصَّوَابِ[3]

ومن استشهاداته الكثيرة بأمثال العرب قوله: [لا يلدغ مؤمن من جحر مرّتين][4]، و[اتّسع الخرق على الرّاقع][5]، وقوله: [الحقّ أبلج والباطل لجلج][6]، كما استشهد

---

[1]- التبيان ص114. والبيت للنّابغة الجعدي، ديوان النّابغة الجعْدي، جمع وتحقيق وشرح واضح الصّمد، دار صادر- بيروت، ط1، 1998، ص85. وهو غير النّابغة الذبياني الذي جاء بعده.

[2]- التبيان، ص209. وهو البيت 51 من معلّقة زهير بن أبي سلمى "أمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلَّمِ "، ديوان زهير بن أبي سلمى، شرح وتقديم علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1408هـ/1988م، ص110.

[3]- التبيان، ص224. والبيتان لمُحْرِزْ بن عَلَقَمة . الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال- بيروت، 1423ه-/2002م، ج1، ص29 وص182.

[4]- التبيان، ص125. والحديث:{المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين }، أول من قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي عزة الشاعر (عمرو بن عبد الله بن عمر الجمحي)، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أسره يوم بدر فقال: يا محمد إني رجل معيل، وإنما خرجت معهم ليعطوني ما أعود به على عيالي . فمنَّ عليه وحذره أن يعود. فضمن له ألا يكثر عليه جمعاً. فلما كان يوم أحد خرج فيمن تألب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخذه رسول الله ولم يأسر يومئذ سواه. فقال: يا محمد منَّ علي فإني حملت على الخروج عليك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : {لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين . لا تأتي مكة تمسح عارضيك وتقول: خدعت محمداً مرتين} . ثم أمر عاصم بن ثابت بن الأقلح فضرب عنقه . ومعنى الكلام: أن المؤمن فطن لا يخدعه إنسان مرتين. المفضل بن سلمة بن عاصم أبو طالب، الفاخر، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، مراجعة: محمد علي النجار، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي ، ط1، 1380هـ، ص303./ ينسب لأبي بكر الخوارزمي محمد بن العباس، مفيد العلوم ومبيد الهموم، المكتبة العصرية، بيروت، 1418هـ، ص479.

[5]- التبيان، ص182. ومَعْنَاهُ قد زَاد الْفساد حَتَّى فَاتَ التلافي، أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، تحقيق وتعليق: محمد أبو الفضل إبراهيم، عبد المجيد قطامش، دار الجيل- بيروت، دار الفكر – بيروت، ط2، 1408هـ/1988م، ج1، ص160./ أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، تحقيق: وداد القاضي، دار صادر – بيروت، ط1، 1408هـ/1988م، ج2، ص103./ الزمخشري جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، المستقصى في أمثال العرب، دار الكتب العلمية – بيروت، ط2، 1987م، ج1، ص35.

[6]- التبيان، ص226. أي يتردد فيه صاحبه فلا يصيب مخرجا، ويراد به أيضا أنّ الْحق منكشف وَالْبَاطِل ملتبس. ملتبس. المبرد محمد بن يزيد أبو العباس، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي- القاهرة، ط3، 1417هـ/1997م، ج1، ص16./ العسكري أبو هلال، المصدر السابق، ج1، ص364./

بأمثال أندلسية مغربية تصويرية بديعة، وصلنا قليل منها وهو يدلّ على أنّه نتاج بيئتهم، لاتّصاله بأشخاص وأحداث ومظاهر منها[1]، فمن ذلك قوله: {وَمِنْ ثَوْرٍ حَيٍّ لاَ يُلْبَسُ هَرَاكِيس!}[2]، وقوله: { فلا الحمار سقط ولا الزّقّ انخرق }[3]، وقوله: {ولا يتمكّنُ للخَباء أن يَقِفَ دون أوتادٍ}[4]، وقوله: {فإنّه لا بدّ بعد الشُّهْدِ مِنْ إِبَرِ النَّحْلِ }[5] وغير ذلك ، وهناك مثل مشترك بين أهل المشرق والمغرب ساقه إلينا ابن بلقين، وهو يتعلّق بقولهم: {ما حكّ ظهرك مثل ظفرك}.[6]

وجملة القول أنّ التبيان لابن بلقين تضمّن الكثير من الاستشهادات بالقرآن والحديث النّبوي، فضلا عن الشعر والأمثال والحكم، كقوله على لسان الحكماء : " النّاس يعيشون ليأكلوا، ونحن نأكل لنعيش"[7].

أمّا بالنّسبة للتوظيف اللغوي في المخطوط فإنّ المؤلّف - بصفة عامّة – وفّق بدرجة عالية في اختيار ألفاظه للدّلالة على معاني تعابيره وأفكاره، وتعكس سلامة البناء اللغوي للنّص قدرة صاحبه على الكتابة، خصوصا إذا ما علمنا أنّه لم يسبق له أن احترف هذه الصّنعة، فضلا عن الظّرف الذي صنّف فيه مؤلّفه، إذ تشكّل الكتابة في المنفى عائقا نفسيا يصعب تخطّيه، فكيف إذا تعلّق الأمر بمنطقة آغمات - وما

الهاشمي أبو الخير زيد بن عبد الله بن مسعود بن رفاعة، الأمثال، دار سعد الدين - دمشق، ط1، 1423هـ، ص81./ الثعالبي أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، التمثيل والمحاضرة، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، الدار العربية للكتاب- القاهرة، ط2، 1401هـ/1981م، ص328.

[1]- إحسان عبّاس، تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة)، دار الثقافة – بيروت، ط6، 1981، ص81.

[2]- التبيان، ص80. بمعنى أنّه لا يمكن الاستفادة من جلد الثور إلاّ بعد أن يذبح، وظنّ إحسان عبّاس أنّ كلمة "هراكيس" مصحّفة عن كلمة "مراكيب". المصدر السابق، ص82. بينما أكّد أمين توفيق الطيبي بأنّ هذه الكلمة من أصل بربري وأنّها تعني النّعل أو السّبّاط . ينظر مقدّمة تحقيقه للتبيان، ص 25./ وبأكثر دقّة قال بن شريفة : هراكس جمع هركاسة، وهي البلغة والنّعل، وفي المفرد هركوس وهركاس، وجاء في الألمثال المغربية: " اقض بالهركوس حتى يجيب الله السبّاط"، وأهركوس كلمة بربرية تعني النعل، وبشأن المثل الذي ضربه ابن بلقين قال في معناه: يستفاد من سياقه أنّه يضرب في العدوّ لا يؤمن شرّه ما دام على قيد الحياة. الزجّالي أبو يحي عبيد الله بن أحمد القرطبي، أمثال العوام في الأندلس مستخرجة من كتابه "ري الأوام ومرعى السوام في نكت الخواص والعوام"، تحقيق وشرح ومقارنة محمد بن شريفة، منشورات وزارة الدولة المكلّفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، طبع بمطبعة محمد الخامس- فاس، 1395هـ/ 1975م، القسم الثاني، ص179-180.

[3]- التبيان، تحقيق علي عمر، ص151.

[4]- المصدر نفسه، ص182.

[5]- نفسه، ص231.

[6]- نفسه، ص124. وينبغي الإشارة إلى أنّ المشارقة يجري بينهم هذا المثل مع تغيير في لفظ "ظهرك" إلى "جلدك". أبو الفتح الأبشيهي ابن الشّهاب، المستطرف في كل فن مستظرف، عالم الكتب- بيروت، ط1، 1419هـ/1999م، ص38./ بهاء الدين محمد بن حسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي الهمذاني، الكشكول، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1418هـ/1998م، ج1، ص263.

[7]- التبيان، ص219.

أدراك ما أغمات - التي كانت يومها تمثّل سجنا فسيحا بدون قضبان، يمتزج فيه الأصفر والأزرق ولا وجود للون سواهما، بعدما كان المؤلّف يتفيّأ في ظلال غرناطة، بين الاخضرار وألوان الأزهار، والنّسيم العليل ورقرقة وادي شنيل.

فمن الطبيعي أن يقع من يكتب في مثل هكذا ظروف في بعض الهينات، وكيف لا يحدث ذلك وهو يكتب بشكل متواصل، ولا يعود لقراءة ما كتب من حين لآخر لتصحيح ما وقع فيه من هفوات، فالتّجربة علّمتنا أنّ ما يكتبه الفرد اليوم وهو راض عنه، يبدو له بعد مدّة وهو يعيد قراءته أنّه كان من الأحرى أن يعيد صياغة بعض تعابيره وكلماته، ويغيّر أو يسقط كلّ ما رآه زائدا أو لا قيمة له من منتوجه الذي يقدّمه للقارئ.

ولعلّ هذا ما جعل مؤلّف "التبيان" - إن لم يكن لذلك علاقة بالنّاسخ – الوقوع في بعض الأخطاء التي لها علاقة بالنّحو والصّرف والإملاء كما أشار إلى ذلك أمين توفيق الطيبي في مقدّمة تحقيقه للتبيان، ومن ذلك إضافة حرف الألف في آخر أفعال المضارع النّاقصة التي تنتهي بحرف الواو كما في كلمتي "نرجوا و يبدوا " بدلا من "نرجو و يبدو"، أو استعمال صيغة الجمع وهو يريد به المثنّى، كقوله : " أعرض عليهم" بدلا من " أعرض عليهما"، أو استعمال جمع المذكر السالم يريد به جمع المؤنث السّالم، كقوله : " قل لهم " بدل " قل لهنّ "، أو بداية فعل جملة فعلية بصيغة الجمع، كقوله : " أغلوا أهل الهند "، وكان الأولى أن يقول : "أغلى أهل الهند"، ومثال ذلك وقع فيه بالنّسبة للجملة الاسمية، فأغفل اتّفاق الفعل مع المبتدأ، في قوله :" إنّ كبارهم يفسد صغارهم " عوض أن يقول :" يفسدون". فضلا عن التصحيف الذي وقع فيه بشأن بعض الكلمات، مثل : " المطاحين و الخواتيم " بدلا من " المطاحن والخواتم ".[1]

غير أنّه من الأهمّية بمكان أن نشير إلى بعض الملاحظات التي أعتبرها السيّد توفيق طيبي من المظاهر الإملائية الغريبة، التي هي في واقع الحال لغة سليمة درج عليها أهل الغرب الإسلامي ولا تزال آثارها إلى اليوم بادية في اللسان

[1]- التبيان، مقدمة تحقيق توفيق الطيبي، ص24.

الدّارج بالأقطار المغربية، ولو عدنا إلى لغة العرب التي نزل بها القرآن الكريم لفهمنا العلاقة بين ما ينطق ويكتب به أهل هذه البلاد، والرّواية التي لا تزال قائمة يقرأ بها في المغرب العربي إلى اليوم، ألا وهي رواية ورش عن نافع، التي تختلف اختلافا بسيطا - لا يغيّر في المعنى - مع الروايات الأخرى لاسيما رواية حفص عن عاصم التي يقرأ بها أهل المشرق العربي إلى يوم النّاس هذا.

ويكفي أن نقدّم بعض الأمثلة على ذلك ليتّضح الأمر، كما هو الشّأن في إسقاط همزة كلمتي "ورانا" و "توخذ" التي جاءت بدلا من "وراءنا" و"تؤخذ". وقس على ذلك كلم تي: "سَالَ" و"مُوَذِّنٌ" بدلا من "سأل" في قوله تعالى : (سَالَ سَائِلٌ بَعَذَابٍ وَاقِعٍ)[1]، و"مُؤَذِّنٌ" في قوله تعالى : (فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ اَلسِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُوَذِّنٌ اَيَّتُهَا اَلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَا رِقُونَ)[2]، ومن أمثلة ذلك أيضا كلمات : "اَلاَرْضَ"، "يُومِنُ"، " الأُمِّيِّينَ "، "الُانثَى" وغيرها في ثنايا الذّكر الحكيم، بدلا من " الْأَرْضَ"، "يُؤْمِنُ"، "الأُمِّيِّينَ"، "الْأُنثَى".

كما أنّه لا يعدّ إملاءً غريبا كتابة كلمة "اليل"، و"لاكن" بل هي واردة بنفس الشّكل في القرآن الكريم بدلا من "الليل" و"لكن"، مع الإشارة إلى الألف الصغيرة (الإشالة) التي بين اللاّم والكاف في كلمة لكن سواء تعلّق الأمر برواية ورش أو حفص، وقد أدمج أهل المغرب حرف اللام ألف فصارت "لاكن"، وشأنها في ذلك شأن كلمة "عسى" و"يتحرّى"، التي كتبهما المغاربة "عسا"و"يتحرّا"، ولنا في عنوان تأليف النّاصري السلاوي: " الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى"، الذي لايزال المؤرّخون المحدثون النّاقلون عنه يكتبونه بنفس الشكل الذي كتبه به صاحبه، حيث كتب كلمتي : "الاستقصا " و "الأقصا " بدلا من " الاستقصاء " و"الأقصى" وهلمّ جرّا.

وما من شكّ أنّ بعض الجمل وقع فيها استعمالات العامية كقوله :" أتريد تقتلني"، وقوله أيضا : " إن كنت تريد تخلط مع هذا المعاقدة ..."، حيث يلاحظ القارئ انعدام حرف "أن" في الجملتين بعد كلمة "أتريد". أمّا جملة " هذا نار موقدة"

[1]- سورة المعارج، (رقم 70)، الآية رقم 1.
[2]- سورة يوسف، (رقم 12)، الآية 70.

فإنّني أعتقد بسلامته ا وصحّتها، حيث أنّ كلام العرب يحتمل مثل ذلك، وتقدير الكلام في هذه الجملة "هذا الأمر نار موقدة "، وعندئذ يكون البدل ضميرا مستترا تقديره كلمة الأمر التي لا تظهر في الجملة.

بيد أنّه يجب أن أشير إلى بعض التعابير والصّياغات في تأليف ابن بلقين، التي جعلت لغته – وإن كانت صحيحة – تتأثّر باللّغة العامّية الأندلسية[1]، ومثال ذلك كلمات : "متاعي "[2] ويراد بها "ملكي "، و"البرّاني " بمعنى "الغريب " و"تقلّع " أو " البُريح" و" تُخَلِّطُ معهم" وغيرها من الكلمات، التي ما تزال إلى يومنا هذا متداولة في المجتمعات المغاربية، وهناك كلمات من أصل بربريّ مثل : "هراكيس"، التي تعني "النّعل أو السبّاط".[3]

- منهج ابن بلقين ومنهجيتة في التأليف:

إنّ أوّل ما يهتدي إليه المتفحّص لكتاب التبيان، أنّ صاحبه لم يسلك منهج الحوليات الذي يعتمد على التراتبية الزمنية للأحداث، حرصا منه على عدم قطع وحدة الأخبار، ومن أجل ذلك تبنّى منهج التأريخ بحسب الموضوعات فيما ساقه إلينا من أخبار، لكنّه حاول أن يخضعها إلى تسلسل الترتيب الزّمني المنطقي بداية بأقدمها ووصولا إلى آخرها، مع الإشارة إلى أنّ التواريخ غابت تماما عن مؤلّفه، وكانت هذه النقطة من بين الانتقادات التي وجّهت إليه.[4]

لقد أخبرنا ابن بلقين عن منهجيته التي كتب بها تبيانه، وذكر لنا انّه لم يكتب تاريخا عامّا للأندلس – رغم أنّه كان مؤهّلا لذلك لو أراد باعتباره ابن البلد وابن القرن 5هـ/11م - وفضّل أن يحصر موضوع دراسته في دولة غرناطة الطّائفية، خلال حقبة زمنية محدّدة، كان شاهدا عليها، ليكون أكثر دقّة وإطنابا في المادّة التي كان يعرفها معرفة شخصية، تمكّنه من الغوص والتعمّق في أدقّ تفاصيلها

---

[1]- ليفي بروفنسال، مقدّمة تحقيقه للتبيان، ص9.

[2]- ينظر المقال القيّم لـ: منصف عاشور، في خصائص اللغة العربية بالأندلس، في مجلّة دراسات أندلسية، مطبعة المغاربية للطباعة والنشر والإشهار- تونس، جمادى الأولى 1410هـ/ ديسمبر 1989م، العدد الثالث، صص53-60 وخاصّة ص58.

[3]- التبيان، مقدّمة تحقيق توفيق الطيبي، ص25.

[4]- امحمّد بن عبّود، جوانب من الواقع الأندلسي، ص248.

وجزئياتها[1]، فقد سلّط الضوء على غرناطة وساكنتها بصفة خاصّة، كما تعرّض للأندلس وساكنتها بصفة عامّة، وأصبحت هذه المعرفة أكثر دقّة في القسم المتعلّق بفترة حكمه، التي استغرقت ثلثي الكتاب مقارنة بفترة حكم سابقيه من الأسرة الزّيرية التي لم تتعدّى الثلث الأول من مؤلّفه.[2]

إنّ المنهجية التي تناول بها ابن بلقين موضوعه تبيّن لنا بوضوح أنّه لم يرد أن يكون مجرّد ناقل للأحداث وصفا وسردا، فاس تعمل العقل الذي جعله الله أميرا على كلّ شيء، فآثر أن يناقش بالسؤال ويحلّل بالجواب، تلك التطوّرات التاريخية المحلّية الحاصلة في غرناطة على جميع الأصعدة السياسية (العلاقات وما يطبعها من صراعات وتحالفات وأطماع وتنازلات) والاقتصادية والاجتماعية (الجزية السنوية كتحصيل للضرائب المفروضة على الرّعيّة وتأثيرها على الولاءات)، عن طريق ربطها بدائرة محيطها على المستوى الداخلي أي في إطار دول الطوائف، وما نتج عن ذلك في إطار الدّائرة الأوسع، التي فرضتها العلاقات مع الشمال بممالكه المسيحية، والجنوب الإسلامي في بلاد المغرب ممثّلا في الدولة المرابطية.

ومن إيجابيات منهجيته أنّ مؤلّفه يخلو من التناقضات التي قد نجدها عند بعض المؤرّخين، فلا تناقض في مواقفه السياسية وعلاقاته الشخصية، إذا ما استثنينا عودة التعامل مع ألفونسو السادس، بعد رجوع المرابطين إلى بلاد المغرب، وهو يبرّر مو قفه هذا بطبيعة الظرف، والخوف من الوقوع فريسة في قبضته، إذا ما تأخّر وصول المدد من المرابطين.

ومن مستحسنات منهجيته تفاديه الوقوع في التكرار، بسبب ميله إلى الاختصار والدقّة المتناهية في المادّة المتوفّرة لديه حول غرناطة والأندلس في القرن 5هـ/11م، والتي ينفرد بها في مؤلّفه عن بقيّة المصادر، التي أرّخت لنفس الزمان والمكان [3]، وعندما يختلف محتوى روايته مع روايات غيره في عصر الطوائف، غالبا ما تكون روايته هي الأصحّ والأمثلة على ذلك كثيرة، ومنها دقّة

---

[1]- التبيان، تحقيق علي عمر، صص105-106.
[2]- نفسه، ص252.
[3]- نفسه، ص251-252.

وواقعية المادّة التي تناول بها موقعة الزلاّقة، وحصار حصن لييط، وم ناورات ألفونسو السادس للإيقاع بملوك الطوائف، وتفاصيل الإطاحة بهم من لدن المرابطين. وعند قراءتنا للتبيان لا نعثر على انتقاد لمخاليفه بألفاظ نابية أو عبارات شنيعة، فلا يستعمل الألفاظ السّوقية العارية البـذيئة التي ينفر منها الذوق، ولا يوظّف أدوات السّخرية مع أعدائه (السّخرية اللاّذعة)، ولايسبّ ولا يشتم ولا يلعن أو يطعن ولا يقع في الثلب إطلاقا، رغم أنّ كتابته لمؤلّفه كانت بَعيدا عن مسرح الأحداث، بُعيْد ما أفضت إليه أحوال ملوك الطوائف بالأندلس.

ومن الانتقادات التي أخذت عليه عدم تناوله للتاريخ الأندلسي في إطا ره العام، بنفس العمق الذي عالج به تاريخ غرناطة، وأعتقد شخصيا أنّه لو فعل ذلك لضاع منه الموضوع وتاه في كثرة مادّته، وعندئذ تتعدّد الجوانب السلبية وتكثر الانتقادات التي توجّه إليه، بحكم أنّ الموضوع كلّما اتّسع وتفرّع تشعّب وصعب التحكّم فيه، ورغم ذلك لم يسلم من انتقاده بتجاهل بعض الأحداث والتطورات الهامّة في التّاريخ الأندلسي والمغربي، ومنه العداوة المستحكمة بين صنهاجة وزناتة، وإلغاء الخلافة الأموية في قرطبة، واستيلاء المجوس على بربسترو.[1]

وإذا أخذنا في الحسبان المقياس الزّمني، فإنّ المصادر المعاصرة تعتبر أكثر متانة ومصداقية من المصادر المتأخّرة، ولهذه القاعدة استثناءات ذلك أنّ المؤرّخ المعاصر يتأثّر أحيانا بالظّروف التّاريخية التي يعايشها، ممّا يدفعه إلى التحيّز في كتابته التّاريخية. إلاّ أنّ الدوافع إلى الموضوعية لدى ابن بلقين كانت أقوى بكثير من ميله إلى التح يّز، وإذا لم نعتبره موضوعيا فإنّه على الأقلّ اعتمد أسلوبا حاول بواسطته الاقتراب من الموضوعية. ومن المهمّ جدّا التأكيد في هذا المقام على أنّه كتب تأليفه بعد أن أصبح جزءا من الماضي، بعيدا عن غرناطة والأندلس بعد نفيه بقليل إلى أغمات، فساعده ذلك على التجرّد والموضوعية مستفيدا من تجربته بصفته مشاركا مباشرا في التاريخ الذي كتبه.[2]

- التوثيق في التبيان:

---

[1]- نفسه، ص247.

[2]- ابن عبّود، المرجع السابق، ص253.

إنّ التوثيق يقوم مقام الضبط للرواية، ولذلك أُعتمد السّند في الرّواية، حتّى لا يتلاعب أصحاب الأهواء بالعلم، ولا يسقط المؤرّخ في الملق الرّخيص والنفاق المهين، كلّما استطاع أن يخلّص كتابته من ربقة "البلاطية". وعندما نعود إلى مادة البيان بتتبّع نصوصها نجد ابن بلقين يعتمد على التوثيق الذي يضفي على كتابته الصبغة العلمية والطابع الأكاديمي المتعارف عليه في منهجية التوثيق عندنا، فمعظم مصادره شفهية يصرّح بها، بداية بما رواه من أحداث عن نفسه اتّسمت بالبعد الشخصي الذّاتي، حيث يسبق الخبر الذي ينقله إلينا كلمة : "سمعت" أو " قلت"، وربّما أورد عبارة مثل :" خاطبنا أمير المسلمين نقصّ عليه ". كما يسوق لنا اقتباسات غيره، كقوله: " قال لي ...".

ومن الأهمّية بمكان الإشارة إلى طريقة الحوار التي رافقت الأحداث والأخبار التي يعرضها علينا، إنّ التوثيق بهذه الكيفية يجعل الرواية التاريخية صالحة لأن تكون نصّا مسرحيّا سهل الاقتباس، أو فلما يصوّر أحداث مملكة غرناطة زمن الطوائف بكلّ التفاصيل المهمّة، يمكن استلهامه من النّصّ الذي طغى عليه شكل الحوار.

ولا يتكتّم ابن بلقين عن مصادره المكتوبة، فهو إمّا أن يذكر ذلك بصيغة العموم كقوله: " تقول العرب" وكذا " إنّ الفلاسفة تقول" وعلى نحو : " قال بعض الحكماء"، و" قال أهل الطبيعة"، أو بصيغة النكرة كقوله : " يقولون" أو " وقيل"، وإمّا بالتّصريح المباشر كاستشهاداته بالقرآن الكريم والسنّة النبوية، وكقوله في غيرهما: " قال جالينوس"[1] و " كان سقراط الحكيم" ونحو " قال المأمون"[2] وكذا " قال المسيح عليه السلام"[3]، وكوصفه لعزل المتوكّل بن الأفطس، حيث قال : " وهو

[1]- نفسه، ص222. مع الملاحظة أنّه يذكر المقولة والقائل، ولا يشير إلى الكتاب الذي نقل عنه المقولة.
[2] - نفسه، ص226. وهنا أيضا يكتفي بذكر القائل والمقولة دون الإشارة إلى مصدر هذه المقولة.
[3]- نفسه، ص232. والمقولة هي: " الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها!". عبد العزيز بن محمد السلمان، مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار ، معهد إمام الدعوة- الرياض، (د.ت)، ج1، ص90./ وقد نسبها الصغاني لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ينظر: الصغاني رضي الدين الحسن بن محمد بن حيدر، الموضوعات، تحقيق نجم عبد الرحمن خلف، دار المأمون للتراث- دمشق، ط2، 1405هـ، ص38.

في ذلك كلّه مثل السّمكة العاجزة الموصوفة في كتاب دِمنة "[1]، أمّا استشهاداته بديوان العرب فكانت بالإتيان بالبيت والبيتين، مع تجاهله لذكر قائله، لأنّ العبرة في ذلك بفائدة القول لا بمعرفة من القائل.

- ثقافته ومكانته مؤرّخا:

يبدو من خلال ما ورد في التبيان ذلك الكمّ الهائل من المعرفة التي مسّت جوانب مختلفة من العلم، ممّا يعطينا صورة واضحة عن الطابع الشمولي في ثقافته التي تعود أساسا إلى نوعية التعليم الإسلامي الذي كان يُخضِع له أهل الأندلس أبناءهم، والذي كان يشمل علوما متنوّعة منها العلوم الشرعية والأدب والتصوّف والعلوم الإنسانية والاجتماعية وفي مقدّمتها التاريخ، فضلا عن الاطّلاع الواسع على جديد الإنتاج الفكري في المغرب والمشرق الإسلامي للثقافة العربية، فكان من نتائج ذلك انعكاس هذا التأثير على تأليفه.

وممّا يؤسف له أنّ ابن بلقين لم يظفر باعتراف معاصريه من المؤرّخين، فلم ينل حظّه من المكانة التي تليق به كمؤرّخ، بحيث لم ينقل المؤرّخون المتأخّرون كثيرا عنه، وبقي نكرة في عالم الفكر والثقافة، ويكفي دليلا على ذلك أنّ كتب التراجم والسير والطبقات تجاهلته، فلم تدرج اسمه ضمن الشخصيات التي ترجمت لها، بسبب ما عرف عنها من الإسهام في الحركة العلمية، سواء كثر عطاؤها أو قلّ[2]. ومن حسن الحظّ أنّ ابن الخطيب عثر على تأليفه وذكّر به، وشاءت الأقدار أن يرى النّور بعد أزيد من 6 قرون عن تاريخ كتابته، لنكتشف مقدرة ابن بلقين الفكرية ورصيده الثقافي وأسلوبه اللغوي، الذي نال إعجاب شخصيات أدبية ولغوية بارزة.[3]

وفي الختام أودّ أن أنوّه زيادة على كلّ ما قيل عن شخصية الأمير المؤرّخ عبد الله بن بلقين، إنّه مهما طال نسيان الرّجال فإنّ الأيّام كفيلة بردّ الاعتبار لهم،

---

[1]- يقصد به كتاب كليلة ودمنة الذي ألّفه الفيلسوف الهندي "بَيْدَبَا" رأس البراهمة لملك الهند "دَبْشَلِيمْ"وقام ابن المقفّع بترجمته إلى العربية . آثار ابن المقفّع، كليلة ودمنة، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1409هـ/1989م، باب مقدّمة الكتاب، ص3.

[2]- ابن عبّود، المرجع السابق، ص258.

[3]- المرجع نفسه، ص259.

ولن نزايد إذا قلنا – من دون مجاملة ولا تزكية - : إنّ التّاريخ ينصف أهله ولو بعد حين، كما قال الشاعر: [من الطويل]

سَتُبْدِي لكَ الأيّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلاً	وَيأتيكَ بالأخْبارِ مَن لَمْ تُزَوِّدِ[1]

5- دور الملثّمين في الحركة العلمية بالأندلس أثناء حكمهم لها إلى نهاية القرن 6هـ/12م:

اعتنى الملثّمون بالعلم قبل تأسيس دولتهم، إدراكا منهم أنّ العلم هو أساس نجاح الدول وعلوّ شأنها، وحاولوا من الوهلة الأولى تغ يير واقع الجهل الذي كان يحيط بهم بالقلم قبل السّيف، فأسّسوا رباطهم العلمي ونشروا الكتاتيب التي تزايد عددها في ربوع دولتهم، بل إنّ دولة الملثّمين جعلت من تأسيس الرّباطات كبرى انشغالاتها، إيمانا منها بفريضة الجهاد كضرورة شرعية، لدفع أذى النّصارى عن بلاد المسلمين، التي كانت تتعرّض ثغورها من حين لآخر إلى اعتداءاتهم، وإذا كانت الرّبط تعلّم المرابطين بها فنّيات القتال وطرائق مواجهة العدوّ، فإنّها بالموازاة مع ذلك اعتبرت العلم فريضة شرعية، وشجّعت على طلبه ورفعت شأن حملته، وقدّمت الدولة على أعلى مستوياتها رعايتها لأهل العلم.

فقد ثبت أنّه " اجتمع للأمير يوسف بن تاشفين ولابنه علي من بعده، من أعيان الكتّاب وفرسان البلاغة ما لم يتّفق اجتماعه في عصر من الأعصار "[2]، ويذكر أيضا أنّ علي بن يوسف " لم يزل من أوّل إمارته يستدعي أعيان الكتّاب من جزيرة الأندلس، وصرف عنايته إلى ذلك، حتّى اجتمع له منهم ما لم يجتمع لملك"[3]، ويفهم من هذين النّصّين مدى اهتمام وتقدير الدولة المرابطية لأهل العلم والمعرفة،

---

[1]- وهو البيت رقم 102 من معلّقة طرفة بن العبد. ديوان طرفة بن العبد شرح الأعلم الشّنتمريّ، وتليه طائفة من الشعر المنسوب إلى طر فة، تحقيق دريّة الخطيب ولطفي الصقّال، دائرة الثقافة والفنون- البحرين، المؤسسة العربية للدراسات والنّشر- بيروت، 2000م، ص58./ منسوب لأبي عمرو الشّيباني (ت206هـ)، شرح المعلّقات التسع، تحقيق وشرح عبد المجيد همو، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات- بيروت، ط1، 1422هـ/2001م، ص81.

[2]- المراكشي عبد الواحد، المصدر السابق، ص123.

[3]- المصدر نفسه، ص132.

ومدى حرص حكّامها على استيعاب العلماء ببلاطاتهم، حتّى باتوا يشكّلون طبقة مميّزة لا يمكن الاستغناء عنها.

ولمّا كان الأمير علي بن يوسف ممّن يطربون بسماع الشّعر، فإنّه كان يكرم الشّعراء بفيض عطائه، وفوق ذلك يلتفت لحالهم وأحوالهم، فكان هؤلاء ينتظرون بشوق أن يطلّ عليهم بطلعته، فيهتبلون فرصة جوازه إلى الأندلس، لتقديم أحسن ما لديهم من المدح لشخصه، " فيجزل لهم العطاء، ويقضي لمن كان ذا إرب إربه، ويسني لكلّ ذي مطلب مطلبه".[1]

ولم يكن لقاعدة تشجيع المرابطين للحركة العلمية استثناءات، ذلك أنّ الأمراء الذين حصل لهم شرف ولاية مناطق من الأندلس، كعمّال لحكّام الدولة المرابطية، كانوا يتّصفون بالعلم وبحبّهم لأهله، ومن هؤلاء الأمير أبو بكر بن تيفلويت [2]، الذي كان من رعاة الأدب، وممّا يؤكّد ذلك اختياره للحكيم أبي بكر بن الصّائغ المعروف بابن باجة وزيرا له، فكان لا يفارق مجلسه، فلمّا فاضت روح الأمير رثاه ابن الصّائغ بقصيدة منها قوله: [من الخفيف]

أيّها المَلْكُ قدْ لعَمْري نَعَى المَجْ	دُ نَواعِيكَ يومَ قُمنَ فَنُحْنا
كمْ تَقارعتَ والخطوبَ إلى أنْ	غَادَرَتْكَ الخُطوبُ في التُّرْبِ رَهْنَا
غَيْرَ أنّي إذَا ذَكَرْتُكَ وَالدَّهْـ	رَ أخَالُ اليَقِينَ في ذاكَ ظَنّا
وسَألْنَا مَتَى اللّقَاءُ، فقالوا الحَشْ	رُ، قُلْنَا: صَبْرًا إِلَيْهِ وَحُـزْنَا[3]

ومن الشعراء الذين أشركهم الأمير ابن تيفلويت في مجلسه، الشّاعر المشهور ابن خفاجة الهواري، الذي امتدحه بعدّة قصائد حفظها لنا ديوانه [4]. ويدلّ ذلك على أنّ العلاقة بينهما كانت جدّ مميّزة، وأنّه كان أثيرا وحظيّا عنده.

---

[1]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج4، ص48.

[2]- كان عاملا لعلي بن يوسف على مرسية سنة 508هـ/1114م، ... ثمّ ولي على بلنسية وطرطوشة وسرقسطة، وكانت وفاته سنة 510هـ/1116م. ابن أبي زرع، المصدر ا لسابق، ص161./ الإيلاني صالح بن عبد الحليم، مفاخر البربر، ص205.

[3]- ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، صص218-222./ ابن خاقان، قلائد العقيان، مج2، ص937.

[4]- ديوان ابن خفاجة، صص232-234 وصص299-300 وص310./ إحسان عبّاس في تحقيقه للبيان المغرب، ج4، هامش رقم 2، ص61.

ومن الأمراء الذين شهد لهم بالفضل وتشجيع العلم من قبل من كانوا يكلئونهم بالرعاية والعناية الأمير أبو إسحاق إبراهيم بن تعيشت [1]، الذي ألّف الفتح بن خاقان كتابه الموسوم بـ" قلائد العقيان" برسمه ليزفّه إليه، وقد أكّد ذلك في مقدّمته، حيث يقول: " ولم يزل شخص الأدب وهو متوار، وزنده غير وار،... إلى أن أراد الله إعلاء اسمه، وإحياء رسمه، وإنارة أفقه، وإعادة رونقه، فبعث من الأميرالأجلّ أبي إسحاق إبراهيم بن يوسف بن تاشفين ملكا عليّا، غدا للبّة المجد حليّا ... وجدّد لأهلها آمالا ناهيك به من ملك عال، ناظم لأشتات المعالي "[2]، وقد التفّ حوله العلما ء والأدباء لأريحيته ورقّة حاشيته، ومدحه الشّعراء وأثنوا عليه.[3]

أمّا الأمير أبو بكر بن مزدلي اللّمتوني[4]، فيذكر أنّه كان مولعا بالأدب، آخذا بضبع الشّعراء والكتّاب، وأخبر الحسن بن عبد الله الأشيري مؤلّف كتاب " نظم اللآلي في فتوح الأمر العالي"، أنّ رفيع الدولة بن محمد المعتصم بن صمادح كان أثيرا عنده، عندما كان وال على تلمسان سنة 539هـ/1144م، وكان بمعيّته ابن أخيه أبو يحي بن عزّ الدولة بن صمادح، وكلاهما كان من بيت الإمارة ومن الأدباء.[5]

ويستخلص ممّا تقدّم ذكره أنّ الدولة المرابطية أخذت بأسباب العلم، وعملت على تشجيع رواجه بين النّاس، وسعت جاهدة إلى التقرّب من أهله وتقريبهم منها، خلال فترة حكمها للأندلس، التي امتدّت من نهاية القرن 5هـ/11م إلى منتصف القرن 6هـ/12م تقريبا.

وعلى ذكر التعليم ومؤسساته وطرائقه، فإنّ المرابطين لم يحدثوا أيّ تغيير في نمطه الذي كان سائدا في الأندلس قبلهم، وقد توارث الأندلسيون طريقته وفقا لما كان متعارفلعليه زمن الدولة الأموية، فانتقل من جيل إلى جيل حتّى صار ذلك من

---

[1]- هو ابن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، وكانت أمّه سوداء، وقد ولّي سبتة ثمّ إشبيلية ما بين 511 و516هـ/1117 م1122م، وتوفّي سنة 528هـ/1133م. ابن عذاري، المصدر السابق، ج 4، ص78 وص106./ الإيلاني صالح بن عبد الحليم، المصدر السابق، ص205.

[2]- مج1، ج1، ص45.

[3]- عبد الوهّاب بن منصور، أعلام المغرب العربي، المطبعة الملكية- الرباط، 1399هـ/1979م، ج1، ص57.

[4]- ولي إشبيلية سنة 539هـ/1144م، ثم تلمسان وتوفّي في نفس السّنة بوهران، بعد معركة 26 رمضان. ابن عذاري، المصدر السابق، ج4، ص107./ الإيلاني صالح بن عبد الحليم، المصدر السابق، ص205.

[5]- ابن الأبّار، الحلّة، ج 2، ص92./ ابن عذاري، المصدر السابق، ج 4، ص107./ عبد الوهّاب بن منصور، المرجع السابق، ج1، ص232-233.

العادة عندهم. ويذهب القاضي أبو بكر بن العربي (468-543هـ/1076-1184م)، في كتاب رحلته إلى أنّ مذهب أهل الأندلس يقضي" بتقديم تعليم العربية والشّعر على سائر العلوم، لأنّ الشّعر ديوان العرب، ثمّ ينتقل منه إلى الحساب فيتمرّن فيه حتّى يرى القوانين، ثمّ ينتقل إلى درس القرآن فإنّه يتيسّر عليه بهذه المقدّمة"[1]. وهذا يعني أنّ أهل الأندلس كانوا يرون أسبقية تعليم الطفل علوم اللغة م قرونة بالشّعر، حتّى يتمكّن منها فينتقل إلى غيرها وهكذا دواليك من مرحلة لأخرى، فإذا حفظ القرآن بعد ذلك تيسّر له فهم معانيه.

وينفرد ابن حزم في نظرته لمنهج التدريس، وقد شرح رؤيته هذه في " رسالة مراتب العلوم"، التي يرى فيها أنّ بداية التعليم تكون في سنّ الخام سة من عمرالطّفل، وهي المرحلة الأولى التي يأخذ فيها الخطّ ثمّ النّحو، لينتقل إلى الحساب ومنه إلى المنطق وعلوم الطبيعة، ويليها أخذ علم الأخبار ثمّ القضايا الفكرية، ليصل إلى المرحلة السّابعة والأخيرة التي يأخذ فيها علم الشّريعة.[2]

وكان المرابطون يسلكون في ت عليمهم مسلك المشارقة والمغاربة، آخذين بنصيحة عبد الحميد الكاتب في رسالته الشهيرة إلى الكتّاب، التي يرى فيها " البدء بعلم كتاب الله عزّ وجلّ والفرائض، ثم يأتي دور العربية ثقافا للألسن، ويليها الخطّ حلية الكتب، ثمّ رواية الشّعر ومعرفة غريبها ومعانيها، وتؤخذ بعدها أيّام العرب والعجم وأحاديثها وسيرها، لأنّ في ذلك ما يعين على سموّ الهمم، وخاتمة ذلك النّظر في الحساب فإنّه قوام كتاب الخراج".[3]

ونقل ابن عرضون[4] عن أبي بكر بن العربي في كتابه " مراقي الزّلف" الذي هو في حكم المفقود آراء تربوية فذّة، تعرض لنا كيفية تعلي م الصّبي، ومسؤولية

---

[1]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص742./ ابن الأزرق، المصدر السابق، ج2، ص768./ القنوجي صديق بن حسن الهندي، أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، تحقيق عبد الجبّار زكار، دار الكتب العلمية- بيروت، 1978، ج1، ص113.

[2]- رسائل ابن حزم، تحقيق إحسان عبّاس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت، ط1، 1983، ج4، صص27-29.

[3]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص308./ ابن الأزرق، المصدر السابق، ج 1، ص243./ القلقشندي، المصدر السابق، ج1، ص119.

[4]- ابن عرضون ابو العبّاس أحمد بن الحسن بن يوسف (ت992هـ/1584م)، قاض من فقهاء المالكية، وهو مغربي من شفشاون، له مؤلّفات منها : " اللآئق لعلم الوثائق " في الفقه، و " أداب الزواج وتربية الولدان ".

الوالي والمؤدّب في تنشئته على حبّ الخير والصلاح [1]. وثمّة مسألة في غاية الأهمّية، وهي تتمثّل في العلاقة بين سنّ المتعلّم ولدا كان أو بنتا، ونوعية التعليم المقدّم إليه، الذي يعكس استجابته وقدرته على الأخذ، " والانتقال بالتّدرج شيئا فشيئا وقليلا قليلا"[2].

ويرى ابن عرضون أنّ التّعليم صناعة تحتاج إلى معرفة ودربة ولطف، فإنّها كالرّياضة للمهر الصّعب، الذي يحتاج إلى سياسة ولطف وتأنيس، حتّى يرتاض ويقبل التّعليم، وأكثر المؤدّبين جهّال بصناعة التعليم، لأنّ حفظ القرآن شيء، والتعليم شيء آخر، ولا يُحكمه إلاّ عالم به . وعلى المؤدّب أن لا يكثر من الصبيان، حتّى يعلّمهم على ما يرام، ويشترط في المؤدّب ألاّ يكون عزبا ولا شابا، بل يكون شيخا خيّرا، ديّنا عفيفا ورعا، قليل الكلام فيما لا يعنيه، ولا يهمل الصّبيان إلاّ لأخذ الغذاء والوضوء، ويكون راتبا في مكانه محافظا على حوائج صبيانه.[3]

وشملت المؤسسات التعليمية التي كانت تنشر العلم في الأندلس على عهد المرابطين: المساجد والكتاتيب[4] والرّباطات وأماكن التدريس الخاصّة.

كانت المساجد منارات للعلم ومراكز إشعاع لمختلف العلوم، يدرّس بها أشهر العلماء، ويتخرّج منها أنجب طلبة العلم، بإيجازات من شيوخهم بعد استيفاء شروط تحصيل هذا العلم أو ذاك، وكان من أبرز الأعلام – على سبيل المثال لا الحصر - الذين درّسوا في المسجد الجامع بقرطبة على عهد المرابطين : قاضي الجماعة وصاحب الصّلاة فيها، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد الجدّ (ت520هـ/1126م)، المعروف بكتبه وتواليفه ومسائله وتصانيفه [5]، وفي إشبيلية شُدّت الرّحال إلى

الرزكلي، المرجع السا بق، ج 1، ص 112./ يوسف إليان سركيس، معجم المطبوعات العربية والمعرّبة، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي- القاهرة، 1928، ج1، ص180.

[1]- سعيد أعراب، مع القاضي أبي بكر بن العربي، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط1، 1407هـ/1987م، ص161-162.

[2]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص734.

[3]- ابن عبدون محمد بن أحمد التجيبي، رسالة ابن عبدون ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق ودراسة إ .ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، 1955، ص25.

[4]- الكتاتيب جمع كتّاب وكانت تعرف عند أهل الأندلس بالمحضرة. ابن عبدون، المصدر السابق، ص26.

[5]- ابن بشكوال، المصدر السابق، ج2، ص450./ النباهي، المصدر السابق، ص130.

مسجدها عقب عودة أبي بكر بن العربي من رحلته إلى المشرق بعلم غزير، فتصدّر للإقراء به، وكان ابن بشكوال من بين تلامذته الذين سمعوا منه كثيرا من روايته وتواليفه[1]، أمّا في جامع المرية فقد جلس للإقراء وإسماع الحديث أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن القصبي، لسكن سلفه قصبة المرية (ت540هـ/1145م)، وتولّى الصّلاة بها، وتحلّق النّاس من حوله، وأخذوا عنه وكان جيّد الضّبط.[2]

وتحوّلت الرّباطات [3] التي كانت أوّل الأمر ذات طابع حربي وديني، إلى منارات إشعاع وقبلة تحصيل للعلم والثقافة[4]، ومن أشهر الرّباطات[5] التي ذاع صيتها صيتها بصقع الأندلس خلال العهد المرابطي : رابطة روطة ورباط طليطلة وبطليوس ورباط شنترين، والرّابطة المعروفة برابطة من أحضر ببلنسية.[6]

وفضلا عن المساجد والرباطات وجدت بعض الحالات الاستثنائية، التي علّم أصحابها في أماكن تدريس خاصّة، ومن أمثلة ذلك: الفقيه القاضي الشهيد أبو عبد الله محمد بن أحمد المعروف بابن الحاج [7] (458-529هـ/1066-1134م)، الذي كان يقرأ طلبته في داره بقرطبة [8]. كما ثبت أنّ أبا عبد الله محمد بن خليد بن محمد التميمي المرسي (ت 559هـ/1163م)، كان يسمع من أبي الحجّاج القضاعي بالمرية

---

[1]- الصّلة، ج2، ص459-460.

[2]- ابن الأبّار، التكملة، ج1، ص48.

[3]- الرّباط مؤسسة إسلامية، تدخل عند المسلمين في نطاق الأنشطة الرّوحية والعسكرية . ميكال دي غيبلزا (Mikel de Epalza)، الرباط والرّباطات في الأ سماء والآثار الإسبانية، تعريب الحسين اليعقوبي، في مجلّة دراسات أندلسية، مطبعة المغاربية للطباعة والنشر والإشهار- تونس، شعبان 1415هـ/ جانفي 1995م، العدد 13، صص69-86، وخاصّة ص69.

[4]- حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية- القاهرة، 1968، ج4، ص438.

[5]- هناك رباطات لا يعرف عنها الشيء الكبير كتلك التي اكتشفها باحث الآثار اتلأليكانتي " رفائيل أزوار رويز" (Rafael Azuar- Ruiz)، في ديسمبر 1984 ويتعلّق بـ 22 مسجدا صغيرا مجمّعة في أعلى الكثبان على الشاطئ بجوار مدينة "قواردمار دال سقورة " (Guardamar Ségura)، على الضفّة اليمنى الجنوبية عند مصبّ نهر شقورة الصغير في البحر الأبيض المتوسط. وذكر صاحب المقال أنّ كلّ مسجد من المساجد الصغيرة كان يسمّى رابطة. ميكال دي إيبلوا، المرجع السابق، صص70-74.

[6]- محمد الأمين بلغيث، الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 1423-1424هـ/2002-2003م، ج1، ص144.

[7]- كان قاض للجماعة بقرطبة. الضبّي، المصدر السابق، ص43./ ابن بشكوال، المصدر السابق، ج2، ص453./ القاضي عياض، الغنية، صص47-53./ المقّري، أزهار الرّياض، ج3، ص61 وص96 وص102.

[8]- القاضي عياض، المصدر السابق، ص48.

في حانوته، بباب الزيّاتين مقامات الحريري[1]، وأمّا رئيس القرّاء بشرق الأندلس في هذا العصر: علي بن محمد بن علي بن هذيل البلنسي (471-564هـ/1078-1168م)، فكان يدرّس طلبته بضيعة له غرب بلنسية وبمليلة من جزء الرّصافة.[2]

وظلّت الرحلات العلمية مقصدا يرومه كلّ من يريد الاستزادة في العلم لتوسيع رصيده المعرفي، وإن قلّت مقارنة بالعهود السّابقة بعد أن أصبح للأندلس خصوصيته الثقافية، لكنّ الرحلة إلى الحجّ لأداء المناسك في العادة ما كانت تتبع بمجاورة الكثير من طلبة العلم للحرمين، قصد الاستماع وأخذ العلم من أفواه الرّجال، وربّما دفع شغف العلم بالبعض بالرّحلة إلى بغداد وغيرها من كبريات الحواضر الإسلامية طلبا لتحصيل المزيد، ومن الذين عرفوا برحلتهم في هذا العصر: أبو علي حسين بن محمد بن سكّرة الصّدفي، الذي مات شهيدا في وقعة قتندة[3] سنة 514هـ/1120م، وكان قد حجّ وسمع بمكّة والبصرة وبغداد، التي بقي فيها فيها خمس سنوات، ثمّ دمشق والإسكندرية.[4]

وممّا ساعد على ازدهار الحركة العلمية استمرار تنامي ظاهرة اقتناء الكتب وإنشاء المكتبات، التي لم تقتصر على المدن فحسب بل شاركتها في ذلك حتّى القرى الصغيرة، وساد ا لتنافس بين الأغنياء في اقتناء جديد الكتب لضمّها إلى رفوف مكتباتهم، وقد وصف الحجاري أبا إسحاق إبراهيم بن عبيد الله المعروف بالنوّالة بأنّه بحر أدب ليس له ساحل، وأفق رئاسة قد زيّنه الله بنجوم المكارم والفضائل، وأنّه كان ممّن يؤخذ من ماله وأدبه، وأنّه استعان بخزائن كتبه العظيمة على ما صرّفه في كتاب المسهب، ... وبلغ في دولة الملثمين من الجاه والمال والذكر بقرطبة ما لم يبلغه أحد.[5]

---

[1]- ابن الأبّار، التكملة، ج2، ص27.

[2]- ابن الأبّار، التكملة، ج3، ص201-202./ ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، س5، ق1، ص370.

[3]- الذهبي، تاريخ الإسلام، ج35، ص369./ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج19، ص378./ الكتّاني عبد الحيّ بن عبد الكبير، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، تحقيق إحسان عبّاس، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط2، 1402هـ/1982م، ج2، ص706.

[4]- ابن بشكوال، المصدر السابق، ج 1، ص131-132./ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج 6، ص70-71./ الزركلي، المرجع السابق، ج2، ص255.

[5]- ابن سعيد المغربي، المغرب، ج1، ص71.

وكان بعض أمراء الملثمين من الشغوفين بالعلم، والمتنافسين في اقتناء الكتب، فقد أثر عن أبي علي المنصور بن محمد بن الحاج داود الصنهاجي اللمتوني (ت547- أو 550هـ/ 1152 أو 1155م)، منافسته للعلماء في الدواوين العتيقة والأصول النفيسة، وجمع من ذلك ما لم يجمعه أحد من أهل زمانه، وكان فخر صنهاجة ليس لهم مثله ممّن دخل الأندلس [1]. ومن المكتبات الشهيرة أيضا في هذا العصر: مكتبة أبي عامر محمد بن أحمد بن ع امر البلوي السّالمي الطرطوشي (ت559هـ/1164م)، الذي اشتهر بمكتبته التاريخية المليئة بالكتب، ومنها مؤلّفاته الشخصية وأهمّها: " درر القلائد وغرر الفوائد" في الأدب والتّاريخ، و " الشّفاء " في الطّبّ، و"أنموذج العلوم" وكتاب في "اللغة" وآخر في "التشبيهات".[2]

وجملة القول إنّ الحياة العلمية بالأندلس في العهد المرابطي، لم تختلف في شيء عن العهود السّابقة، بل سارت على منوالها وكانت امتدادا لها، وتواصل عطاء المؤسسات التعليمية لطلبة العلم، وراجت بين أهله ثقافة البحث عن الكتب وإنشاء المكتبات، كما تواصل دعم الدولة للعلم وتشجيعها للعلماء.

1-5- المرابطون والحياة العلمية بين المجحفين والمنصفين:

رغم كلّ المجهودات التي بذلها المرابطون في مجال العلم والتعلّم، حاولت بعض الأقلام البلاطية المأجورة التملّق للموحدين بممارسة الدعاية لهم، لإيهام النّاس بأنّ المرابطين خالفوا الشّرع بتقديمهم فقه مالك على الكتاب والسنّة، فقال المراكشي: " ولم يكن يقرب من أمير المسلمين ويحظى عنده إلاّ من علم علم الفروع، أعني فروع مذهب مالك، فنفقت في ذلك الزّمان كتب المذهب، وعمل بمقتضاها ونبذ ما سواها، وكثر ذلك حتّى نسي النّظر في كتاب الله وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ...ودان أهل ذلك الزمان بتكفير كلّ من ظهر منه الخوض في شيء من علوم الكلام".[3]

---

[1]- ابن الأبّار، التكملة، ج2، ص193-194./ ابن الأبّار، المعجم، ص199./ ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، س8، ق2، ص378.

[2]- الزركلي، المرجع السابق، ج5، ص318.

[3]- المعجب، ص131.

لقد وجدت هذه الاتّهامات من يتلقّفها ويؤوّلها حسب هواه تأويلا لا يمتّ بصلة إلى العقلانية، ويأتي في مقدّمة هؤلاء بطبيعة الحال المستشرقون الحاقدون، الذين أثلجت صدورهم هذه الاتّهامات لحاجة في نفوسهم، كان الدّافع إليها التعصّب الدّيني، والكراهية التي كادت تكون شخصية [1]، فراحوا ينفثون سمومهم للنّيل من شموخ الدولة المرابطية بتقزيم إنجازاتها، وحصرها في الجانب العسكري، وفي هذا الإطار صرّح أشباخ بأنّ " المرابطين البدو السذّج كانوا أعداء لكلّ حضارة عربية، وكانت حكومتهم تعمل لتحطيم جميع العلوم والفنون والصنائع التي وصلت في ظل السيادة العربية في الأندلس إلى ذروة التقدّم والازدهار، ... ويعملون على سحق هذه الثقافة بكلّ ما وسعوا، فكانوا يطاردون العلماء الذين ينحرفون عن معتقداتهم ويحرقون كتبهم"[2]، في حين كان تحامل دوزي على المرابطين شديد المبالغة، بوصفه فترتهم بالأندلس بأنّها فترة متبربرة، وعندما تحدّث عن الشّعر قال : " إنّه انتقل من القوّة وخلوّ البال، والخفّة واللهو إلى الجبن والجفاف والحزن والتديّن، وكانت هذه الأزمان من السّوء بحيث أخذت ترتفع عن الأرض إلى السماء"[3]. بينما اعتبر ألفرد بل حكومة المرابطين مسؤولة عن تدنّي الدراسات الدّينية، متّهما إيّاها بالتواطؤ مع الفقهاء، فقال بهذا الشأن: " وانحطاط الدراسات الدينية سواء فيما يتعلّق بالعقيدة والشريعة، على يد الفقهاء المالكيين بمساندة حكومة المرابطين".[4]

ومن الطبيعي بل ومن العادي جدّا ان تصدر مثل هذه الأحكام الجائرة عن مستشرقين يكنّون الغلّ للدولة المرابطية ظاهرا وباطنا، إلاّ أنّه من الغريب أن نجد عددا لا يستهان به من الدّراسات العربية الحديثة لفّت لفّهم وحذَت حدوهم، دون تبصّر ولا رويّة فيما استندت إليه من نصوص، وبدل أن تسخّر أقلامها للدفاع عن

---

[1]- محمود علي مكّي، وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة، ط 1، 1424هـ/2004م، ص4.

[2]- تاريخ الأندلس في عهد المرابطين، ج2، ص250.

[3]- بالنثيا، المرجع السابق، ص 20./ حسين مؤنس، سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وأيّامهم في الأندلس، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، المجلد الثاني، 1954، ص57./ Levi-Provençal : Reflexion sur l'Empire Almoravide au début du XII siècle, Cinquantenaire de la Faculté des lettres d'Alger, (1881-1931), Alger, 1932, p.314.

[4]- الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، ص242.

المرابطين من أجل إنصافهم لا غير، غمطت حقّهم من حيث لا تدري، فكان حال المرابطين من هؤلاء أشبه بقول الشّاعر: [من الطويل]

وَظُلْمُ ذَوِي الْقُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً	عَلَى الْمَرْءِ مِنْ وَقْعِ الْحُسَامِ الْمُهَنَّدِ[1]

وإنّه لجدير بنا أن نتوقّف عند هذا الأمر مليّا – مع احترامنا الكامل لآراء الآخرين- ومن أمثلة ذلك ما قاله عبد الله عنان: " لم تكن الدولة المرابطية بطبيعتها البدوية الخشنة، تميل إلى الأخذ بأساليب التمدّن الرّفيعة، أو تتّجه إلى رعاية ال علوم والآداب... ومن ثمّ فإنّه يمكن القول بأنّ الحركة الفكرية بالأندلس، لبثت خلال العهد المرابطي في حالة ركود نسبي، ولم تحظ باندفاع خاص، او بازدهار يلفت النّظر، بل يمكن أن يقال أيضا إنّ ما عمدت إليه الحكومة المرابطية من مطاردة البحوث الكلامية والفلسفية، كان له أثره في صدّ الحركة الفكرية وفي تأخّرها.[2]

بينما حكم كلّ من السعيد الورقي وجودت الرّكابي بقسوة على المرابطين، فقال الأوّل: " والواقع أنّ الحياة الثقافية عامّة في ظلّ المرابطين لم تلق تشجيعا ذا بال من الحكّام"[3]، في حين قال الثّاني : " إنّ عجلة الحركة العلم ية توقّفت بمجيء المرابطين، لشدّة تعصّبهم وتزمّتهم، فهم لا يعرفون إلاّ الحرب وخشونتها، ولذلك لم تجد دولة الفكر والأدب في ظلّهم مرتعا خصبا".[4]

ويبدو أنّ أصحاب هذه الأحكام المسبقة كان اعتمادهم على رسالة المفاضلة بين العدوتين الأندلسية والمغربية للشقندي، الذي أنحى باللاّئمة والذمّ على أمراء المرابطين، بقوله : " وبالله إلاّ سمّيت لي بمن تفخرون قبل هذه الدّعوة المهدية : أبسقّوت الحاجب، أم بصالح البرغواطي، أم بيوسف بن تاشفين، الذي لولا توسّط ابن عبّاد لشعراء الأندلس في مدحه، ما أجروا له ذكرا، ولا رفعوا لملكه قدرا،

---

[1]- ديوان طرفة بن العبد، البيت رقم 78، ص52.
[2]- دولة الإسلام في الأندلس عصر المرابطين والموحدين في الأندلس، العصر الثالث، ص438.
[3]- السعيد الورقي، في الأدب الأندلسي، الدار المصرية- الإسكندرية، (د.ت)، ص52.
[4]- جودت الرّكابي، في الأدب الأندلسي، دار المعارف- القاهرة، 1970، ص55.

وبعدما ذكروه بواسطة المعتمد، الذي قال له وقد أنشدوه : أيعلم أمير المسلمين ما قالوه؟ قال لا أعلم، ولكنّهم يطلبون الخبز".[1]

إنّ المتأمّل في هذه الرّسالة يدرك حقيقة مفادها، أنّه لا يمكن للمنطق السّليم أن يعتمد على الرّسالة المذكورة، للحكم على علاقة المرابطين بال شّعر ومسألة تقديره وتذوّقه، باعتبار انّ صاحبها كان في موقف مفاخرة، حيث فاخر فيها بالأندلس على برّ العدوة المغربية، وفي موقف كهذا يعدّ التباهي - الذي يكون عادة مصحوبا بالتهجين والتزيين- أمرا بديهيا، ومن ثمّ لا يعدو أن يكون ذلك نادرة من النوادر تقال بقصد التّسلية والضّحك ليس إلاّ، كما أنّها خاصّة بيوسف بن تاشفين، الذي لم يكن يحسن العربية.[2]

والذي أعتقده شخصيا أنّ المسألة بالنّسبة لابن تاشفين، كانت أكبر بكثير من فهمه أو عدم فهمه ما يقولون، لأنّ الرّجل بكلّ بساطة جعل الجهاد في سبيل الله أولوية الأولويات، وكان يرى في الشّعر الذي عادة ما يتملّق أصحابه نفاقا، لا يعبّر البتّة عن صدق الألسن التي تنطق به، إنّما الغاية من نظمه التّكسّب والتّزلّف، للحصول على الحظوة والمكانة فحسب.

وإذا سلّمنا بصدق ما قاله الشّقندي بحقّ الأمير يوسف بن تاشفين، فلا يمكن تعميم ذلك على خلفائه ، الذين عاشوا بالأندلس فأصبحوا يتشبّهون بالأندلسيين في تقريب الشّعراء والأدباء، وإلى هذه النّقطة بالذّات أشار الأستاذ غومس بقوله: " بيد أنّ الشّعر الأندلسي لم يمت في عصر المرابطين، وكلّ ما حدث أنّه كيّف نفسه بما يلائم الظروف الجديدة التي أحاطت به، إلاّ أنّ ه من الإنصاف أن نقرّر أنّ خلفاء يوسف بن تاشفين، لم يلبثوا أن استسلموا لسلطان الثقافة الأندلسية القاهر، وأصبحوا أقرب إلى الأندلسيين منهم إلى الأفارقة، فحفلت دواوين إنشائهم بالنّاثرين والكتّاب

---

[1]- المقّري، المصدر السابق، ج 3، ص191./ ابن حزم وابن سعيد والشقندي، فضائل الأندلس وأهلها، تحقيق صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد- بيروت، ط1، 1968، ص33./ عنان، المرجع السابق، ص439.

[2]- إحسان عبّاس، تاريخ الأ دب الأندلسي- عصر الطوائف والمرابطين، دار الثقافة- بيروت، ط6، 1981، ص79./ يخلف حاج عبد القادر، المرجع السابق، ص121.

ممّن تخلّفوا عن عصر الطوائف، ثمّ عدّ الأستاذ غومس بعض الكتّاب وال شّعراء، الذين عاشوا في ظلّ المرابطين".[1]

ويردّ الأستاذ عبد الهادي التّازي – في تقديمه لكتاب المنّ بالإمامة لابن صاحب الصلاة – ردّا جميلا هادئا على تهجّمات المستشرقين ومن نحا نحوهم في تهكّمهم على الحياة الأدبية في العهد المرابطي، فيقول : " إنّ ما يوجد ضمن هذ ا المخطوط، من منظوم ومنثور أيّام الموحدين، لممّا يؤكّد أنّ تلك التهجّمات كانت خاطئة، حيث أنّ هذا التراث ليس إلاّ استمرار ا لازدهار أدبي عرف الحياة في أحضان الدولة الذّاهبة".[2]

إنّه ليس من المنطق الحكم على الشّعر بأنّه مات في العهد المرابطي، فإذا كان مجد شاعر البلاط أو الشّاعر الذي يبلغ منصبا كبيرا في الدولة تقديرا لشعره قد ضاع، فقد حفل عصر المرابطين بعدد كبير من الشعراء، أبرزهم ابن خفاجة الهواري وابن أخته الشاعر المشهور أبو الحسن ابن الزقاق البلنسي [3]، والأعمى التطيلي[4] وابن بقي[5] اللذان كانا فارسي رهان حلبة الملثمين، وكانت لهما موشحات بديعة[6]، وقد بلغ الموشّح[7] في هذا العصر الذّروة، وأنّ الزّجل[1] على يد ابن قزمان [2]

---

[1]- إحسان عبّاس، المرجع السّابق، ص79.

[2]- ابن صاحب الصلاة عبد الملك (594هـ/1198م)، تاريخ المنّ بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمّة وجعلهم الوارثين، تقديم عبد الهادي التّازي، دار الأندلس للطباعة والنشر- بيروت، ط1، 1383هـ/1964م، ص58.

[3]- المقّري، المصدر السابق، ج3، ص289 وص414.

[4]- أحمد بن عبد الله بن أبي هريرة القيسي التطيلي الإشبيلي، ويكنّى بأبي جعفر وبأبي العبّس، كان ضريرا ولذلك شهر بلقب الأعمى . ديوان الأعمى التطيلي أبي جعفر أحمد بن عبد الله بن أبي هريرة (ت525هـ/1131م) ومجموعة من موشّحاته، تحقيق إحسان عبّاس، دار الثقافة- بيروت، ط1، 1989، مقدّمة التعريف باسمه وكنيته ولقبه، ص "أ"./ ابن بسّام، المصدر السابق، ج 4، ص728-753./ ابن خاقان، القلائد، المجلد الثاني، ق 4، صص850-867./ ابن سعيد المغربي، المغرب، ج2، ص451./ ابن سعيد، رايات المبرّزين، ص224-226.

[5]- أبو بكر يحي بن محمد بن بقي القرطبي (ت540هـ/1145م)، صاحب الموشّحات البديعة. الفتح بن خاقان، مطمح الأنفس، ص407-408./ ابن خاقان، القلائد، المجلد2، ق4، صص919-927./ ابن سعيد، المغرب، ج2، صص19-21./ ابن خلّكان، المصدر السابق، طبعة 1900، ج6، صص202-205./ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج6، صص2820-2823./ المقّري، المصدر السابق، ج4، صص236-241.

[6]- المقّري، المصدر نفسه، ج7، ص6.

[7]- الموشّح: كلام منظوم على وزن مخصوص، وهو يتألّف في الأكثر من ستّة أقفال وخمس أبيات، ويقال له التّام، وفي الأول من خمسة أقفال وخمس أبيات ويقال له الأقرع، فالتّام ما ابتدئ فيه بالأقفال، والأقرع ما ابتدئ فيه بالأبيات . سليمان العطّار، نشأة الموشّحات الأندلسية، في ص حيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، مجلد29، 1997، ص47.

قزمان[2] اكتمل صورة وموضوعا، وكان أهل الأندلس يقولون : " ابن قزمان في الزّجّالين بمنزلة المتنبّي في الشّعراء"[3]، وعلى هذا يحقّ لنا أن نقول إنّنا في دراستنا للظاهرة الأدبية يجب أن لا نرى في تشجيع الأمراء للأدب سرّ العلّة الكبرى في ازدهاره[4].

وإلى هذه الكوكبة من الشعراء يمكن إضافة الأقلام المتميّزة في النّثر، التي ذاع صيتها في فنّ الترسيل بنوعيه: الرسائل الإخوانية والرسائل الديوانية، ومن هؤلاء : أبو بكر محمد بن سليمان المعروف بابن القصيرة، الذي كان من كتّاب البلاط المرابطي، " وكان يمثّل في وقتهم جمهور البراعة وبقيّة أئمّة الصّناعة وعذبة اللسان العربي"[5]، ومنهم أيضا ابن أبي الخصال[6]، رئيس كتّاب الأندلس[7]، الذي كان له " ديوان رسائل يدور بأيدي أدباء الأندلس، قد جعلوه مثالا يحتذونه، ونصّبوه إماما يقتفونه"[8]، وأمّا النّثر التأليفي فقد تربّع على عرشه ابن بسّام الشنتريني صاحب الذخيرة، ويمكن القول إجمالا : إنّ العهد المرابطي لم يخل من الأدب والعلوم بمختلف أنواعها، وتشهد على ذلك الأسماء اللاّمعة التي تزخر بها كتب التراجم.

واستوقف محمد إبراهيم الفيّومي ذلك العدد الكبير من الأعلام الذين ينتمون إلى العهد المرابطي، فعبّر عن موقفه بكلّ موضوعية قائلا : " أمّا ما نلاحظه على هذا الثبت الحافل من المفكّرين والعلماء الأندلسيين، الذين ازدهر بهم العصر

---

[1]- يتكوّن الزّجل – عدا الخرجة- من أبيات متساوية في عدد الأغصان، وهو يلتزم هذا النظام في كلّ زجل، وتتكوّن الأغصان من أربعة أشطار إلى اثني عشر شطرا، ففيها رباعيات وخماسيات وسداسيات وسباعيات وثمانيات وتساعيات وعشريات وأحد عشريات. بالنثيا أنخل، المرجع السابق، ص159.

[2]- أبو بكر محمد بن عيسى بن قزمان (ت555هـ/1160م). ترجم له ابن سعيد، المغرب، ج 1، ص167./ ابن سعيد، رايات المبرّزين، ص 126-127./ ابن الخطيب، الإحاطة، ج 2، صص 347-356./ المقّري،المصدر السابق، ج4، ص24./ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج4، ص211.

[3]- المصدر نفسه، ج3، ص385./ وقد ترجم له ابن خاقان في القلائد . ينظر: المجلّد1، ج2، ق2، صص 555-557.

[4]- إحسان عبّاس، المرجع السابق، ص80./ يخلف حاج عبد القادر، المرجع السابق، صص122-123.

[5] - ابن بسّام، المصدر السابق، ج 3، ص239. وترجم له ابن بشكوال، المصدر السابق، ج 2، ص445./ ابن الأبّار، إعتاب الكتّاب، تحقيق صالح الأشتر، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ط 1، 1380هـ/1961م، صص222-223./ ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، صص367-370 وغيرهم.

[6]- ابن أبي الخصال أبو عبد الله محمد الغافقي الأندلسي (465-540هـ/1072-1145م). ترجمته في أكثر المصادر ونذكر منها : ابن بشكوال، المصدر السابق، ج 2، ص458./ ابن دحية الكلبي، المطرب، صص 162-164./ الوادي آشي محمد بن جابر، برنامج الوادي آشي، تحقيق محمد محفوظ، دار المغرب الإسلامي- أثينا- بيروت، ط1، 1400هـ/1980م، ص224.

[7]- ابن سعيد، رايات المبرّزين، ص188.

[8]- عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص134.

المرابطي في مختلف ميادين العلوم والآداب، ومنه م عبقريات بارزة يزدان بها تاريخ الحركة العقلية والأندلسية، فيحمل على كثير من التّأمّل، وإنّه ليغدو من الصّعب إذا ما استعرضناه في شيء من الرؤية، أن نقول إنّ الحكم قد جنى بأساليبه الرّجعية على سير الحركة الفكرية الأندلسية، وعاقها عن التقدّم والازدهار.[1]

ولم يكن التطور الثقافي والازدهار العلمي في العصر المرابطي يخصّ مدينة أندلسية بعينها، ذلك أنّ الأندلسيين حافظوا على إرث الماضي، ولم تقف الدولة المرابطية حجرة عثراء أمام العلم والعلماء، ومن ثمّ أسهمت المرية في نشاط الحركة العلمية، " فأنجبت عددا من كبار مفكري الأندلس، وكان عصر المرابطين هو العصر الذي ازدهرت فيه ازدهارا شمل كلّ مناحي الحياة فيها أدبية ومادية، فمن النّاحية الأدبية بلغت الدّراسات الأدبية والعلمية – خاصّة ما تعلّق منها بالعلوم الشّرعية كالتفسير والقراءات والحديث والتّصوّف – ذروتها في هذا العصر... وهذا خير دليل على الدّور الحاسم الذي قام به المرابطون لدفع عجلة الحضارة الأندلسية، وهو أمر كانوا يجحدونه حتّى عهد قريب".[2]

وذهبت عصمت عبد اللطيف دندش إلى أنّه استقرّ في عديد العقول - وتعني بذلك الذين رموا الدولة المرابطية بالعقم في خدمة الحياة الفكرية- فألصقوا صورة الأجلاف المتعصّبين بأمرائها، الذين طغت جموعهم على الأندلس فقضت على حضارتها، ووقفت في وجه الفلسفة، ومنعت تدريس علم الكلام، واتّهموا فقهاء هذا العصر بالجمود وعدم التجديد. والحقيقة التي لا مناص من ذكرها أنّ كلّ علم نال حظّه في البروز والظهور، بما في ذلك العلوم العقلية، التي حظيت بالتّشجيع ووصلت إلى درجة كبيرة من التّخصّص والتجويد، حتّى أنّنا نجد أنفسنا أمام عدد من العلماء[3]. والشّاهد على ما ذكرَتْهُ نصّ في غاية الدّقّة والوضوح لعبد الواحد المرّاكشي، جاء فيه أنّ أمير المسلمين يوسف بن تاشفين "انقطع إليه من ا لجزيرة

---

[1]- تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب والأندلس، دار الجيل للطباعة والنشر- بيروت، ط1، 1417هـ/1997م، ص166.

[2]- السيّد عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية الإسلامية، ص185-186.

[3]- أضواء جديدة على المرابطين، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط1، 1991، صص83-85.

من أهل كلّ علم فحوله، حتّى أشبهت حضرته حضرة بني العبّاس في صدر دولتهم".[1]

ولست أدري كيف خفي هذا النّصّ على أولئك الذين تهكّموا على الدولة المرابطية، وسلّطوا عليها سيف انتقامهم متّهمينها جورا وزورا بتعطيل عجلة الحياة العلمية على عصرها، وفي ختام كلمت ها عن موقف المرابطين من علم الكلام والفلسفة أشارت دندش – بعد أن ذكرت عددا من الفلاسفة المنتمين للعصر المرابطي- إلى أنّ ابن طفيل[2] يجب أن تكون نسبته أكثر إلى عصر المرابطين منه إلى الموحدين، وحجّتها في ذلك أنّه لم يلتحق بخدمة الآخرين إلاّ بعد أن تجاوز الخمسين من عمره ، وعندما التحق بخدمة عبد المؤمن بن علي وأولاده كانت صفة الطبيب الوزير هي الغالبة على عمله.[3]

2-5- موقف المرابطين من الفلسفة وعلم الكلام والتصوّف : (ميزان الشّرع لا ميزان العقل البشري القاصر):

لم يمنع المرابطين شظف العيش على الجهاد في سبيل الله، و الاجتهاد في تحصيل العلم والمعرفة، والعمل بحبّ على نشرهما بين النّاس، رافعين شعار الزّهد والتقلّل من متاع الدّنيا وملذّاتها، سيرا على خطى الصحابة والتّابعين والسّلف الصالح، الذين لم تكن الدنيا أكبر همّهم ولا مبلغ علمهم، فكان عملهم ذلك تصوّفا سنّيا، يجمع بين الشريعة والحقيقة ويحافظ على الحدود والتكاليف، ويرعى فضيلة العلم والعمل ويربط بينهما ربطا محكما، وينبذ الشطح ودعاوى الحلول والاتحاد وغيرهما [4]. وقد أثر هذا عن عدد من الشخصيات البارزة في تاريخ الدولة

---

[1]- المعجب، ص123.

[2]- أبو بكر محمد بن عبد الملك بن محمد بن طفيل القيسي الأندلسي (494-581هـ/1100-1185م). ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، صص334-336./ عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، صص 176-179./ إدورد فنديك، اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، دار صادر- بيروت، 1986، ص193./ البغدادي إسماعيل باشا، هدية العارفين، ج6، ص98./ الزركلي، الأعلام، ج 6، ص249./ قدري حافظ طوقان، تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، دار الشروق- بيروت، (د.ت)، صص389-393.

[3]- دندش، المرجع نفسه، ص97.

[4]- مجدي محمد إبراهيم، التصوّف السنّي حال الفناء، ص652.

المرابطية، كالفقيه وجّاج بن زولو [1]، وتلميذه عبد الله بن ياسين، وأمير المسلمين يوسف بن تاشفين وابنه علي، ولعلّ أصدق مثال لهذا النّوع من التصوّف ينطبق على الإمام أبي عليّ الصّدفي، الذي جمع بين العلم والتعليم والجهاد.[2]

وبالموازاة مع هذا النّوع من التصوّف[3] ظهر تيار آخر مزج بين التصوّف والفلسفة وعلم الكلام[4]، وعرف هذا النوع من التصوّف بالتصوّف الفلسفي، وكان من أبرز وجوهه في عصر المرابطين بالأندلس : أبو العبّاس بن العريف [5]، وابن برجان[6]، وأبو القاسم بن قسي.[7]

ولم يتوان علماء العصر في الرّدّ على ترّهات وخزعبلات هذا النّوع من التصوّف، وقعدوا لهم بكلّ مرصد فأنكروا عليهم أشياء كثيرة، كالقول بوحدة الوجود والفيض أو الإشراق والحلول والعشق[8]، وقد أطلقت الصوفية الفلسفية العشق على الله تعالى فوصفت الخالق بصفة العشق التي هي من صفات البشر [9]، ونتيجة لهذه

1- كان من أهل السّوس، ورحل إلى القيروان طلبا للعلم، وعندم ا عاد منها بنى دارا سمّاها دار المرابطين لطلبة العلم وقرّاء القرآن. ابن الزيّات يوسف بن يحي التّادلي، التّشوّف، ص73-74.

2- استشهد في موقعة قتندة سنة 514هـ/1120م. القاضي عياض، الغنية، ص131.

3- علم التصوّف: علم من العلوم الشّرعيّة الحادثة في الملّة، وأصله أنّ طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمّة، وكبارها من الصّحابة والتّابعين، ومن بعدهم طريقة الحقّ والهداية، وأصلها العكوف على ا لعبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدّنيا وزينتها، والزّهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذّة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة، وكان ذلك عامّا في الصّحابة والسّلف . فلمّا فشا الإقبال على الدّنيا في القرن الثّاني وما بعده، وجنح النّ اس إلى مخالطة الدّنيا، اختصّ المقبلون على العبادة باسم الصّوفيّة والمتصوّفة. ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص611.

4- قال ابن خلدون : " وما يجب أن يعتقد ممّا لا يعتقد، وهذه هي العقائد الإيمانية في الذّات والصّفات وأمور الحشر والنّعيم والعذاب والقدر والحِجاج عن هذه بالأدلّة العقلية هو علم الكلام". المقدمة، ص550.

5- ستأتي ترجمته كاملة ضمن أعلام البربر في هذا العصر.

6- أبو الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن بن أبي الرجال اللّخمي المعروف بابن بُرجان الإشبيلي (ت536هـ/1141م)، شيخ الصّوفية، ومؤلّف شرح الأسماء الحسنى، و له تفسير القرآن لم يكتمل . ابن الأبّار، التكملة، ج3، ص21./ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 20، ص72-73./ ابن خلّكان، المصدر السابق، ط 1، 1971، ج4، ص236-237./ ابن شاكر الكتبي محمد بن أحمد، فوات الوفيات، تحقيق علي محمد بن يعوض الله وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 2000، ج1، ص661./ الناصري السلاوي، المرجع السابق، ج2، ص76-77.

7- أبو القاسم أحمد بن الحسين بن قَسي (ت546هـ/1151م)، مدّعي الهداية، وصاحب كتاب " خلع النّعلين في الوصول إلى حضرة الجمعين "، ثار على المرابطين في آخر دولتهم، وعرفت ثورته بثورة المريدين. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، صص248-252./ علي بن خليفة الحسيني الشريف المساكني، فهرسة الشيخ علي بن خليفة المساكني (كان حيّا سنة 1131هـ/1719م)، تحقيق محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط1، 1992، ص41-42.

8- سعيد أعراب، مع القاضي أبي بكر بن العربي، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط1، 1407هـ/1987م، ص154.

9- ابن تيمية تقي الدين، مجموع الفتاوى، تحقيق عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف- المدينة النبوية، 1416هـ/1995م، ج1، ص131./ ابن تيمية، الصفدية، تحقيق محمد رشاد سالم،

التطوّرات التي حصلت في الفكر الصوّفي، والتي جعلته يبتعد عن التصوّف السّني، ليسقط في حمأة التصوّف الفلسفي العقلي المحض، أصبح كلّ ما له علاقة بالعلوم المذكورة يمثّل شبهة حقيقية تعرّض صاحبها إلى الوقوع في الزّندقة والكفر البواح، ومن هذا المنطلق كان العلماء يدرؤون كلّ تعارض ما بين العقل والنّقل، فقد أوصى الفقيه أبو الوليد الباجي ولديه قائلا : " إيّاكما وقراءة شيء من المنطق وكلام الفلاسفة، فإنّ ذلك مبني على الكفر والإلحاد والبعد عن الشّريعة والإبعاد ... لذلك أنكر جماعة العلماء المتقدّمين والمتأخّرين قراءة كلامهم، لمن لم يكن من أهل المنزلة والمعرفة به، خوفا عليهم ممّا خوّفتكما منه".[1]

وذكر ابن خلدون في ذات السّياق أنّه " ينبغي أن يعلم أنّ هذا العلم الذي هو علم الكلام، غير ضروري لهذا العهد على طالب العلم، إذ المُلحدة والمُبتدعة قد انقرضوا والأئمّة من أهل السنّة كفونا شأنهم فيما كتبوا ودوّنوا[2]، والأدلّة العقلية إنّما احتاجوا إليها حين دافعوا ونصروا. وقد سئل الجُنيد رحمه الله عن قوم مرّ بهم بعض المتكلّمين يفيضون فيه فقال : ما هؤلاء؟ فقيل : قوم ينزّهون الله بالأدلّة عن صفات الحدوث وسمات النّقص، فقال : " نفي العيب حيث يستحيل العيب عيب "، لكنّ فائدته في آحاد النّاس وطلبة العلم فائدة معتبرة، إذ لا يحسن بحامل السنّة الجهل بالحجج النّظرية على عقائدها، والله وليّ المؤمنين".[3]

مكتبة ابن تيمية- القاهرة، 1406هـ/1986م، ج1، ص127 وج2، ص36./ الطحاوي أبو جعفر أحمد بن محمد، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق عبد الرحمن بن ناصر بن براك بن إبراهيم البراك، إعداد عبد الرحمن بن صالح السديس، دار التدمرية- الرياض، ط2، 1429هـ/2008م، ص199.

[1]- الباجي أبو الوليد سليما ن بن خلف، النصيحة الولدية، وصيّة أبي الوليد الباجي لولديه، تحقيق إبراهيم باجس عبد المجيد، دار الوطن- الرّياض، ط1، 1417هـ، ص18.

[2]- قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " ومعلوم أنّ مقالات هؤلاء من أبعد المقالات عن الشّرع والعقل، فإنّهم يسفسطون في العقليات ويقرمطون في السّمعيات، فيحرّفون الكلم عن مواضعه أعظم من التحريف الذي عيب على النّصارى، إلاّ من تقرمط من الأمّيّين من متفلسفيهم فإنّه شبيه بهم ". بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، تحقيق موسى الدويش، مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة، ط3، 1415ه-/1995م، ص183-184.

[3]- المقدّمة، ص591.

وفي هذا المنحى نجح نفر من علماء قرطبة في إقناع أمير المسلمين علي بن يوسف في استصدار أمر بإحراق " إحياء علوم الدّين"[1] للغزالي سنة 503هـ/1109م، وقد ربط المراكشي العلاقة بين محاربة العلماء لعلم الكلام وقضيّة الإحراق [2]، في حين ردّ إسماعيل بن الأحمر ذلك إلى ما قاله الفقهاء بعد اطّلاعهم على الإحياء، فنبّهوا إلى ما فيه من الأحاديث الموضوعة التي لا أصل لها [3]، وذهب أبو القاسم محمد بن خلصون[4] في رسالة له إلى سرد رأي بعض علماء العصر المرابطي في كتاب أبي حامد الغزالي، كالفقيه الحكيم أبي بكر بن طفيل، والفقيه أبي الوليد بن رشد، الذي قال: " إنّ أبا حامد قد طمّ الوادي على القرى، ولم يلتزم طريقة في كتبه، فنراه مع الأشعرية أشعريا، ومع المعتزلة معتزليّا، ومع الفلاسفة فيلسوفا، ومع الصّوفية صوفيّا"، ثمّ قال : " والذي يجب على أهل العلم، أن ينهوا الجمهور عن كتبه، فإنّ الضّرر فيها بالذّات والمنفعة بالعرض".[5]

وفي قراءة شاملة لمؤلّفات أبي حامد الغزالي يرى ابن خلصون أنّ كتبه في غير التّصوّف، كانت غاية في النّبل والنّباهة، وأنّ الضّرر بالعرض الذي ذكره ابن رشد، إنّما يوجد في كتبه التي ذهب فيها مذهب التّصوّف، ويشير إلى أنّ الفقيه أبا بكر الطرطوشي [6] (ت520هـ/1126م) نبّه على ذلك في كتابه " مراقي العارفين " بقوله: " وقد دخل على السّالكين ضرر عظيم من كتب هذا الرّجل الطّوسي، فإنّه تشبّه بالصّوفية ولم يلحق بمذاهبهم، وخلط مذاهب الفلاسفة بمذاهبهم، حتّى غلط

---

[1]- ابن القطّان المرّاكشي ، نظم الجمان، ص70./ ابن عذاري، المصدر السابق، ج 4، ص59./ محمد إبراهيم الفيّومي، المرجع نفسه، ص 186./ محمد محمود عبد الله بن بيّة، الأثر السّياسي للعلماء في عصر المرابطين، دار الأندلس الخضراء- جدّة، دار ابن حزم- بيروت، ط1، 1421هـ/2000م، ص124.

[2]- المعجب، ص131.

[3]- بيوتات فاس الكبرا، دار المنصور للطباعة والنشر- الرباط، 1972، ص33.

[4]- من أعلام النصف الأول من القرن 6هـ/12م، كان كاتبا بليغا، شاعرا مجيدا، وفقيها أصوليّا، وتواليفه كثيرة . ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، صص194-202.

[5]- ابن الخطيب، المصدر نفسه، ج3، ص201.

[6] - المشهور بمؤلّفه " سراج الملوك". ابن بشكوال، المصدر السابق، ج2، ص449-450./ ابن خلّكان، المصدر السابق، ج4، صص262-265./ ابن سعيد المغربي، المغرب، ج2، ص424.

النّاس فيها"[1]، ويصف الطرطوشي كتاب الإحياء بأنّه شحن بالكذب على رسول الله ﷺ، فلا أعلم كتابا على وجه الأرض أكثر كذبا على الرّسول ﷺ منه".[2]

ويقف القاضي عياض اليحصبي في نفس الخطّ مع الذين أنكروا على أبي حامد الغزالي الكثير ممّا جاء في إحيائه، إلاّ أنّه يتأسّف – ولو لم يصرّح بذلك – ويتمنّى لو أبقي على ما فيه من العلم النّافع، وهو ما يفيد بأنّه لم يكن راضيا عن عملية حرقه، ومحلّ الشّاهد على ذلك قوله: " لو اختصر هذا الكتاب واقتصر على ما فيه من خالص العلم لكان كتابا مفيدا"[3]، وذكر ابن الزّيّات أنّ أبا الفضل يوسف بن محمد المعروف بالنّحوي كان يعارض قرار الحرق، وأن يحلف النّاس بالإيمان المغلّظة أنّ الإحياء ليس عندهم، فأفتى " بأنّها لا تلزم، وكان ينتسخ الإحياء في ثلاثين جزءا، فإذا دخل شهر رمضان قرأ في كلّ يوم جزءا".[4]

وإذا كان البعض يرى في ما ذهب إليه علماء المرابطين من حمل للنّاس على التشبّث بالمذهب المالكي حجرا على العقول وتعطيلا للتنوّع المذهبي والفكري، فأنا شخصيّا أعتقد أنّ القصد من وراء هذا الإجراء إنّما يكمن في الحرص على وحدة الصّف والحفاظ على وحدة الكلمة لقطع الطريق أمام الفتنة المذهبية وكلّ فتنة محتملة يمكن أن تخرج من تحت عباءتها، وعندئذ يمكن طرح السؤال التّالي : ما جدوى تنوّع ظاهره الازدهار الفكري، وباطنه من قبله التشتّت والتشرذم والصّراعات التي تعصف بالدّولة، وتهوي بها قاعا صفصفا فلا تبقي ولا تذر ويكون مآلها السقوط والانهيار؟!

وكلّ ما يمكن أن يقال في إجراءات الحجر التي اتّخذها المرابطون على الدّراسات الكلامية والشّرعية والفلسفية، إنّهم قاموا بتوجيهها إلى وجهاتهم الخاصّة،

---

[1]- ابن الخطيب، المصدر السابق، ج3، ص202.

[2] - الونشريسي أبو العبّاس أحمد بن يحي (ت914هـ/1508م)، المعيار المعرب والجامع المغرب في فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق جماعة من الباحثين، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية- الرباط، 1981، ج12، ص185.

[3]- محمد بن عياض، التعريف بالقاضي عياض، تحقيق محمد بن شريفة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية- الرباط، 1983، ص106.

[4]- التشوّف، ص78.

ومطاردة كتب الأصول، قد يكون له أثره في سير هذه الدّراسات، وإن كان لا يحقّ لنا أن نبالغ في تقدير هذا الأثر.[1]

وتعليقا على هذا الرّأي ينبغي إماطة اللّثام حول جملة " توجيه الدّراسات وفقا لوجهاتهم الخاصّة" التي تحتاج إلى إزالة الغموض دفعا للّبس وتوضيحا للمفاهيم، والذي أراه أنّ هذا التّوجيه هو الوجهة السّليمة والصّحيحة التي تنسجم مع مشكاة الحقّ، الذي ساقهم إليه اجتهاده م داخل إطار النّصوص بما يتوافق مع الشّرع، لأنّهم كانوا يزنون الأمور بميزان الشّرع لا بميزان العقل البشري القاصر!

والاستنتاج الذي يمكن الخروج به من كلّ ما تقدّم، أنّه بالرّجوع إلى كتب التراجم التي عاصرت دولة المرابطين، يتّضح لنا بالدّليل القاطع والحجّة الدّ امغة، خلاف كلّ ما كان يروّج له ضدّ المرابطين من افتراءات لا يقبلها العقل السّليم، فقد حفل عهدهم بطلب العلم بمختلف فنونه، كما انتشر في ربوع دولتهم أئمّة القرآن وأهل الحديث والفقه والأدب وغيرهم، واشتهر منهم الكثير وعنهم أخذت أعداد هائلة من الطلاّب رغم قصر مدّة حكم هذه الدولة المباركة.[2]

---

[1]- محمد إبراهيم الفيّومي، المرجع السابق، ص166.

[2]- يخلف حاج عبد القادر، المرجع السابق، ص124-125.

6- إسهامات البربر العلمية بالأندلس المرابطية وحظّ صنهاجة من ذلك:

شهدت هذه الحقبة الزمنية من تاريخ الأندلس نبوغ عدد كبير من علماء البربر في مختلف العلوم نقلية وعقلية، وللوقوف على هذه الحقيقة آثرت توضيح ذلك على الطريقة الإحصائية، جريا على ما قمت به في الفصول السّابقة، وفيما يلي جدولة فيها جرد بما استطعت إحصاءه من أسماء وتخصّصات أعلام البربر الذين برزوا في العصر المرابطي:

رقم	اسم العلم وتاريخ وفاته	الانتماء القبلي	مجال التخصّص(ع.نقلية- ع.عقلية- ع.أخرى)											
			فق	ع.ح	ع.ق	نث	شع	ع.ل	ع.ك	ريا	تا/ج	فل	تص	طب
01	إسماعيل بن مهلهل أخو الأمير مزدلي اللمتوني من الرّضاعة (كان صاحب الصلاة ببلنسية عند فتحها في رجب سنة 495هـ)	لمتونة (صنهاجة)	X		X									
02	أبو ع. الله محمد بن سليمان بن يحي القيسي = بالمكناسي (ت501هـ)	مكناسة			X									
03	ع.الله بن خلف بن سعيد بن حاتم العبدري الزواوي البلنسي(كان حيّا سنة 505هـ)	زواوة (كتامة)		X										
04	محمد بن ع.الرحمن بن خلف بن حسين بن محمد النفزي (ت509هـ)	نفزة			X									
05	أبو القاسم ع.الرحمن = بابن العجوز السبتي (ت510هـ)	كتامة	X											
06	أبو يوسف يعقوب بن حمّاد التلمساني الأغماتي (دخل مرسية سنة 511هـ)	أغمات أيلان (مصمودة)	X	X										
07	أبو موسى ع.الكريم بن ع.الرحيم ابن معزوز الصنهاجي = بالغفجموني (حدّث بصحيح مسلم في سنة 513هـ)	صنهاجة		X										
08	أبو إسحاق إبراهيم بن جعفر بن أحمد اللواتي (ت513هـ)	لواتة	X			X	X							
09	أبو محمد ع.الله بن محمد الأنصاري الأوسي من أهل بجاية= بالتّامغلتي(رأيت السماع منه في شعبان سنة 513هـ)	بجاية (صنهاجة)	X	X										
10	أبو ع.الله محمد بن ع.الملك بن منخل بن محمد بن مشرف النفزي (سمع من أبي علي في غزوة قتندة 514هـ التي	نفزة			X									

	فقد فيها)													
11	أبو ع.الله محمد بن أحمد بن نصر النفزي= بالرّندي (ت514هـ)	نفزة		X										
12	أبو محمد ع.الله بن أبي ع.الله بن أيّوب اللّنتي المرّي (ت515هـ)	لنتة (فخذ من البربر)		X										
13	خلوف بن خلف الله البربري (ت515هـ)	من البربر	X											
14	أبو محمد ع.الله بن خلف بن سعيد بن حاتم العبدري البلنسي=بالزواوي (كان حيّا بعد سنة 516هـ)	زواوة (كتامة)			X									
15	أبو حجّاج يوسف بن المنتصر الصنهاجي الغرناطي (روى عن أبي محمد ابن أيّوب الشاطبي سنة 521هـ)	صنهاجة		X										
16	أبو محمد ع.الله بن علي بن ع.الملك بن سمجون اللواتي الغرناطي (ت524هـ)	لواتة	X	X										
17	أبو محمد ع.المنعم بن مروان بن ع.الملك بن سمجون اللواتي (ت524هـ)	لواتة	X											
18	أبو ع.الله محمد بن سليمان النفزي = بابن أخت غانم (ت525هـ)	نفزة	X	X	X	X		X						
19	أبو ع.الله محمد بن داود بن عطية بن سعيد العكّيى الجراوي (ت525هـ)	جراوة (زناتة)	X	X										
20	أبو علي منصور بن الخير بن يعقوب بن يملى المالقي المغراوي = بالأحدب (ت526هـ)	مغراوة			X									
21	أبو بكر محمد بن ع.المنعم بن منّ الله بن أبي بحر الهواري = بابن الكمّاد (كان حيّا سنة 527هـ)	هوارة	X	X										
22	أبو عمر ميمون بن ياسين الصنهاجي اللمتوني المري (ت530هـ)	لمتونة (صنهاجة)		X										
23	أبو الحسن علي بن خلفون الهواري (ت531هـ)	هوارة	X	X	X									
24	أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الفتح بن عبيد الله بن خفاجة(451-533هـ)	هوارة				X	X							
25	أبو الحسن علي بن ع.العزيز الزناتي القرطبي (كان حيّا سنة533هـ)	زناتة		X										
26	أبو عمران موسى بن ع.الرحمن بن حمّاد الصنهاجي(ت535هـ)	بنو حمّاد (صنهاجة)	X	X										
27	أبو ع.الله بن محمد بن مفرّج بن سليمان	صنهاجة	X											

	الصنهاجي الطنجي (ت536هـ)													
28	أبو الأصبغ ع.العزيز بن محمد بن فرج بن سليمان الشاطبي = بالمكناسي (ت536هـ)	مكناسة	X		X	X		X		X				
29	أبو العبّاس أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجي= بابن العريف (ت536هـ)	صنهاجة	X	X	X	X	X						X	
30	أبو الوليد إسماعيل بن محمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجي = بابن العريف(أخو أبي العبّاس المتصوّف)	صنهاجة	X	X										
31	أبو الحسن علي بن ع.الله بن داود بن الحسن اللّمّائي = بالمالطي (ت537هـ)	لمّاية	X		X									
32	أبو محمد ع.الله بن محمد بن ع.الله بن محمد النفزي= بالمرسي(ت538هـ)	نفزة		X	X								X	
33	أبو بكر زاوي بن منّاد بن عطية الله بن المنصور الصنهاجي = بابن تقسوط (ت في رجب 539هـ)	صنهاجة		X										
34	أبو العبّاس أحمد بن محمد بن سعيد بن حرب = بابن المسيلي(كان حيّا سنة 539هـ)	مسيلة من عمل بجاية (صنهاجة)	X	X										
35	أبو الحسن علي بن ع.الرحمن بن علي بن ع.الله بن سمجون (ت539هـ)	لواتة	X											
36	أبو القاسم ع.الغفور بن ع.الله بن محمد النفزي المرسي(ت539هـ)	نفزة											X	
37	محمد بن ثابت بن حسين النفزي (ت بعد 540هـ)	نفزة	X											
38	أبو جعفر أحمد بن خلصة بن أبي عامر النفزي الشاطبي (ت540هـ)	نفزة	X											
39	أبو جعفر أحمد بن ع.الرحكمن بن محمد بن ع.الباري الهواري البطروشي وقيل النفزي البلوطي(ت542هـ)	هوارة أو نفزة	X	X							X			
40	أبو خالد ع.الله بن محمد بن ع.الرحمن بن أبي زمنين الغرناطي(497-544هـ)	نفزة	X											
41	أبو محمد ع.الله بن محمد بن وقاص اللمطي الميورقي (كان حيّا سنة 544هـ)	لمطة (صنهاجة)	X	X	X									
42	أبو علي المنصور بن محمد بن الحاج داود بن عمر الصنهاجي اللمتوني	لمتونة (صنهاجة)		X							X			

	(ت547 أو 550هـ)													
43	أبو محمد ع.الله بن إبراهيم بن وزمّر الحجاري الصنهاجي(467-550هـ)	صنهاجة				X	X				X			
44	أبو ع.الله محمد بن تاشفين بن يوسف بن أبي بكر بن ييمد ابن سرحوب اللمتوني(ولد سنة 496هـ ت؟)	لمتونة (صنهاجة)	X						X					
45	أبو ع.الله بن الحاج محمد بن علي بن محمد النفزي الجيّاني(من أعلام ½ 1 من ق6هـ)	نفزة	X											
46	أبو إسحاق يعقوب بن حمّاد الأغماتي= بابن الفاسي(من أعلام ½ 1 من ق6هـ)	أغمات (مصمودة)		X										
47	ميمون الهواري(دخل الأندلس غازيًا مع الأمير تميم بن يوسف بن تاشفين)	هوارة	X			X								
48	أبو يوسف الزناتي (من أعلام ½ 1 من ق6هـ)	زناتة	X											
49	أبو ع.الله محمد بن أحمد بن خلف الكتامي (من أعلام ½ 1 من ق6هـ)	كتامة		X										
50	أبو إسحاق إبراهيم بن حمّاد من أهل قلعة حمّاد (من أعلام ½ 1 من ق6هـ)	بنو حمّاد (صنهاجة)	X	X										
51	أبو المجد خزرون البربري الإشبيلي (من أعلام ½ 1 من ق6هـ)	بنو خزرون (مغراوة)					X							
52	محمد بن ع.الرحمن العقيلي الوادي آشي الجراوي(من أعلام ½ 1 من ق6هـ)	جراوة (زناتة)	X			X	X							X
53	أبو يوسف الفقيه البربري الميورقي(ت بعد 550هـ)	من البربر	X											
54	أبو محمد ع.الودود بن ع.الرحمن بن علي بن ع.الملك وهو سمجون(501-552هـ)	لواتة	X											
55	أبو ع.الله محمد بن سليمان بن خلف النفزي الشاطبي= بابن بركة (481-552هـ)	نفزة	X	X										
56	أبو علي منصور بن مسلم بن عبدون الزرهوني	بنو زرهون[1]	X	X										

[1]- ينظر الترجمة رقم 66 في التكملة المتعلّقة بـ"عتيق بن علي بن حسن بن حفّاظ الصنهاجي الحميدي المعروف بالفصيح والمكنّى بأبي بكر . قال فيه ابن الأبّار : " أصله من مكناسة الزَّيْتُون وَنَشَأَ هُوَ بِمَدِينَة فاس وَأخذ عَن مشيختها وَهُوَ زرهوني". التكملة، ج4، ص26./ ينظر كذلك ترجمة رقم 251 المتعلّقة بـأبي محمد عبد الله ابن عثمان الصنهاجي المعروف با لزرهوني، ابن الزيّات التّادلي، التشوّف إلى رجال التصوّف وأخبار أبي العبّاس السبتي، تحقيق أحمد التوفيق، ط2، 1997، ص424./ أمّا ابن خلدون فلا يعطينا صورة واضحة في هذه المسألة حيث يذكر فقط " أنّ جبل زرهون مطل على مكناسة "، وهو م ا يعني أنّ هذا الجبل كان قريبا من مكناسة . المصدر السابق، ج7، ص469.

	الفاسي= بابن أبي فوناس (472-554هـ)	(صنهاجة)											
57	أبو الأصبغ ع.العزيز بن علي بن محمد بن مسلمة بن ع.العزيز السّماتي الإشبيلي=بابن الطّحّان (ت بعد 554هـ)	سوماتة (نفزة)			X								
58	أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم بن ع.الرحمن بن الضّحّاك الفزاري=بابن النفزي (ت557هـ)	نفزة	X	X	X				X		X		
59	أبو محمد سالم بن سلامة السّوسي (ت 559هـ وكان قد تجاوز المئة سنة)	من بربر[1] السوس بالمغرب	X	X									
60	أبو مروان ع.الملك بن أحمد بن أبي يدّاس الصنهاجي الجيّان(ولد 510هـ وخرج من جيان بعد 540هـ في الفتنة بانقراض الدولة اللمتونية وتوفّي سنة 560هـ)	صنهاجة			X	X	X	X			X		
61	أبو العبّاس أحمد بن حسن بن سيّد الجراوي المالقي=بابن سيّد وهو غير اللّص لأنّه متقدّم الوفاة عنه (ت560هـ)	جراوة (زناتة)				X	X	X					
62	أبو الحسن علي بن ع.الرحمن بن ع.العزيز بن زكريا بن ع.الله بن إبراهيم بن حسّون الحميري الكتامي البيّاسي (ت بعد 560هـ)	كتامة	X		X								
63	أبو محمد ع.الله بن سهل المصمودي الكفيف المرسي (ت بعد 560هـ)	مصمودة							X				
64	أبو محمد ع.الله بن محمد بن ع.الله بن علي الصنهاجي =بابن الأشيري(ت561هـ شمال بعلبك في طريقه من المدينة إلى الشّام)	صنهاجة	X	X		X	X						
65	أبو ع.الله محمد بن ع.الرحمن بن محمد بن فرج بن سليمان بن ع.العزيز القيسي=بابن تريس ويشتهر بالمكناسي(494-561هـ)	مكناسة	X	X	X	X	X	X			X		
66	أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن خليفة النفزي (475-564هـ)	نفزة			X	X					X		
67	أبو ع.الله محمد بن علي بن جعفر بن جعفر بن أحمد بن محمد القيسي= بابن الرّمامة(478-	أصله من قلعة حمّاد من حوز بجاية	X										

[1]- كان يؤدّي المسائل باللسان البربري. التكملة، ج4، ص124.

	567هـ)	(صنهاجة)												
68	أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف الوهراني والحمزي= بابن قرقول المرّي(505-569هـ)	حمزة بناحية المسيلة وهي من عمل بجاية	X	X										
69	أبو الحسن علي بن الحسن بن علي بن الحسن اللواتي الفاسي (479-573هـ)	لواتة	X											
70	أبو محمد ع.الوهاب بن محمد بن ع.الله الصنهاجي نزيل الإسكندرية(من أهل 2½ من ق6هـ)	صنهاجة		X				X						
71	أبو الحسن علي بن يحي بن القاسم الصنهاجي (ت585هـ)	صنهاجة	X											
72	سليمان بن إبراهيم بن يحي الصنهاجي (من أعلام ق6هـ)	صنهاجة		X										
73	أبو زكرياء يحي بن ياسين اللمطي= بابن اللّؤلؤي(من أعلام ق6هـ)	لمطة (صنهاجة)			X									
74	أبو زكرياء يحي بن موسى بن يَرْأَنْ الصنهاجي الكبكالي ابن تايندوج(من أهل ق6هـ)	بنو زروال (صنهاجة)		X										
75	أبو يعقوب ينتان بن تويت من أمراء المرابطين (من أعلام ق6هـ)	صنهاجة	X											
76	أبو بكر يحي بن موسى بن ع.الله البرزالي(من أعلام ق6هـ)	بنوبرزال (زناتة)	X											
77	أبو ع.الله محمد بن ع.الله بن عيسى الكتامي=بابن المدرة(من أعلام ق6هـ)	كتامة				X		X						
78	الحرّة حوّاء بنت إبراهيم بن تفلويت (من أعلام ق6هـ)	لمتونة (صنهاجة)			X		X							
79	مريم بنت إبراهيم أخت حوّاء زوج أبي الطاهر تميم بن يوسف بن تاشفين(من أعلام ق6هـ)	لمتونة (صنهاجة)					X							
80	الحرّة حوّاء بنت أخي يوسف بن تاشفين لأمّه وزوج الأمير سير بن أبي بكر(من أعلام ق6هـ)	لمتونة (صنهاجة)			X		X							
81	ورقاء بنت ينتان الحاجّة الطليطلية (من أعلام ق6هـ)	لمتونة (صنهاجة)			X	X	X							
82	أبوموسى عمران بن جعفر بن محمد الصنهاجي من أهل حمص بالأندلس (من أعلام ق6هـ)	صنهاجة					X							
83	أبو الحسن حلالة بن الحسن الفهري ذو الوزارتين = بابن	مديونة				X		X						

	المديوني(من أعلام ق6هـ)													
84	أبو عبد الله محمد بن ميهون بن ياسين الصنهاجي اللمتوني الإشبيلي(من أعلام ق6هـ/12م)	صنهاجة		X										
85	حفصة ابنة الفقيه القاضي أبي عمران موسى بن حمّاد الصنهاجي(من أعلام ق6هـ/12م)	صنهاجة	X											

ولتبسيط القراءة وتسهيل فهم معطيات هذا الجدول، سأستعين بالجدول التالي الذي يبيّن إسهام كلّ قبيلة من قبائل البربر – في الجدول أعلاه - على حدة، لمعرفة التطوّر الحاصل في الحركة العلمية بالأندلس خلال العهد المرابطي بالنسبة لكل منها، ومحاولة تفسير الظاهرة تفسيرا علميا.

اسماء قبائل البربرالواردة في العصر المرابطي	الأعلام المنتمون إليها (علامة X)	العدد	النسبة %
لمّاية	X	01	03,61
مديونة	X	01	03,61
مغراوة	X X	02	02,40
مصمودة	X X X	03	03,61
مكناسة	X X X	03	03,61
بربر يجهل انتماؤهم ؟	X X X X	04	04,81
هوارة	X X X X X	05	06,02
زناتة	X X X X X X	06	07,22
لواتة	X X X X X X	06	07,22
كتامة	X X X X X X	06	07,22
نفزة	X X X X X X X X X X X X X X	14	16,86
صنهاجة	X X X X X X X X X X X X X X X X X X X X X X X X X X X X X X X X X X	34	40
مجمـــوع عــــدد الأعــــلام		85	100

من أهمّ الملاحظات التي نستشفّها من الجدولين أعلاه:

- معظم إسهامات البربر العلمية تركّزت حول العلوم الشّرعية بالدّرجة الأولى وبنسبة مرتفعة مقارنة مع باقي العلوم، وتلتها الآداب وعلوم اللغة في المركز الثّاني بنسبة محترمة، بينما كان حظّ العلوم الأخرى كالتّاريخ والجغرافية والفلسفة جدّ ضئيل، في حين كان الطبّ والرّياضيات بمثابة الحاضر الغائب لدى البربر جميعا؟!

- وبطبيعة الحال لم يختلف هذا العهد عن سابقيه من العهود، بالنّسبة لتراتبية العلوم من حيث أهمّيتها في عيون العامّة والخاصّة من النّاس حينئذ، حيث أقبلوا على العلوم الشّرعية لحثّ الشّارع على تعلّمها حتّى في أصعب الظروف أ لا وهي حالة النّفير، فقال الحقّ عزّ وجلّ:(وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ)[1]، وعليه فإنّ التفقّه في الدّين أمر مطلوب ومرغّب فيه، وهو لا يقلّ أجرا عن النّفير عند الخالق سبحانه وتعالى، ولذلك رغّب النبيّ ﷺ في طلب العلم في قوله: {مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ أَيُّهَا النَّاسُ تَفَقَّهُوا }[2]، وفضلا عن ذلك فإنّ هذه العلوم كانت سبيلا إلى بلوغ المناصب الإدارية كالإمامة والقضاء، كما كانت الآداب واللغة ترتقي بمن يبرز فيها إلى الوزارة والكتابة، في حين قلّ الطلب على العلوم الأخرى لنظرة المجتمع إليها، ولصعوبة الخوض فيها وقلّة العمل بها.

- ويلاحظ أيضا تزايد في عدد القبائل البربرية، التي شاركت في الحركة العلمية على عصر المرابطين، حيث قفز عددها إلى 11 قبيلة، وتجدر الإشارة إلى أنّ عددا قليلا من البربر ظلّ إلى هذا العصر مجهول الانتماء إلى القبيلة التي ينحدر منها.

- جلّ إسهامات القبائل كانت متواضعة جدّا، باستثناء قبيلة نفزة التي عرفت مشاركتها منحى تصاعديا، أمّا صنهاجة فيبدو أنّ القرنين 5 و6هـ/10 و11م، عبّرا

[1]- سورة التوبة، (رقم9)، الآية 122.

[2]- حدّث بهذا الحديث أبو الخطّاب زياد بن يحي قال: حدّثنا أبو الحسين هارونُ بن مسلمٍ صاحبُ الحِنّا قال: حدّثني عبيد الله بن الأخنسِ عن الوليد بن عبد الله مولى بني عبد الدّار عن يوسفَ بنِ ماهَكَ أنّ معاوية قلّما قام خطيبا إلاّ قال: سمعتُ رسولَ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم يقول وذكر الحديث. الدولابي أبو بشر محمد بن أحمد بن حمّاد بن سعيد بن مسلم الأنصاري (ت310هـ)، الكنى والأسماء، تحقيق : أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار ابن حزم- بيروت، ط1، 1421هـ/2000م، ج2، ص465. وقد ورد هذا الحديث مع زيادة في ألفاظه في كتب الحديث وأفرد له ابن ماجة بابا سمّاه " باب فضل العلماء والحثّ على طلب العلم ". ينظر: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن الحافظ ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية- فيصل عيسى البابي الحلبي، 1373هـ/1954م، ج1، ص80.

عن سيطرتها على الأوضاع السياسية بالأندلس، وسينعكس ذلك على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ومن ثمّ كان نصيب صنهاجة في هذا العهد أوفر بكثير مقارنة بمثيلاتها من القبائل البربرية.

- رغم أنّ العهد المرابطي سجّل ارتفاعا محسوسا في عدد أعلام البربر الذين أسهموا في الحركة العلمية مقارنة مع العهود السابقة (العهد العامري- ملوك الطوائف)، إلاّ أنّ هذا العدد لا يعدو أن يكون قطرة في بحر إذا ما قيس مع العدد الإجمالي لأعلام هذا ال عصر من مختلف الأجناس التي كان المجتمع الأندلاسي يتكوّن منها، وخاصّة إذا تعلّق الأمر بالمشاركة العربية، وبالتّالي فإنّ هذه النّسبة مهما زادت وعلت فإنّ المقارنة بينها وبين حجم المشاركة العربية – على سبيل المثال - تبقى بعيدة المنال، ولعلّ أهمّ ما يمكن أن نفسّر به هذه الظّاهرة أنّ البربر كانوا أصحاب سيف أكثر منهم أصحاب قلم، إلاّ أنّ الذي يجب أن ننوّه به أنّ بعض الإسهامات – ولو أنّها جدّ قليلة- بلغت حدّ التميّز وتحقيق المفاضلة مع الإنتاج الفكري الأندلسي، كما هو الحال بالنّسبة للشّاعر ابن درّاج القسطلي والأمير عبد الله بن بلقّين الغرناطي في مذكّراته "التبيان"، وأبو العبّاس بن العريف الصنهاجي، العالم الزّاهد المتصوّف وصاحب التّصانيف.

وأمّا ما يتعلّق بأعلام صنهاجة الذين تمّ جرد أسمائهم أثناء هذه الفترة الممتدّة من تحكّم المرابطين بزمام الأمر في الأندلس إلى ما بعد ا لنصف الثاني من القرن 6هـ/12م حسب تخصّصاتهم التي برزوا فيها:

♋ العلوم الشرعية:

من أبرز الوجوه التي سجّلت حضورها في هذا المجال خلال الفترة قيد الدراسة الأسماء التّالية:

* إسماعيل بن مهلهل أخو الأمير مزدلي اللمتوني من الرّضاعة، الذي كان صاحب الصّلاة والخطبة بجامع بلنسية لأوّل فتحها في رجب سنة 495هـ/1101م[1].

[1]- ابن الأبّار، التكملة، ج1، ص153.

* أبو موسى عبد الكريم بن عبد الرحيم ابن معزوز الصنهاجي، المعروف بالغفجموني، الذي كانت له رحلة حجّ فيها، وقد سمع أبو علي منه صحيح مسلم في سنة 513هـ/1119م.[1]

* أبو حجّاج يوسف بن المنتصر الصنهاجي ، سكن غرناطة وكان من أهل العلم والنباهة، وله رواية عن أبي محمد ابن أيّوب الشاطبي سنة 521هـ/1127م.[2]

* أبو عمر ميمون بن ياسين الصنهاجي اللمتوني، من أمراء المرابطين، سكن المرية ثمّ إشبيلية، وأصله من صحراء المغرب (ت530هـ[3]/1135م)، وكانت له رحلة حجّ فيها وسمع بمكّة الصحيحين سنة 497هـ، وابتاع صحيح البخاري بمال جليل وأوصله إلى المغرب، ثمّ دخل إلى الأندلس وحدّث بها فسمع منه النّاس بإشبيلية وغيرها، وممّن حدّث عنه أبو إسحاق بن حُبَيش وأبو القاسم بن بشكوال [4]، وكان راوية صحيح السّماع ثقة فيما يرويه، فاضلا موثرا سمحا بما يملكه، حسن اللّقاء جميل العشرة، كريم الأخلاق جليل القدر، معظّما عند العامّة والخاصّة.[5]

* أبو عمران موسى بن عبد الرحمن بن حمّاد الصنهاجي (ت535هـ/1140م)، من أهل غرب العدوة، وكان فقيها جليلا، حافظا للرّأي، ورعا عالما بالمسائل والأحكام مقدّما في معرفتها، ولّي قضاء غرناطة مرّتين، كانت أولاهما سنة 524هـ/1129م، ثمّ استدعاه علي بن يوسف إلى مرّاكش مستأثرا به، وتوفّي بها وهو قاض، وشهر بالفضل والعدل في أحكامه، وله رواية يسيرة.[6]

* أبو عبد الله محمد بن ميمون بن ياسين الصنهاجي اللمتوني (من أعلام القرن 6هـ/12م)، سكن إشبيلية وروى عن أبيه وأبي محمد عبد الحقّ، وروى عنه أبو بكر بن عبد العزيز السلاقي.[7]

---

[1]- ابن الأبّار، المعجم، ص273.
[2]- ابن الأبّار، التكملة، ج4، ص226./ ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، س8، ق2، ص436.
[3]- جعل ابن الزّبير وفاته بعد 550هـ، وقال إنّه كان ذو همّة رفيعة في اقتناء الكتب . صلة الصّلة، تحقيق عبد السّلام الهرّاس- الشيخ سعيد أعراب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة فضالة- المحمدية (المغرب)، 1413هـ/1993م، ق3، ص77.
[4]- ابن الأبّار، التكملة، ج2، ص196-197.
[5] - ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، س8، ق2، ص405-406.
[6]- ابن بشكوال، التكملة، ج1، ص579-580./ ابن الزبير، المصدر السابق، ق3، ص57-58.
[7] - ابن عبد الملك، المصدر السابق، س8، ق1، ص360.

* أبو زكرياء يحي بن موسى بن يَرْآنْ الصنهاجي الكبكالي ابن تايندوج (من أعلام القرن 6هـ/12م)، روى عن أبي بحر سفيان ابن العاصي، وأبي محمد ابن عتّاب، وأبي الوليد ابن رشد، وكانوا كلّهم من أعلام الرّواية بقرطبة.[1]

* ابو عبد الله محمد بن مفرّج بن سليمان الصنهاجي (450-536هـ/1058-1141م)، أصله من صنهاجة طنجة وولد بالأندلس، وسمع من القاضي أبي الوليد الباجي قليلا ومن ابنه أبي القاسم كثيرا ومن غيره، وأجاز له أبو عبد الله بن سعدون وابن سهل، وأخذ عنه القاضي عياض[2]، وقال ناولني " كتاب الفرق " للقاضي أبي الوليد الباجي روايته عن ابنه أبي القاسم عنه، وأنشده شعرا في الزّهد لأبيه، وممّا جاء فيه: [من الطويل]

فيا نفسُ إنْ فاتَتْكِ بالأمسِ توبَةٌ	فَبَادِرْ ولا يغْرُرْكَ سَوْفٌ ولاَ بَعْدُ
وَراجِعْ فإنّ اللهَ أكـرَمُ راحـمٍ	يَقُومُ بعُذْرِ العَبْدِ إنْ راجَـعَ العَبْدُ
وبادِرْ فإنَّ الموتَ قدْ جدَّ راحِلاً	فقـائِدُهُ يدعو وسـائقُهُ يَحْــدو
فلَم تبْقَ إلاّ سـاعَةٌ إنْ أضَعْتَهَا	فما لك في التّوفيقِ نقدٌ ولا وَعْدُ[3]

* أبو الوليد إسماعيل بن محمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجي المري، ويعرف بابن العريف، وهو أخو أبو العبّاس أحمد ابن العريف الزّاهد (ت536هـ/1141م)، الذي سيأتي التعريف به وبسائر فنون العلم التي تقدّم فيها لاحقا، وقد روى عنه أخوه هذا.[4]

* أبو بكر زاوي بن منّاد بن عطية الله بن المنصور الصنهاجي ، المعروف بابن تقسوط (ت في رجب 539هـ/ يناير 1145م)، من أهل دانية، وقد سمع ببلده وبمرسية وبقرطبة عن عدد من الشيوخ، ومنهم أبو علي الصّدفي الذي سمع منه، سنن أبي داود وسنن الدّارقطني، وجامع الترمذي، وتاريخ البخاري، والمؤتلف والمختلف للدارقطني، والمؤتلف والمختلف لعبد الغني مع مشتبه النّسبة له، ورياضة

[1] - المصدر نفسه، س8، ق2، ص420-421.
[2] - ابن الأبّار، التكملة، ج1، ص357.
[3] - عياض، الغنية، ص86-87.
[4] - ابن الأبّار، التكملة، ج1، ص156.

المتعلّمين لأبي نعيم الأصبهاني، ومن الأجزاء المنثورة جملة موفورة .[1] كان رجلا صالحا فاضلا معنيا بالرّواية، وكتب بخطّه على دقّته علما كثيرا، وقعد لإسماع الحديث فأخذ عنه.[2]

* أبو العبّاس أحمد بن محمد بن سعيد بن حرب المعروف بالمسيلي، والمسيلة من عمل بجاية (كان حيّا سنة 539هـ/1144م)، وكان عالما بالقراءات، سكن إشبيلية وتصدّر للإقراء بها، كما كان من أهل التجويد والعناية بالحديث، وألّف كتابا في القراءات السّبع سمّاه " التّقريبّ".[3]

* أبو عبد الله محمد بن تاشفين بن يوسف بن أبي بكر بيمد ابن سرحوب (ولد في ربيع الأول سنة 496هـ/1103م)، كان رئيسا في قومه وهو أحد أمرائهم، ويبدو من تاريخ ولادته أنّه غير القائد أبي عبد الله محمد بن تاشفين، ولد أخي يوسف بن تاشفين لأمّه، وكان ذا عناية بالعلم وروايته ولقاء حملته، جيّد النّظر في التعديل.[4]

* ابو محمد عبد الله بن محمد بن وقّاص اللّمطي الميورقي : سمع من أبي القاسم عبد الرّحمن بن أحمد بن عمير الثقفي سنة 544هـ/1149م وروى عنه، ولّي الصّلاة والخطبة بجامع بلده بعد عودته من رحلته إلى الحجّ، وكان فقيها مفتيا يستخلف في الأحكام، واستشهد في الحادثة بقصر ميورقة، عند وفاة أميرها إسحاق بن محمد سنة 580هـ/1184م.

* أبو علي المنصور بن محمد بن الحاج داود بن عمر الصنهاجي اللمتوني (ت547 أو 550هـ/1152 أو1155م)، جالس العلماء وصاحبهم فأخذ عنهم، وله سماع كثير من شيوخ جِلّة كأبي محمد بن عتّاب وأبي بحر الأسدي، في قرطبة و في غيرها من البلاد كمرسية وبلنسية وفاس، وكان ملوكي الأدوات سامي الهمّة نزيه النّفس راغبا في العلم، منافسا في الدواوين العتيقة والأصول النفيسة، وجمع منها ما

---

[1]- ابن الأبّار، المعجم، ص97-98.
[2]- ابن الأبّار، التكملة، ج1، ص269.
[3]- ابن الأبّار، المصدر نفسه، ج1، ص46-47./ الذهبي، معرفة القرّ اء الكبار على الطبقات والأعصار، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1417هـ/1997م، ص272./ ابن الجزري شمس الدين أبو الخير، غاية النهاية في طبقات القرّاء، مكتبة ابن تيمية- القاهرة، ط1، عني بنشره هـ .ج. برجستراسر عام 1351هـ/1932م، ج1، ص115-116.
[4]- ابن عبد الملك المرّاكشي، المصدر السّابق، الترجمة رقم 80 والهامش رقم 394 س8، ق1، ص283./ ابن عذاري، المصدر السابق، ج4، ص34، 36، 40.

لم يجمعه أحد من أهل زمانه، كما كان من أهل المعرفة والحفظ، وقال ابن الأبّار: " إنّه روى الحديث عن جما عة من أشياخنا "[1]، وممّن روى عنهم ميمون بن ياسين اللمتوني بمراكش، وأبي محمد ابن عات بقرطبة وأكثر عنه، وولي بلنسية ليحي بن علي بن غانية نحو أحد عشر عاما، وتوفّي بيابسة وقيل بميورقة، وهو فخر لمتونة العلمي، ليس لهم مثله ممّن دخل الأندلس.[2]

* أبو إسحاق إبراهيم بـن حمّاد (من أعلام القرن 6هـ/12م)، وهو من أهل قلعة حمّاد من عمل بجاية، له رواية عن أبي علي الصّدفي، وحدّث عنه أبو عبد الله بن الرّمامة.[3]

* أبو علي منصور بن مسلم بن عبدون الزرهوني[4] الفاسي ويعرف بابن أبي فوناس (472-554 أو 556هـ/1079-1159 أو 1160م)، دخل الأندلس وسمع من أبي علي سنة 511هـ/1117م صحيح مسلم، وقرأ عليه جامع الترمذي، قال ابن الأبّار : " ووقفت له على سماع منه بقراءة ابن أبي ليلى "، وكان فقيها حافظا، مشاورا مدرّسا، يروي عن ابن عتّاب وأبي بحر وغيرهما . وحدّث عنه أبو القاسم بن الملجوم ببعض روايته، ولم يجز له.[5]

* أبو مروان عبد الملك بن أحمد بن أبي يدّاس الصنهاجي الجياني (510-560هـ/1116-1165م)، صحب أبا بكر بن مسعود وقرأ عليه القرآن، حتّى أصبح مقرئا وقد ذكره الأستاذ أبو عبد الله بن سعادة فقال : " قرأت عليه القرآن العزيز ختمات جمّة". ونزل شاطبة سنة 540هـ/1145م، وتصدّر بها لأقراء القرآن [6]، ثم تحوّل إلى شقورة وأقرأ بها وخطب بجامعها إلى أن وافته منيته بها.[7]

---

[1]- التكملة، ج2، ص193-194./ ابن الأبّار، المعجم، ص199.
[2]- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، س8، ق2، ص378.
[3]- ابن الأبّار، التكملة، ج1، ص148وج2، ص158.
[4]- بني زرهون من صنهاجة. ينظر الترجمة رقم 66 في التكملة، ج4، ص26.
[5]- ابن الأبّار، المعجم، ص200-201.
[6]- ابن الأبّار، التكملة، ج 3، ص81./ ابن الزبير، المصدر السابق، ج 3، ص243./ ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، س5، ق1، ص9.
[7]- السيوطي جلال الدين، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر- بيروت، ط2، 1399هـ/1979م، ج2، ص108.

* أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن علي الصنهاجي ويعرف بابن الأشيري (ت في شوال سنة 561هـ/ أوت 1166م شمال بعلبك في طريقه من المدينة إلى الشّام)، سمع بالأندلس أبا جعفر بن غزلون وأبا بكر بن العربي، وحدّث بالشّام بالموطأ، وقال ابن عساكر " سمع منّي ولم أسمع منه حديثا مسندا لنزول روايته "، ثمّ توجّه إلى حلب وأسمع بها الحديث. وذكر ابن نقطة سماع ابن الأشيري عن تسع شيوخ سمّاهم ثمّ قال حدّث ببغداد وغيرها من البلاد.[1]

* أبو عبد الله محمد بن علي بن جعفر بن أحمد بن محمد القيسي ويعرف بابن الرّمامة (478-567هـ/1085-1172م)، أصله من قلعة حمّاد من حوز بجاية وبها نشأ وتأدّب، وروى عن الفقيه أبي إسحاق إبراهيم بن حمّاد وبالجزائر عن خاله أبي الحسن علي بن طاهر ابن محشوة، ودخل الأندلس أيّام المرابطين تاجرا وطالبا للعلم فسمع من شيوخ قرطبة أبي محمد بن عتّاب وأبي الوليد بن رشد وأبي بحر الأسَدي وأبي الوليد بن طريف وحمل عنهم، وولي قضاء فاس سنة 533هـ/1138م، ثم أُخّر عنه لكبر سنّه وإيثاره التفرّغ إلى نشر العلم.[2]

وكان حافظا للفقه نظّارا فيه، بارعا في معرفة أصوله، ماهرا في استنباط معانيه، شافعي المذهب معوّلا على " بسيط " الغزالي واقفا على عيونه، وكانت الدراية أغلب عليه من الرّواية، فلم يعن بالرواية عن أكابر الشيوخ الذين عاصرهم، لشغفه بالعلوم النظرية وعكف على تحصيلها حتى صار رأسا فيها، فكان لذلك قليل الرواية. وله مصنّفات منها : " تسهيل المطلب في تحصيل المذهب "، " والتفصّي عن فوائد التّقصّي"، و" التّبيين في شرح التّلقين" و" مختصر نبيل في أصول الفقه"، واختصر كتاب الإحياء لأبي حامد الغزالي . وروى عنه من الجلّة أبو ذرّ الخشني وأبو الحسن بن المفضّل في كتابه إليه، وحدّثنا عنه من شيوخنا (ابن الأبّار): أبو القاسم بن بقيّ وغيره.[3]

---

[1]- ابن الأبّار، التكملة، ج2، ص304-305.

[2]- ابن الأبّار، التكملة، وفيه أنّه ولي القضاء سنة 536. ج2، ص158./ ابن الزبير، المصدر السابق، وفيه أنّه ولي قضاء فاس سنة 534هـ وصرف عنه سنة 535هـ. ج3، ص21-22./ ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، وفيه أنّه استقضي سنة 533هـ. س8، ق1، ص325-327.

[3]- ابن عبد الملك، نفسه، س8، ق1، ص326-327./ ابن الأبّار، التكملة، ج2، ص158.

* أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف الوهراني والحمزي لأنّه من حمزة وهي من عمل بجاية، ويعرف بابن قرقول المري (505-596هـ/1111-1173م)، سمع وأخذ وروى عن جماعة كبيرة وطائفة جليلة لقي أكثرهم من شيوخ الأندلس منهم : أبو العبّاس بن العريف، وأبو بكر بن العربي، وأبو الحسن بن الباذش، وأبو محمد بن عتّاب، وكان رحّالا في طلب الْعلم حرِيصا على لقاء الشيوخ، فقيها نظّارا أديبا حافظا، يبصر الحديث ورجاله، وقد صنّف وألّف مع براعة الخط وحسن الوراقة، حدّث وأخذ عنه النّاس.[1]

* أبو محمد عبد الوهاب بن محمد بن عبد الله الصنهاجي نزيل الإسكندرية (من أعلام النصف الثاني من القرن 6هـ/12م)، وله رواية بالأندلس عن أبي عمران موسى بن عبد الصّمد بن موسى البكريّ وأبي الْحجّاج الْقُضاعي وأبي الوليد بن الدّباغ، وسمع في رحلته من أبي طاهر السلفي وأبي الحسن بن مشرف وغيرهما، وأخذ عنه بالإسكندرية أبو الحسن بن خيرة شيخ ابن الأبّار وأجاز له.[2]

* أبو الحسن علي بن يحي بن القاسم الصنهاجي (ت585هـ/1189م)، نزل الجزيرة الخضراء فنسب إليها، سمع من أبي عبد الله القباعي وغيره، واستقرّ فيها يدرّس الفقه ويعقد الشّروط إلى أن ولي قضاءها، وكان متواضعا كثير الأوراد صاحب علم وعمل، وله في الشُّرُوط مختصر مفيد جدا سمّاه بـ" المقصد المحمود في تلخيص العقود"، وكثر استعمال النّاس له لجودته ودلالته على معرفته.[3]

* أبو الرّبيع سليمان بن إبراهيم بن يحي الصنهاجي (من أعلام القرن 6هـ/12م)، وكان من أهل قرطبة ونزل دمشق، حدَّث عنه أبو الحَجَّاج بن خَليل الدّمَشْقِي في معجم شيوخه عن أبي المَكارم عبد الواحدِ بنِ محمّدِ بنِ هِلالٍ الأَزْدِيِّ بحديثٍ عن ابن عُمَرَ أنّ رَسُول الله ﷺ قال: لَيْسَ فِي صَلاةِ الْخَوْفِ سَهْوٌ وَفِيه نظر.[4]

---

[1]- ابن الأبّار، المصدر نفسه، ج1، ص130-131.
[2]- التكملة، ج3، ص110.
[3]- المصدر نفسه، ج3، ص245./ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س8، ق1، ص213-214.
[4]- ابن الأبّار، التكملة، ج4، ص98.

* أبو محمد عبد الله بن محمد الأنصاري الأوسي ويعرف بالتّامغلتي (من أعلام النصف الأول من القرن 6هـ/12م)، وهو من أهل بجاية، ولقي بقرطبة أبا الحسن العبسي وأبا علي الغسّاني وروى عنهما، وحدّث عنه خال أبي عبد الله بن الرّمامة أبو الحسن بن طاهر، وسمع منه في شعبان سنة 513هـ/ نوفمبر 1119م، وحدّث عنه أيضا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن حبّوس بالموطّأ.[1]

* أبو زكرياء يحي بن ياسين اللمطي ويعرف بابن اللّؤلؤ (من أعلام القرن 6هـ/12م)، كان من أهل القرآن، حدّث عنه أبو عبد الله بن المُعز اليفريني المقرئ.[2]

* ورقاء بنت ينتان الحاجة الطليطلية (ت بعد 540هـ/1145م)، وكانت امرأة صالحة حافظة للقرآن الكريم.[3]

الآداب وعلوم اللغة:

من الشخصيات البربرية التي برزت في هذا الميدان الأسماء التّالية:

* أبو عبد الله بن إبراهيم بن وزمّر الحجاري الصنهاجي (467-550هـ/1074-1155م)، وضع ابن سعيد له عنوانا بالخط البارز واصفا إيّاه بـ " جاحظ المغرب صاحب المسهب"، الذي اشتهر ببلاغته البديعة نظما ونثرا ومعرفة التصنيف، وقال فيه والد ابن سعيد " وبم أصفه وقدرة اللّسان لا تنصفه "[4]. بينما وصفه ابن الخطيب بالأديب المصنّف فقال : " وكان ماهرا كاتبا شاعرا رحّالا"، وذكر من تواليفه البديعة " الحديقة" في البديع، وهو كتاب مشهور[5]. أمّا المقّري فقد قال فيه ممّا هو أهل له : " حافظ الأندلس، إمام الأدباء، رئيس المؤلّفين، حسنة الزّمان، نادرة الإحسان".[6]

[1]- المصدر نفسه، ج2، ص304.
[2]- نفسه، ج4، ص172.
[3]- نفسه، ج4، ص256.
[4]- المغرب، ج2، ص35.
[5]- الإحاطة، ج3، ص330.
[6]- نفح الطيب، ج4، ص123.

* أبو الوليد إسماعيل بن محمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجي المري ، الذي كتب عن أخيه أبي العبّاس ابن العريف الزّاهد كثيرا من شعره.[1]

* أبو مروان عبد الملك بن أحمد بن أبي يدّاس الصنهاجي الجياني صحب أبا بكر بن مسعود، وأخذ عنه العربية والآداب ودخل المرية فأخذ عن بعض من لقيهم من شيوخها ومنهم: أبو محمد الرّشاطي وأبو الحجّاج القضاعي، ثم نزل شاطبة بعد 540هـ/1145م وتصدّر بها لإقراء القرآن والعربية، وكان له تصرّف في الأدب ورواية الشّعر وحظّ من قرضه، وحكى ابن عياد أنّه لقيه بشاطبه سنة 545هـ/1150م، وسمع منه أشياء من روايته، وكتب عنه بعض فوائده [2]. وقد وصفه ابن عبد الملك قائلا : " كان نحويا لغويا، أديبا ذاكرا للآداب وراوية للأشعار "[3]، ووصفه السيوطي بالأستاذ المقرئ النّحوي.[4]

* أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن علي الصنهاجي المعروف بابن الأشيري، كان كاتبا لصاحب المغرب، فلمّا توفّي استسرّ ونهبت كتبه فتوجّه إلى الشّام، وله شرح في قصيدة الحصري، وكان أديبا له شعر جيّد[5]،

* أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن باديس بن القائد القائدي الوهراني الحمزي المعروف بابن قرقول المرّي، لقي بجزيرة شقر أبا إسحاق الخفاجي يحمل عنه ديوان شعره، واشتهر بحبّه للرّحلة في طلب العلم ولقاء الشيوخ، فكان أديبا حافظا، صنّف وألّف مع براعة الخطّ وحسن الوراقة.[6]

* أبو موسى عمران بن جعفر بن محمد الصنهاجي (من أعلام القرن 6هـ/12م)، وهو من أهل حمص الأندلس، له قصيدة طويلة ذكر منها السّلفي بيتان:

[من الطويل]

---

[1]- ابن الأبّار، التكملة، ج1، ص156.
[2]- المصدر نفسه، ج3، ص81-82.
[3]- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق إحسان عبّاس، دار الثقافة- بيروت، ط1، 1965، س5، ق1، ص9.
[4]- بغية الوعاة، ج2، ص108.
[5]- ابن الأبّار، التكملة ، ج2، ص304.
[6]- المصدر نفسه، ج1، ص130-131.

أنرْتَ منارَ الدّينِ وهوَ على شفًا	وأسرَجْتَ نورَ الحقِّ حَتّى تَوَقَّدَا
ومَن كان نصرُ اللهِ خادِمَ سيفهِ	غدَا الدّهرَ منصورًا وراحَ مُؤيَّدَا[1]

* حوّاء بنت إبراهيم بن تيفلويت [2]، كانت خيّرة فاضلة تحفظ القرآن، ولم يمنعها ذلك من محاضرة الأدباء، وهي التي عناها بمدحه أبو جعفر الأعمى التطيلي في قوله: [من البسيط]

أما رأيْتَ ندَى "حوّاءَ" كيف دنا	بالغيْثِ إذْ كادَ يأتي دونَهُ العطَبُ
دنيَا ولا تَرفٌ دينٌ ولا قَشَفٌ	مُلْكٌ ولا سَرَفٌ دركٌ ولا طَلبُ
{بُرءٌ} ولا سَقمٌ عيشٌ ولا هَرمُ	جدٌّ ولا نصبٌ وِرْدٌ ولا قِرَبُ
رِدْ غَمرةً تَرتمي من كلِّ ناحيةٍ	عُبَابُهَا الفِضَّةُ البيضاءُ والذّهبُ
مليكةٌ لا يوازي قدْرَها مَلِكٌ	كالشّمس تصغرُ عن مقدارها الشّهبُ
وهَضْبةٌ طالما لاذوا بجانبها	فمالهم لم يقولوا معقِلٌ أشِبُ
أنثى سما بأسمها النّادي وكم ذكرٍ	يُدْعى كأنَّ اسمه من لؤمِه لَقَبُ
وقلّما نَقّص التّأنيثُ صــاحبَهُ	إذا تُذَكَّرَتِ الأفعالُ والنّصُبُ
والحيةُ الصّلُّ أدهى كلّما أبعثْتْ	مِن أنْ تُمارسها الأرسانُ والقُضُبُ
وهذه "الكعبةُ " استولَتْ على شرفٍ	فذبذَبَتْ دونها الأوثانُ والصلبُ[3]

---

[1] - السّلفي، معجم السّفر، ص318./ السّلفي، أخبار وتراجم أندلسية، ص100.

[2] - أشار إحسان عبّاس في تحقيقه للبيان المغرب أنّ للأعمى التطيلي الشّاعر الوشّاح قصائد في مدح الحرّة حوّاء زوجة سير بن أبي بكر . ينظر البيان، ج4، الهامش رقم 2، ص57. وذهب بن شريفة في تحقيقه للذيل والتكملة، أنّ هناك امرأتان حرّتان كانتا تحملان اسم " حوّاء"، إحداهما ابنة إبراهيم بن تيفلويت المترجم لها عند ابن الأبّار في تكملته، وهي ترجمة مختصرة جدّا (ترجمة رقم 711)، ج4، ص256. وعند ابن عبد الملك في الترجمة (رقم 288)، أمّا الثّانية فهي الحرة حواء بنت تاشفين، وهي بنت أخي يوسف بن تاشفين أمير المسلمين لأمّه وابن عمّه، وكانت زوج الأمير سير بن أبي بكر، وهي أديبة شاعرة جليلة ماهرةٌ ذات نباهة وخطر، وكان لها مجلس للكتبة والشعراء، من بين أعلامه: مالك بن وهيب وابن القصيرة وابن المرخي، كانت تحاضرهم فتستمع إلى شعرهم، وتسمعهم من إنشادها. ابن عذاري، ج4، ص57. ويرجّح بن شريفة أنّ المقصودة بمدح أبي جعفر التطيلي هي زوج الأمير سير، ذلك أنّه يسمّي إخوة لها هم يحي ومحمد وأبو بكر، فالأول هو الأمير يحي بن تاشفين الذي ولاّه أمير المسلمين علي بن يوسف على قرطبة، وهو ابن عمّه أخي أبيه لأمّه، أمّا الثّاني فكان الأمير محمد بن تاشفين الذي كلّفه أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بتحرير بلنسية، وأمّا الثالث فهو الأمير أبو بكر، وهو الآخر ابن أخي يوسف بن تاشفين لأمّه، ثمّ يقدّر بن شريفة أنّ أبا الممدوحة هو تاشفين بن علي، الذي كان أخا ليوسف بن تاشفين لأمّه وابن عمّه، لأنّه لمّا مات تاشفين والد يوسف دخل مكانه أخوه علي، يقول : " وعلى هذا تكون حوّاء بنت تاشفين هي التي عناها التطيلي، والله أعلم". الذيل والتكملة، س8، ق2، الهامش رقم 1124، ص497.

[3] - محمد باقر عبد الغني، ديوان أبي العبّاس الأعمى التطيلي، ترجمة وتحقيق سعاد محمد إبراهيم خضر، مكتبة الرّائد العلمية- عمّان، ط1، 1425هـ/2004م، ص47.

ثمّ يتغنّى بمجد أجدادها وعلى وجه الخصوص مؤسّس أسرتها ابن علي ، ومدح إخوانها الثلاثة: محمد وأبو بكر ويحي، وطلب منها إعانة مالية، مذكّرا إيّاها بأنّه أقرب جيرانها[1].

بنى لكِ " ابن عليّ " بيتَ مَكرُمَةٍ	لهُ العَوالي عمادٌ والظبى طُنُبُ
ولا كألهيج فخرٍتفخـــرينَ به	إذا انتدى للفخارِ السّادةُ النّجُبُ
يا أختَ خيرِ ملوكِ الأرضِ قاطبةً	وإن أعدّوا وإن أسْموا وإن نسبوا
" محمد " و " أبو بكرٍ " وغيرهمُ	" يحي " وحسبُكِ عزّا كلّما حُسبوا
ثلاثةٌ هم مُرادُ النّـاسِ كلّــهم	كالدّهر ماضٍ وموجودٌ ومُرتقبُ
{حوّاءُ} يا خيرَ من يسعى به قدمٌ	ولستُ عَبْدَكِ إذْ لمْ أقْضِي ما يَجِبُ
قدْ عمَّ بِرُّكِ أهلَ الأرضِ قاطبـةً	فكيفَ أخْرجَ عَنهُ جارُكِ الجُنُبُ[2]

* زينب بنت إبراهيم بن تيفلويت (من أعلام القرن 6هـ/12م)، وهي زوج أبي الطّاهر تميم بن يوسف بن تاشفين كانت من أهل الخير والدين والنوافل والتصاون والصّدقات وأفعال المعروف تقوم ع لى كثير من الخير وتحفظ جملة وافرة من الشّعر ولها يقول أبو إسحاق الخفاجي: [من الكامل]

مَشْهُورَةٌ فِي الْفَضْلِ قِدْمًا وَالنّهَى	وَالنّبْلِ شُهْـرَةَ غُـرَّةٍ فِي أدْهَـمِ
تُولِي الأيادي عَن يَد نزل الندى	مِنْـهَا بِمَنْـزِلَة الْمُحب المكرم
ملكت بِهِالْأَحْرَار أكْـرم حرَّة	بسط الْمـقل بهَا يَمِـين الْمُنعم
حمل الثناء بها القريض وإنّما	حمـل الحديث رواية عن مسلم[3]

---

[1]- المصدر نفسه، ص46.

[2]- نفسه، ص48./ ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، س8، ق2، صص494-498.

[3]- هي الحرّة مريم زوجة الأمير أبي الطاه ر تميم، وهذه القصيدة كتب بها ابن خفاجة يتشفّع بها إلى زوجها، لأنّها كانت ممّن تقوم على كثير من الخير، وتحفظ الشّعر وتحاضر به وتثيب عليه، فما إن وقفت على ما كتب به، حتى نفذ العهد بحملانه على أتمّ وجوه البرّ والمحافظة، والمراعاة والمكارمة . ديوان ابن خفاجة، تحقيق السيّد مصطفى غازي، دار المعارف- الإسكندرية، 1960، ص96-98. وعلّق بن شريفة على ما وقع فيه ابن الأبّار وابن عبد الملك بشأن اسم المعنية بهذه القصيدة (مريم بدل زينب) بقوله: " ولست أدري كيف وقع لهما هذا الوهم"، لأنّه لا يعقل أن يكون لهذه السيّدة اسمان، وقد استشهد صاحبي التكملة والذيل بأربعة أبيات من قصيدة ابن خفاجة على أنّها في مدح من اعتقدوا أنّها " زينب"، وكانت الأبيات التي استشهدوا بها غير متتابعة . ابن الأبّار، ج 4،

* حفصة ابنة الفقيه القاضي العدل أبي عمران موسى بن حمّاد الصنهاجي (من أعلام القرن 6هـ/12م)، كانت تحت القاضي أبي بكر محمد بن علي الغسّان ي المرشاني ، كانت قارئة كاتبة ولها معرفة جيّدة بالفرائض، وتذكر كثيرا من فتيا إبيها وتوفّيت بغرناطة.[1]

ﻍ العلوم العقلية وعلوم أخرى:

لم يكن البربر يمثّلون الاستثناء عن القاعدة في هذه العلوم، ذلك أنّ الظّاهرة كانت عامّة، فمعظم أفراد المجتمع الأندلسي وبغضّ النّظر عن انتماءاتهم العرقية لم تكن لهم مشاركة فعلية في العلوم العقلية، ولم تذكر لنا كتب التراجم والطبقات سوى بعض الأسماء على قلّتها، ومنها ما كان من صنهاجة:

* أبو عبد الله محمد بن تاشفين بن يوسف بن أبي بكر بن ييمد بن سرحوب، الذي كان ذا معرفة جيّدة بمجاري الكواكب[2]. فهل كان من المهتمّين بعلم الفلك، الذي يدرس حركة النجوم والكواكب وما يترتّب عنها؟ !، أم أنّه كان من تلك القلّة التي عنيت بعلم التنجيم؟، الذي لم يكن يحظ بنفس الاهتمام مقارنة بالعلوم الشّرعية واللغوية، واعتبر من العلوم التي تؤدّي بصاحبها إلى الزندقة والكفر.

* أبو علي المنصور بن محمد بن الحاج داود بن عمر الصنهاجي اللمتوني، الذي يذكر أنّه كان عارفا بالأخبار والسّنن والآثار[3]، وساعده على ذلك المكتبة التي أنشأها وجمع فيها نفائس الدواوين وكنوز الأصول العتيقة، التي كانت بحوزته.

* أبو مروان عبد الملك بن أحمد بن أبي يدّاس الصنهاجي الجياني، الذي كان راوية للأخبار[1]، وليس ثمّة شكّ من أنّ روايته كانت شفهية، ولم تتعدّى ذلك إلى مجال التأليف، حيث لم يؤثر عنه ذلك.

ص255-256./ ابن عبد الملك، س8، ق2، ص498-499. ممّا يوحي بأنّهما لم يقفا على القصيدة كاملة، ذلك أنّ ابن خفاجة يذكر في البيت السّادس اسم المرأة التي يتشفّع بها في قوله:
وَكَفَى احْتِمَاءَ مَكَانَةٍ وَصِيَانَةٍ   أَنِّي عَلِقْتُ بِذِمَّةٍ مِنْ مَرْيَمِ . وما يؤيّد هذا الطّرح أنّ ابن دحية أورد اسم الحرّة الفاضلة مريم بنت إبراهيم مقترنا باسم السّلطان أ بي الطّاهر تميم . ينظر: المطرب من أشعار أهل المغرب، ص201./ تعليق بن شريفة على الترجمة رقم 289، المصدر السابق، س8، ق2، الهامش رقم 1125، ص498.

[1]- المصدر نفسه، س8، ق2، ص566-567.

[2]- نفسه، س8، ق1، ص283.

[3]- ابن الأبّار، التكملة، ج2، ص193-194./ ابن الأبّار، المعجم، ص199-200./ ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، س8، ق2، ص378.

* أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن علي الصنهاجي المعروف بابن الأشيري، الذي كانت له عناية بالأ خبار، وقد ألّف في ذلك كتابا فيمن وافقت كنيته كنية زوجه من الصّحابة بعد سماعه من ابن عساكر، وساق إليه شيئا من أخبار أبي الوليد الباجي.[2]

* أبو محمد عبد الله بن إبراهيم بن إبراهيم بن وزمّر الحجاري، الذي صنّف خلال السنّة التي أقامها في قلعة بني سعيد كتاب " المسهب في فضائل المغرب " لصاحب القلعة عبد الملك بن سعيد، الذي كان أصل كتاب " المغرب في حلى المغرب"[3]، وذكر المقّري أنّ " المسهب في غرائب المغرب " يقع في نحو ستّة أسفار، ابتدأ فيه من فتح الأندلس إلى التّاريخ الذي ابتدأه فيه، وهو سنة ثلاثين وخمسمائة"[4] ، ووصف الكتاب وصفا دقيقا بقوله : " كتاب أبي محمد عبد الله بن إبراهيم الحجاري المسمى بـ " المسهب في فضائل المغرب "، - ويلاحظ أنّه استعمل لفظ " فضائل" بدل " غرائب" الذي ورد في الموطن الأوّل - صنّفه بعد " الذخيرة " و" القلائد " من أوّل ما عمرت الأندلس إلى عصره، وخرج في ه عن مقصد الكتابين إلى ذكر البلاد وخواصها مما يختص بعلم الجغرافية، وخلطه بالتّاريخ وتفنّن في الأدب على ما هو مذكور في غير هذا المكان، ولم يصنّ ف في الأندلس مثل كتابه، ولذلك فضّله المصنّف له عبد الملك بن سعيد، وذيّل عليه ثم ذيّل على ذلك ابناه أحمد ومحمد ، ثم موسى بن محمد ، ثم علي بن موسى ، كاتب هذه النسخة ومكمل كتاب " فلك الأدب المحيط بحلى لسان العرب " المحتوي على كتابي " المشرق في حلى المشرق " و" المغرب في حلى المغرب "، فيكفي الأندلس في هذا الشأن تصنيف هذا الكتاب بين ستة أشخاص في 115 سنة آخرها سنة 645هـ/1247م ".[5]

---

[1]- السيوطي، بغية الوعاة، ج2، ص108./ ابن عبد الملك، المصدر السابق، س8، ق1، ص9.
[2]- ابن الأبّار، التكملة، ج2، ص304.
[3]- ابن سعيد، المغرب، ج2، ص35.
[4]- نفح الطيب، ج2، ص329.
[5]- المصدر نفسه، ج3، ص183.

ويشير حسين مؤنس أنّ الكتاب " تضمّن تراجم أدباء وشعراء وقطع ممّا أثر عنهم من النثر والشّعر، ويؤكّد ما ذكره ابن سعيد من أنّ المسهب أصل كتاب " المغرب في حلى المغرب " لبني سعيد، ويقدّم بلغة الأرقام أنّهم نسبوا إلى الحجاري ما يزيد عن 250 نقلا، وأورد له المقّري في الفصل الأوّل الخاص بجغرافية الأندلس من " النفح "، ما يزيد عن 20 قطعة كبيرة، هي من أحسن ما نقرؤه فيه". ويقطع مؤنس رأيه في الكتاب بأنّه " يندر أن نجد مؤلّفا أندلسيا كتب بعد الحجاري دون أن يشير إليه، ممّا يدلّ على أنّ كتابه كان مرجعا وحجّة، وأنّه أضاف إلى المكتبة الأندلسية شيئا فريدا تميّز به عمّن سواه، ممّا جعل الرّجوع إليه والأخذ عنه ضرورة ، لا معدى عنها لكلّ من تعرّض للتأليف، في أدب الأندلس وجغرافيته وتاريخه".[1]

وتحتوي جغرافية المسهب على وصف عام للأندلس وفضائله على طريقة من ألّفوا في هذا المي دان من السّابقين، وعنهم ينقل بداية بالرّازي ثمّ ابن حيّان وصولا إلى الإدريسي، ويلي ذلك تفصيله الكلام عن كور الأندلس، وخصائصها الجغرافية وجمال طبيعتها الآسرة، ممّا له علاقة مباشرة بالشّعر، وكلّما تحدّث عن بلد ذكر ما أنجبه من أدباء وشعراء وأهل العلم والنباهة ، وقد قدّم لنا علي بن سعيد شرحا موجزا ودقيقا لطريقة تأليفه في مقدّمة كتابه " المشرق في حلى المشرق "، ولم يخف علينا أنّه سلك نفس الطريقة التي اتّبعها الحجاري في مسهبه، فقال : " كلّ من التّصنيفين مرتّب على البلاد، متى ذكر بلد ذكرتُ كوره، وأتكلّم عليه وعلى كلّ كورة منه، وابتدئ بكرسي مملكتها وقاعدة ولايتها، بحسب مبلغ علمي من إعلام بمكانها من الأقاليم، ومن بناها وما يحفّ بها من نهر أو منزه أو خاصّة معدنية ونباتية، ومن تداول عليها من أبناء الملوك أولي التواريخ، التي لا يجب إغفالها، ثمّ

---

[1]- الجغرافية والجغرافيون، ص146. وقد أفرد حسين مؤنس الحديث للمسهب وصاحبه في 17 صفحة من كتابه هذا. صص145-161.

نأخذ في الطبقات واحدة بعد أخر ى، وهي خمس : المنصّة، التّاج، السّلك، الحلّة، الأهداب".[1]

وجملة القول: إنّ منهجية الحجاري في تصنيفه لكتابه المسهب، انطلق فيها من التوزيع الجغرافي للأعلام وأهل الأدب، متسلّحا بمادّة علمية صحيحة ودقيقة، استقاها من طوافه وتجواله من خلال الرّحلات والتنقّلات ا لتي قام بها في ربوع وأصقاع الأندلس، التي تمكّن من مشاهدتها عيانا، وهو ما سمح له بجمع المادّة وتسجيل ملاحظاته عن مزاراته قبل أن يقوم بنسخها وتثبيتها، وفي تقسيمه للأندلس يعود إلى الرّقعة الجغرافية التي كانت بحوزة المسلمين أيّام الخلافة الأموية، فيقسّمها إلى شرق وغرب وموسطة بينهما، وقد سبقه إلى هذا التقسيم ابن بسّام، إلاّ أنّ تقسيم صاحب الذخيرة كان مجرّد تقسيم للتسهيل والتيسير، أمّا الحجاري فقد حدّد من خلاله معالم الجغرافية الأدبية والفكرية، وسار بها شوطا بعيدا نحو الجغرافية.[2]

وخاتمة أعلام هذا العصر من الصن هاجيين أبو العبّاس بن العريف الصنهاجي، وهو رجل جمع بين العلم والعبادة والتصوّف والتأليف، لذلك ارتأيت أن أخصّه بالدّراسة التّالية:

* أبو العبّاس أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجي الشهير بابن العريف (ت536هـ/1141م)، أصل أبيه من طنجة، وسمّي والده بالع ريف لأنّه كان بطنجة صاحب حرس الليل وعريف القوم القيّم بأمره[3]، ورفعه أبوه في صغره إلى حائك يعلّمه، فأبى إلاّ تعلّم القرآن وشغف الكتب، فلمّا رأى إصراره على ذلك تركه لقصده، فجاء نسيج وحده، حتّى أنّ أباه كان يقول لمن يأتون لزيارته من الأصحاب والأتباع، رأي ابني كان أرشد من رأيي، إنّي لأعلم أنّي به أكرم.[4]

---

[1]- شوقي ضيف، مقدّمة تحقيقه للمغرب، ج1، ص9.

[2]- حسين مؤنس، المرجع السابق، ص160.

[3]- Ibn Al-Arif, Mahasin Al-Majalis, Texte Arabe, Traduction et Commentaire par Miguel Asin Palacios, Librairie Orientale Paul Geuthner, Paris, 1933, Texte Traduit de l’Espagnol par F.Cavallera, p1./ ابن الزيّات، التشوّف، تحقيق علي عمر، ص98.

[4]- ابن الأبّار، المعجم في أصحاب القاضي، ص 27./ العبّاس بن إبراهيم السّملالي قاضي مرا كش، الإعلام بمن حلّ مرّاكش وأغمات من الأعلام، راجعه عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية- الرّباط، ط 2، 1414هـ/1993م، ج2، ص6./ Miguel Asin Palacios, op. cit, p.1.

وقد وصفه الضّبّي بالفقيه الزّاهد [1]، بينما وصفه الذّهبي بالإمام الزاهد، العارف، المقرىء، صاحب المقامات والإشارات، ثمّ ذكر سلسلة من شيوخه منهم : أبو علي بن سكّرة الصّدفي وأبو الحسن البَرْجي، ومحمد بن الحسن اللّمغاني وأبو الحسن بن شفيع المقرئ، وخلف بن محمد العريبي وعبد القادر بن محمد الصدفي، وأبو خالد المعتصم وأبو بكر بن الفصيح [2]، تعلّم القرآن وقرأه بالمرية ثمّ بقرطبة، وروى كتاب الفصوص لصاعد البغدادي، وتعلّق بالكتب، وقد تصدّر للإقراء بالمرية وسرقسطة، وولي الحسبة ببلنسية، وروى ببلده عن كثير ممّن سمع منهم كأبي علي الصّدفي وأبي خالد يزيد مولى المعتصم، وأبي بكر عمر بن رزق المعروف بابن الفصيح وغيرهم[3].

وقال ابن بشكوال : " كانت عنده مشاركة في أشياء من العلم، وعناية بالقراءات وجمع الرّوايات واهتمام بطرقها وحملتها، وقد استجاز منّ ي تأليفي هذا وكَتَبَهُ عنّي، وكتبتُ إليه بإجازته مع سائر ما عندي، واستجزته أنا أيضا فيما عنده فكتب لي بخطّه ولم ألقَهُ، وخاطبني مرّات..."[4]، وكان يكتب بسبعة خطوط لا يشبه بعضها بعضا[5]، وهو صاحب منثور رفيع ومنظوم بديع، وأكثر شعره في طريقة الزّهد والتصوّف، فمن مليح نظمه قوله:[من البسيط]

سَلوا عنِ الشّـوقِ مَن أهْوَى فإنّهُمُ	أدْنَى إلى النّفْسِ مِن نَفْسي ومِن نَفَسي
ما زِلْتُ مُذْ سَكَنوا قلبي أصُونُ لهُمْ	لَحْظِي وسَمْعي ونُطْقي إذْ هُمُ أنَسي
فَمَنْ رسولٌ إلى قلـبي لِيَسْــألَهُمْ	عنْ مُشكلٍ مِنْ سُؤَالِ الصَّبِّ مُلْتَبِسِ
حَلّوا فُؤادي فمَا يَنْدَى وَلَوْ وَطِئُوا	صَخْرًا لَجَادَ بمـاءٍ منهُ مُنْبَــجِسِ
وفي الحَشَا نَزَلُوا والوَهْمُ يَجْرَحَهُمْ	فَكَيْفَ قَرُّوا على أذْكَــى مِنَ القَبَسِ
لأنْهَضَنَّ إلى حَشْـرِي بِحُبِّــهِمُ	لا بارَكَ اللهُ فيمَنْ خَانَهُمْ فَنَــسِي[6]

1- بغية الملتمس، ص142.
2- سير أعلام النبلاء، دار الحديث- القاهرة، طبعة 1427هـ/2006م، ج14، ص486.
3- ابن الأبّار، المعجم، ص27.
4- الصّلة، ج1، ص82.
5- الضّبّي، المصدر السابق، ص142./ ابن الأبّار، المعجم، ص27.
6- ابن الأبّار، المعجم، ص29./ ابن سعيد، المغرب، ج2، ص211-212./ ابن الزيّات، ص98.

وممّا أنشده في شدّ الرّحال إلى الحجّ لأداء المناسك وزيارة قبر النبيّ ﷺ

قوله: [من البسيط]

شَدُّوا الرِّكَابَ وَقَدْ نَالُوا المُنَى بِمِنًى	وَكُلُّهُمْ بِأَلِيمِ الشَّوْقِ قَدْ بَـــاحَا
راحَتْ ركائِبُهُمْ تُبْـدي رَوَائِـحُهَا	طيباً بما طابَ ذَاكَ الوَفْدُ أشبَاحَا
نسيمُ قبرِ النّبيِّ المُصْـطفَى لَـهُمُ	رَوْحٌ إذا شَمَمُوا مِنْ ذِكْرِهِ فَاحَا
يا واصلينَ إِلَى المُخْتارِ مِنْ مُضَرٍ	زُرْتُمْ جُسوماً وَزُرْنَا نَحْنُ أرْوَاحَا
إِنّا أقَمْنَا على عُذْرٍ وَعَنْ قَــدَرٍ	ومَنْ أَقَامَ عَلَى عُـذْرٍ كَمَنْ رَاحَا[1]

وقال أيضا:

قِفَا وَقْفَـةً بَيْـنَ المُحَصَّـبِ وَالحِمَى	نُصَافِحُ بِأَجْفَانِ العُيُونِ المَغَانِيَا
وَلاَ تَنْسَـيَا أنْ تَسْـألاَ سُمُـرَ اللِّوَى	مَتَى بَاتَ مِنْ سُمْرِ الأسِنَّةِ عَارِيَا
فَعَهْدِي بِهِ وَالمَـاءُ يَنْسَـابُ فَـوْقَهُ	سَمَاءً وَمَاءَ الوَرْدِ يَنْسَابُ وَادِيَا
كـأَنَّ فُؤَادِي في فَـمِ اللَّيْثِ كُلَّمَا	رَأَيْتُ سَنَا بَرْقِ الحِمَى أوْ رَآنِيَا
أقامَ على أطْلالِهِمْ ضوءُ بــارِقٍ	مِنَ الحُسْنِ لا يَبْقَى على الأرْضِ بَالِيَا
سلامٌ على الأحبابِ تَحْدُوهُ لَوْعَةٌ	منَ الشّوقِ لَمْ يَفْقِدْ مِنَ البَيْنِ حَادِيَا[2]

وقال:

إذا نزلتْ بسـاحَتِك الرّزايَا	فلا تجزَعْ لها جزعَ الصَّبيِّ
فإنّ لكلِّ نازلَـــةٍ عزاءً	بما كان من فَقْـدِ النّـبِيِّ[3]

وقال عنه التنبكتي: "هو أحد الأولياء المتّسمين بالعلم والعمل والزّهد، وكان من الفقهاء والمحدّثين والقرّاء المجوّدين، ثمّ غلب عليه الزّهد والورع والإيثار،

[1]- الضّبّي، المصدر السابق، ص 142-143./ المقّري، المصدر السابق، ج4، ص331./ ابن الزيّات، المصدر السابق، ص100.
[2]- ابن الأبّار، المقتضب، ص70.
[3]- ابن الأبّار، المقتضب، ص70./ المقّري، المصدر السابق، ج4، ص331.

فأصبح من أعلام المتصوّفة ورجال الكمال "[1]، ويكفيه جلالة ونبلا أن يذكره ويستشهد بكلامه أمثال السّادات ابن العربي الحاتمي وابن عبّاد والشّعراني، ومن أشهر شيوخه وأجلّتهم أبو علي الصّدفي الحافظ، ومن كبار تلامذته مولاي علي بوغالب القصري الآتي بعده، ومن أصدقائه القاضي عياض السّبتي، ومن معاصريه المشاهير حجّة الإسلام الغزالي، ومحمود الزّمخشري والقاضي أبو بكر محمد بن العربي والإمام المازري وأبو الوليد بن رشد وأبو بكر الطرطوشي وغيرهم[2].

ونجح في ظرف وجيز في استقطاب عدد كبير من الأتباع لطريقته، جاءوه من مختلف أنحاء الأندلس إلى المرية، معترفين بزعامته الرّوحية ومشيخته[3]، فصار حديثا على ألسنة النّاس، وطارت شهرته حتّى بلغت الآفاق، فتحوّل ت نعمة حبّ النّاس إليه نقمة بسبب الغيرة والحسد، وفي ذلك يقول ابن مَسْدِي : " ابن العريف ممّن ضرب عليه الكمال رواق التعريف، فأشرقت بأضرابه البلاد، وشَرِقت به جماعة الحسّاد، حتّى لَسَعَوا به إلى سلطان عصره، وخوّفوه من عاقبة أمره، لاشتمال القلوب عليهِ، وانضواء الغرباء إليه، فغُرّب إلى مرّاكش "[4]، وكان السّبب في محنته ابن الأسود قاضي المرية، الذي كتب إلى السلطان علي بن يوسف بحضرته مرّاكش مخوّفا إيّاه من خطورة حاله، فكتب لعاملها أن ابعث إلينا ابن العريف، فأركبه القارب ليبحر إلى سبتة، فأشار ابن الأسود عليه بتكبيله، فأرسل رسوله وهو في البحر فقيّده، فقال ابن العريف : روّعنا روّعه الله، فلقيه العدوّ في البحر فأسروه، فلمّا بلغ سبتة وافاه رسول السّلطان بالأمان، وحلّ قيده وأخلى سبيله بعد أن سأله حاجته، فاختار أن يترك لحال سبيله حيث يشاء، لكنّ ابن الأسود لم تهدأ نفسه فتحيّل عليه ودسّ له السمّ في باذنجان أكله فلقي حتفه، بمرّاكش سنة

[1]- أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، وضع الهوامش والفهارس طلاّب من كلّية الدّعوة الإسلامية، منشورات كلّية الدّعوة الإسلامية- طرابلس، ط1، 1398هـ/1989م، ص68.

[2]- عبد الله بن عبد القادر التليدي، المطرب بمشاهير أولياء المغر ب، دار الأمان للنشر والتوزيع- الرّباط، دار البشائر الإسلامية- بيروت، ط4، 1424هـ/2003م، ص41-42.

[3]- Miguel Asin Palacios, op. cit, p.4.

[4]- الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1405هـ/1985م، ج20، ص113.

536هـ/1141م، وندم السّلطان بعد أن علم أنّ ابن الأسود كان وراء الذي حدث، فحلف لأفعلنّ به مثل ذلك فغرّبه مقيّدا إلى سوس الأقصى، وأمر أن يسقى سمّا فكان ما أمر، ومات القاضي ابن الأسود مغرّبا عن وطنه مسموما.[1]

ومن مصنّفاته: " مطالع الأنوار ومنابع الأسرار" وهو في حكم المفقود، وقد أشار إليه صاحب النّفح، وساق لنا قصائد في مدحه للمصطفى ﷺ، ويبدو أنّ هذا الكتاب عبارة عن مجموعة من قصائد كلّها تصبّ في حبّ النبيّ وزيارة قبره والتأسّي به وعظيم صفاته وشمائله وما إلى ذلك، حيث يقول: " وقال في خاتمة ذلك الكتاب"، ثُمّ أنشد له شعرا في الصّلاة على النّبي ﷺ[2].

وله أيضا كتاب " مفتاح السعادة وتحقيق طريق السعادة "، وهو عبارة عن مجموعة رسائل يردّ فيها على أصحابها حول مسائل مختلفة وخاصّة ما يتعلّق بالتصوّف، وقد اعتمد في أجوبته على الأدلّة الشّرعية من الكتاب والسنّة، وله كتاب آخر بعنوان " مفتاح السّعادة لأهل الإرادة في الطهور والكسوة للحضرة الرّفيعة"[3]، " محاسن المجالس "على طريق القوم[4]، الذي قال عنه مؤلّفه: " استخرت الله تعالى في جمع فصول من محاسن الكلام، الصّادرة عن أهل الإلهام، تس هّل على المريد صعوبة طريقه، وتشيّد للمراد دعايم صدقه وتحقيقه، وتُحَمِّلُ سامعها على ارتكاب الأشدّ في تحرّي الأشدّ، فمنها ما نقلته عن معادنه، ومنها ما فتح الله به من خزاينه، وسمّيتها بـ "محاسن المجالس "، يتحلّى بها من وسم نفسه بعلم التذكير، ويطرز مجالسه منها بالقدر اليسير، فهي شبكة الألباب وملاطفة الأحباب، وتحفُ القلوب من خزاين الغيوب "[5]، وكان ابن العريف من أكابر الصّوفية الأندلسيين وحكمائهم، ويسمّيه المقّري الذي زار قبره بمرّاكش سنة 1010هـ/1061م " الأستاذ العارف بالله

---

[1]- Miguel Asin Palacios, op. cit, p.6-7.//.99 السّملالي، المرجع السابق، ص 10./ التّادلي، التشوّ ف، ص99./ التنبكتي، نيل الابتهاج، ص68./ التليدي، المطرب بمشاهير أولياء المغرب، ص42-43.

[2]- نفح الطيب، ج7، صص497-499.

[3]- ابن العريف أبو العبّاس ، مفتاح السعادة وتحقيق طريق السّعادة، جمعه أبو بكر عتيق بن مؤمن (496-548هـ/1102-1153م)، دراسة وتحقيق عصمت عبد اللطيف دندش، دار الغرب- بيروت، ط1، 1993، وقامت فيه بدراسة قيّمة حول ابن العريف. ينظر: ص 62.

[4]- الزركلي، المرجع السابق، ج1، ص215.

[5]- Miguel Asin Palacios, op. cit, p.75.

سيدي أبو العبّاس أحمد بن العريف الأندلسي "[1]، وقد بقي من آثاره هذا الكتاب، والنسخة جدّ نفيسة ترجع إلى القرن الثامن أو السّابع، ذكر فيها طرفا من أخبار الصّوفية وآدابهم وتعاليمهم، وهي من أمّات كتبهم كتبت بخطّ نسخي حسن في 43 ورقة، وقفها أمين خاتون ورقمها 109 أدبيات.[2]

ويوجد أربعة نسخ لمخطوط المحاسن أحدها بالإيسكوريال، والثاني في برلين، والثالث بالأزهر في القاهرة، وآخرها بمكتبة الإسكندرية، وقد قام "ميغال آسين بالاسيوس" بالترجمة والتعليق على النّص العربي لمخطوط محاسن المجالس الذي استخرجه من برلين[3]، والذي كتب ناسخه اسمه في آخره بقوله: " فقير رحمة ربّه محمد العجمي بن محمد بن أحمد الفقاعي رحمه الله " وذكر المكان والزّمان فقال : " بسطح الجامع الأزهر، يوم السبت 5 ذي الحجّة 859هـ /15 نوفمبر 1455م"[4].

فعرّف " بالاسيوس " بصاحب المخطوط، ثمّ انتقل بعد ذلك إلى محتوى ما ورد في المخطوط، الذي تحدّث فيه صاحبه عن مقامات السّادة الصّوفية، واختصر " بالنثيا " كلامه عن ابن العريف وكتابه محاسن المجالس، وطريقته في التصوّف في كتابه تاريخ الفكر الأندلسي، فقال : " كأنّه – أي ابن العريف - صدى بعيد لمدرسة ابن مسرّة، ووصف كتابه بالغريب، الذي بيّن فيه مؤلّفه أصول طريقة صوفية جديدة كان لها أثر ظاهر في طريقة الشّاذلية، وبصورة أوضح في مذهب

---

[1]- نفح الطيب، ج4، ص331.

[2]- أسعد طلس، نفائس المخطوطات العربية في المشهد الرضوي المطهّر -2- (ج) الفلسفة وعلم الكلام والمنطق، في مجلّة المجمع العلمي العربي بدمشق، مطبعة الترقي- دمشق، الجزء الأول، المجلد 24، 1949، صص267-278 وبخاصّة ص271.

[3]- Texte du ms. De Berlin (Sprenger, 872), fol. 148 v°- 173./ وهناك نسخة جديدة جيّدة كتبت بخط الرّقعة، اسم ناسخها: محمد سعيد ابن حسين عوض عدره، تعود إلى جمادى الأولى 1250هـ/ سبتمبر 1834. تحت رقم 1665.txt

~[1665] fol.1-20r: Ibn al-Arif (al-Irrif) al-Sanhaji ابن العريف الصنهاجي: Kitab fi bayan maqamat al-sada al-sufiya = Mahasin al-majalis كتاب في بيان مقامات السّادة الصّوفية = محاسن المجالس. An explanation of those qualities which are necessary for the mystic. The end of the ms. differs from ms. Berlin 2834. - On the author (died 536/1143) and his text (now edited and translated by W.Elliott and A.K.abdull 1980) see Gal I 434 nr.1 and S I 776 nr.1. Source: http://ricasdb.ioc.u-tokyo.ac.jp – اليابان- – معهد الثقافة والدراسات الشرقية – جامعة طوكيو

[4]- Miguel Asin Palacios, Mahasin Al-Majalis, p.105-106.

ابن عبّاد الرّندي [1]. ويبدو أنّ ابن العريف تحوّل إلى شخصية محورية في عالم التصوّف، حتّى تكاثر أتباعه ومورديه وبعد صيته، وأقبل النّاس على اتّباع طريقته هذه في حياته ومن بعد وفاته.

وتتلخص هذه الطريقة في بطولة " الزّهد في كلّ شيء ما عدا الله، بما في ذلك الزّهد في "منازل" الصّوفية والعطايا والمواهب والكرامات، وما إليها من المنن التي يهبها الله للنّفس الإنسانية"، كما يقول آسين . ويذهب ابن العريف إلى أنّ هذه المنن كلّها تكون للعوام دون الخواص من الرّاغبين في سلوك الطريق إلى الله [2]. وذكر منازل أهل الشّرع السّائرين إلى عين الحقيقة، وحصرها في: الإرادة والتّوبة، والزّهد والتوكّل، والصّبر والحزن، والخوف والرّجاء، والشّكر والمحبّة، والشّوق والأنس، ثمّ قال: إذا شهدوا عين الحقيقة اضمحلّت فيها أحوال السّا ئرين، ووصلوا إلى مقام الفناء عمّا سواه سبحانه [3]. وذكر قبل ذلك أنّه تأمّل عدد الكرامات التي يعطيها الله للعبد إذا أطاعه ولزم خدمته فجعلها أربعين كرامة، منها عشرون في الدّنيا وعشرون في العقبى.[4]

وبعد تفصيله الكلام في المنازل والعطايا والمنن والكرامات، خلص إلى القول " ...فهذه جميعها عِلل أنِفَ الخواص منها، وأسباب انفصلوا عنها، فلم يبق لهم مع الحقّ إرادة، ولا في عطايِه شوق إلى استزادة، فهو منتهى مرادهم وغاية رغبتهم، فيعتقدون أنّ ما دونه قاطِع عنه، قال الله تعالى : (قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ)[5]، فزهدُهُم جمعُ الهِمّة عن تفرّقات الكون، لأنّ الحقّ عافاهم بنور الكشف من التعلّق بالأحوال، قال الله تعالى : (إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ)[6]، وتوكّلهم رضاهم بتدبير الحقِّ، وتخلُّصُهُم من تدبيرهِم، وفراغ هممِهم من إجالَتِها في إصلاحِ شأنهِم، لوقُوفِهم على فراغِ المُدبّرِ منها، وممرِّها على عِلْمهِ بمصالحِهِم فيما

[1]- بالنثيا، المرجع السابق، ص369.

[2]- المرجع نفسه، ص369-370.

[3] - Miguel Asin Palacios, op. cit, p.97.

[4] - Ibid, p.95.

[5]- (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ). سورة الأنعام، (رقم6)، الآية 91.

[6]- سورة ص، (رقم38)، الآية 46.

قال الله تعالى: (ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً)[1]. وصبرُهُم صونُهم قلوبَهُم عن خواطِرِ السُّوءِ، لأنّه ليس لله تعالى قضاءً عاريا عن الرّأفةِ خارجاً عن الرّحمةِ، قال الله تعالى: (وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَناً)[2]، وحزنهم باسهم عن أنفسهم الأمّارة بالسّوء، قال تعالى :(إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ)[3]، وخوفهم هيبة الجلال لا خوفَ العذاب، لأنّ خوف العذاب مناضلة عن النّفس، وهيبته سبح انه تعظيم للحقّ ونسيان للنّفس، قال الله تعالى: (يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ)[4]، وقال الله تعالى في حقّ العوام: (يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ)[5]. ورجاؤهم ظمَؤُهُم إلى الشّراب الذي هم فيه غَرْقَى وبه سكرى، قال الله تع الى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ)[6]، وقال في ذكر الواسطة قبل ذكره له على الأفراد : (وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى) الآية[7]. وشكرهم سرورهم بوجودهم ورؤيتهم النّعمة لموجدهم، ومن رضي فله الرّضى، وعين الرّضى عن كلّ عيب كليلة ولكن عين السّخط تبدي المساويا، رضي الله عنهم ورضوا عنه، قال الله تعالى: (فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ) الآية[8]. ومحبّتهم فناؤهم في محبّة الحقّ وأحبابه، فإنّ المَحابَّ كلّها ضلّت في محبّة الحقّ، وتصاغرت واضمحلّت، قال الله تعالى: (فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ)[9]. وشوقهم هربهم من رسمهم وسماتهم، قال الله تعالى: (وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى)، الآية.[10]

والملاحظ على هذا النّص الطويل أنّه تلخيص وحوصلة بالمختصر المفيد للمنازل التي سبق وأن تحدّث عنها بإسهاب، وللعلم فإنّه جعل سائر المنازل للعوام،

---

[1]- سورة الفجر(رقم89)، الآية 28.

[2]- (فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلكِنَّ اللَّهَ رَمى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَناً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) سورة الأنفال (رقم 8)، الآية 17.

[3]- سورة العاديات (رقم 100)، الآية 6.

[4]- (يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ). سورة النّحل (رقم 16)، الآية 50.

[5]- (رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ). سورة النور(رقم 24)، الآية 37.

[6]- (أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا). سورة االفرقان (رقم 25)، الآية 45.

[7]- سورة طه (رقم 20)، الآية 17.

[8]- (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْراةِ وَالْإِ نْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بايَعْتُمْ بِهِ وَذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) سورة التوبة (رقم 9)، الآية 111.

[9]- (فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ). سورة يونس (رقم10)، الآية 32.

[10]- (قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى). سورة طه (رقم20)، الآية 84./ ينظر النّص في محاسن المجالس: .Miguel Asin Palacios, op. cit, p.95-97./ بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، صص370-371.

وفرّق بينهم وبين الخاصّة في منزلة المحبّة، حيث قال :" أمّا المحبّة فهي أوّل أودية الفناء، والعقبة التي يتحدّر منها على منازل المَحْوِ، وهو آخر منزل تلتقي فيه مقدّمة العامّة بساقة الخاصّة، وما دونها أغراض لأعراض، للعوام منها شرب وللخواص شرب، قال الله تعالى : (قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ)[1]، وقد اختلفت إشارات أهل التحقيق منهم في العبارة عنها، وكلّ من القوم نطق بحسب ذوقه وأفصح عنه، بمقدار شربه وذوقه، وهي على الإجمال قبل أن تنتهي إلى التفصيل، وجود تعظيم في القلب يمنع الشّخص من الانقياد لغير محبوبه"[2]. وينتقل في نهاية مؤلّفه للكلام عن مسألة التوحيد مركّزا حديثه على توحيد الله في أسمائه وصفاته، وتنزيهه عن كلّ نقص والعمل بإخلاص، ويضرب لنا مثلا بما قاله ذو النون عليه السّلام : " الخلق كلّهم موتى إلاّ العلماء، والعلماء كلّهم موتى إلاّ العاملون، والع املون كلّهم مغترّون إلاّ المخلصون، والمخلصون كلّهم على خطر عظيم "، ثمّ يبدي تعجّبه من هؤلاء الأربعة ويختم كلامه بتعجّبه من مخلص غير خائف[3].

وذهبت دندش في تحقيقها لمفتاح السّعادة أنّ ابن العريف كان ملتزما مذهب أهل السنّة والجماعة، فلم يستعمل اصطلاح الشّوق أو العشق الذي كان منتشرا بين المتصوّفة (التصوّف الإشراقي)، الذي أنكره الفقهاء - وعلى رأسهم القاضي أبو بكر بن العربي- وقالوا بأنّه لا يجوز استعمال مثل هذه الألفاظ التي تتنافى مع الشريعة[4]، الشريعة[4]، ومن ثمّ كان ابن العريف يؤكّد لمريديه على الدّوام التشبّت بالسنّة، ويرفض كلاّ من الظاهرية والباطنية، لأخذهما بالتأويل، الذي يؤدّي إلى الانحراف عن الحكم الشّرعي بالزّيادة والنّقصان[5].

---

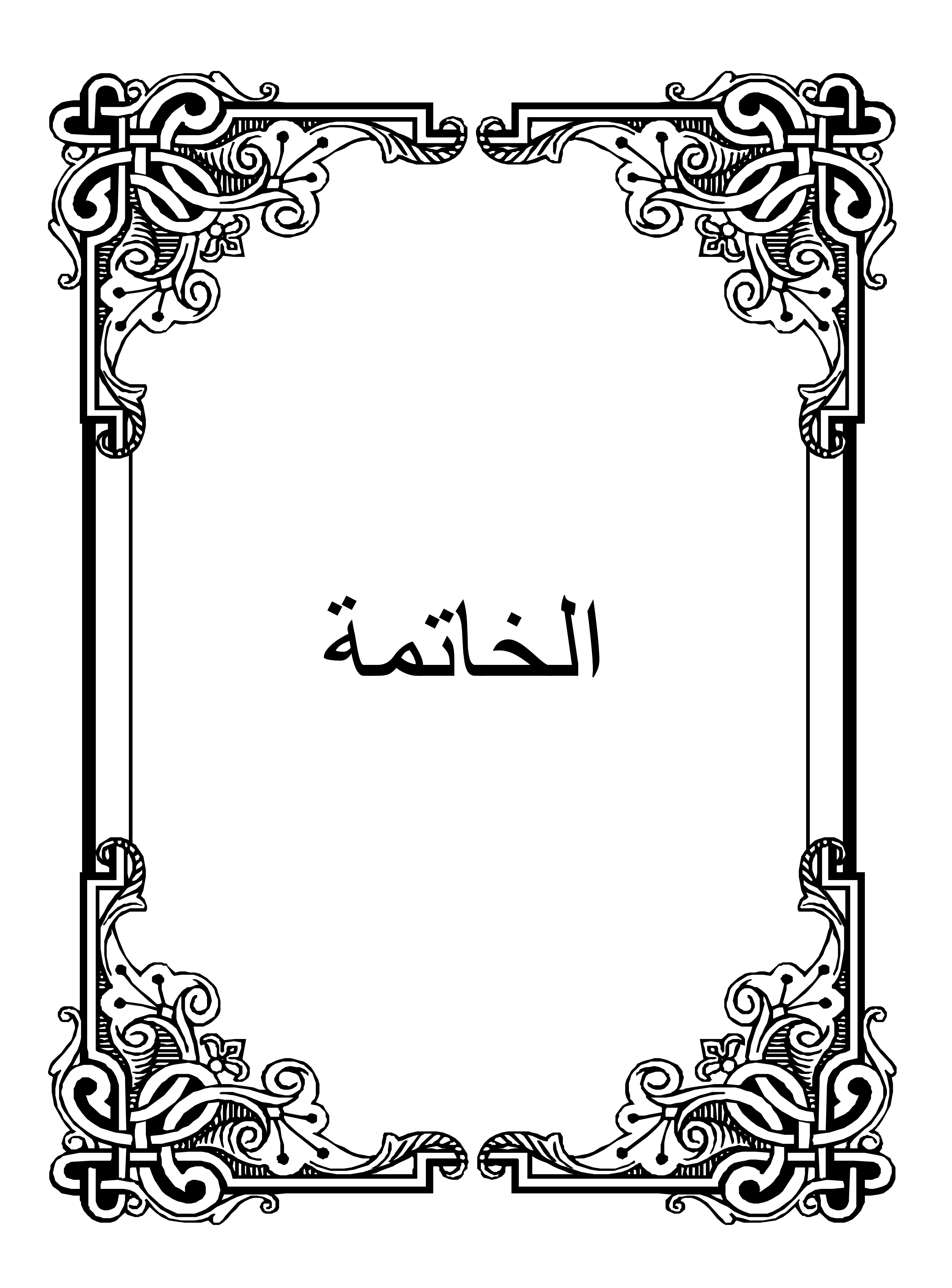
[1]- (وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ). سورة البقرة (رقم2)، الآية60.

[2] - Miguel Asin Palacios, op. cit, p.90.

[3] - op. cit, p.103-104.

[4]- مفتاح السعادة، ص46-47.

[5]- جمعة شيخة، " التصوف الأندلسي بين الدّين والسياسة خلال النّصف الأ ول من القرن 6هـ/12م"، في مجلة دراسات أندلسية، رمضان 1419هـ/ جانفي 1999م، العدد21، ص70-71.



الخاتمة

تبنّى علماء الأنساب العرب نظرية حميرية صنهاجة، بروايات تعدّ من الأخبار الواهية، بسبب ما حوته من الخلط وهو ما يجعل حجّتها داحضة، نظرا لوجود أدلّة بطلانها، من لدن نسّابة البربر التي تؤكّد عراقتها في البربر، ويدعّم هذا الرّأي تأكيد يوسف بن زيري مؤسّس الدولة الزّيرية بأنّه صنهاجي بربري، وكذا حبّوس بن ماكسن. فهل يوجد في النّصوص المتوفّرة لدينا ما ينقض هذين الدّليلين؟!

يعتبر الصنهاجيون بضمن المجموعات البربرية التي هاجرت إلى الأندلس، بداية من الفتح سنة 92هـ/711م وإلى غاية القرن 6هـ/12م، وأكّدت الدراسات الحديثة أنّهم استقرّوا بكلّ جهات الأندلس، وكان أكثر استقرارهم بالجنوب لقربه من عدوتهم، والشواهد على ذلك كثيرة، من النصوص ومن أسماء الأماكن التي ما زالت تحمل اسم قبيلتهم، كدلالة على نزولهم هنا وهناك في مختلف مناطق الأندلس.

إنّ احتمال مشاركة صنهاجة غيرها من القبائل البربرية والعربية – وإن لم تشر إليه المصادر – في الثورات التي اجتاحت الأندلس خلال عهدي الولاية والإمارة وارد بقوّة، بكل المناطق التي كانت تشهد على استقرارها بها، وبالأخص المنطقة الجنوبية من الأندلس، بحكم قربها من ساحل العدوة المغربية التي كانت تسيطر عليه، فغالبا ما نعت البربر بالطنجيين، وكان هؤلاء أساسا من صنهاجة، حتى أنّ الأمير عبد الرحمن الأوسط بعث رسالة سنة 230هـ/844م إلى من بطنجة من صنهاجة يخبرهم بهزيمة المجوس.

شهدت الأندلس سنة 399هـ/1008م انحرافا سياسيا كان بطلاه عبد الرحمن شنجول، الذي سطا على منصب الخلافة، ومحمد بن هشام بن عبد الجبّار الذي سرعان ما تخلّص من خصمه، بفضل رفعه لشعار عودة الحقّ الشرعي لأصحابه، وفي الوقت الذي اعتقد فيه أهل قرطبة أنّ الفتنة زالت عنهم، أشعل ابن عبد الجبّار نار الفتنة من جديد، بإصداره أوامر تقضي بقتل البربر أينما ثقفوا.

وردّا على ذلك قام البربر بقيادة داهيتهم زاوي بن زيري بمحاربة الشّرعية بواسطة الشّرعية عن طريق الشّرعية، فبايعوا سليمان المستعين القرشي، الذي

رجحت كفّته بفضل مساعدتهم، وضربت صنهاجة أروع الأمثلة البطولية إلى جانب إخوانهم البربر، في موقعتي قنتيش ورمداي وخسر ابن عبد الجبّار بسبب غروره.

اعترافا بالفضل أقطع المستعين البربر، الذين ساعدوه في حربه ضدّ ابن عبد الجبّار حتّى تمكّن منه، فكان نصيب صنهاجة إلبيوة، التي أسّست فيها الدولة الزيرية بغرناطة، كواحدة من دويلات الطوائف التي نشأت عقب هذه الفتنة، وتأكّدت أكثر بزوال الخلافة الأموية سنة 422هـ/1031م.

تحوّلت الأندلس خلال عصر الطوائف إلى فسيفساء سياسية، تكالب الأعداء فيها على أشباه الملوك، الذين سعوا في الأرض فسادا، وصاروا يدفعون الشرّ بالشّرّ متحالفين مع النّصارى ضدّ بعضهم، فأفنت الحروب بين الإخوة الأعداء الأموال والأجساد، وعندما استفاقوا والتفتوا لحالهم تسارعوا إلى أمير المسلمين قائد المرابطين، يوسف بن تاشفين يطلبون النّصرة على النّصارى، الذين سقوهم كأس الذلّ والهوان وأوشكوا أن يطبقوا عليهم، ولمّا حلّت الحرب بساحتهم تدعمها جيوش الحقّ انتصروا على غرور عدوّهم، لكنّهم سرعان ما عادوا إلى ما كانوا عليه من الظلم لأنفسهم ولرعيّتهم، التي اشتكت ظلمهم وأفتى العلماء بضمّ ما بحوزتهم للمرابطين، قبل أن يستفحل داؤهم، فكان ما كان، حتّى أصبحوا كلّهم في خبر كان.

سيظلّ التّاريخ شاهدا على أنّ المرابطين كانوا حماة يستغاث بهم على الكريهة، ولو لم تتداع عليهم قوى العدوّ والصّديق في آن واحد لما أحيط بهم، فقد أدّوا ما عليهم للدفاع عن بيضة المسلمين وبذلوا وسعهم وما قصّروا، وكان زوال دولتهم خسارة كبيرة للإسلام والمسلمين في الأندلس، الذين سيبدأون العدّ التنازلي البطيء لمغادرة هذا الصّقع إلى غير رجعة، وكان ذلك قدرا مقدورا.

وأمّا ما يتعلّق بإسهامات البربر بشكل عام وصنهاجة بشكل خاص في الحركة العلمية بالأندلس خلال الفترات المتتابعة (العهد العامري إلى زوال الخلافة " الفترة الأولى "- عصر الطوائف "الفترة الثانية "- العصر المرابطي الفترة الثالثة")، تبقى جدّ متواضعة إذا ما قورنت بالمشاركة العربية، إلاّ أنّ مقارنتها مع مختلف عناصر مجتمع الأندلس من الأجناس الأخرى (فرس- صقالبة - يهود-

مستعربين)، تبيّن أنّ حجم المشاركة البربرية جدّ محترمة بالقياس إلى هؤلاء .
ويلاحظ أيضا تزايد في عدد القبائل البربرية، التي شاركت في الحركة العلمية خلال الفترة الثالثة، حيث قفز عددها إلى 11 قبيلة، وأنّ جلّ إسهامات القبائل كانت متواضعة جدّا، باستثناء قبيلة نفزة التي عرفت مشاركتها منحى تصاعديا، أمّا صنهاجة فيبدو أنّ القرنين 5 و6هـ/10 و11م، عبّرا عن سيطرتها على الأوضاع السياسية بالأندلس، وسينعكس ذلك على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ومن ثمّ كان نصيب صنهاجة في هذا العهد أوفر بكثير مقارنة بمثيلاتها من القبائل البربرية.

إنّ أكبر عدد من أعلام البربر يجهل انتماؤهم القبلي في الفترة الأولى، وسيتضاءل ذلك في الفترة الثانية والثالثة على وجه الخصوص، في حين احتلّت قبيلة نفزة قمّة المشاركة البربرية متبوعة بصنهاجة، بينما كانت مشاركة باقي القبائل جدّ ضئيلة في أولى هذه الفترات، وستتبادل صنهاجة في الفترة الثانية صدارة الإسهام البربري في الحركة العلمية مع نفزة، بارتفاع عدد الأعلام المنتمين إلى صنهاجة وتقلّص عدد المنتمين إلى نفزة.

جلّ انشغالات المهتمّين بالعلم من أهل الأندلس بكلّ أعراقه بما فيهم البربر انصبّت حول التفقّه في الدين، ويمكن ملاحظة ذلك بوضوح من خلال عدد أعلام البربر في الفقه، الذي يحتلّ الصدارة بالنّسبة للعلوم الشرعية، التي كان الإقبال عليها من منطلق ما كانت تحقّقه لأصحابها من مكاسب وحظوة في نظر الخاص والعام حينئذ. كما يسجّل الإقبال على تعلّم علوم اللغة بالنسبة للبربر المرتبة الثانية، ذلك أنّها كانت تعتبر لغة القرآن قبل كلّ شيء ثمّ لغة الخطابة والكتابة التي كانت تسيّر بها الإدارة في بلاطات الأمراء والوزراء والقضاة.

وعلى النقيض من العلوم الشرعية واللغة وآدابها فقد كان حظّ البربر من العلوم الأخرى كالتّاريخ والجغرافية والفلسفة جدّ ضئيل، في حين كان الطبّ والرّياضيات بمثابة الحاضر الغائب لدى البربر جميعا؟! ومن الطبيعي جدّا أن تكون

المشاركة في علم الكلام والدراسات الفلسفية والتصوّف شبه منعدمة نظرا لموقف الفقهاء والأمراء من هذه العلوم.

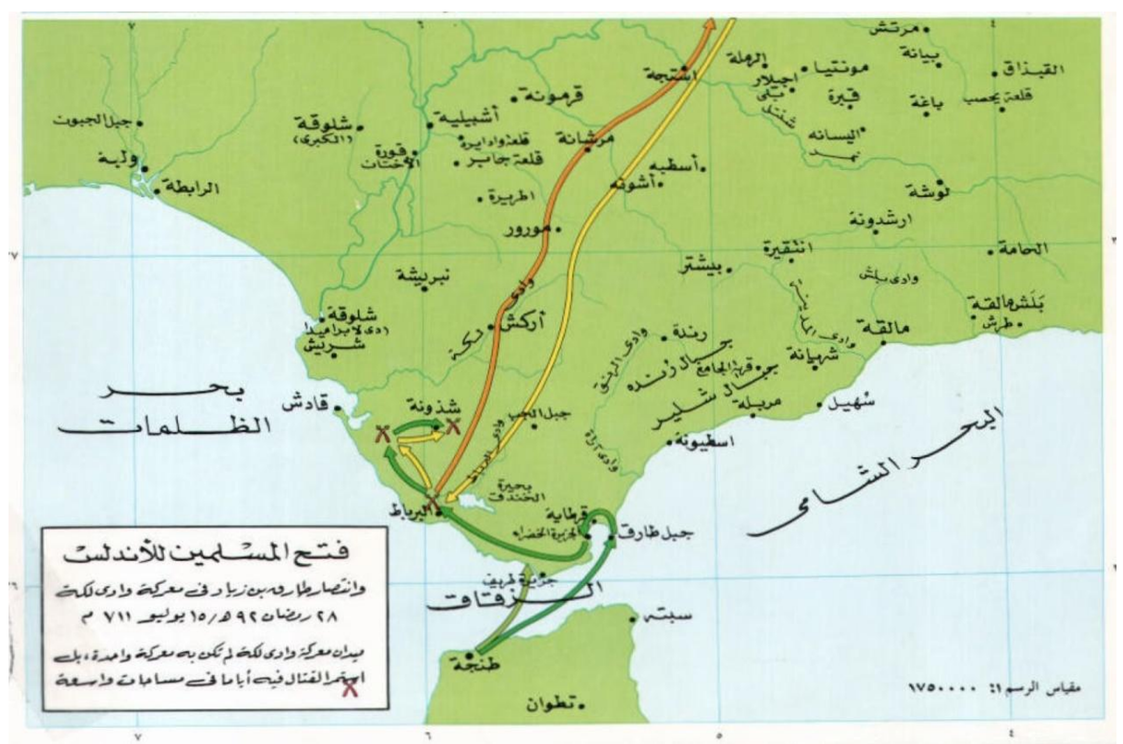
ولعلّ أهمّ استنتاج يمكن الخروج به بخصوص موقف الدولة المرابطية من العلم، أنّه بالرّجوع إلى كتب التراجم التي عاصرت هذه الدولة، يتّضح لنا بالدّليل القاطع والحجّة الدّامغة، خلاف كلّ ما يروّج له ضدّها من افتراءات لا يقبلها العقل السّليم، فقد حفل عهد المرابطين بطلب العلم بمختلف فنونه، وانتشر في ربوع دولتهم أ ئمّة القرآن وأهل الحديث والفقه والأدب وغيرهم، واشتهر منهم الكثير وعنهم أخذت أعداد هائلة من الطلاّب رغم قصر مدّة حكم هذه الدولة المباركة.

الذين رأوا في تشجيع الأمراء للأدب علّة ازدهاره حكموا على الشّعر بالموت في العهد المرابطي، لكنّ الموت في الحقيقة لم يشمل سوى مجد شاعر البلاط، لأنّ الشعر عامّة انتعش وازدهر وتألّق كثير من الشّعراء في هذا العصر . أمّا موقف المرابطين من الفلسفة وعلم الكلام والتصوّف، فقد كان موقف الشّرع بميزان الحقّ (الشّارع)، لا بميزان العقل البشري القاصر، وكلّ ما هنالك أنّ المرابطين ضبطوا هذه العلوم بضوابط شرعية لا يجب تخطّيها، لئلاّ يقع العامّة من النّاس في الإلحاد والزّندقة والكفر!.

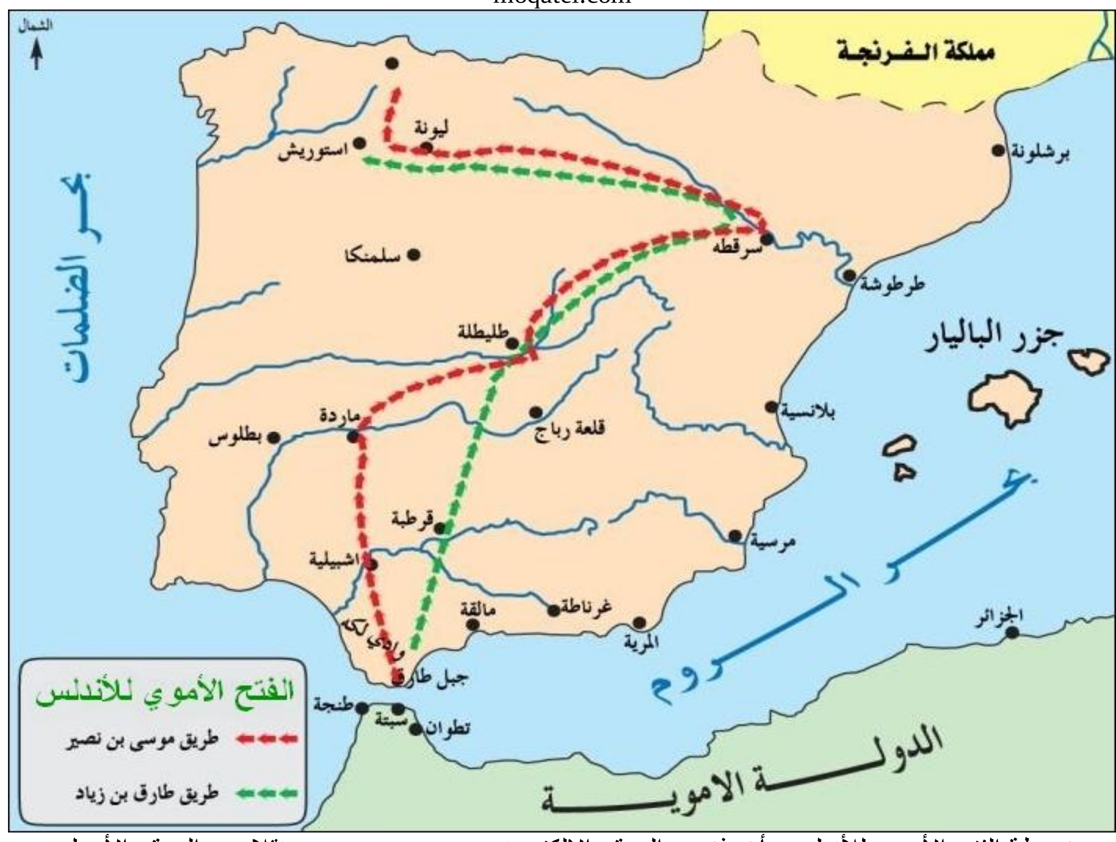
ولعلّ أهمّ ما يمكن أن نفسّر به ظاهرة عدم تكافؤ الإسهام العلمي للبربر مع نظرائهم العرب، أنّ البربر كانوا أصحاب سيف أكثر منهم أصحاب قلم، إلاّ أنّ الذي يجب أن ننوّه به أنّ بعض الإسهامات – ولو أنّها جدّ قليلة- بلغت حدّ التميّز وتحقيق المفاضلة مع الإنتاج الفكري الأندلسي، كما هو الحال بالنّسبة للشّاعر ابن درّاج القسطلي والأمير عبد الله بن بلقّين الغرناطي في مذكّراته "التبيان"، و أبو عبد الله بن إبراهيم بن وزمّر الحجاري الصنهاجي، صاحب " المسهب في فضائل المغرب"، وأبو العبّاس أحمد بن عطاء الله الصنهاجي الشهير بابن العريف، الإمام الزاهد العارف المقرئ، صاحب المقامات والإشارات، مؤلّف كتاب " محاسن المجالس " في التصوّف.



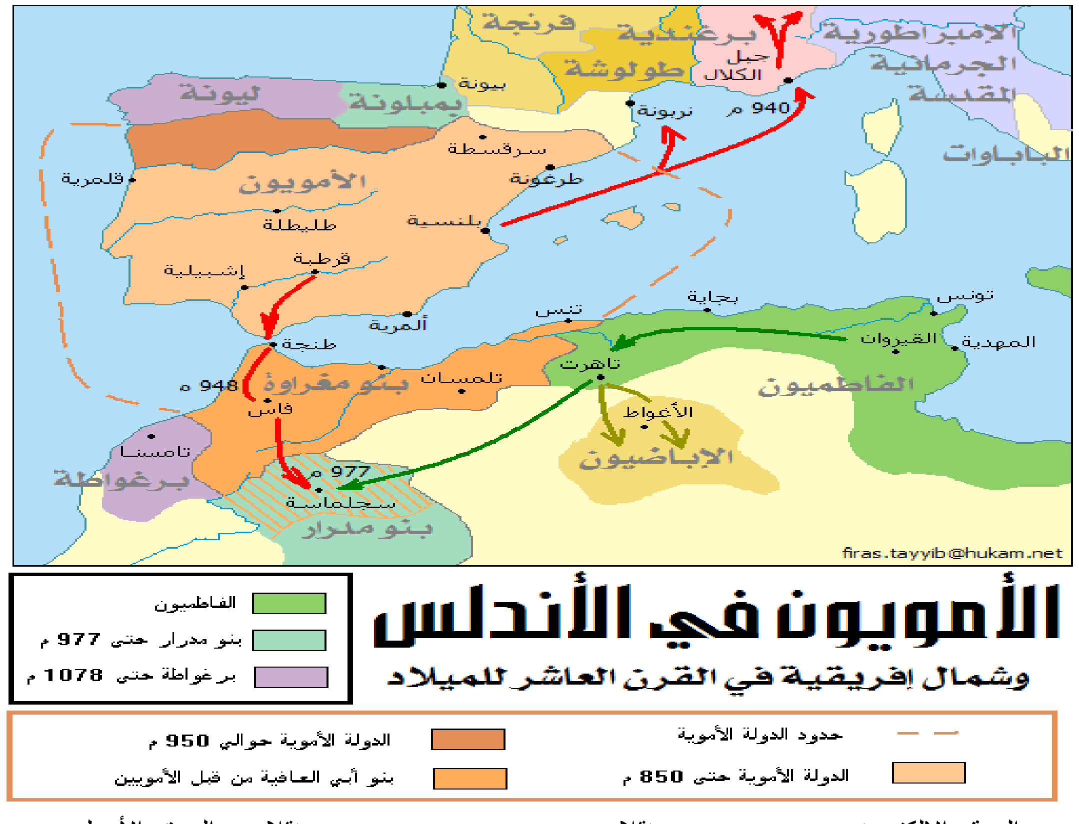
الملاحق



خريطة فتح المسلمين للأندلس مأخوذة من الموقع الإلكتروني www.google.dz نقلا عن الموقع الأصلي: moqatel.com



خريطة الفتح الأموي للأندلس مأخوذة من الموقع الإلكتروني www.google.dz نقلا عن الموقع الأصلي: ar.wikipedia.org



الموقع الإلكتروني www.google.dz نقلا عن firas.tayyib@hukam.net نقلا عن الموقع الأصلي
e3sarcom.com



الأندلس في عصره الذهبي: www.google.dz نقلا عن الموقع الأصلي: forum.amrkhaled.net



القصبة القديمة الزيرية بغرناطة: commons.wikimedia.org



سور القصبة القديمة الذي بناه حبّوس واكتمل بناؤه في عهد ابنه باديس بغرناطة: es.wikipedia.org



qudamaa.com :نقلا عن الموقع الأصلي www.google.dz



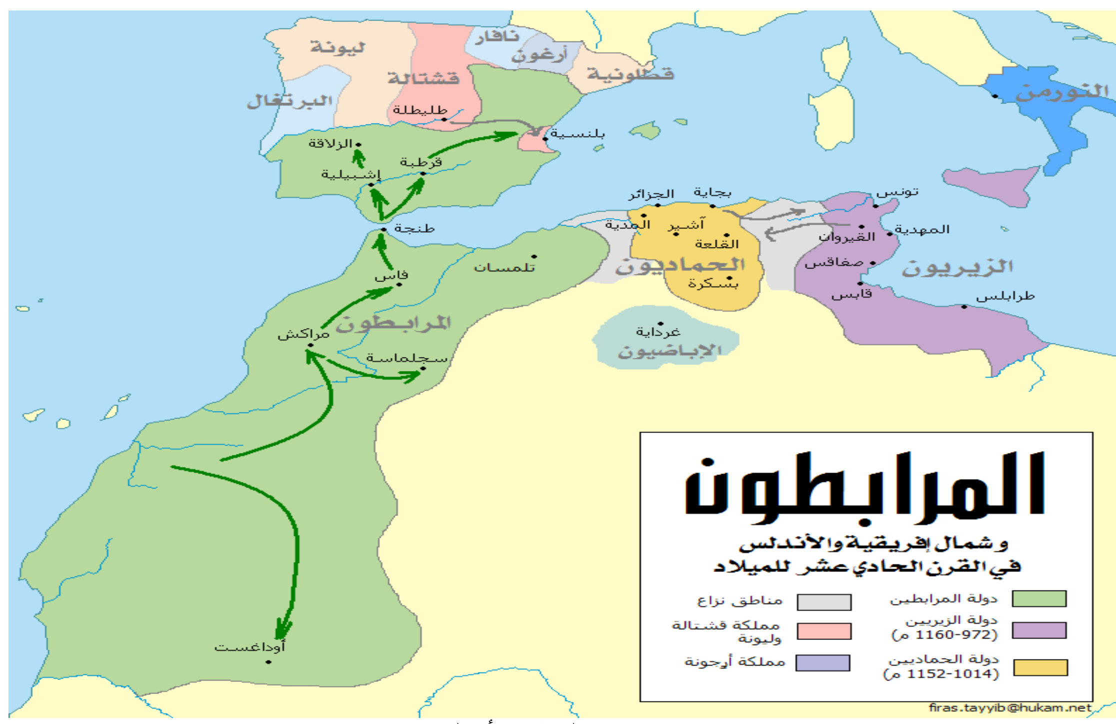
ed-flash.com :نقلا عن الموقع الأصلي www.google.dz



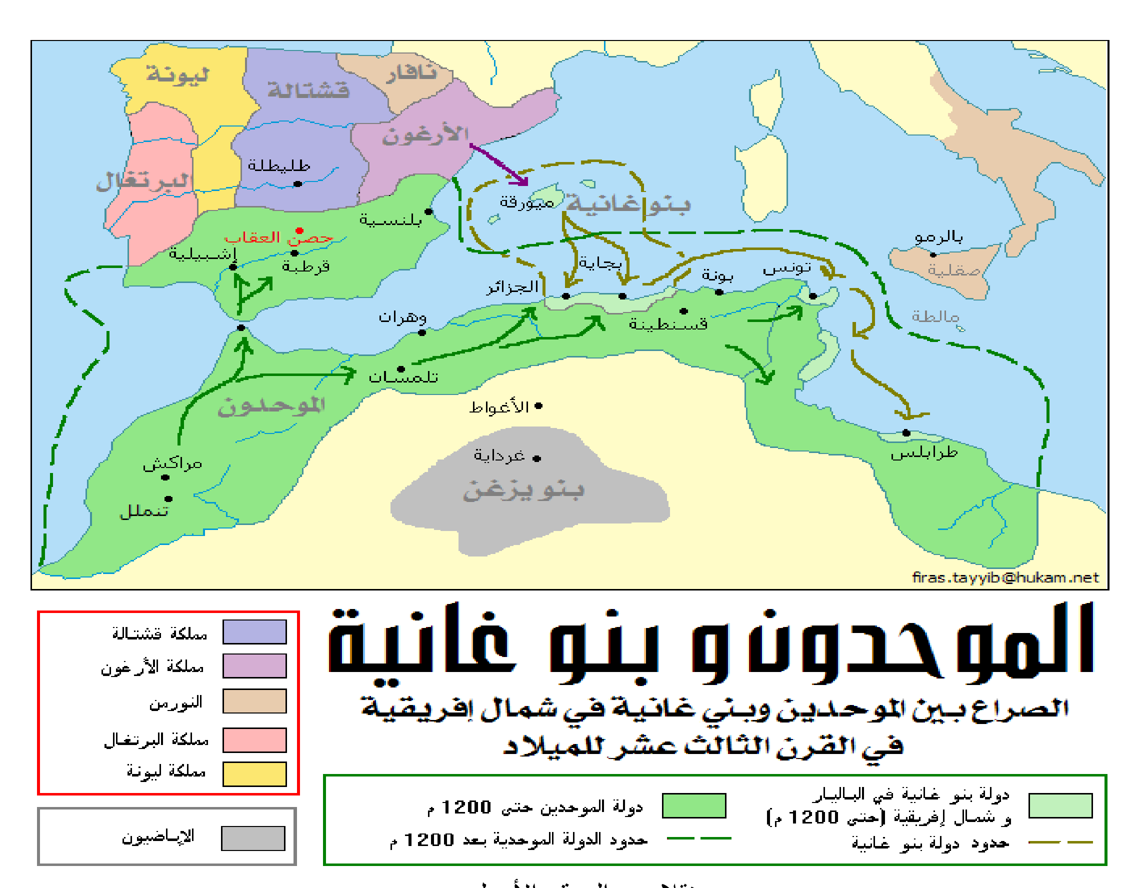
María Marcos Cobaleda, Artículo: La huella de Siyilmasa en las cercas almorávides de Marrakech y Al-Andalus, Fig. 3. Murallas almorávides del Marrubial. Córdoba, in Quiroga: *Revista de Patrimonio Iberoamericano*.nº 8, julio-diciembre 2015, 10-22 · ISSN 2254-7037, p16.



www.google.dz نقلا عن الموقع الأصلي: andalus.blogspot.com



rewayet2.com نقلا عن الموقع الأصلي: www.google.dz



awda-dawa.com نقلا عن الموقع الأصلي: www.google.dz



القـــائـمة البيبليـوغرافــية

قائمة المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

ثانيا: المصادر المخطوطة:

1- ابن العربي أبو بكر المعافري (ت543هـ/1148م)، كتاب ترتيب الرّحلة للترغيب في الملّة، مخطوط بالخزانة العامّة- الرباط، رقم ك 1275.

2- الرشاطي عبد الله الأزدي الإشبيلي (ت542هـ/1147م)، مخطوط اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصّحابة ورواة الآثار، الجزء الأول، عدد أوراقه 81 ورقة، رقم النسخة 302664، مخطوطات الأزهر الشريف.

ثالثا: المصادر المطبوعة:

3- ابن الأبّار القضاعي (ت658هـ/1260م)، الحلّة السّيراء، تحقيق وتعليق الحواشي حسين مؤنس، دار المعارف- القاهرة، ط2، 1985.

4- نفس المؤلِّف، المعجم في أصحاب القاضي الصدفي أبي علي حسين بن محمد، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري- القاهرة، دار الكتاب اللبناني- بيروت، ط1، 1410هـ/ 1989م.

5- نفس المؤلِّف : التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة- بيروت، 1415هـ/1995م.

6- نفس المؤلِّف، إعتاب الكتّاب، تحقيق صالح الأشتر، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ط1، 1380هـ/1961م.

7- ابن الأثير عز الدين (ت630هـ/1233م)، الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي- بيروت، ط5، 1405هـ/1985م.

8- نفس المؤلِّف، الكامل في التاريخ، راجعه وصحّحه محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1407هـ/1987م.

9- نفس المؤلِّف، الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد ال سلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1417هـ/1997م.

10- ابن الأحمر إسماعيل (ت807هـ/1405م)، بيوتات فاس الكبرا، دار المنصور للطباعة والوراقة- الرباط، 1972.

11- الأخفش الأصغر أبو المحاسن علي بن سليمان بن الفضل (ت315هـ/927م)، الاختيارين، تحقيق فخر الدين قباوة، دار الفكر المعاصر- بيروت، دار الفكر- دمشق، ط1، 1420هـ/1999م.

12- الإدريسي أبو عبد الله الشريف (ت560هـ/1165م)، المغرب وأرض السّودان ومصر والأندلس، مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مطبع بريل- مدينة ليدن، 1863م.

13- نفس المؤلِّف، كتاب نزهة ا لمشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدّينية- القاهرة، 1414هـ/ 1994م.

14- ابن أبي دينار القيرواني (ت نحو 1109هـ/1698م)، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية، ط1، 1286هـ/ 1869م.

15- الأزدي علي بن ظافر بن حسين (ت613هـ/1216م)، بدائع البدائه، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1970.

16- ابن الأزرق أبو عبد الله (ت896هـ/1491م)، بدائع السّلك في طبائع الملك، تحقيق وتعليق علي سامي النشّار، دار السّلام للطّباعة والنشر والتوزيع والترجمة- القاهرة، ط1، 1429هـ/2008م.

17- ابن أبي زرع الفاسي (ت741هـ/1340م)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور- الرباط، 1972.

18- ابن أبي شيبة الكوفي أبو بكر عبد الله بن محمد (ت235هـ/849م)، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار النشر: مكتبة الرشد – الرياض، ط1، 1409هـ.

19- الإصطخري أبو إسحاق إبراهيم (ت346هـ/957م)، المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال الحسيني، مراجعة محمد شفيق غربال، وزارة الثقافة والإرشاد القومي- الجمهورية العربية المتحدة، 1381هـ/1961م.

20- نفس المؤلِّف، كتاب الأقاليم، نشر مويلير، غوته، 1939.

21- نفس المؤلِّف، مسالك الممالك، مطبع بريل، مدينة ليدن المحروسة، 1870.

22- نفس المؤلِّف، المسالك والممالك، محمد جابر عبد العال الحسيني، مراجعة محمد شفيق غربال، وزارة الثقافة والإرشاد القومي- الجمهورية العربية المتحدة، 1381هـ/1961م.

23- الأصفهاني أبو الفرج علي بن الحسين (ت356هـ/967م)، كتاب الأغاني، تحقيق إحسان عبّاس، إبراهيم السعّافين وبكر عبّاس، دار صادر- بيروت، ط 3، 1429هـ/2008م.

24- الأصفهاني العماد الكاتب (ت597هـ/1201م)، خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء المغرب والأندلس، تحقيق محمد المرزوقي ومحمد العروسي المطوي والجيلاني بن الحاج يحي، الدار التونسية للنشر- تونس، ط3، 1986.

25- الأصمعي عبد الملك بن قريب (ت216هـ/831م)، الأصمعيات اختيار الأصمعي، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف- مصر، ط7، 1993.

26- ابن أبي أصيبعة أبو العبّاس (ت668هـ/1270م)، عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية- بيروت، ط 1، 1419هـ/1998م.

27- الأعمى التطيلي (ت525هـ/1131م) ، ديوان الأعمى التطيلي أبي جعفر أحمد بن عبد الله بن أبي هريرة ومجموعة من موشّحاته، تحقيق إحسان عبّاس، دار الثقافة- بيروت، ط1، 1989.

28- نفس المؤلِّف، ديوان أبي العبّاس الأعمى التطيلي، إعداد محمد باقر عبد الغني، ترجمة وتحقيق سعاد محمد إبراهيم خضر، مكتبة الرّائد العلمية- عمّان، ط 1، 1425هـ/2004م.

29- الباجي أبو الوليد سليمان بن خلف (ت474هـ/1081م)، النصيحة الولدية، وصيّة أبي الوليد الباجي لولديه، تحقيق إبراهيم باجس عبد المجيد، دار الوطن- الرّياض، ط1، 1417هـ.

30- ابن بسّام الشنتريني (ت542هـ/1147م)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عبّاس، الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس، ط1، 1978.

31- نفس المؤلِّف، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1419هـ- 1998م.

32- ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت578هـ/1148م)، الصلة، تحقيق صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية- صيدا- بيروت، ط1، 1423هـ- 2003م.

33- ابن بطّوطة محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي (ت779هـ/1377م)، تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار المعروف برحلة ابن بطّوطة، تحقيق علي المنتصر الكتّاني، مؤسّسة الرّسالة- بيروت، ط4، 1405هـ/ 1984م.

34- ابن بطوطة ورحلاته، تحقيق ودراسة وتحليل حسين مؤنس، دار المعارف- القاهرة، 1980.

35- البغدادي صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت739هـ/1338م)، مراصد الاطّلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجيل- بيروت، ط1، 1412هـ/1992م.

36- البغوي أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي (ت516هـ/1122م)، شرح السنة، تحقيق : شعيب الأرنؤوط- محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي- دمشق، بيروت، ط2، 1403هـ/1983م.

37- البكري أبو عبيد الأندلسي (ت487هـ/1094م)، المُغرب في ذكر بلاد إفريقية والمَغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي-القاهرة،(د. ت).

38- نفس المؤلِّف ، المُغرب في ذكر بلاد إفريقية والمَغرب، مكتبة المثنّى - بغداد،(د.ت).

39- نفس المؤلِّف، المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي-بيروت، 1992م.

40- نفس المؤلِّف، جغرافية الأندلس وأوربا من كتاب المسالك والممالك، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، دار الرّشاد- بيروت، ط1، 1968.

41- نفس المؤلِّف، سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، نسخه وصححه وحقق ما فيه وخرجه وأضاف إليه عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

42- البلاذري أحمد بن يحي (ت279هـ/892م)، فتوح البلدان، حقّقه وشرحه وعلّق على حواشيه وأعدّ فهارسه وقدّم له عبد الله أنيس الطبّاع – عمر أنيس الطبّاع، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر- بيروت، 1407هـ/ 1987م.

43- البلاذري، أنساب الأشراف، تحقيق محمد حميد الله، إخراج معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالاشتراك مع دار المعارف بمصر، 1959.

44- ابن بلقين عبد الله (ت483هـ/1090م)، كتاب التبيان أو مذكّرات الأمير عبد الله بن بلقين آخر أمراء بني زيري بغرناطة، تحقيق وتقديم وتعليق أمين توفيق الطيبي، منشورات عكاظ- الرباط، ط1، 1995.

45- ابن بلكين عبد الله بن باديس بن حبوس، كتاب التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة، تحرير الدكتور علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة، ط1، 1427هـ/2006م.

46- البيدق أبو بكر بن علي الصنهاجي (ت حوالي 555هـ/1160م)، كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة- الرباط، 1971.

47- نفس المؤلِّف، أخبار المهدي بن تومرت، تحقيق عبد الحميد حاجيات، عالم المعرفة للنشر والتوزيع- الجزائر، طبعة خاصّة في إطار تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، 2011.

48- ابن البيع الحاكم النيسابوري أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت405هـ/1014م)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية-بيروت، ط1، 1411هـ/1990م.

49- البيهقي أبو بكر (ت458هـ/1066م)، شعب الإيمان، تحجقيق ومراجعة النصوص وإخراج الأحاديث: عبد العلي عبد الحميد حامد، وأشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب ا لدار السلفية ببومباي- الهند، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع- الرياض بالتعاون مع الدار السلفية- بومباي، ط1، 1423هـ/2003م.

50- التُّجيبي أبو إسحاق الإلبيري (ت بعد 459هـ/1067م)، ديوان أبي إسحاق الإلبيري، تحقيق محمد رضوان الدّاية، دار قتيبة- دمشق، ط2، 1401هـ/1981م.

51- ابن تغري بردي جمال الدين يوسف الأتابكي (ت874هـ/1470م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدّم له وعلّق عليه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1413هـ/ 1992م.

52- التنبكتي أحمد بابا (ت1036هـ/1626م)، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، إشرا ف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، وضع الهوامش والفهارس طلاّب من كلّية الدّعوة الإسلامية، منشورات كلّية الدّعوة الإسلامية- طرابلس، ط1، 1398هـ/1989م.

53- التوحيدي أبو حيان (ت414هـ/1023م)، البصائر والذخائر، تحقيق : وداد القاضي، دار صادر – بيروت، ط1، 1408هـ/1988م.

54- ابن تيمية تقي الدين أبو العبّاس (ت728هـ/1328م)، مجموع الفتاوى، تحقيق عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف- المدينة النبوية، 1416هـ/1995م.

55- نفس المؤلِّف، بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، تحقيق موسى الدويش، مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة، ط3، 1415هـ/1995م.

56- نفس المؤلِّف ، الصفدية، تحقيق محمد رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية- القاهرة، 1406هـ/1986م.

57- الثعالبي عبد الملك أبو منصور بن محمد بن إسماعيل (ت429هـ/1038م)، التمثيل والمحاضرة، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، الدار العربية للكتاب- القاهرة، ط2، 1401هـ/1981م.

58- نفس المؤلِّف، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق مفيد محمد قمحية، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1403هـ/1983م.

59- الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني (ت255هـ/868م)، رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي- القاهرة، 1384هـ/1964م.

60- نفس المؤلِّف، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال- بيروت، 1423هـ/2002م.

61- نفس المؤلِّف ، الرسائل الأدبية، دار ومكتبة الهلال- بيروت، ط 2، 1423هـ/2002م.

62- ابن الجزري شمس الدين أبو الخير (ت833هـ/1430م)، غاية النهاية في طبقات القرّاء، مكتبة ابن تيمية- القاهرة، ط 1، عني بنشره هـ .ج. برجستراسر عام 1351هـ/1932م.

63- الجزنائي علي أبو الحسن (كان حيّا سنة 766هـ/1365م)، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية- الرباط، ط2، 1411هـ/ 1991م.

64- حاجي خليفة مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرّومي الحنفي (ت1067هـ/1656م)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الكتب العلمية- بيروت، 1413هـ/ 1992م.

65- ابن حبّان محمد بن أحمد (ت354هـ/965م)، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبّان، ترتيب الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، حقّقه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط1، 1408هـ/1988م.

66- ابن حبيب عبد الملك (ت238هـ/853م)، كتاب التاريخ، وضع حواشيه سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1420هـ/1999م.

67- ابن حجر العسقلاني (ت852هـ/1449م)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق محب الدين الخطيب، دار المعرفة- بيروت، (د.ت).

68- ابن حزم الأندلسي (ت456هـ/1064م)، جمهرة أنساب العرب، مراجعة وضبط الأعلام، لجنة من العلماء بإشراف النّاشر، دار الكتب العلمية - بيروت، 1421هـ/ 2001م.

69- نفس المؤلِّف، جمهرة أنساب العرب، تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف- القاهرة، ط5، 1982.

70- نفس المؤلِّف، رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق إحسان عاس، ط 2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1987، ج2.

71- نفس المؤلِّف، رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق إحسان عبّاس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت، ط1، 1981، ج3.

72- نفس المؤلِّف، رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق إحسان عبّاس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت، ط1، 1983، ج4.

73- نفس المؤلِّف، طوق الحمامة في الأُلفة والأُلاّف، حققه وشرح غامضه عبد القادر محمد مايو، دار القلم العربي، دار الرّفاعي- حلب، ط1، 1424هـ/2004م.

74- ابن حزم وابن سعيد والشقندي، فضائل الأندلس وأهلها، تحقيق صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد- بيروت، ط1، 1968.

75- ابن حمّاد أبو عبد الله محمد بن علي (ت628هـ/1230م)، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق : عبد الحليم عويس والتهامي نقرة، دار الصحوة للنشر والتوزيع- القاهرة، 1401هـ/1981م.

76- ابن حمدون أبو المعالي بهاء الدين البغدادي محمد بن الحسن (ت562هـ/1167م)، التذكرة الحمدونية، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1404هـ.

77- الحميدي أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح (ت488هـ/1095م)، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تقديم وضبط وشرح ووضع الفهارس لـ : صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية- صيدا- بيروت، ط1، 1425هـ/ 2004م.

78- الحميري محمد بن عبد المنعم (ت727هـ/1326م)، الرّوض المعطار في خبر الأقطار، طبعت الفصول المتعلقة بالأندلس من الكتاب، قديماً بعناية ليفي بروفنسال، مع ترجمة إلى الفرنسية، وطبع بتحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت، ط2، 1980م.

79- ابن حنبل أبو عبد الله أحمد بن محمد (ت241هـ/855م)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد وآخرون، إشراف عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط1، 1421هـ/2001م.

80- ابن حوقل النصيبي أو النصيبيني أبو القاسم محمد (ت بعد 367هـ/977م)، صورة الأرض، منشورات دار ومكتبة الحياة- بيروت، 1992.

81- ابن حيّان القرطبي أبو مروان (ت469هـ/1076م)، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، حقّقه وقدّم له وعلّق عليه محمود علي مكي، دار الكتاب العربي- بيروت، 1393هـ/1973م.

82- نفس المؤلِّف ، كتاب المقتبس في تأريخ رجال الأندلس، نشره عن النسخة المخطوطة بالخزانة البدليانة بإكسفورد الأ ب ملتشور م . أنطونية، بولس كتنر الكتبي بباريس، 1937.

83- نفس المؤلِّف، المقتبس من أنباء أه ل الأندلس، حقّقه وقدّم له وعلّق عليه محمود علي مكّي، دار الكتاب العربي- بيروت، 1393هـ/1973م.

84- نفس المؤلِّف ، المقتبس، نشره : ب. شالميتا، ف .كورينطي، م .صبح، المعهد الإسباني العربي للثقافة- مدريد، كلّية الآداب بالرباط، 1979، ج5.

85- نفس المؤلِّف ، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ط1، 1426هـ/2006م.

86- ابن خاقان الفتح بن محمد (ت528هـ/1134م)، قلائد العقيان ومحاسن الأعيا ن، تحقيق وتعليق: حسين يوسف خريوش، مكتبة المنار للطباعة والنشر والتوزيع- الأردن، ط1، 1409هـ/ 1989م.

87- نفس المؤلِّف، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تحقيق محمد علي شوابكة، دار عمار - مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1403هـ/1983م.

88- ابن الخطيب لسان الدين (ت776هـ/1374م)، أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام أو تاريخ إسبانية الإسلامية، تحقيق وتعليق: إ. ليفي بروفنسال، مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة، ط1، 1424هـ/2004م.

89- نفس المؤلِّف، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1424هـ/2003م.

90- نفس المؤلِّف، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط2، 1393هـ/ 1973م.

91- نفس المؤلِّف، صفة مملكة غرناطة وهي مأخوذة من كتاب معيار الاختيار، من إظهار عبد المسيح افرنسيسكو خوير سيمونيت المالقي، المطبعة الدولية- مجريط المحروسة، 1860.

92- نفس المؤلِّف ، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة، 1423هـ/2002م.

93- نفس المؤلِّف ، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة- بيروت، ط3، 1400هـ/1980م.

94- نفس المؤلِّف، نُفاضةُ الجراب في عُلالةِ الاغتراب، نشر وتعليق أحمد مختار العبادي، مراجعة عبد العزيز الأهواني، دار النشر المغربية- الدار البيضاء، (د.ت).

95- ابن خفاجة أبو إسحاق (ت533هـ/1138م)، ديوان ابن خفاجة، تحقيق السيّد مصطفى غازي، دار المعارف- الإسكندرية، 1960.

96- ابن خلدون عبد الرحمن (ت808هـ/1406م)، ترجمان العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحاذة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر- بيروت، 1421هـ/2000م.

97- نفس المؤلِّف، مقدّمة ابن خلبدون، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس، خليل شحادة، مراجعة سهيل زكّار، دار الفكر للطباعة والنشر- بيروت، 1421هـ/ 2001م.

98- ابن خلّكان أبو العبّاس (ت681هـ/1282م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عبّاس، دار صادر- بيروت، 1900، ج1.

99- نفس المؤلِّف، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، تحقيق إحسان عبّاس، دار صادر- بيروت، ط1، 1971، ج4.

100- الخوارزمي محمد بن العباس أبو بكر (ت383هـ/993م) منسوب إليه، مفيد العلوم ومبيد الهموم، المكتبة العصرية، بيووت، 1418هـ/1997م.

101- ابن خيّاط خليفة الليثي العصفري أبو عمر (ت240هـ/854م)، تاريخ خليفة بن خيّاط، تحقيق أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة- دمشق، دار القلم، ط2، 1397هـ/ 1977م.

102- ابن خير الإشبيلي (ت575هـ/1179م)، فهرسة ما رواه عن شيوخه، تحقيق محمد فؤاد منصور، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1419هـ/1998م.

103- ابن دحية أبو الخطّاب عمر بن الحسن الكلبي الأندلسي(ت633هـ/1236م)، المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق إبراهيم الأبياري- حامد عبد المجيد- أحمد أحمد بدوي، مراجعة طه حسين، دار العلم للجميع- القاهرة، 1955.

104- ابن درّاج أحمد بن محمد القسطلي (ت421هـ/1030م)، ديوان ابن درّاج، تحقيق محمود علي مكّي، منشورات المكتب الإسلامي- دمشق، ط1، 1381هـ/1961م.

105- ابن دريد الأزدي أبو بكر محمد بن الحسن (ت321هـ/933م)، جمهرة اللغة، تحقيق رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين- بيروت، ط1، 1987.

106- الدولابي أبو بشر محمد بن أحمد بن حمّاد بن سعيد بن مسلم الأنصاري (ت310هـ/922م)، الكنى والأسماء، تحقيق : أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار ابن حزم- بيروت، ط1، 1421هـ/2000م.

107- الذهبي شمس الدين أبو عبد الله (ت748هـ/1348م)، سير أعلام النبلا ء، دار الحديث- القاهرة، 1427هـ/ 2006م.

108- نفس المؤلِّف، سير أعلام النبلاء، تحقيق مجموعة من المحقّقين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرّسالة- بيروت، ط3، 1405هـ/ 1985م.

109 - نفس المؤلِّف، سير أعلام النبلاء، حقّقه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرّسالة- بيروت، ط9، 1413هـ/ 1993م.

110- نفس المؤلِّف ، العبر في خبر من عبر، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1405هـ/ 1985م.

111- نفس المؤلِّف ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي- بيروت، ط1، 1415هـ/ 1995م.

112- نفس المؤلِّف، تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام ، تحقيق بشّار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط1، 2003.

113- نفس المؤلِّف ، معرفة القرّاء الكبار على الطبقات والأعصار، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1417هـ/1997م.

114- الرّشاطي أبو محمد (ت542هـ/1147م) وابن الخرّاط الإشبيلي (ت581هـ/1185م)، الأندلس في اقتباس الأنوار وفي اختصار اقتباس الأنوار، تقديم وتحقيق إميليو مولينا وخاثينتو بوسك بيلا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي- مدريد، 1990.

115- ابن رشيق القيرواني أبو علي (ت463هـ/1071م)، ديوان ابن رشيق القيرواني، تقديم وشرح صلاح الدين الهواري، دار الجيل- بيروت، ط1، 1995.

116- الرقيق القيرواني أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم (ت420هـ/1029م)، تاريخ إفريقية والمغرب، تقديم وتحقيق وتعليق محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع- القاهرة، ط1، 1414هـ/ 1994م.

117- رياض زادة الحنفي عبد اللطيف بن محمد (ت1078هـ/1667م)، أسماء الكتب، تحقيق محمد التونجي، دار الفكر- دمشق، ط3، 1403هـ/1983م.

118- ابن الزبير أحمد بن إبراهيم الغرناطي (ت708هـ/1308م)، صلة الصّلة، تحقيق عبد السّلام الهرّاس- الشيخ سعيد أعراب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة فضالة- المحمدية (المغرب)، 1413هـ/1993م.

119- الزجّالي أبو يحي عبيد الله بن أحمد القرطبي (ت694هـ/1294م)، أمثال العوام في الأندلس مستخرجة من كتابه "ري الأوام ومرعى السوام في نكت الخواص والعوام"، تحقيق وشرح ومقارنة محمد بن شريفة، منشورات وزارة الدولة المكلّفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، طبع بمطبعة محمد الخامس- فاس، 1395هـ/1975م.

120- الزركشي أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله (ت794هـ/1392م)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة-بيروت، 1391هـ.

121- الزمخشري جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت538هـ/1143م)، المستقصى في أمثال العرب، دار الكتب العلمية –بيروت، ط2، 1987م.

122- زهير بن أبي سلمى (ت13 ق.هـ/609م)، ديوان ز هير بن أبي سلمى، شرح وتقديم علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1408هـ/1988م.

123- ابن الزيّات يوسف بن يحي التّادلي (ت627هـ/1230م)، التّشوّف إلى رجال التّصوّف، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة، ط1، 1427هـ/2007م.

124- نفس المؤلّف، التشوّف إلى رجال التصوّف وأخبار أبي العبّاس السبتي، تحقيق أحمد التوفيق، ط2، 1997.

125- ابن السّائب الكلبي هشام بن محمد (ت204هـ/819م)، نسب معد واليمن الكبير، تحقيق ناجي حسين، عالم الكتب- مكتبة النهضة العربية- بيروت، ط1، 1408هـ/1988م.

126- السخاوي شمس الدين أبو الخير (ت902هـ/1497م)، فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي، تحقيق علي حسن علي، مكتبة السنّة- مصر، ط1، 1424هـ/2003م.

127- ابن سعيد المغربي الأندلسي (ت685هـ/1286م)، المُغرب في حلى المغرب، تحقيق وتعليق شوقي ضيف، دار المعارف- القاهرة، ط4، 1995.

128- ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر، ط2، .1982

129- نفس المؤلِّف، المقتطف من أزاهر الطرف، تحقيق سيد حنفي حسنين، شركة أمل- القاهرة، 1425هـ/ 2004م.

130- نفس المؤلِّف، رايات المبرّزين وغايات المميّزين، تحقيق وتعليق محمد رضوان الدّاية، طلاس للدراسات والترجمة والنشر- دمشق، ط1، 1987.

131- السّلفي أبو طاهر أحمد بن محمد الإصبهاني (ت576هـ/1180م)، معجم السفر، تحقيق عبد الله عمر البارودي، المكتبة التجارية- مكة، (د.ت).

132- نفس المؤلِّف، أخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم السّفر للسّلفي، تحقيق إحسان عبّاس ، دار الثقافة- بيروت، ط1، 1963.

133- ابن سماك العاملي أبو القاسم (كان حيّا في الرّبع الأول من القرن 9هـ/15م)، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المرّاكشية، دراسة وتحقيق: عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 2010.

134- السمعاني أبو سعد عبد الكريم بن محمد (ت562هـ/1167م)، الأنساب، تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، دار الجنان- بيروت، ط1، 1408هـ/1988م.

135- ابن سيّدة المرسي أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت458هـ/1066م)، المحكم والمحيط الأع ظم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط 1، 1421هـ/2000م.

136- السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت911هـ/1505م)، لبّ اللّباب في تحرير الأنساب، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1411هـ/1991م.

137- نفس المؤلِّف، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر- بيروت، ط2، 1399هـ/1979م.

138- ابن شاكر الكتبي محمد بن أحمد (ت746هـ/1345م)، فوات الوفيات، تحقيق علي محمد بن يعوض الله وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 2000.

139- ابن الشّهاب الأبشيهي أبو الفتح (ت852هـ/1448م)، المستطرف في كل فن مستظرف، عالم الكتب- بيروت، ط1، 1419هـ/1999م.

140- الشّيباني أبو عمرو (ت206هـ/821م) المنسوب إليه، شرح المعلّقات التسع، تحقيق وشرح عبد المجيد همو، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات- بيروت، ط 1، 1422هـ/2001م.

141- شيخ الربوة شمس الدين الدمشقي أبو عبد الله (ت727هـ/1327م)، كتاب نخبة الدّهر في عجائب البرّ والبحر، مطبعة الأكاديمية الإمبراطورية- بطرسبورغ، 1281هـ/1865م.

142- ابن صاحب الصلاة عبد الملك أبو مروان (594هـ/1198م)، تاريخ المنّ بالإمامة على الم ستضعفين بأن جعلهم الله أئمّة وجعلهم الوارثين، تقديم عبد الهادي التّازي، دار الأندلس للطباعة والنشر- بيروت، ط1، 1383هـ/1964م.

143- صاعد الأندلسي أبو القاسم (ت462هـ/1070م)، طبقات الأمم، تحقيق حياة العيد بوعلوان، دار الطليعة- بيروت، ط1، 1985.

144- الصغاني رضي الدين الحسن بن محمد بن حيدر (ت650هـ/1252م)، الموضوعات، تحقيق نجم عبد الرحمن خلف، دار المأمون للتراث- دمشق، ط 2، 1405هـ.

145- الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك (ت764هـ/1363م)، الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث-بيروت، 1420هـ/2000م.

146- الضبّي أحمد بن يحي (ت599هـ/1203م)، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1417هـ- 1997م.

147- الطبري أبو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ/922م)، تاريخ الرسل والملوك، تقديم ومراجعة صدقي جميل العطّار، دار الفكر- بيروت، ط1، 1418هـ/1998م.

148- الطحاوي أبو جعفر أحمد بن محمد (ت935هـ/1528م)، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق عبد الرحمن بن ناصر بن براك بن إبراهيم البراك، إعداد عبد الرحمن بن صالح السديس، دار التدمرية- الرياض، ط2، 1429هـ/2008م.

149- طرفة بن العبد (ت569هـ/1173م)، ديوان طرفة بن العبد شرح الأعلم الشّنتمريّ، وتليه طائفة من الشعر المنسوب إلى طرفة، تحقيق دريّة الخطيب ولطفي الصقّال، دائرة الثقافة والفنون- البحرين، المؤسسة العربية للدراسات والنّشر- بيروت، 2000م.

150- الطيالسي أبو داود سليمان بن داود بن الجارود (ت204هـ/819م)، مسند أبي داود الطيالسي، تحقيق محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر- الجيزة، ط1، 1419هـ/1999م.

151- ابن عبد الحكم أبو القاسم المصري (ت257هـ/871م)، فتوح إفريقية والأندلس، حقّقه وقدّم له عبد الله أنيس الطبّاع، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطّباعة والنشر- بيروت، 1964.

152- ابن عبد ربّه الأندلسي (ت328هـ/940م)، العِقد الفريد، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1404هـ/ 1984م.

153- ابن عبد الحليم صالح الإيلاني أبو علي (كان حيّا سنة 712هـ/1312م)، كتاب الأنساب، وهو نص من ثلا ثة نصوص عن البربر في الغرب الإسلامي، قام بدراستها وتحقيقها: محمد يعلى، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي- مدريد، 1996.

154- نفس المؤلّف، مفاخر البربر، دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية، دار أبي رقراق للطّباعة والنّشر- الرباط، ط2، 2008.

155- ابن عبد الملك المراكشي أبو عبد الله (ت703هـ/1303م)، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق محمد بن شريفة، دار الثقافة-بيروت، (ب.ت)، س1، ق2.

156- نفس المؤلِّف، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق إحسان عبّاس، دار الثقافة- بيروت، ط1، 1965، س5.

157- نفس المؤلِّف، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تقديم وتحقيق وتعليق محمد بقن شريفة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، 1984، س8.

158- ابن عبدون محمد بن أحمد التجيبي (عاش في ق6هـ/12م)، رسالة ابن عبدون ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق ودراسة إ .ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، 1955.

159- ابن العربي أبو بكر الإشبيلي (ت543هـ/1148م)، شواهد الجلّة والأعيان في مشاهد الإسلام والبلدان، تحقيق محمد يعلى، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية ، الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي- مدريد، 1996.

160- ابن العريف أبو العبّاس أحمد بن محمد بن موسى الصنهاجي (ت536هـ/1141م)، مفتاح السعادة وتحقيق طريق السّعادة، جمعه أبو بكر عتيق بن مؤمن (496-548هـ/1102-1153م)، دراسة وتحقيق عصمت عبد اللطيف دندش، دار الغرب- بيووت، ط1، 1993.

161- ابن عسكر أبوعبد الله (ت636هـ/1238م) وابن خميس أبو بكر (كان حيّا سنة 639هـ/1241م)، أعلام مالقة، تقديم وتخريج وتعليق:عبد الله المرابط الترغي، دار الأمان ودار الغرب الإسلامي، مطابع دار صادر-بيروت، ط1، 1420هـ/1999م.

162- ابن عذاري أبو ال عبّاس أحمد بن محمد المرّاكشي (كان حيّا سنة 712هـ/1312م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة: د.إحسان عبّاس، دار الثقافة- بيروت، ط3، 1983، ج4.

163- نفس المؤلِّف ، المصدر السابق، تحقيق وتعليق ج .س. كولان و إ . ليفي بروفنسال، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 2009، ج1، ج2، ج3.

164- نفس المؤلِّف، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب- قسم الموحدين، تحقيق محمد إبراهيم الكتّاني وآخرون، دار الغرب الإسلامي- بيروت، دار الثقافة- الدار البيضاء، ط1، 1406هـ/1985م.

165- العذري أحمد بن عمر بن أنس المعروف بابن الدلآئي (ت478هـ/1085م) ، نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق عبد العزيز الأهواني، منشورات معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، 1965.

166- العزيزي الحسن بن أحمد المهلّبي (ت380هـ/990م)، الكتاب العزيزي أو المسالك والممالك، جمع وتعليق ووضع الحواشي : تيسير خلف، دمشق، 1426هـ/2005م.

167- ابن عطية الأندلسي (ت541هـ/1146م)، المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية- بيروت، ط 1، 1422هـ/2001م.

168- ابن العماد الحنبلي أبو الفلاح (ت1089هـ/1679م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، محمد الأرناؤوط، دار ابن كثير- دمشق، ط1، 1406هـ/ 1986م.

169- العمري شهاب الدين أحمد بن فضل الله (ت749هـ/1348م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 2010م.

170- نفس المؤلِّف، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجمّع الثقافي- أبو ظبي، ط1، 1423هـ/2002م.

171- عيّاش أبو عبد الله الكاتب عن الأمير محمد النّاصر، الرسالة السادسة والثلاثون ضمن مجموع رسائل موحدية، اعتنى بإصدارها إ. ليفي بروفنسال، المطبعة الاقتصادية لصاحبها مصطفى بن عبد الله، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية ، رباط الفتح، 1941، ج10.

172- عياض القاضي بن موسى بن عياض اليحصبي (ت544هـ/1149م)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ضبط وتصحيح محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1418هـ- 1998م، 2ج.

173- نفس المؤلِّف، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تحقيق سعيد أحمد أعراب، مطبعة فضالة- المحمدية، المغرب، 1981-1983.

174- نفس المؤلِّف، الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض، تحقيق ماهر زهير جرّار، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط1، 1402هـ/1982م.

175- ابن عياض محمد (ت575هـ/1179م)، التعريف بالقاضي عياض، تحقيق محمد بن شريفة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية- الرباط، 1983.

176- ابن غازي محمد العثماني المكناسي (ت919هـ/1513م)، الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية- الرباط، ط2، 1408هـ/ 1988م.

177- الغبريني أبو العبّاس أحمد بن أحمد بن عبد الله بم محمد (ت704هـ/1304م)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق محمد بن أبي شنب، دار البصائر- الجزائر، ط1، 2007.

178- أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي (ت732هـ/1331م)، تقويم البلدان، طبع بدار الطّباعة السّلطانية- مدينة باريس، 1255هـ/ 1840م، دار صادر- بيروت، (د.ت).

179- ابن الفرضي أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف (ت403هـ/1012م)، تاريخ علماء الأندلس، تحيق روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1417هـ- 1997م.

180- ابن الفقيه الهمذاني أبو بكر أحمد بن محمد (ت نحو 340هـ/951م)، مختصر كتاب البلدان، مطبع بريل- ليدن، 1302هـ/ 1884م.

181- ابن الفوطيّ الشّيباني كمال الدين أبو الفضل عبد الرزّاق بن أحمد (ت723هـ/1323م)، معجم الآداب في معجم الألقاب، تحقيق محمد الكاظم، مؤسسة الطباعة والنشر- وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي- طهران، ط1، 1416هـ/1995م.

182- ابن القاضي المكناسي أبو العبّاس (ت1025هـ/1616م)، جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة- الرباط، 1973.

183- ابن قتيبة الدينوري أبو محمد (ت276هـ/889م) المنسوب إليه، الإمامة والسياسة، اعتنى بطبعه وتصحيحه وشرح بعض مسائله مع كلماته اللغوية: محمد محمود الرفعي، مطبعة النيل- مصر، 1322هـ/ 1904م.

184- ابن قدامة المقدسي عبد الله بن أحمد (ت620هـ/1223م)، المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، دار الفكر- بيروت، ط1، 1405هـ/1985م.

185- القرطبي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي (ت671هـ/1273م)، الجامع لأحكام القرآن أو تفس ير القرطبي، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية- القاهرة، ط 2، 1383هـ/1964م.

186- القرماني أبو العبّاس أحمد بن يوسف (ت1019هـ/1610م)، أخبار الدول وآثار الأُول في التاريخ، دراسة وتحقيق أحمد حطيط، فهمي سعد، عالم الكتب- بيروت، ط1، 1412هـ/1992م.

187- ابن القطان المراكشي أبو محمد (كان حيّا في منتصف ق 7هـ/13م)، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمود علي مكّي، دار الغرب الإسلامي- بيروت، 1410هـ/1990م.

188- القلقشندي أبو العبّاس أحمد بن علي (ت821هـ/1418م)، نهاية الأرَب في معرفة أنساب ا لعرب، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللّبناني- بيروت، ط2، 1400هـ/ 1980م.

189- نفس المؤلِّف، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق : يوسف علي طويل، دار الفكر- دمشق، ط1، 1987.

190- نفس المؤلِّف، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، شرحه وعلّق عليه الأستاذ محمد حسين شمس الدين والدكتور يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية- بيروت، 1987.

191- ابن القوطية أبو بكر القرطبي (ت367هـ/977م)، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري- القاهرة، دار الكتاب اللبناني- بيروت، ط2، 1410هـ/1989م.

192- ابن الكتّاني أبو عبد الله محمد بن الحسن (ت نحو 420هـ/ نحو 1030م)، كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تحقيق إحسان عبّاس، دار الشروق- بيروت، ط2 مزيدة ومنقّحة، 1401هـ/1981م.

193- ابن الكردبوس أبو مروان عبد الملك التوزري (ت575هـ/1179م)، الاكتفاء في أخبار الخلفاء، تحقيق عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 2009.

194- ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت273هـ/886م)، سنن الحافظ ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية- فيصل عيسى البابي الحلبي، 1373هـ/1954م.

195- ابن ماكولا أبو نصر علي بن هبة الله بن جعفر(ت475هـ/1082م)، الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1411هـ/ 1990م.

196- المالكي أبو بكر عبد الله بن محمد (ت بعد 453هـ/1061م)، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهّادهم ونسّاكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحقيق بشير البكّوش، مراجعة محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط2، 1414هـ/1994م.

197- المبرد أبو العباس محمد بن يزيد (ت286هـ/ 899م)، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي- القاهرة، ط3، 1417هـ/1997م.

198- المتقي الهندي علاء الدين علي بن حسام الدين (ت975هـ/1567م)، كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق محمود عمر الدمياطي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1419هـ/1998م.

199- المتنبّي أبو الطيب (ت354هـ/965م)، ديوان المتنبّي، دار بيروت للطباعة والنشر- بيروت، 1403هـ/1983م.

200- مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها، تحقيق وتعليق إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر، 1989م.

201- مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري- القاهرة، دار الكتاب اللبناني- بيروت، ط2، 1410هـ/1989م.

202- مجهول، تاريخ الأندلس، دراسة وتحقيق: عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1428هـ/2007م.

203- مجهول، ذكر بلاد الأندلس، تحقيق وترجمة لويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، المعهد ميغيل أسين- مدريد، 1983، ج1.

204- مجهول، فتح الأندلس، دراسة وتحقيق لويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي- مدريد، 1994.

205- مجهول (مؤلّف جغرافي عربي عاش في القرن 6 هـ)، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية- الدار البيضاء، طبعة جديدة، 1985.

206- المراكشي عبد الواحد بن علي التميمي (ت647هـ/1249م)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ط1، 1426هـ - 2006م.

207- المرزوقي أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن الأصفهاني (ت421هـ/1030م)، شرح ديوان الحماسة، تحقيق غريب الشيخ، وضع الفهارس العامّة إبراهيم شمس الدّين، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1424هـ/2003م.

208- المفضل أبو طالب بن سلمة بن عاصم (ت290هـ/903م)، الفاخر، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، مراجعة : محمد علي النجار، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ط1، 1380هـ/1960م.

209- المقدسي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت330هـ/990م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي- القاهرة، ط3، 1411هـ/ 1991م.

210- المقريزي تقي الدّين أحمد بن علي (ت845هـ/1442م)، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمّة الفاطميين الخلفا، تحقيق جمال الدّين الشيّال، مطابع الأهرام التجارية- قليوب- القاهرة، ط2، 1416هـ/ 1996م.

211- المقّري شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت1040هـ/1630م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عبّاس، دار صادر – بيروت، الطبعة الجديدة 2004م.

212- نفس المؤلِّف، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق مصطفى السقّا، إبراهيم الأبياري، عبد العظيم شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة، 1358هـ/ 1939م،ج1.

213- ابن المقفّع أبو محمد عبد الله روزبه بن داذويه (ت142هـ/759م)، كليلة ودمنة، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1409هـ/1989م.

214- الملزوزي أبو فارس عبد العزيز (ت697هـ/1297م)، نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك، المطبعة الملكية- الرباط، 1382هـ/ 1963م.

215- منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، أعدّه قاسم حمزة محمد، راجعه الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، عني بتصحيحه ونشره بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان- دمشق، مكتبة المؤيّد- الطائف، 1410هـ/1990م.

216- ابن منظور الإفريقي (ت711هـ/1311م)، لسان العرب، مذيّل بحواشي اليازجي وجماعات من اللغويين، دار صادر- بيروت، ط3، 1414هـ/1994م.

217- النّابغة الجعْدي عبد الله بن قيس (ت نحو 50هـ/ نحو 670م)، ديوان النّابغة الجعْدي، جمع وتحقيق وشرح واضح الصّمد، دار صادر- بيووت، ط1، 1998.

218- النباهي أبو الحسن علي بن عبد الله (ت نحو 792هـ/1390م)، تاريخ قضاة الأندلس أو المرقبة العليا فيمن يستحقّ القضاء والفتيا، تحقيق : مريم قاسم طويل، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1415هـ/ 1995م.

219-النسائي أحمد بن شعيب بن علي الخراساني أبو عبد الرحمن (ت303هـ/915م)، المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، ط2، 1406هـ/1986م.

220- أبو نوّاس الحسن بن هانئ (ت199هـ/814م)، ديوان أبي نواس، تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب الغربي- بيروت، ط1، 1900.

221- النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهّاب (ت733هـ/1332م)، نهاية الأَرَب في فنون الأدب، تحقيق عبد المجيد ترحيني، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1424هـ/2004م.

222- نفس المؤلِّف، تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط (إفريقية والمغرب، الأندلس، صقلية وأقريطش)، من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق وتعليق مصطفى أبو ضيف أحمد، دار النشر المغربية- الدار البيضاء، 1984.

223- الهاشمي أبو الخير زيد بن عبد الله بن مسعود بن رفاعة (ت بعد 400هـ/ بعد 1010م)، الأمثال، دار سعد الدين- دمشق، ط1، 1423هـ.

224- الهمذاني بهاء الدين محمد بن حسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي (ت1031هـ/1622م)، الكشكول، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1418هـ/1998م.

225- الوادي آشي محمد بن جابر، برنامج الوادي آشي (ت749هـ/1348م)، تحقيق محمد محفوظ، دار المغرب الإسلامي- أثينا- بيروت، ط1، 1400هـ/1980م.

226- ابن الوردي زين الدين عمر بن مظفر (ت749هـ/1349م)، تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1417هـ/ 1996م.

227- ابن وكيع التنيسي أبو محمد الحسن بن علي (ت393هـ/1003م)، المنصف للسارق والمسروق منه، حققه وقدّم له عمر خليفة بن إدريس، جامعة قات يونس- بنغازي، ط1، 1994.

228- الونشريسي أبو العبّاس أحمد بن يحي (ت914هـ/1508م)، المعيار المعرب والجامع المغرب في فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق جماعة من الباحثين، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية- الرباط، 1981.

229- ياقوت الحموي شهاب الدين أبو عبد الله (ت626هـ/1229م)، معجم البلدان، طبعة جديدة مصححة ومنقحة، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي- بيروت، (د.ت).

230- نفس المؤلّف، معجم البلدان، دار صادر- بيروت، ط2، 1995.

231- نفس المؤلّف، معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق إحسان عبّاس، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط1، 1414هـ/1993م.

232- اليعقوبي بن واضح أبو العبّاس أحمد بن إسحاق بن جعفر (ت284هـ/897م)، البلدان، دار الكتب العلمية- بيروت، 1422هـ/ 2001م.

233- اليوسي أبو علي نور الدين (1102هـ/1691م)، زهر الأكم في الأمثال والحكم، تحقيق محمد حجي ومحمد الأخضر، الشركة الجديدة- دار الثقافة، الدار البيضاء، 1401هـ/1981م.

رابعا: المراجع العربية والمعرّبة:

234- أبو خليل شوقي، الزلاّقة بقيادة يوسف بن تاشفين، دار الفكر المعاصر- بيروت، دار الفكر- دمشق، تصوير 1413هـ/1993م، عن ط2، 1980.

235- أبو عبيّة طه عبد المقصود عبد الحميد، الحضارة الإسلامية دراسة في تاريخ العلوم الإسلامية، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1424هـ/2004م.

236- أبو الفضل محمد أحمد، تاريخ مدينة ألمرية الأندلسية في العصر الإسلامي منذ إنشائها حتى استيلاء المرابطين عليها، 344- 484هـ/ 955- 1091م، تصدير السيّد عبد العزيز سالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مطبعة مصنع إسكندرية للكراس- الإسكندرية، 1981.

237- أبو الفضل محمد أحمد، تاريخ مدينة ألمرية الأندلسية في العصر الإسلامي دراسة في التاريخ السياسي والحضاري، دار المعرفة الجامعية- الإسكندرية، 1996.

238- أشباخ يوسف، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة وتعليق محمد عبد الله عنان، ط2، مكتبة الخانجي بالقاهرة، 1417هـ/1996م.

239- أعراب سعيد، مع القاضي أبي بكر بن العربي، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط1، 1407هـ/1987م.

240- إليان سركيس يوسف، معجم المطبوعات العربية والمعرّبة، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي- القاهرة، 1928.

241- بالنثيا أنخيل جنثالث، تاريخ الفكر الأندلسي، نقله عن الإسبانية حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة، 1955.

242- البَرْبِير أحمد بن عبد اللطيف بن أحمد الحسني أبو الفيض (ت1226هـ/1811م)، المفاخرة بين الماء والهواء (مطبوع ضمن كتاب المفاخرات والمناظرات)، عُني بها : الدكتور محمَّد حسَّان الطَّيَّان، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1421هـ/2000م.

243- بروفنسال ليفي، تاريخ إسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية، ترجمه إلى العربية : علي عبد الرءوف البمبى وآخرون، ط3، Espasa Calpe, S.A , Madrid, 1967.

244- البستاني بطرس، معارك العرب في الأندلس، دار مار ون عبّود- بيروت . 1978.

245- بل ألفريد، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي : من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة وتحقيق عبد الرحمن بدوي، ط3، دار الغرب الإسلامي- بيروت، 1987.

246- بن إبراهيم السملالي العبّاس (ت1959م)، الإعلام بمن حلّ مرّاكش وأغمات من الأعلام، را جعه عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية- الرباط، ط 2، 1414هـ/1993م.

247- بن بيّة محمد محمود عبد الله، الأثر السّياسي للعلماء في عصر المرابطين، دار الأندلس الخضراء- جدّة، دار ابن حزم- بيروت، ط1، 1421هـ/2000م.

248- بن خليفة علي الشريف الحسيني المساكني (كان حيّا سنة 1172هـ/1758م)، فهرسة الشيخ علي بن خليفة المساكني، تحقيق محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط1، 1992.

249- بن عبّود امحمّد، التاريخ السياسي والاجتماعي لإشبيلية في عهد دول الطوائف (414-484هـ/1023-1091م)، تقديم وليم مونتغومري واط، مطابع الشويخ "ديسبريس"- تطوان، 1983.

250- نفس المؤلّف، جوانب من الواقع الأندلسي في القرن الخامس الهجري، تقديم الأستاذ محمد المنوني، تحت إشراف المعهد الجامعي للبحث العلمي، مطبعة النّور- تطوان، 1408هـ/ 1987م.

251- بن منصور عبد الوهّاب، أعلام المغرب العربي، المطبعة الملكية- الرباط، 1399هـ/1979م.

252- نفس المؤلّف، قبائل المغرب، المطبعة الملكية- الرّباط، 1388هـ/ 1968م.

253- بن النيّة رضا، صنهاجة المغرب الأوسط من الفتح الإسلامي حتّى عودة الفاطميين إلى مصر، دراسة اجتماعية، دار توكّل للنشر والتوزيع-سطيف، ط1، 2015

254- بوباية عبد القادر، البربر في الأندلس وموقفهم من فتنة القرن 5هـ/11م (92-422هـ/711-1031م)، دارالكتب العلمية- بيروت، ط1، 2011م.

255- بوتشيش ابراهيم القادري، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر-بيروت، (د.ت).

256- بوزياني الدرّاجي، القبائل الأمازيغية، أدوارها- مواطنها- أعيانها، دار الكتاب العربي- الجزائر، 2000.

257- بول ستانلي لين، قصّة العرب في إسبانيا، ترجمة علي الجارم بك، كلمات عربية للترجمة والنشر- القاهرة، 2012.

258- بيريس هنري، الشعر الأندلسي في عصر الطوائف، ترجمة الطاهر أحمد مكّي، دار المعارف- القاهرة، ط1، 1408هـ/1988م.

259- التليدي عبد الله بن عبد القادر، المطرب بمشاهير أولياء المغرب دار الأمان للنشر والتوزيع- الرّباط، دار البشائر الإسلامية- بيروت، ط4، 1424هـ/2003م.

260- جوليان شارل أندري، تاريخ إفريقيا الشمالية ، تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، 1983.

261- الحجّي عبد الرحمن علي، التّاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتّى سقوط غرناطة 92-897هـ/711-1492م، ط5، دار القلم- دمشق، 1418هـ/1997م.

262- حسن حسن إبراهيم، انتشار الإسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى، معهد الدراسات العربية العالمية- القاهرة، 1957.

263- نفس المؤلّف، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية- القاهرة، 1968.

264- نفس المؤلّف، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، العصر العباسي الثاني في الشرق ومصر والمغرب والأندلس، ط14، دار الجيل- بيروت، مكتبة النهضة المصرية- القاهرة، 1416هـ/1996م.

265- حقّي محمد، البربر في الأندلس- دراسة لتاريخ مجموعة إثنية من الفتح حتى سقوط الخلافة الأموية (92هـ-422هـ/711م-1031م)، شركة النشر والتوزيع- المدارس- الدار البيضاء، 1422هـ/2001م.

266- حمدي عبد المنعم محمد حسين، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عهد المرابطين، دار المعرفة الجامعية-الإسكندرية، 1997.

267- حمدي عبد المنعم محمد حسين، ثورات البربر في الأندلس في عصر الإمارة الأموية (138- 316هـ/756- 928م)، مؤسسة شباب الجامعة- الإسكندرية، 1993.

268- دبّوز محمد علي، تاريخ المغرب الكبير، عالم المعرفة للنشر والتوزيع- الجزائر، ط1، 2013.

269- دندش عصمت عبد اللطيف، أضواء جديدة على المرابطين، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط1، 1991.

270- دندش عصمت عبد اللّطيف، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا (430-515هـ/1038-1121م) مع نشر وتحقيق أبي بكر بن العربي، ط 1، دار الغرب الإسلامي- بيروت، 1408هـ/1988م.

271- دندش عصمت عبد اللّطيف، أضواء جديدة على المرابطين، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط1، 1991.

272- دوزي رينهارت، ملوك الطوائف، ونظرات في تاريخ الإسلام، ترجمة كامل كيلاني، ط1، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة- القاهرة، 2012م.

273- الرّكابي جودت، في الأدب الأندلسي، دار المعارف- القاهرة، 1970.

274- روجي إدريس الهادي، الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م، نقله إلى العربية حمّادي السّاحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي- بيروت، 1992.

275- الروضان عبد عون، موسوعة شعراء العصر العبّاسي، دار أسامة للنشر والتوزيع- عمان، ط1، 2001.

276- الزركلي خير الدين، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرّجال والنّساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط15، دار صادر للملايين- بيروت، 2002م.

277- سالم السيّد عبد العزيز، تاريخ مدينة المرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر- الإسكندرية، 1984.

278- السامرائي خليل إبراهيم وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ط1، دار المدار الإسلامي- بيروت، 2004.

279- سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن التاسع الهجري، السلسلة الأولى، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع- الجزائر، 2015.

280- سعدون عبّاس نصر الله، دولة المرابطين في المغرب والأندلس عهد يوسف بن تاشفين أمير المرابطين، ط1، دار النهضة العربية- بيروت، 1405هـ/ 1985م.

281- السلاوي أبو العبّاس أحمد بن خالد النّاصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر النّاصري ومحمد النّاصري، دار الكتاب-الدار البيضاء، 1954.

282- نفس المؤلّف، (ت1315هـ/1897م)، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق جعفر النّاصري ومحمد النّاصري، دار الكتاب- الدار البيضاء، 1418هـ/ 1994م.

283- السلمان عبد العزيز بن محمد (ت1422هـ/2001م)، مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار، معهد إمام الدعوة- الرياض، (د.ت).

284- سيسالم عصام سالم، جزر الأندلس المنسية (التاريخ الإسلامي لجزر البليار) 89-685هـ/ 708-1287م، دار العلم للملايين- بيروت، ط1، 1984.

285- شعيرة محمد عبد الهادي، المرابطون تاريخهم السياسي" 430- 539هـ "، دار الاتحاد العربي للطباعة- مكتبة القاهرة الحديثة، 1969.

286- الشكعة مصطفى، الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، دار العلم للملايين- بيروت، ط4، 1979.

287- شيت خطاب محمد، قادة فتح الأندلس، ط 1، مؤسسة علوم القرآن- منار للنشر والتوزيع، بيروت، 1424هـ/2003م.

288- صبحي بن حسن حلاّق محمد، الإيضاحات العصرية لل مقاييس والمكاييل والأوزان والنقود الشرعية، مكتبة الجيل الجديد- صنعاء، ط1، 1428هـ/ 2007م.

289- الصلابي علي محمد، فقه التمكين عند دولة المرابطين، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة- القاهرة، ط1، 1427هـ/2006م.

290- الصوفي خالد، تاريخ العرب في إسبانيا، المطبعة التعاونية- دمشق، 1959.

291- طقوش محمد سهيل، تاريخ المسلمين في الأندلس 91-897هـ/710-1492م، ط1، دار النفائس- بيروت، 1426هـ/2005م.

292- الطمّار محمد، المغرب الأوسط في ظلّ صنهاجة، ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر، 2010.

293- طه عبد الواحد ذنون، الفتح والاست قرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس، ط1، دار المدار الإسلامي، دار الكتب الوطنية-بنغازي، صيف 2004.

294- طوقان قدري حافظ، تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، دار الشروق- بيروت، (د.ت).

295- طويل مريم قاسم، مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر 403-483هـ/1012- 1090م، مكتبة الوحدة العربية- الدار البيضاء، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1414هـ/1994م.

296- نفس المؤلّف ، مملكة ألمرية في عهد المعتصم بن صمادح (443-484هـ/1051- 1091م)، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1414هـ/1994م.

294- العبادي أحمد مختار، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة- الإسكندرية، (د.ت).

297- نفس المؤلّف، في التاريخ العبّاسي والأندلسي، دار النهضة العربية- بيروت، (د.ت).

298- نفس المؤلّف، في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية- بيروت، (د.ت).

299- عبّاس إحسان، تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين)، ط5، دار الثقافة، بيروت، 1978.

300- نفس المؤلّف، تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة)، دار الثقافة – بيروت، ط6، 1981.

301- نفس المؤلّف، تاريخ الأدب الأندلسي- عصر الطوائف والمرابطين، دار الثقافة- بيروت، ط6، 1981.

302- عبد الحميد سعد زغلول ، تاريخ المغرب العربي، الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيون إلى قيام المرابطين، الناشر منشأة المعارف- الإسكندرية، 1990.

303- نفس المؤلّف، تاريخ المغرب العربي، المرابطون: صنهاجة الصحراء الملثمون في المغرب والسودان والأندلس، ج4 ، منشأة المعارف- الإسكندرية، ط1، 1995.

304- عبد الله بن سليمان المزروع وفاء، جهاد المسلمين خلف البرتات من القرن الأول إلى القرن الخامس الهجري، مكتبة دار القاهرة-القاهرة، ط1، 2003.

305- العربي عقون، الأمازيغ عبر التاريخ نظرة موجزة في الأصول والهويّة، التنّوخي للطباعة والنشر والتوزيع- الرباط، ط1، 2010.

306- العلمي الحسن، إعادة كتابة التاريخ الإسلامي في ضوء منهج الجرح والتعديل، معهد الغرب الإسلامي للتكوين والبحث العلمي- القنيطرة، 1427هـ/2006م.

307- عنان محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول- القسم الأول، من الفتح إلى بداية عهد النّاصر، مكتبة الخانجي- القاهرة، ط4، 1417هـ/1997م.

308- عنان محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني، دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط4، 1417هـ/1997م.

309- عنان محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس، العهد الرّابع، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط4، 1417هـ/1997م.

310- عويس عبد الحليم، دولة بني حمّاد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، ط 2، دار الصحوة للنشر والتوزيع- القاهرة، 1411هـ/1991م.

311- الغنيمي عبد الفتاح مقلد، معركة بلاط الشهداء في التاريخ الإسلامي والأوربي، رمضان 114هـ/ أكتوبر 732م، (بواتيه Poitiers)، ط 1، عالم الكتب- القاهرة، 1416هـ/1996م.

312- فيلالي عبد العزيز، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، ط2، دار الفجر للنشر والتوزيع- القاهرة، 1999.

313- الفيّومي محمد إبرهيم، تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب والأندلس، دار الجيل للطباعة والنشر- بيروت، ط1، 1417هـ/1997م.

314- القاسمي هاشم العلوي، مجتمع المغرب الأقصى حتّى منتصف القرن 4هـ/ منتصف القرن 10م، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- المملكة المغربية، 1415هـ/ 1995م.

315- القشّاط محمد سعيد، التوارق عرب الصحراء الكبرى، مركز دراسات وأبحاث شؤون الصحراء، القاهرة، ط2، 1989.

316- القِنّوْجي محمد صدّيق حسن خان (ت1307هـ/1890م)، أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، تحقيق عبد الجبّار زك ار، دار الكتب العلمية- بيروت، 1978.

317- نفس المؤلّف، لقطة العجلان ممّا تمسّ إلى معرفته حاجة الإنسان، ط 1، دار الكتب العلمية- بيروت، 1405هـ/ 1985م.

318- ك. بويكا، المصادر التاريخية العربية في الأندلس، نقله إلى العربية نايف أبو كرم، منشورات دار علاء الدين- دمشق، ط1، 1999.

319- الكتاني عبد الحي بن عبد الكبير (ت1382هـ/1962م)، فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، تحقيق : إحسان عباس، دار العربي الإسلامي - بيروت ط2، 1402هـ/ 1982م.

320- كحالة عمر رضا، معجم المؤلّفين تراجم مصنّفي الكتب العربية، م ؤسسة الرسالة- دمشق، ط1، 1376هـ/1957م.

321- كرنيليوس فان الآن فانديك إدورد (ت1313هـ/1895م)، اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، دار صادر- بيروت، 1986.

322- كزبخال مارمول، إفريقيا، ترجمة محمد حجّي- محمد زنيبر وآخرون، دار نشر المعرفة- مطابع المعارف الجديدة- الرباط، 1408-1409هـ/ 1988-1989م.

323- الكعّاك عثمان، البربر، المكتبة الإفريقية- تونس،ط1، 1375هـ/ 1956م.

324- كولان ج .س، الأندلس، لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية، إبراهيم خورشيد وآخرون، دار الكتاب اللبناني- بيروت، دار الكتاب المصري- القاهرة، ط1، 1980.

325- لقبال موسى، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري(11م)، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر، 1979.

326- مجدي محمد إبراهيم، التصوّف السنّي حال الفناء بين الجنيد والغزالي، تصدير عاطف العراقي، مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة، ط1، 1422هـ/2002م.

327- محمود حسن أحمد، قيام دولة المرابطين- صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، دار الفكر العربي- القاهرة، 1956.

328- مختار عمر أحمد بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب- القاهرة، ط1، 1429هـ/2008م.

329- مقديش محمود (ت1228هـ/1813م)، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق علي الزواري، محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط1، 1988.

330- مكّي محمود علي، وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة، ط1، 1424هـ/2004م.

331- المنوني محمد وآخرون، التاريخ الأندلسي من خلال النصوص، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار لبيضاء، ط1، 1412هـ/1991م.

332- مؤنس حسين، فجر الأندلس دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية (711-756م)، ط1، العصر الحديث للنشر والتوزيع- دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1422هـ/2002م.

333- نفس المؤلّف، موسوعة تاريخ الأندلس، ط 1، مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة، 1416هـ/1996م.

334- نفس المؤلّف، الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين وسقوط سرقسطة في يد النصارى سنة 512هـ/1118م مع أربع وثائق جديدة، مكتبة الثقافة الدينية- بورسعيد، 1413هـ/1992م.

335- نفس المؤلّف ، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ط1، مكتبة الخانجي- القاهرة، 1980.

336- النّاصري أبو راس محمّد بن أحمد (ت1238هـ/1823م)، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تقديم وتحقيق المخطوط من طرف محمد غالم، المركز الوطني للبحث في الأنتروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، 2005.

337- نعنعي عبد المجيد، الإسلام في طليطلة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر- بيروت، (د.ت).

338- هيكل أحمد، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلا فة، دار المعارف- القاهرة، ط12، 1997.

339- وات مونتغمري، في تاريخ إسبانيا الإسلامية (مع فصل في الأدب بقلم بيير كاكيا)، ترجمة المصري محمد رضا، ط2، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر- بيروت، 1998.

340- الورقي السعيد، في الأدب الأندلسي، الدار المصرية- الإسكندرية، (د.ت).

341- ويدنر دونالد، تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء، ترجمة راشد البراوي، النّاشر مكتبة راندون- نيويورك، دار الجيل للطباعة- القاهرة، 1962.

خامسا: الرّسائل الجامعية:

342- أحمد إلياس حسين، العلاقات بين مملكة غانا والمغرب العربي، أطروحة دكتوراه مرقونة قدّمت لجامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، 1986.

343- البشراوي سعد الله، الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس (422-488هـ/1030-1095م)، رسالة مقدّمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، جامعة أمّ القرى بمكّة المكرّمة، 1405-1406هـ/1985-1986م.

344- بلغيث محمد الأمين، الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 1423-1424هـ/ 2002-2003م.

345- بنت عبد الله الحسّاني فايزة، تاريخ مدينة سرقسطة منذ عصر الخلافة الأموية حتى سقوطها (316-512هـ/ 928- 1118م)، دراسة سياسية وحض ارية، مذكرة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة أمّ القرى- المملكة العربية السعودية، العام الجامعي 1429- 1430هـ.

346- بن عبد الله خالد، مدينة مالقة منذ عصر الطوائف حتى سقوطها (422-492هـ) دراسة سياسية اقتصادية، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة أمّ القرى، مكّة المكرّمة،1425- 1426هـ.

347- الرواشدة بهاء مصطفى عبد الغني، الحياة العلمية والثقافية في إشبيلية في عهد بني عبّاد (414-484هـ/1023-1091م)، رسالة مقدّمة للحصول على الماجستير في التاريخ، جامعة مؤتة، 2003.

348- حاج عبد القادر يخلف، الإسهام الفكري للبربر بالأندلس من العهد العامري إلى نهاية الوجود المرابطي (371-539هـ/981-1144م)، مذكرة ماجستير في التاريخ الإسلامي غير مطبوعة، جامعة وهران،1429-1430هـ/2008-2009م.

349- حاكمي حبيب، الإسهام العلمي للبربر في الأندلس على عهد الموحدين من منتصف القرن 6 إلى مطلع القرن 7هـ/ق12- ق13م، مذكرة ماجستير في التاريخ الإسلامي غير مطبوعة، جامعة وهران،1430-1431هـ/2009-2010م.

350- فاطمة الزهراء جدّو، السلطة والمتصوّفة في الأندلس على عهد المرابطين والموحدين (479- 635هـ/1086-1238م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماج ستير في التاريخ الوسيط، تخصّص تاريخ وحضارة بلاد الأندلس، جامعة منتوري- قسنطينة، 1428-1429هـ/2007-2008م.

سادسا: الدوريات:

351- بن عبّود امحمّد، " ابن الخطيب مؤرّخا للأندلس في عهد دول الطوائف "، في مجلّة كلّية الآداب بتطوان، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، عدد خ اص بندوة ابن الخطيب، السنة الثانية، العدد 2، 1408هـ/1987م.

352- ابن الكردبوس التوزري (كان بقيد الحياة سنة 594هـ/1198م)، تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشبّاط (نصّان جديدان)، تحقيق أحمد مختار العبادي، في

صحيفة معهد الدراسات الإسلامية- مدريد، مطبعة المعهد المصري للدراسات الإسلامية- مدريد، المجلد 13، 1965-1966.

353- الجيلالي عبد الرحمن، هؤلاء التوارق الملثمين، في مجلة الأصالة، العدد 7، السنة 8، الجزائر، أوت 1971.

354- خيطان حسن الياسري عبد الكريم، "بنو غانية مصدر قلق كبير للموحدين، دراسة تاريخية"، في مجلة كربلاء، المجلد الثالث، العدد 13، ديسمبر 2005، البحوث الإنسانية.

355- دي إيبلزا ميكال (Mikel de EPALZA)، الرباط والرّباطات في السماء والآثار الإسبانية، تعريب الحسين اليعقوبي، في مجلّة دراسات أندلسية، مطبعة المغاربية للطباعة والنشر والإشهار- تونس، العدد 13، شعبان 1415هـ/ جانفي 1995م.

356- شيخة جمعة، " التصوف الأندلسي بين الدّين والسياسة خلال النّصف الول من القرن 6هـ/12م "، في مجلة دراسات أندلسية ، مطبعة المغاربية للطباعة والنشر والإشهار- تونس، العدد 21، رمضان 1419هـ/ جانفي 1999م.

357- طلس أسعد، نفائس المخطوطات العربية في المشهد الرضوي المطهّر -2- (ج) الفلسفة وعلم الكلام والمنطق، في مجلّة المجمع العلمي العربي بدمشق، مطبعة الترقي- دمشق، الجزء الأول، المجلد 24، 1949.

358- طه عبد الواحد ذنون، استقرار القبائل البربرية في الندلس، مجلّة أوراق، المعهد الإسباني الغربي للثقافة- مدريد، العدد الرّابع، 1981.

359- الطيبي أمين توفيق، دراسة حول الأمير عبد الله آخر ملوك بني زيري في غرناطة، في مجلة كلّية التربية، جامعة الفاتح، طرابلس، رقم7، (1976-1977).

360- العطّار سليمان، نشأة الموشّحات الأندلسية، في صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، مجلد29، 1997.

361- علاوة عمارة، ابن شدّاد الصنهاجي جامع أخبار المغرب الوسيط، في مجلّة التاريخ العربي، تصدرها جمعية المؤرّخين المغاربة، قصبة الأوداية- الرّباط، العدد 21، شتاء 1422هـ/2002م.

362- عيسى محمد عبد الحميد ، " الحضارة الأندلسية: مرحلة التكوين"، في مجلّة ندوة التاريخ الإسلامي والوسيط، دار المعارف- القاهرة، المجلد الثاني، 1983.

363- مكي محمود علي، التشيّع في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، المجلد الثاني، العددان 1-2، 1954.

364- منصف عاشور، في خصائص اللغة العربية بالأندلس، في مجلّة دراسات أندلسية، مطبعة المغاربية للطباعة والنشر والإشهار- تونس، العدد الثالث، جمادى الأولى 1410هـ/ ديسمبر 1989م.

365- مؤنس حسين، سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وأيّامهم في الأندلس، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، المجلد الثاني، 1954.

سابعا- المصادر الأجنبية:

366- Abd- Allah b. Buluggin : Les (Mémoires) de Abd- Allah b. Buluggin, dernier roi ziride de Grenade, traduit au francais par Évariste Lévi-Provençal, in Al-Andalus N°3 (1935), pp233-344 et N°4 (1935-39).

367- Aguado Bleye Pedro: Manual de Historia de Espana, vol.I, Madrid, 1963.

368- Asin Palacios Miguel: contribución à la toponímia arabe de Espagǹa, imprenta de Estanislao Maestre, Madrid, 1940.

369- Canard, M: The Encyclopaedia of Islam, New Edition, Leiden- E.J.Brill, London, Luzac & Co, 1986, volume III.

370- Codera Francisco, Decadencia y Desaparicion de los Almoravides en Espana, Zaragoza, Tip de Comas Hermanos, PUAR, 1899.

371- Colin, G.S: Djazûla, The E.I, New Edition, E.J.Brill- Leiden, 1991, volume II.

372- Colin, G.S: Gudalăla: E.I, New Edition, E.J.Brill- Leiden, 1991, volume II.

373- Colin, G.S: Lamta, The Encyclopaedia of Islam, New Edition, E.J.Brill- Leiden, 1986, volume V.

374- Conde José Antonio : Historia de la dominación de los arabes en Espaňa, Paris. Baudry, Libreria Europea, 1840, Tomo XIX.

375- Conde José Antonio: Histoire de la domination des Arabes et des Maures en Espagne et en Portugal, depuis l'invasion de ces peuples jusqu'a leur expulsion définitive. Rédigée sur l'Histoire traduite de l'arabe en espagnol de Joseph Conde par M. de Marlès, , Alexis Eymery , Libraire, Paris, 1825, Tome I et Tome II.

376- De Felipe, Helena : Identidad y Onomastica de los Beréberes de AL-Andalus, Consejo Superior de Investigaciones Cientificas, Madrid, 1997.

377- Dozy, R: Histoire des Musulmans d'Espagne jusqu'a La Conquête de L'Andalousie Par Les Almoravides (711—1110), E. J. Brill, Leyde, Imprimeur de l'Université, 1861, Tome Deuxième.

378- Dozy, R: recherches sur l'histoire et la littérature de l'Espagne pendant le moyen age, Paris, Maisonneuve, Leyde, E.J. Brill, 1881, Troisième édition revue et augmentée, TI.

379- Dubler Césare E: « Uber Berbersiedlungen auf der Iberiscben Halbinsel » Separatdruck aus “Sache ort und wort”, Festschrift Jakob Jud, وهو عدد من Romanica Helvetica, Band 20, 1943, Zuerich-Genf.

380- Fournel (H): les Berbères étude sur la conquête de l'Afrique par les Arabes, Imprimerie Nationale, Paris, TI.

381- G.Chegne Anwar: Historia de Espana, segunda edicion, edicionnes catedra, S.A. Madrid, 1980.

382- Garcia de Cortazar, José Angel : La Epoca Medieval, Historia de Espaňa Dirigida par Miguel Artola, Alianza Editorial, Primera Edición, 1998, Madrid.

383- Gaspar Remiro Mariano : Historia de Murcia Musulmana, Edicion de la Academia Alfonso x el Sabio. Murcia reproduccion por el sistema offset de la 1.ª edicion impresa en Zaragoza en 1905, impreso en Sucesores de Nogués, Murcia, 1980.

384- Gautier (E.F): l'Islamisation de l'Afrique du Nord. les siècles obscurs du Maghreb, Payot, Paris, 1927.

385- Gayangos Pascual: Memoria Sobre la Autenticidad de la crónica Denominada del Moro Rasis, Leida, en la Real Academia de la Historia, Madrid, 1850.

386- Gsell Stéphane : Histoire Ancienne de l’Afrique du nord, les conditions du développement historique, les temps primitifs- la colonisation Phénicienne et l’Empire de Cartage, Tome I, chapitre IV, librairie Hachette, Paris.

387- Hopkins J.F.P: The Encyclopaedia of Islam, Prepared by a Number of Leading Oriontalists, Under the Patronage of the International Union of Academies, TIII.

388- Ibn Al-Arif: Mahasin Al-Majalis, Texte Arabe, Traduction et Commentaire par Miguel Asin Palacios, Librairie Orientale Paul Geuthner, Paris, 1933, Texte Traduit de l’Espagnol par F.Cavallera.

389- Ibn Khaldoun, Histoire des Berbères et des dynasties Musulmanes de l'Afrique septentrionale, Traducteur: William baron Mac Guckin de Slane, Impr. Du Gouvernement, Alger, 1854, Vol.2.

390- Jaime Oliver Assin: in Al-Andalus revista de las Escuelas de Estudios Arabes de Madrid y Granada, Imprenta de la Viuda de Estanislao, Maestre Pozas, Madrid, Volumen VIII, Madrid – Granada, 1943, Reprint Schmidt Periodicals GMBH, Bad Feilnbach, W.Germany, 1989.

391- La Chapelle (F.DE): Esquisse d'une Histoire du Sahara Occidental, Hésperis, 1930, TXI.

392- Lafuente y Alcantara Emilio: Inscripciones Arabes de Granada, Precididas de Una Resetia Historica y de la Genealogia Detallada de Los Reyes Alahmares, Imprenta Nacional, Madrid, 1859.

393- Lane-Poole Stanley: The Moors in Spain, with the collaboration of Arthur Gilman, N.A, T.Fisher UNWIN, London, eighth edition, 1888.

394- Lévi-Provençal, Évariste: Histoire de L'Espagne Musulmane, G.P Paris Maisonneuve, Leyde, E.J. Brill, , 1950, TI.

395- Lévi-Provençal (E): L'Espagne Musulmane au 10éme siècle, Edition Larose, Paris, 1932.

396- Lévi-Provençal (E): Reflexion sur l'Empire Almoravide au début du XII siècle, Cinquantenaire de la Faculté des lettres d'Alger, (1881-1931), Alger, 1932.

397- Lévi-Provençal (E): Emilio Garcia Gómez, El siglo XI en primera persona : las "Memorias" de 'Abd Allah , último Rey Zirí de Granada destronado por los Almorávides (1090), Madrid: Alianza Editorial, 1980.

398- Lévi-Provençal (E): [E. Van Donzel], The Encyclopaedia of Islam, New Edition, E.J.Brill, Leiden- New York, 1993, Volume VII.

399- Madoz Pascual : Diccionario geográfico-estadístico-historico de España y sus posesiones de ultramar, Madrid, 1846, TVI.

400- Madoz, (P): Diccionario Geografica- estadistico- historicode Espana y sus Posrsiones de Ultramar, 16 vols, Madrid 1848- 1850.

401- Menéndez Pidal Ramón: Poema de Mio Cid, Edición y Notas de Ramón Menéndez Pidal de la Real Academia Espaňola, Ediciónes de « la Lectura », Madrid, 1913.

402- Menéndez Pidal Ramón: Primera crónica general estoria de España que mandó componer Alfonso El Sabio y se continuaba bajo Sancho IV en1289, Madrid 1906, Bailly-Bailliere é Hijos Editores, Tomo I.

403- Pons Boigues Francisco: Ensayo bio-bibliográfico sobre los historiadores y geógrafos arábigo-españoles, obra premiada por la Biblioteca Nacional en el concurso público de 1893, ě impresa á expensas del estado, Madrid, Establecimiento Tipográfico de San Francisco de Sales, Pasaje de la Alhamhra, nüm. 1, 1898.

404- Prieto y Vives Antonio : Los Reyes de Taifas, Estudio Historico-Numismatico de los Musulmanes Españoles en el Sieglo V de la Hégira (XI de J.C.), Madrid, 1926.

405- Reinaud, M : Invasions des Sarrazins en France et de France en Savoie, en Piémont et dans la Suisse Pendant les 8e, 9e et 10e siècles de notre ère, D'après Les auteurs Chrétiens et Mahométans, Librairie Orientale de Ve Dondey- Dupré, Paris, 1836.

406- Saavedra Eduardo: Estudio sobre La Invasión De Los Àrabes En Espaṅa, De La Real Academia De La Historia, Imprenta De " Elprogreso Editorial ", Madrid, 1892.

407- Sarr Bilal : La Granada Zirí (1013-1090), Ajbar coleccción, Imprime: Kadmos, Granada, 2011.

408- Seely Robert Benton: The Spanish Peninsula: a Sketch of its Fast History, Present Condition, and Future Frosfects, The Religious Tract Society, London, R. Clay, Sons, and Taylor, Printers, London, 1873.

409- Simonet Francisco Javier : Descripcion Del Reino de Granada Bajo la Dominacion de Los Naseritas Scada de Los Autores Arabes, y Seguida del Texto Inédito de Mohammed Ebn Aljathib, Imprenta Nacional- Madrid, 1860.

410- Lewicki (T): Lamtuna, dans E.I, New Edition, E.J.Brill- Leiden, 1986, volume V.

411- Terrasse (H): Histoire du Maroc, des Origines à l'établissement du Protectorat Français, Casablanca, 1946.

412- The Tibyan: memoirs of `Abd Allah B. Buluggin, last Zirid amir of Granada / translated from the emended Arabic text and provided with introduction, notes and comments by Amin T. Tibi, 2 vols. Ph. Thesis, 1971 (published in Leiden: Brill, 1986).

413- Tibi Amin: The ncyclopaedia of Islam *(*New Edition*)*, Leiden- Brill, 2002, Volume XI.

414- Watts Henry Edward: The Christian Recovery of Spain Being The Story of Spain From The Moorish Conquest To The Fall of Granada (711-1492 A.D.), G. P. Putnam's Sons, New York, T. Fisher Unwin, London, 1894.

415- Whishaw Bernhard and Ellen M: Arabic Spain : Sidelights on her History and Art, Smith, Elder and Co, London, 1912.

416- Guichard Pierre : Structures Sociales " Orientales" et "Occidentales" dans L'Espagne Musulmane, Ecole des Hautes Etudes en Sciences Socials- Centre de Recherches Historiques, Mouton- Paris, La Haye, 1977.

ثامنا- الدوريات الأجنبية:

417- Arie Rachel : Aperçus sur les royaumes Berbères d'Al-Andalus aux V[e]/XI[e] siècle, in Revista del Institito Egipcio de Estudios Islamicos, volumen XXIII, Madrid, 1985-1986.

418- Benaboud M'hammed : l'Historiographie d'Al-Andalus durant la période des Etats- Taifas, in Revue de l'Oxident Musulman et de la Méditerranée, Numéro 40, 1985.

419- Guichard (P), Le peuplement de la région de Valence aux deux premiers siècles de la domination Musulmane, in Mélanges de la casa de Velázquez, Tome 5, 1969.

420- Hernȧndez Jiménez, Félix : Estudios de Geografía histórica española, III. Munturi o Muntawri = Montaire, in Al-Andalus : revista de las Escuelas de Estudios Ȧrabes de Madrid, Vol. 6, Nº 1, 1941.

421- Huici Miranda Ambrosio : El sitio de Aledo, Miscelánea de Estudios Árabes y Hebraicos, Sección Árabe-Islam, Vol 3 (1954), revistas electrónicas de la Universidad de Granada.

422- Tixier du Mesnil, Emmanuelle: Université de Paris Ouest Nanterre, EA 1587, Département d’histoire , La fitna andalouse du XI[e] siècle, in médiévales revues, n° 60, printemps 2011.

423-Tauxier (H) : une émigration arabe en Afrique, un siècle après Jésus-Christ, réponse aux questions de M.L’interprète Mercier, in Revue Africaine, Volume 24, Année 1880, Alger, A.Jourdan, Libraire- Editeur, Constantine, Arnolet, Imprimeur- Libraire rue du Palais; Paris, Challamel Aine, Libraire.

424- Marcos Cobaleda María, Artículo: La huella de Siyilmasa en las cercas almorávides de Marrakech y Al-Andalus, Fig. 3. Murallas almorávides del Marrubial. Córdoba, in Quiroga: Revista de Patrimonio Iberoamericano.*nº 8*, julio-diciembre 2015.

تاسعا- المواقع الإلكترونية:

425- خريطة الفتح الأموي للأندلس مأخوذة من الموقع الإلكتروني www.google.dz نقلا عن الموقع الأصلي: ar.wikipedia.org

426- خريطة فتح المسلمين للأندلس مأخوذة من الموقع الإلكتروني www.google.dz نقلا عن الموقع الأصلي: moqatel.com

427- خريطة " الأمويون في الأندلس وشمال إفريقيا في القرن 10م/4هـ مأخوذة من الموقع الإلكتروني www.google.dz نقلا عن firas.tayyib@hukam.net نقلا عن الموقع الأصلي: e3sarcom.com

428- خريطة الأندلس في عصره الذهبي مأخوذة من الموقع الإلكتروني www.google.dz نقلا عن الموقع الأصلي: forum.amrkhaled.net

429- خريطة " الصراع بين الموحدين وبني غانية في القرن 7هـ/13م" مأخوذة من الموقع الإلكتروني www.google.dz نقلا عن الموقع الأصلي: awda-dawa.com

430- خريطة ملوك الطوائف الثانية مأخوذة من الموقع الإلكتروني www.google.dz نقلا عن الموقع الأصلي: qudamaa.com

431- خريطة الأندلس نهاية عهد ملوك الطوائف مأخوذة من الموقع الإلكتروني www.google.dz نقلا عن الموقع الأصلي: ed-flash.com

432- خريطة " المرابطون – توحيد الأندلس " مأخوذة من الموقع الإلكتروني www.google.dz نقلا عن الموقع الأصلي: andalus.blogspot.com

433- خريطة " المرابطون وشمال إفريقيا والأندلس في القرن 5هـ/11م" مأخوذة من الموقع الإلكتروني www.google.dz نقلا عن الموقع الأصلي: rewayet2.com

434- صورة سور القصبة القديمة الذي بناه حبّوس واكتمل بناؤه في عهد ابنه باديس بغرناطة نقلا عن الموقع الإلكتروني: es.wikipedia.org

435- صورة القصبة القديمة الزيرية بغرناطة نقلا عن الموقع الإلكتروني : commons.wikimedia.org

436- محوّل التّاريخ (تحويل التاريخ من هجري إلى ميلادي)، نداء الإيمان www. Al-eman.com



فهـــارس

الأطروحة

فهرس المحتويات